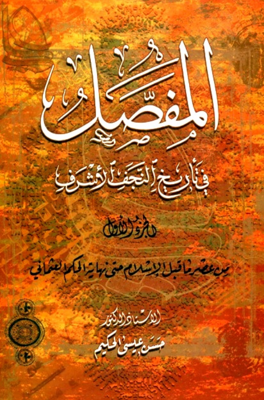
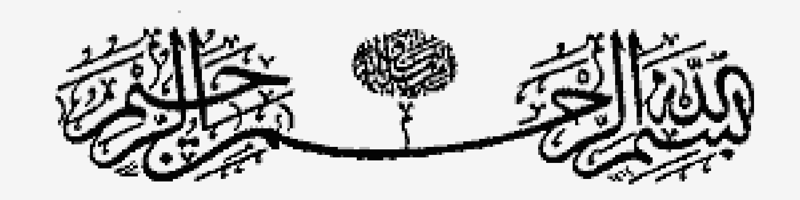

المفصل
في تاريخ النجف الأشرف
الجزء الأول
من عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الحكم العثماني
الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

المفصل

في تاريخ النجف الأشرف

من عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الحكم العثماني

الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

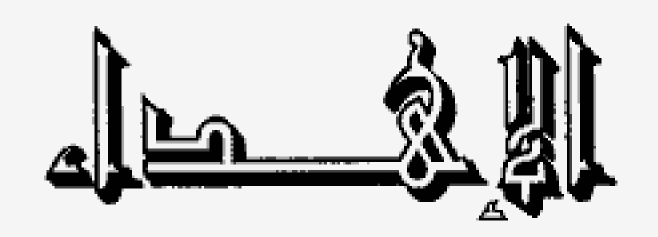


ردمك الكتاب ١ـ٠٧٨ـ٥٠٣ـ٩٦٤
ردمك مشترك ٣ـ٠٧٧ـ٥٠٣ـ٩٦٤

ISBN: 964_503_078_1 للدورة
964_503_077_3

- الكتاب المفصل في تاريخ النجف الأشرف (الجزء١)
- المؤلف .... الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم
- الناشر .... المكتبة الحيدرية / قم المقدّسة
- الطبعة .... (الأولى)
- سنة الطبع .... ١٤٢٧ - ١٣٨٥
- المطبعة .... شريعت
- عدد المطبوع .... (١٥٠٠ نسخة)
- عدد الصفحات .... (٤٧٢) وزيري

السعر: ٥٠٠٠ تومان



الإهداء

إلى باب مدينةِ عِلم الرسول الأكرم مُحَمّدٍ عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلام والتحيَّةُ والإكرام. إلى سيّدي أمير الفصاحَةِ والبلاغةِ والبيان. إلى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام. إلى الأرضِ التي تشَرَّفَتْ بجسَدِهِ الطاهرِ وتغَذَّتْ مِن نميرِ عُلومهِ وفَضائِلِهِ. فإليهِ سلامُ اللّهِ عليهِ وإلى مدينة النَجَفِ الأشرَفِ أهدي كِتابي هذا جُزءاً من ولائي لأميرِ المؤمنين وإخلاصاً لمدينتي المُقدَّسَةِ الطاهِرة، وأقول :

أميرَ البيانِ ورَمْزَ الهُدى	لأنتَ لكلِّ عُلاً مُبْتَدا
تَقَبَّلْ كتابي على ما بِهِ	فجُهدي بغيرِ رضاكم سُدى
وللنجفِ الحُبُّ مِنّي، على	مُرورِ الزمانِ وطولِ المَدى
وتبقى مَناراً ودارَ العلومِ	وتبقى لِكُلِّ عُلاً مُنْتَدى

الدكتور

حسن عيسى الحكيم النجفي

المقــــــدمة

كانت فكرة الكتابة الموسّعة عن تاريخ مدينة النجف الأشرف تُراودني بينَ حينٍ وآخَر، وكان أشدّ ما تؤلمني الكتب التي تحمل اسم النجف وضمنَ طيّات سطورها إساءات لهذه المدينة المقدّسة فقد أساء مؤلّفوها إلى المدينة الكبيرة بقصورهم البالغ في الإحساس بمسؤولية مَن يتولّى مثل هذه المهمّة الشاقّة وبقلّة مصادرهم. هذا مما حفّزني إلى التصدّي للتأليف في هذا الموضوع وفق أحدث الطرائق والمناهج العلمية مما يتناسب مع مكانة النجف الأشرف ودورها التاريخي والعلمي وما قُدّر لها من وضع روحي خاص شهده لها تاريخها المجيد. وقد شدّني إلى مدينة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام حب روحي عميق وتقدير بالغ ورغبة جادّة لتسليط الأضواء على تاريخ هذه المدينة وتطورها العمراني والفكري والروحي، وما كانت ولا تزال تتميز به من التفرّد في نوعية الدراسات الدينية، وتخريجها للعدد الجم من الأعلام في الفقه والأُصول والتفسير والحديث والرجال والكلام، إضافةً إلى عنايتها بالدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية، وتصدّرها في الكثير من عهودها بالأعلام من شعراء العربية البارزين. فكانت النجف أولَ أرضٍ مسّ جلدي ترابها الطاهر، وأسأل الله العليّ القدير أن تكون آخر أرض يوارى جسدي بترابها مستمداً من جوار أمير المؤمنين عليه السلام الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

وكانت دراستي الجامعية للشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠ هـ) ودوره الرائد في إرساء قواعد المدرسة العلمية النجفية، والإشارة إلى بعض أعلامها، قد أكّدتْ عزمي على تحقيق فكرة الكتابة عن مدينة النجف الأشرف وأعلامها عبر العصور التاريخية. ولاشك أن هذا المشروعَ ضخمٌ وشاقٌّ، فأحداث النجف كثيرة، وأعلامها كثيرون، ولم يقتصر الأمر على الأحداث والأعلام بل يشمل

تاريخ المرقد العلوي الشريف وتخطيط المدينة وتوسّعاتها، والحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية والدينية فيها.

وقبل الشروع بهذا الجهد الكبير، حاولت في فترات سابقة دراسة بعض الجوانب التي تخصّ مدينة النجف الأشرف لأرى موقعها لدى المعنيين بالدراسات التاريخية ومدى تقبّلهم لها. فنشرت جملة من هذه الدراسات في الصحف والمجلاّت، فكان صداها الحسن لدى مَنْ أعتزُّ بآرائهم من زملائي المؤرخين والمفكرين قد عزز في نفسي المضي في هذا المشروع على الرغم مما أتوقّع مواجهته من صعوبات فنّية سواء بجمع المصادر أو في ما يتطلّب من نَفَسٍ طويل. ولكن وضعت أبياتي الشعرية التالية لتكون لي أضواء مُنيرة في طريقي:

عَبَقُ الغريِّ يفوحُ في آثاري	وهُدى الإمامِ يشعُّ في أسفاري
فمضيتُ أكتبُ للغريِّ صحائفاً	وأردتها ذخراً ليوم قراري
ومُجسِّداً في أسطري ومشاعري	نور الإمامةِ والولاءُ شعاري

فإني أرجو أن أكون قد وفِقْتُ في البحث والكتابة، وأضفت إلى الدراسات التاريخية ما هو جديد في تاريخ النجف الأشرف **((وقلْ ربي أدخِلْني مُدخَلَ صِدْقٍ وأخرِجْني مُخرَجَ صِدْقٍ واجعلْ لي من لدُنكَ سُلطاناً ونَصيراً))** صدقَ الله العلي العظيم.

النجف الأشرف **الدكتور**

حسن عيسى الحكيم

الفصل الأول

منطقة النجف
في عصر ما قبل الإسلام

النجف في اللغة والاشتقاق والمصطلح :

النجف لفظ عربي أصيل في عروبته، ومعناه المنجوف وجمعه النجاف، ويعني الأرض المستديرة المشرفة[1]، أو ما غلظ في الأرض وما ارتفع منها[2]. يقول ابن دريد : (النجف ارتفاع الأرض وكذلك النجفة)[3]. أما ابن فارس فيقول : (النجف مكان مستطيل منقاد ولا يعلوه الماء) أو بطن في الأرض في أسافلها سهولة تنقاد في الأرض لها أودية تنصب إلى لين في الأرض. ويقال لأبسط الكثيب (نجفة الكثيب)[4]، وفي هذا المعنى، يقول الشاعر إمرؤ القيس[5]:

أرى ناقةَ القيسِ قد أصبحتْ ... على الأينِ ذاتَ هبابٍ نوارا

رأتْ هلكاً بنجافِ الغبيط ... فكادتْ تجدّ لذاك الهجارا

أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في أُرجوزته إلى المعنى اللغوي للنجف بقوله[6]:

النجفُ اسمٌ للمكانِ المرتفِع ... أو اسمُ عينٍ بالمياه تندفِعْ

أو المسنّاةُ بجنبِ الشاطي ... أو ني وجف في لغة الأنباطِ

---

(1) الفراهيدي : العين ٦/١٤٤ . ابن منظور : لسان العرب ٩/٣٢٣ .

(2) البكري : فصل المقال ص ٤٥٣ . الزمخشري : الجبال والأمكنة والمياه ص ١٤٤ .

(3) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٤٩ . جمهرة اللغة ٢/١٠٨ .

(4) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ٥/٣٩٥ . أساس البلاغة ص ٦٢١ . ابن منظور : لسان العرب ٩/٣٢٣ . الزبيدي : تاج العروس ٦/٢٥١.

(5) السندوبي : شرح ديوان امرئ القيس ص ٩٣ .

(6) السماوي : عنوان الشرف في وشي النجف، ص٣.

ويذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي لأصل النجف فيقول: (النجفة تكون في بطن الوادي، شبه جدار ليس بعريض له طريق منقاد من بين مستقيم ومعوجّ لا يعلوها الماء، وقد يكون في بطن الأرض[1]. ويتفق اللغويون في معنى (النجف) بأنه ما ارتفع من الأرض، الناتيء المشرف على الوادي[2]. وتلتقي هذه التعاريف جميعها في معنى (الظهر)[3]، فالنجف والظهر مصطلحان بمعنى واحد لأن الظهر معناه اللغوي: ما غلظ وارتفع من الأرض، ويقال لطريق البر إنْ كان مسلكه إلى البر أو إلى البحر (طريق الظهر)[4] وإذا قيل: ظاهر الجبل فهو أعلاه، والظواهر جميعها أشراف الأرض[5].

وفي ذلك يقول سعد بن مالك البكري (ت ٥٣٠ هـ)[6]:

كيفَ الحياةُ إذا خلتْ	منّا الظواهرُ والبطاحُ
أينَ الأعِزَّةُ والأسنَّةُ	عِندَ ذلكَ والسماحُ

وإذا ورد لفظ (الظهر) فيما يتعلّق بالنجف، وإنْ كان اللفظان مترادفين، فالمقصود باللفظ الأول هو (ظهر الحيرة) أو (ظهر الكوفة) فهو إشارة إلى ما خرج عن الخندق[7]. ويشير هذا البيت:

فالديرُ فالنجفُ الأشَمُّ	جبال أربابِ الصليبِ

إلى أرض النجف المرتفعة عن الحيرة والكوفة، إذْ تلاحظ صِفَة النجف (الأشمّ) وهي من صفات الطود، والمكان المرتفع يُقال له: طود أشمّ[8].

---

(١) الفراهيدي: العين ٦/١٤٤. ابن منظور: لسان العرب ٩/٣٢٣. ابن سيده: المخصص ١٠/٨٠.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ٢/٩١١.

(٣) يرد اللفظ بالضاد (الضهر) كما يرد بالظاء (الظهر).

(٤) الفراهيدي: العين ٤/٣٧، وينظر البستاني: دائرة المعارف ١١/٤١٦.

(٥) ابن منظور: لسان العرب ٤/٥٢ س٣. الزبيدي: تاج العروس ٣/٣٧٢.

(٦) شيخو: شعراء النصرانية قبل الإسلام ٣/٢٦٦.

(٧) الطوسي: الأمالي ١/١٩. ابن طاووس: فرحة الغري ص ٢٠.

(٨) الحسيني: دراسات وتحقيقات ص ٥٤ — ص ٥٥.

النجف والحيرة والكوفة

تشكّل منطقة (الظهر) بقعة جغرافية واحدة ذات مساحة شاسعة بُنِيتْ عليها المقابر والقصور والأديرة والقلاع والحصون وغيرها، ويعود تاريخها إلى عصور قديمة سبقت الإسلام ولاحقتها في العصور الإسلامية. فإنَّ أقدم نَص يشير إلى قِدَم أرض النجف يعود إلى عصر ما قبل الميلاد، حيث أن الملك البابلي (بختنصر ٦٢٦- ٥٣٩ ق.م) بنى حيراً على النجف وحصّنه ثم ضمَّ القبائلَ العربية فيه[١].

وأصبحتْ مدينة النجف الأشرف الحاضِرة جزءاً من هذا الظهر، ولذا قيل عنها ظهر الحيرة أو ظاهرها، كما قيل لها: ظهر الكوفة أو ظاهرها.

وهكذا ارتبطتْ النجف تاريخياً بهاتين المدينتين، وكان ارتباطها بالحيرة في العصور التي سبقت الإسلام، وارتبطت بالكوفة في العصور الإسلامية. ولذا أطلق على أرض النجف لفظ (نجف الحيرة) و(نجف الكوفة)، فيقول البكري: النجف موضع معروف بالكوفة، وفي ذلك يقول الكميت[٢]:

فيا ليتَ شِعريَ هلْ أبصُرَنْ بالنجفِ الدهر حضّارها

ويقول الشيخ علي الشرقي: ((وكانت في نجف الحيرة قبل الإسلام عمارات وقُرى وديارات منها (الصنّين) وهو بلد عامر يقال لصاحبه ملك الصنّين، وهو اليوم بجنب مدينة النجف، وآثار نجف الكوفة قبل الإسلام (طعيريزات) الأثر الموجود بجنب النجف وهو بقايا عمارة))[٣]. ويشير المؤرخ ابن خلدون إلى قِدَم (الظهر) تاريخياً بقوله: (خرج تبّع في العرب حتى تحيّروا بظاهر الكوفة، فنزل بها ضعفاء الناس فسميت الحيرة)[٤].

ولما أعلن الحارث بن عمرو الكندي ثورته على الملك الفارسي (قباذ) أرسل تبع وهو

---

(١) الطبري: التاريخ ٢/ ٢٨. الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ٨٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/ ٣٤٠.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٤/ ١٢٩٩.

(٣) الشرقي: الأحلام ص ٥١ – ص ٥٢.

(٤) ابن خلدون: التاريخ ٢/ ٢٣٧.

باليمن يقول: إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج فاجمع الجنود. فجمع تبع الجنود وسار حتى نزل الحيرة وقرَّبَ من الفرات، فآذاه البقّ، فأمر الحارث بن عمرو يشقُّ له نهراً إلى النجف، وهو نهر الحيرة، فنزل عليه[1]. وعندما استخلف عمرو بن عدي على مملكة الحيرة بعد خاله جذيمة الأبرش، كان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة مقتفياً أثرَ خاله في صراعه مع الزباء[2]. ويذكر السجستاني: أن النعمان بن المنذر أصاب أسارى من بني تميم، فركب إليه وفودهم، وفيهم أكثم بن صيفي، حتى انتهوا إلى النجف، فلما علوه أناخ أكثم بعيره[3].

وبعد تأسيس دولة المناذرة في الحيرة، أصبحت منطقة النجف متنزّهاً لملوكها وامتدّت إلى أرض النجف حضارة المناذرة فأنشئت الأديرة والمعابد والقصور عليها وسكن السريان في أطرافها[4]. ويقول الدكتور صالح العلي: (إن اليعاقبة أنشأوا مركزاً دينياً في عاقولا ـ الكوفة ـ في طرف الحيرة)[5]. وكان عدي بن زيد الحيري من تراجمة (أبرويز) ملك الفرس، وكان أبوه زيد شاعراً وخطيباً وقارئاً كتابي العرب والفُرس[6].

وكان بعض أدباء الحيرة وشعرائها قد اتخذوا من منطقة النجف مسكناً. واعتكف بعضهم في معابدها وأديرتها، ومرّ بعضهم وهو في طرقه إلى الحيرة، وخروجه منها لأرض النجف. ففي عهد الملك عمرو بن هند، كان الشاعر طرفة بن العبد وخاله جرير بن العبد وخاله جرير بن عبد المسيح، المعروف بالمتلمس، ينادمانه. ولما بلغه أنهما هجواه كتب لهما إلى عامله في البحرين كتابين أوهمهما أنه أمر فيهما بجوائز، وكان قد

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٣/٣٣٦- ٣٣٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (القسم المخطوط) ٢/ ورقة ٢٣، الأذكياء (الطبعة المحققة) ص ١٧٣.

(٣) السجستاني: المعمرون والوصايا ص ٢٠.

(٤) الجنابي: تخطيط الكوفة ص ٤٣. الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ص ١٠٩.

(٥) العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/٧٨.

(٦) ابن خلدون: التاريخ ٢/ ٢٦٦.

وكان قد أمر بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا من النجف إذا هما بشيخ في الطريق في الطريق يحدث ويأكل من خبز في يده ويتناول القمل في ثيابه فيقصعه. فقال المتلمس: ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق. فقال الشيخ: ما رأيت من أحمق، أخرج خبيثاً، وأدخل طيباً وأقتل عدوّاً، أحمق والله من حامل حتفه بيده. فاستراب المتلمس بقوله، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة، فقال له المتلمس: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم. ففكّ صحيفة ودفعها إليه فإذا فيها: أما بعد فإذا أتاك فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا. فقال لطرفة: إدفع صحيفتك يقرأها، ففيها والله ما في صحيفتي. فقال طرفة: كلالم يكن ليجترئ عليّ، فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وأخذ نحو الشام وأخذ طرفة نحو البحرين[1].

وكان النعمان السائح ملك الحيرة يخرج إلى منطقة النجف للفسحة والتمتع بمناظرها الخلاّبة، وبخاصة في أيام الربيع. وذات يوم خرج إلى (ظهر النجف) فرآه قد اعتم بنباته من بين أحمر وأصفر وأخضر، وإذا فيه ما لم ير أحسن منه، فقال: ما أحسن هذا! احموه فسميَ (شقائق النعمان)[2]. وإذا أراد ملك الحيرة البقاء في منطقة النجف، فتُنصَب له ولأصحابه القباب، ويُمضي أياماً فيها يلهو بالصيد ويستمتع بمنظر الشقائق ذات الألوان الأخّاذة الجذّابة للقلوب[3]. ومن شدة تعلق النعمان بهذه الشقائق وإعجابه بها، كان يقول: (مَنْ نزعَ من هذا شيئاً فانزعوا كتفه)، حتى أنها سُميتْ باسمه. وكان ذات يوم يسير بين هذه الشقائق، فانتهى إلى وهدة في طرف النجف وإذا شيخ يخصف نعلاً، فوقف عليه وقد سبق أصحابه فقال: مَنْ أنت يا شيخ؟ قال: من بكر بن وائل. فقال: يا شيخ ما لكَ هاهنا؟ فقال: طرد النعمان بن المنذر الرعاة، وأخذوا يميناً وشمالا، ووجدت وهدة خالية فنخت الإبل، وولدت الغنم وسالت

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٨٢/١. الثعالبي: ثمار القلوب ص ٢١٦. الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ص ١٢٣. رفائيل بابو اسحاق: مدارس العراق قبل الإسلام ص ١٠٦.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء (طبعة القسطنطينية) ص ٤٥.

(٣) الزبيدي: تاج العروس ٣٩٨/٦.

السمن[1]. وأشار المؤرخ النسّابة ابن الكلبي إلى إعشاب أرض النجف بقوله: خرج أسماء بن خارجة الفزاري، المتوفي عام ٦٦ هـ، في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل في رياض معشبة[2]. ولمّا أريد تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧ هـ، خرج سعد بن أبي وقاص ومَنْ معه من الجند إلى منطقة (الظهر) وكانت تُدعى (خد العذراء) فوجدها مكسوّة بالخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق[3].

ويبدو أن منطقة النجف منذ عصر ما قبل الإسلام والعصور التالية أصبحت أرضها متنزّهاً للملوك والقادة والولاة، وقد اتخذها ملوك المناذرة مكاناً للراحة والإستجمام وبخاصة في المناسبات الدينية، فكان النعمان بن المنذر يخرج مع أهل بيته وعليهم حلل الديباج المذهّبة وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المفضضة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صُلبان، فإذا قضوا صلواتهم انصرفوا إلى مستشرفة في النجف[4] وذلك للتمتع بجمال الطبيعة وما يحيط بالأرض من ورود. ويقال أن تسمية هذه الورود بالشقائق يعود لحمرتها وتشبيهها بشقيقة البرق، وقيل: أن النعمان هو من أسماء الدم، ولذلك شُبِّهتْ حمرة الشقائق بحمرة الدم، وبذلك يقول الشاعر[5]:

كأنَّ شقائقَ النعمانِ فيها ... ثيابٌ قد رُوينَ من الدماءِ

وأنشد بعض الشعراء[6]:

من صفرةٍ تعلو البياضَ وحمرةٍ ... نصّاعةٍ كشقائقِ النعمانِ

ولقد رأيتُكَ في مجاسد عصفرٍ ... كالوردِ بينَ شقائقِ النعمانِ

---

(١) الصابي: الهفوات النادرة ص ١٧٢. ابن الجوزي: الأذكياء ص ١١٨.

(٢) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ١/ ١٦٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٧.

(٤) يوسف رزق الله: الحيرة ص ٨٣.

(٥) الثعالبي: ثمار القلوب ص ١٤٤. اليافعي: مرآة الجنان ٢/ ١٣١.

(٦) الزبيدي: تاج العروس ٦ / ٣٩٨.

وكانت منطقة النجف يطلق عليها (خد العذراء). ويعلل الجغرافيون العرب سبب إطلاق هذه التسمية على أرض النجف لطيب هوائها وكثرة أشجارها وأنهارها[1]. ولذلك اتخذها الملوك الساسانيون والمناذرة في عصر ما قبل الإسلام، والعبّاسيون بعد زمن بعيد، مُتنزَّهاً. فيقول المؤرخ المسعودي: كانوا ينزلون هذه المنطقة ويُطيلون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوّها وصحة تربتها وصلابتها، وقرب الخورنق والنجف منها[2]. وإلى هذا المعنى يُشير الشاعر العباسي إسحاق بن إبراهيم الموصلي[3]:

ما أن رأى الناسُ في سهلٍ وفي جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أغذى من النجفِ
كأنّ تربتَهُ مسكٌ يفوحُ بهِ ... أو عنبرٌ دافَهُ العطّارُ في صدفِ

وبقي لفظ (خد العذراء) يرافق تاريخ النجف حتى عصرنا الحاضر. فيقول السيد البراقي النجفي: إنه اليوم من أساريره مدينة النجف[4]. ويقول الشيخ علي الشرقي: مما يدل على وحدة الحيرة والكوفة والنجف، هو تربّع هذه المدن على خدّ العذراء، وعلى الموضع المعروف باللسان. وكان عرب الكوفة يقولون: أدلعَ البَرُّ لسانه في الريف، وإلى اليوم والنجفيون يذكرون اللسان بجنب النجف، وهو لسان الرمل اليابس ما بين الحيرة والنجف من جهة البادية[5]. وورد لفظ (اللسان) في لغة العرب فقيل: أدلعَ البَرُّ لسانه في الريف، فما يلي الفرات فهو من (الملطاط) وما كان يلي البطن فهو (النجاف أو النجف)[6].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ / ٣٤٨. البغدادي: مراصد الاطلاع ١ / ٤٥٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٢ / ١٠٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٩ / ٣٢٢. الزبيدي: تاج العروس ٦ / ٢٥١.

(٤) البراقي: تاريخ الكوفة ص ١٣١.

(٥) الشرقي: العرب والعراق ص ٩٧.

(٦) الطبري: التاريخ ٤ / ٤٢. ابن قتيبة: المعارف ص ٥٦٥. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٦٣. الحموي: معجم البلدان ٥ / ١٦. البغدادي: مراصد الاطلاع ٣ / ١٢٠٣.

وقد أشار إلى هذه الطبيعة وما فيها من خطط تعود إلى ما قبل الإسلام الشاعر الحميري عدي بن زيد العبادي فقال[1] :

ويــح أم دار حللنــا بهــا	بــين الثويــة والمردمــة
بريــة غرســت في الــسواد	غــرس الـضيغة في اللهزمــة
لــسان لعربــة ذو ولغــة	تولــغ في الريــف بالهندمــة

وكان يقال لمنطقة النجف (اللسان) حتى أصبح هذا اللفظ اسماً من اسماء مدينة النجف الأشرف، وما يلي الفرات يقال له (الملطاط)[2]. ويقول البلاذري: إنّ ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط[3]. وقد ورد هذا اللفظ في عمليات العرب المسلمين العسكرية في منطقة الحيرة وأرض السواد في عهد الخلافة الراشدية. وإليه أشار عاصم بن عمرو بقوله[4]:

شحنّا جانـب الملطـاطِ منـا	بجمـع لا يـزول عـن العبـادِ
لزمنـا جانـبَ الملطـاط حتـى	رأينـا الـزرعَ يُقمَـعُ بالحـصادِ

وفي موقعة القادسية عام ١٥ هـ تقدّم القائد العربي المسلم زهرة بن الحوية نحو (اللسان). وبعد هزيمة الفُرس في هذه المعركة، أبقوا قائدهم (نخير جان) على رأس قوّة عسكرية باللسان[5] أو ما يُعَبّر عنه بلسان البر[6]. وقد أعطى المفسر العياشي لمنطقة (الظهر) بُعداً دينياً، إذ أطلق عليها إسم (دار السلام)[7] ولعلّه أراد بذلك أن أرض

---

(١) العبادي : الديوان ص ١٦٥ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ١٩٢ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٧ .

(٤) يوسف رزق الله : الحيرة ص ٢٧٦ .

(٥) الطبري : التاريخ ٣ / ٦١٩ .

(٦) جعفر محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ١ /٧ .

(٧) العياشي : التفسير ٢ / ١٤٦ .

النجف كانت موطن الأنبياء والأئمة والصحابة إضافة إلى أنها مثوى آدم ونوح وهود وصالح (ع) حتى تشرّفت بجسد أمير المؤمنين علي عليه السلام. ومما يؤكد وحدة المثلث الحضاري التاريخي (النجف، الحيرة والكوفة) هو أن الحيرة يقال عنها: تقع على موضع النجف وقيل تقع على النجف[١]. وكان يقال: النجف بالحيرة[٢]. وذكر المستشرق (ماسنيون) في رِحلته: أن الحيرة الروحاء تبعد عن الكوفة بثلاث أميال، وهي على موضع يقال له (النجف)وإن قصر الخورنق يقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل[٣]. ويؤكد بعض الشعراء الوحدة الجغرافية بين مدن المثلث الحضاري التاريخي بالقول[٤]:

وبالنجف الحاري إذا زرت أهله ... مهاً مهملات ما عليهنَ سائسُ
خرجنَ بحبِّ اللهوِ في غير ريبةٍ ... عفائفُ باغي منهنَ آيسُ
إذا الحَرُّ آذاهنَ لذنَ بفينةٍ ... كما لاذَ بالظلِّ الظُباءُ الكوانسُ
لهن، إذا استعرضتهن عشية ... على ضفّةِ النهرِ المليحِ مجالسُ
يفوحُ عليكَ المسكُ منها وإن تقف ... تُحدّث وليست بينهن وساوسُ
ولكنْ نقيّاتٌ من اللوْمِ والخنا ... إذا ابتُزّ عن أبشارِهن الملابسُ

ويقول الشاعر العباسي علي بن الجهم[٥]:

يا نجفَ الحيرةِ الذي أصفُ ... ولا حنينٌ ولا الفتى القَصِفُ
تباركَ الجامعُ القلوبِ على ... طاعَتِهِ، والقلوبُ تختَلِفُ

ويقول الشاعر البحتري[٦]:

---

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٩٩. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/٣٣٣، نهاية الإرب ص ٤٢٩

(٢) الأنباري: شرح القصائد السبع الجاهليات ص ١١٦.

(٣) ماسنيون: الرِحلة ١/٣٥.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/٢٧٢.

(٥) علي بن الجهم: الديوان ص ١٥.

(٦) البحتري: الديوان ٤/ ٢١٥٥.

أمقُ الكوفةَ أرضاً وأرى نجفَ الحيرةِ أرضاها وطن

ويرى الأستاذ الدكتور مصطفى جواد أن تُضاف الحيرة إلى النجف فيقال: (حيرة النجف) لا (النجف الحيري)، فإنَّ الإضافة في التسمية الأولى والنعت في الثانية[1].

وقد أطلق المؤرخون واللغويون لفظ (نجف الكوفة)[2] للتدليل على وحدة المنطقة فيقول الزمخشري: (ونجف الكوفة علوٌ من الأرض وغلظ)[3]. وقد ورد لفظ (نجف الكوفة) في بعض أحاديث الأئمة من آل البيت عليهم السلام[4] للتأكيد على قدسية الأرض وأهميتها الدينية. ولما أخذت مدينة النجف الأشرف، بعد تمصيرها في القرن الثاني الهجري، بالتوسع والنمو، طغت مكانتها على مدينتي الحيرة والكوفة، في الوقت الذي أخذت هاتان المدينتان بالضمور .وتقول الدكتورة سعاد ماهر: لأن اسم الحيرة تلاشى بعد الفتح الإسلامي وحلَّ محله اسم البقعة المختارة التي شرَّفها مرقد الإمام علي عليه السلام، والتي أخذت اسمها من اسم المنطقة كلها وهي النجف[5]. ومن الطبيعي أن يتقدم العامر على الغامر، ويحتل الوريث مقام الموروث وهذه هي سُنّة الحياة.

---

(١) مصطفى جواد: موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ١ /٢٦.

(٢) ابن دريد: جمهرة اللغة ٢ /١٠٨ ،القندوزي: ينابيع المودة ص ٣٧٢.

(٣) الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص١٤٤.

(٤) ابن قولويه: كامل الزيارات ص١٢٠ ،ابن طاووس: الملاحم والفتن ص ١٤٦. الكاظمي: بشارة الإسلام ص٤٦، ٢٢٩، ٢٤٩.

(٥) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص ٩٢.

منطقة النجف الكبرى

تشكل منطقة الظهر المعروفة بظهر الحيرة أو الكوفة مساحة واسعة، وتعد مدينة النجف الأشرف جزءاً منها. ويقول الشيخ علي الشرقي: (الظهر كان يمتد من الحيرة إلى بارق الواقعة في البادية بين النجف وكربلاء)[1]. وسوف يتركز البحث هذا ضمن الحدود الجغرافية لمدينة النجف الحاضرة، وامتداداتها الطبيعية الزاحفة نحو مدينتي الحيرة والكوفة وأجزاء من البادية وهذا ما يعرف بالمصطلح الجغرافي بالنجف الكبرى، ومن الملاحظ أن بعض خطط النجف الكبرى قد اختفت معالمها في الوقت الحاضر واندرست آثارها، سوى ما ورد عنها من نصوص قديمة، وهي على النحو الآتي ووفق حروف المعجم.

١- أطد

تقع أطد بالقرب من مدينة الكوفة من البر، وقد نزل بها الجيش الإسلامي في الأيام الأولى لحركات التحرير لأرض العراق. وقد ذكرها الزبرقان بن بدر بقوله[2]:

سيروا رويداً فإنّا لن نفوتكُم ... وإنّ ما بيننا سهلٌ لكم جددُ

إنَّ الغزالَ الذي ترجون عِزّتَهُ ... جمعٌ يضيقُ بهِ العتكانُ أو أطدُ

وذكر ابن الأنباري: أن عتكان و أطد أودية بني بهدلة. وقد ورد لفظ (عتكان) في شِعر زهير بن أبي سلمى، بقوله[3]:

دارٌ لأسماءَ بالغمرينِ ماثِلَة ... كالوحي ليس بها من أهلها أرمُ

سالتْ بهم قرقرى برك بأيمنهم ... والعاليات على أيسارِهم خيم

عوم السفين، فلما حالَ دونهم ... فند القريات فالعتكان فالكرم

(١) الشرقي: الأحلام ص ٥١.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢١٦/١.

(٣) ن.م. ٨٢/٤.

٢- الأفاقـة

تقـع الأفاقـة في أرض (الحَزْن) قـرب مدينـة الكوفـة ، ويقـال للمنطقـة ((حـزن يربـوع)) وهو يربوع بن حنظلة بن مالك ، وهو من أجلّ مرابع العرب ، فيه قيعان ، وهي أطيب البادية مرعىً ، ويحدد ياقوت الحموي موضـع الحزن مـن طريـق الكوفة إلى مكـة المكرّمـة[١]. وهـذا يعـني أن (الأفاقـة) يقـع في الطريـق المؤدي إلـى الديـار المقدّسـة. قـال المفضل : هـو مـاء لبني يربـوع ، وكـان النعمـان بـن المنذر يبـدو إليه في أيـام الربيـع ويـوم الأفاقة من أيامهم. وكان بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني قد أغار على بني يربوع بالأفاقة فأسروه وهزموا جيشه ، قال العوام أخو الحارث بن همـام[٢] :

قبح الإلـه عـصابـةً مـن وائـلٍ   يومَ الأفاقـةِ أسـلموا بسطاما
كانتْ لهم بعكـاظَ فِعلَـةُ سـيءٍ   جعلتْ على أفواههـم أقـداما

وكانت منطقة (الأفاقـة) مـن منازل آل المنذر حكّـام الحيرة ، وفيهـا يقـول الشاعـر لبيـد[٣] :

لبيـكِ علـى النعمـانِ شـربٌ وقينـةٌ   ومختبطـاتٌ كالـسعالي أرامــل
له المُلكُ من ضـاحي معَدّ وأسـلمتْ   إليـهِ العبـادُ كلّهـا مـا يحـاول

وبعد أن يصف لبيد موضع (الأفاقة) ، يقـول :

فـإنّ إمـرءاً يرجـو الفـلاحَ وقـد رأى   سـواماً وحيّـاً بالأفاقــة جاهــل
غـداةَ غـدوا فيهـا ، وأزرّ سربُهـم   مواكـب تحـدي بـالغبيط وحامـل

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢٥٤ .

(٢) ن.م. ١/ ٢٦٦ . محمد أحمد جاد المولى وآخرون : أيام العرب في الجاهلية ص ١٩١- ص ١٩٦ .

(٣) لبيد : الديوان ص٢٦١- ص ٢٦٢ . ينظر الجبوري : لبيد ص ١١٦ .

ويـومَ أجـازتْ قِلّـةُ الحـزنِ منهـم مواكـب تعلـو ذي حـسىً وقنابـل

ومما يبدو أن ((الأناقة)) و((الحزن)) مرابعٌ في البادية قريبةٌ من مدينة الحيرة.

٣- أنقـرة

يقع موقع (أنقرة) في منطقة ظهر الكوفة أسفل من قصر الخورنق[١]. ويقول ياقوت الحموي: انه موضع بنواحي الحيرة من أرض الكوفة[٢]. وفيه يقول الشاعر الأسود بن يعفر[٣]:

نزلـوا بأنقَـرَةٍ يـسيلُ عليهـمُ مـاءُ الفـراتِ يجـيءُ مـن أطـوادِ
جرت الريـاحُ على محلٍّ ديارهم فكأنمـا كانـوا علـى ميعـادِ
ولقـد غنـوا فيهـا بـأنعم عيشةٍ فـي ظـلٍّ ملـكٍ ثابـتِ الأوتـادِ
فـإذا النعيمُ وكـلُّ مـا يُلهـى بـهِ يومـاً يـصيرُ إلى بلـىً و نفـادِ

ويذهب أبو الفرج الأصفهاني إلى أن المقصود بأنقرة هي المدينة الواقعة في بلاد الروم، وقد أشار إليها بالقول[٤]:

حلّوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهِمُ ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ

ومما يُضعِفُ رأي أبي الفرج الأصفهاني أن (أنقرة) هذه قد ورد ذِكْرُها مع مواضع أخرى في منطقة النجف كالخورنق والسدير وبارق وسنداد، يقول الأصمعي: تقدم رجل من بني دارم إلى القاضي سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادة، فصادفه يتمثّل بهذه

---

(١) ماسينون: الرحلة ١/٣٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٧٢، المشترك وضعا ص٢٩.

(٣) الأسود بن يعفر: الديوان ص ٢٧. الأخفش الصغير: كتاب الاختيارين ص ٥٦٢.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٢/٣٥٨ (الطبعة المحققة).

الأبيات من قول الأسود بن يعفر النهشلي[١]:

ولقد علمتُ، لو أن علميَ نافِعي	أن السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ
أن المنيّةَ والحتوفَ كلاهما	توفي المخارمَ، ترميان فؤادي
ماذا أؤمِّلُ بعد آلِ محرقٍ	تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير و بارقٍ	والقصرِ ذي الشرفات من سندادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ	ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ

وبعد أن يذكر ياقوت الحموي الآراء الذاهبة إلى موقع (أنقرة)، يقول: (وقد ذكر بعض العلماء أن أنقرة في شعر الأسود هي أنقرة التي ببلاد الروم، نزلتها أياد لمّا نفاهم كسرى عن بلاده، وهذا حسن بالغ، ولا أرى الصواب إلا هذا القول والله أعلم)[٢].

٤- بارق

يقع موضع (بارق) بالقرب من الكوفة، وقيل: هو جبل بالسواد قريب من الكوفة[٣]. ويقول المستشرق ماسنيون: هو الحدّ بين القادسية والبصرة[٤]. بينما يحدده الشيخ علي الشرقي بالقول: إن منطقة بارق هي الواقعة بين النجف وكربلاء[٥]. وقد أشار الشاعر الأسود بن يعفر النهشلي إلى بارق ضمن البقعة الجغرافية التي تضم قصور الحيرة الواقعة على متن النجف بقوله[٦]:

اهل الخورنق والسدير وبارق	والقصر ذي الشرفات من سنداد

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢٧٢.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢٧٢.

(٣) ابن دريد: الإشتقاق ص٤٢٢- ٤٤٦. جمهرة اللغة ١/ ٢٦٩. البكري: معجم ما استعجم ١/ ٢٢١. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٣٩٢.

(٤) ماسنيون: الرحلة ١/ ٣٣.

(٥) الشرقي: الأحلام ص ٥١.

(٦) الأسود بن يعفر: الديوان ص٢٧. ابن قتيبة: المعارف ص٦٤٧.

ومما يؤيد هذا أن كسرى لما غزا قبيلة أياد، ارتحلت هذه القبيلة فنزلت سنداد ونواحيها، ثم انتشرت ما بين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق والخورنق[1]. وهذا مما يفند الرأي الذي ذهب إليه أبو الفرج الأصفهاني وياقوت الحموي من أن قبيلة أياد نفيت إلى (أنقرة الرومية)، ولكن الصحيح أنها نفيت إلى (أنقرة النجفية) كما أشار إلى ذلك النص المتقدم، ولعل موضع (بارق) يقع بالقرب أنقرة وقصور الحيرة، كما أشار إلى ذلك الشاعر الأسود بن يعفر. وذكر الدكتور جواد علي وجود أكثر من موضع يحمل اسم (بارق) فيقول: إن هناك موضعاً آخر لبارق يقع في السواد على مبعدة من الكوفة[2]. وقد ورد لفظ (بارق) في الحديث النبوي الشريف، عن عبد الله بن عباس: (الشهداء على بارق نهر في الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا)[3]. ويبدو أنه لاصلة بين الحديث المذكور وموضع (بارق) الذي ذهب إليه اللغوي ابن فارس بأنه نسبة إلى بارق والد سعد بن عدي بن حارثة بن امرئ القيس، وأصبح ولده يقال لهم بنو بارق[4]. وقد حدد الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبي موقعه بالقول[5]:

تذكّرتُ ما بينَ العذيبِ وبارقِ   مجرَّ عوالينا ومجرى السوابقِ

وذكره أبو العلاء المعري بالقول[6]:

ما هاجني البارقُ من بارقٍ   يوماً ولا هزَّ لهزانِ

٥- بانقيا

حدد الجغرافيون موضع (بانقيا) بالقرب من الكوفة أو ناحية من نواحيها.

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٣٥٥/٢٢ (الطبعة المحققة).

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٣٠٣/٣.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٢٢١/١.

(٤) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ٢٢٧/١.

(٥) المتنبي: الديوان ٦٠/٣.

(٦) أبو العلاء المعري: اللزوميات ٥٧٢/٢.

وقيل: أرض النجف دون الكوفة[1]. وإلى هذا الموضع، أشار الشاعر أعشى قيس ابن ميمون بقوله[2]:

فما نيلُ مصرٍ إذْ تسامى عُبابُهُ ولا بحرُ بانقيا إذا راحَ مُفْعما

وقد أراد الأعشى بلفظ (بحر بانقيا) هو (بحر النجف)، ووفق هذا القول نميل إلى أن بانقيا تقع على بحر النجف أو في المنطقة الواقعة بين النجف والحيرة، وكان نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام قد نزل أرض بانقيا وقضى فيها ليلة بالصَلاة والعبادة، فأنعم الله تعالى على سكانها بالاستقرار، بعد أن كانت تتعرض للزلازل من وقت لآخر وقد اطمئن الناس في العيش فيها، وعند ذلك أقدم على شرائها بعدد من النِعاج.

وأصبحت أرض بانقيا في عصر ما قبل الإسلام مقدّسة عند الناس، فأخذوا يدفنون موتاهم فيها[3]. وقد دخلت بانقيا في التاريخ الإسلامي منذ عهد الخلافة الراشدية وارتبطت بتاريخ النجف والحيرة ارتباطاً وثيقاً. ففي عمليات التحرير العربية الإسلامية للعراق، دخلتها الجيوش الإسلامية، ويقول المؤرّخ اليعقوبي:

((وأمر أبو بكر خالداً أن يسير إلى العراق، فسار ومعه المثنى بن حارثة حتى صار إلى مدينة بانقيا فافتتحها))[4]. ويذهب المؤرخ الطبري إلى القول: ((إن أهل بانقيا صالحوا خالد بن الوليد على ألف درهم وطيلسان في السنة))[5]. كما خضعت المناطق المجاورة لمنطقة بانقيا للفاتحين المسلمين، وقد أشار إلى ذلك ضرار بن الأزور بقوله[6]

أرقتُ ببانقيا ومَنْ يلقَ مثل ما لقيتُ ببانقيا من الحربِ بارق

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/٣٣١.

(٢) الأعشى: الديوان ص ٢٩٧.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١/٢٢٣.

(٤) اليعقوبي: التاريخ ١/١٢٠.

(٥) الطبري: التاريخ ٣/٣٤٦.

(٦) ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣٢.

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، أعان أهالي بانقيا القائد أبا عبيد بن مسعود الثقفي في موقعة الجسر، وأكد القائد سعد بن أبي وقاص في رسالة بعثها إلى الخليفة على ولاء أهالي بانقيا وبرو بارسما واليس للعرب المسلمين[1]. وفي عهد الإمام علي عليه السلام في الكوفة، أرسل رجلاً من قبيلة ثقيف إلى منطقة بانقيا وأوصاه قائلاً: انظر خراجك فجد فيه، ولا تترك فيه درهما، فإذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمر بي[2].

وفي التاريخ الأموي كان لموقع (بانقيا) نصيب في الأحداث، فقد هدد المختار بن أبي يوسف الثقفي شريح بنفيه إلى بانقيا[3]. ويقول الطبري: إن الشاعر الفرزدق هرب إلى بانقيا خوفاً من الوالي الأموي على مدينة الكوفة (عبيد الله بن زياد)، ولما وصل إلى بعض القصور، نزل بها[4]. ويبدو أن موقع بانقيا على بحر النجف وإحاطتها بالقصور جعلها مأمناً لِمَنْ يلتجأ إليها، إذْ أن قصور الحيرة (الخورنق، السدير، الأبيض، العدسيين وأبو الخصيب) ليست ببعيدة عنها، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أنه في عام ٥٨هـ انتفض الخوارج بقيادة حيان بن ضبيان السلمي، واتخذوا من بانقيا معسكراً لهم، والتقوا مع الجيش الأموي بمعركة ضارية، وفي عام ٧٦هـ شهدت المنطقة معركة أخرى بين الأمويين والخوارج بقيادة شبيب الخارجي[5].

٦- الجرعة

يقع موضع الجرعة قرب الكوفة أو بين النجف والحيرة[6]، وقيل: بين الحيرة

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٥٢.

(٢) الصدوق: مَنْ لا يحضره الفقيه ٢/ ٢٤.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٩٨/٤.

(٤) الطبري: التاريخ ٢٤٦/٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥١٥/٣.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١٢٧/٢ - ١٢٨.

والكوفة[1]. وينسب إليه (يوم الجرعة) وهو يوم خرج فيه أهل الكوفة إلى سعيد بن العاص، لمّا قدم والياً من قبل عثمان بن عفان، فردّوه، و ولّوا أبا موسى الأشعري وذلك عام ٣٤هـ[2]. ويقول الطبري: إن الجرعة مكان مشرف قرب القادسية، وقد عسكر فيه مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر[3]. وفي عام ٣٨هـ، طلب الإمام علي عليه السلام من أهل الكوفة الخروج إلى موضع (الجرعة) بعد أن نزل بها[4].

٧- جفاف الطير

يقع موضع ((جفاف الطير)) بظهر الكوفة، ما بين بلاد بني يربوع في أرض (الحَزن) وبني أسد بن خذيمة[5]. ويقول الجغرافي البكري: إن موضع (جفاف الطير) يحتل مساحة واسعة من الأرض يكثر فيها الطير[6].

٨- الجوسق الخَرِب

يقع موضع الجوسق الخرب بظاهر الكوفة عند منطقة النخيلة، وقد لجأت إليه جماعة الخوارج بعد معركة النهروان، وكان عددهم خمسمائة فارس، وقد رفضوا قتال الإمام علي عليه السلام، وقرروا قتال معاوية بن أبي سفيان، ولمّا استشهد الإمام عليه السلام قالوا: لم يبقَ عذر في قتال معاوية، وساروا حتى نزلوا النخيلة[7].

---

(١) الطبري: التاريخ ١٠٧/٥ .

(٢) الطبري: التاريخ ١٠٧/٥ .

(٣) الطبري: التاريخ ٣٤٦/٤ .

(٤) الطبري: التاريخ ١٠٧/٥ .

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٨٠٦/٣ .

(٦) محمد أحمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية ص١٩٢ .

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١٨٥/٢

٩- حروراء

اختلف الجغرافيون في منطقة (حروراء) فقيل: إنها قرية تقع بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل بها الخوارج فنسبوا إليها[١]. وكان عدد الخوارج فيها عام ٣٧هـ أثني عشر ألفاً وأميرهم في القتال شبث بن ربعي التميمي، وأميرهم في الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليشكري[٢]. وكان أهل حروراء قد أنكروا التحكيم في موقعة صفين بين الإمام علي عليه السلام، ومعاوية بن أبي سفيان[٣]. وفي عام ٦٧هـ، نزل بمنطقة حروراء المختار بن أبي عبيد الثقفي[٤].

١٠- حمام أعين

ينسب هذا الموضع إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وقيل: مولى بشر بن مروان[٥]. ويقع هذا الموضع في الكوفة أو في ظاهرها، على نحو ثلاثة فراسخ منها[٦]. ويقول الشابشتي: إن حمام أعين ناحية على الطريق على يمين الخارج من بغداد إلى الكوفة[٧]. وفي عام ٦١هـ، أمر عبيد الله بن زياد القائد عمر بن سعد أن يعسكر في حمام أعين لما علم أن الإمام الحسين عليه السلام متقدم نحو الكوفة وفي أثناء حركة المختار الثقفي عام ٦٦هـ، عسكرَ إبراهيم بن الأشتر في حمام أعين لَما عسكر فيه أحمر بن شميط من قبل المختار الثقفي عام ٦٧هـ[٨]. وفي عام ٧٧هـ، أرسل الحجاج بن يوسف

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٢٤٥ .ماسنيون: الرحلة١/٣٤ . البستاني: دائرة المعارف ٧/١٣.

(٢) الطبري: التاريخ ٥/٦٣، ٧٣، ٩١.

(٣) ن.م. ٥/٩٢ .

(٤) ن.م.٦/٩٩، ١٠٤ .

(٥) ياقوت: معجم البلدان٢/٢٩٩ .البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٤٢٣. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٠/٣٦٥ (الطبعة المحققة).

(٦) الطبري: التاريخ ٧/٤١٩ .

(٧) الشابشتي: الديارات ص٢٤٧ .

(٨) الطبري: التاريخ ٦/٤٣، ٨٢، ٩٥ .

الثقفي جماعة لقتال شبيب الخارجي في هذا الموضع، وفي السنة نفسها عسكرَ فيه عتاب بن ورقاء من قبل الحجاج بن يوسف[1]. وفي أثناء الدعوة العباسية، كان أبو سلمة الخلاّل يدير أمور الدعوة من هذا الموضع[2]. وقد عسكرت فيه الجيوش الخراسانية بقيادة محمد بن إبراهيم الحميدي المكنّى بأبي حميد السمرقندي، وكان هذا قد دخل على أبي العباس السفاح وبايعه بالخلافة، ثم عاد إلى القوات المرابطة بظاهر الكوفة وفي حمام أعين[3]. وأشار المؤرخ الشابشتي إلى (دير زرارة) في حمام أعين، وقال: إنه دير حسن، كثير الحانات[4].

١١- الحِمى

يقع موضع (الحمى) بين ظهر الحيرة والجزيرة، وكان الوليد بن عقبة والي الكوفة في عهد عثمان بن عفان قد استعمل الربيع بن مري الطائي على موضع الحمى[5]. ويقول ياقوت: إن الحمى موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه أي يمنعونهم، وذكر عدة مواضع تحمل اسم (الحمى) وهي منسوبة إلى بعض القبائل العربية[6]. وكان زياد بن أبيه قد أرعى مسكين الدارمي حمى له بناحية العذيب في عام قحط[7]. وقد ورد في بعض المصادر لفظ (حمى ظهر الكوفة)[8] ولعل المقصود (شقائق النعمان) تلك الزهور الجميلة الملونة التي كانت تنبت في أرض النجف وقد أعجبت النعمان بن المنذر ملك الحيرة فقال: (إحموها). ولما دفن الإمام علي عليه السلام في الغري، قيل لمدينة النجف

---

(١) ن.م ٢٦٠/٦ ، ٢٧٣ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ص ٣٧٨ .

(٣) الطبري : التاريخ ٤٢٩/٧ .

(٤) الشابشتي : الديارات ص ٢٤٧ .

(٥) شيخو : شعراء النصرانية في الإسلام ق ٧٧/١ .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣٠٨/٢ .

(٧) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ٢٠٦/٢٠ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ١٩١/٢ .ابن نباتة المصري : سرح العيون ص ٣٧٠ .

الأشرف (الحمى) حتى أصبح هذا اللفظ من أسمائها، وفيه يقول الشيخ محسن الخضري[1]:

وفي الجانبِ الغربي من أيمنِ الحِمى صفاءٌ يغذّيهِ الحِمى بصفاياهُ

وقد أكثر العلاّمة السيد محمد سعيد الحبوبي في شِعره من ذِكر ((الحِمى)) ويقصد به مدينة النجف الأشرف، منه[2]:

أعِدْ ذِكْرَ الحِمى ليعودَ أُنسي وكَررهُ عليَّ فلنْ يِملاّ

ويقول:

هلا خَبَرَ الحِمى لِمَنْ استهلاّ فهلّلْ بالبراعَةِ مُسْتَهَلا

ويقول:

كم لنا بالحِمى معاهِد أُنسٍ والصبا يانِعُ الجنى رقراقُ

١٢- الخصوص

يقع موضع (الخصوص) بين الحيرة والقادسية، وإليه يُنسب نهر يُعرف بالخصوص[3]. وفيه يقول الشاعر الحيري عدي بن زيد العابدي[4]:

أبلغْ خليلي (عبدَ هندٍ) فلا زلتَ قريباً من سواد الخصوصْ

موازي الفورةِ أو دونها غير بعيدٍ عن عمير اللصوصْ

تُجنى لكَ الكمأةُ ربعيةً بالخبِّ تندى في أُصول القصيص

ويقول عوف بن مالك بن ذبيان القسري[5]:

---

(١) الخضري: الديوان ص ٣٧.

(٢) الحبوبي: الديوان ص ٣٢٩. حرز الدين: معارف الرجال ٢/٢٩١- ٢٩٢.

(٥) العلي: معالم العراق العمرانية ص١٥.

(٤) العبادي: الديوان ص٦٨.

(٥) ياقوت: معجم البلدان٢/٣٧٥.الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص٥١.

أتاني ولم أعلمْ بهِ حينَ جاءني — حديثٌ بصحراء الخصوصِ عجيبُ

تصاحمتُهُ لَمّا أتاني يقينُهُ — وأفرعَ منهم مُخطئٌ وحصيبُ

فحدّثتُ قومي أحدثَ الدهرُ بينهم — وعهدهمُ بالنائباتِ قريبُ

فقيرُهُمُ يُبدي الغِنى، وغنيُّهم — لهُ وَرَقٌ للسائلينَ، رطيبُ

ويبدو أن موضع (الخصوص) تُنسَب إليه صحراء ينبت فيها الكمأ، ونهر يخترقه، فالموضع هنا تحفة الصحراء من جانب، والمزارع من جانب آخر.

١٣- خفان

تقع أجمة (خفان) في سواد الكوفة، فوق القادسية[1]. وقد حددها الطبري بأربعة فراسخ[2]. ويقول: (ارتفع البر من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة)[3]. ويقول ياقوت الحموي: أن خفان موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً وهو مأسدة[4] ومنها جاء القول: (كأنهم ليوث خفان) وفي ذلك يقول الشاعِر[5]:

وسرَّيتُ أطرافَ البنانِ بصارمٍ — هصورٍ لهُ في غيلِ خفّانَ أشبلُ

وورد لفظ (خفان) في رثاء ليلى الأخيلية لتوبة، فتقول[6]:

وتوبةُ أحيا من فتاةٍ حَيِيَّةٍ — وأجرأُ من ليثٍ بخفّانَ خادِرِ

وأوردَ الجغرافيون لفظ (إصبع خفّان) وقالوا: هو بناء عظيم قرب الكوفة من أبنية الفُرس، ويقع عند دير خراب، وكان الغرض من بنائه ليكون منظرة[7].

---

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٤٧٤. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص١٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٧/٦٣٢.

(٣) ن.م ٦/٢٣٩.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٢٧٩.

(٥) ابن منظور: لسان العرب ٩/٨١. الزبيدي: تاج العروس ٩/٩٣.

(٦) ليلى الأخيلية: الديوان ص٨٠

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٢٦. البغدادي: مراصد الأطلاع ١/٨٦.

كما أوردوا لفظ (خفية) وقالوا: إنه موضع بين الكوفة والرحبة بضعة عشر ميلاً، وفيه عين ماء تعرف بأسم (عين خيفة) وهي أجمة تكثر فيها الأسود[1] ومن المحتمل أن لفظي (إصبع خفان) و (عين خفية) يُقصد منهما موضع (خفّان) لتطابق الأوصاف والحدود.

وقد دوَّنَ المؤرخون الأحداث التي وقعت عند موضع (خفّان). فقد نزل فيه المثنى بن حارثة الشيباني وطلب من أهله إعتناق الإسلام فأسلموا[2]. كما نزل فيه خالد بن الوليد وهو في طريقه إلى الحيرة[3]، ونزل فيه أيضاً أبو عبيد الثقفي[4].

وكان المثنى الشيباني قد عسكر بين القادسية وخفان قبيل موقعة البويب[5]. ويبدو أن هذه المنطقة تتمتع بموقع استراتيجي حساس، فقد حاول كل من العرب المسلمين والفرس السيطرة على منطقة (خفان). ففي عام ١٤هـ، وقبيل موقعة القادسية، اتجه القائد الفارسي نحو خفان[6]، وفي يوم عماس من أيام القادسية أقبل عاصم بن عمرو بمدد للجيش الإسلامي من قبل خفان[7]. وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كتب نعيم بن هبيرة عام ٣٨هـ لأخيه مصقلة الذي كان في صفوف معاوية بن أبي سفيان، وقد أرسل الكتاب بيد حلوان النصراني من الشام فألقى القبض عليه، فأمر الإمام عليه السلام بقطع يده فمات، وعلى أثر هذه الحادثة، كتب نعيم بن هبيرة لأخيه مصقلة أبياتاً منها[8]:

عرّضته لعليٍّ، إنه أسدٌ   يمشي العرضنةَ من آسادِ خفّانا

---

(١) ن.م ٢/٣٨٠. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص٥٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٤٢. الطبري: التاريخ٣/٣٤٤.

(٣) ن.م ص٢٤٤.

(٤) الطبري: التاريخ ٣/٤٤٨.

(٥) ن.م ٣/٤٦١.

(٦) ن.م ٣/٥١٧.

(٧) ن.م ٣/٥٥١.

(٨) ن.م ٥/١٣٠.

قد كنت في نظرٍ عن ذا ومستمع   تحمـي العراق ، وتدعى خير شيبانا

وفي عـام ٦٠هـ وصلـت الأخبار لـوالي الكوفـة ، عبيـد الله بـن زيـاد ، بـأن الإمـام الحسين عليه السلام أخذ في التقدم نحو مدينة الكوفة ، فأمر صاحب شرطته الحصين بن تميم أن ينزل القادسية ، ومنها نظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان وما بين القطقطانة إلى خفان وتقدم الحر بن يزيد الرياحي بين يديه من القادسية[1].

وفي عهد عبد الملك بن مروان ، هاجـم حميـد بـن الحريـث بـن بحـدل بـني فـزارة وقتل جماعة منهم ، وفي هذه الواقعة يقول عويف القوافي[2] :

ولم أرَ قتلى لم تـدعِ لـيَ بَعـدَها   يدين ، فما أرجو من العيشِ أجذَما

وأُقسِمُ مـا ليـثٌ بخفَّـانَ خـادرٌ   بأشجعَ مـن معـدٍ جَنانـاً ومَقـدَما

وفي العصر العباسي ، شهدت منطقة (خفان) أحداثاً مهمة. ففي عام ١٤٥هـ ، قُتِلَ فيها جماعة[3] ، وفي عام ٢٩٤هـ وقع قتال بين القرامطة ـ جماعة زكرويه بن مهرويه ـ وجيش المكتفي بقيادة وصيف بن صوار تكين ، وقد سلك جماعة وصيف الطريق من القادسية إلى خفان[4].

١٤- دبـا

يقع موضع ((دبا)) بظهر الحيرة ، وقد أشار أحد عمال خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة إلى (عين دبا) بقوله[5] :

---

(١) ن.م ٤٠١/٥ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٠٢/١٩ .

(٣) الطبري: التاريخ ٦٣٢/٧ .

(٤) ن.م ١٣٤/١٠ .

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٥٤٠/٢ .

جبى المالَ عمّالُ الخَراجِ وجبوَتي   محلّقةُ الأذنابِ حُمرُ الشواكلِ

وعِينَ الدُبا والنقدِ حتّى كأنما   كساهُنَّ سلطانٌ ثيابَ المراجلِ

وفي عام ٢٥٥هـ، تجمّع الزنج في منطقة (دبا) وعندها أعلنوا الثورة ضد الدولة العباسية[١].

١٥- الدومة

أوردت المصادر لفظ (دومة الكوفة) وأن النجف محلة منها[٢]، ويقول البكري: هي النجف بعينه، وقد استشهد ببيت الشاعر الحيري النجفي (حنين العبادي) بقوله[٣]:

أنا حنينٌ وداريَ النجفُ   وما نديمي إلاّ الفتى القَصِفُ

ويقول الحميري: إن الدومة تقع عند الحيرة، ويُقال لِما حولها (النجف)[٤]، ويذهب ياقوت الحموي إلى القول: إن الخليفة عمر بن الخطاب(رض)، لّما أجلى ((اكيدر)) صاحب دومة الجندل إلى مدينة الحيرة، بنى بها حصناً وسمّاه "دومة أيضاً"[٥]. وتشير المصادر إلى ((دومة الجند)) وهي تقع في منطقة الجوف، شرقي نجد في الطريق إلى مكة المكرمة[٦].

---

(١) الطبري: التاريخ ٩/٤٢٨- ٤٣٠.

(٢) الميداني: مجمع الأمثال ١/٢٥٧ .الأصفهاني: الدرة الفاخرة ١/١٧٧ .ياقوت: معجم البلدان ٢٢/٤٨٦. البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/٥٤٢. الحميري: الروض المعطار ص٥٤٢. البكري: فصل المقال ص٣٥٤.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٦٦ .الواحدي: الوسيط في الأمثال ص٩٤.

(٤) الحميري: الروض المعطار ص٥٤٥.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٨٦.

(٦) بلاشير: تاريخ الأدب العربي ص ٧٠.

١٦- الرحبـة

تقع قرية (الرحبة) قرب القادسية[١]، ففي عام ٧٧هـ وقعت في الرحبة موقعة بين شبيب الخارجي وخالد بن عتاب الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي لقتاله[٢]. وكانت في قرية الرحبة ضيعة لعيسى بن موسى العباسي[٣].

وقد عرفت قرية الرحبة في الحرب العالمية الأولى بأسم (القادسية) وأصبحت تابعة لمدينة النجف الأشرف[٤]. وما زالت مرتبطة إدارياً بمحافظة النجف الأشرف وتبتعد عن مركز المحافظة بحوالي خمسة وثلاثين كيلو متراً، وتقع على طريق الحاج الذي يربط النجف بالمدينة المنورة.

١٧- الرصافـة

تقع مدينة (الرصافة) في ظهر الكوفة، وقد بناها أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ[٥]. وشخص إليها عام ١٤٧هـ، فأقام بها أياماً ثم أجرى فيها الخيل[٦] ويبدو أن (رصافة الكوفة) كانت تقع على طريق الحاج، ففي عام ١٦٤هـ أقام فيها الخليفة العباسي المهدي لمّا توجّه إلى الديار المقدّسة لأداء فريضة الحج[٧]. وقد أشار إليها الشاعر الحسين بن السري الكوفي مع قصر الخورنق بقوله[٨]:

ولقد نظرتُ إلى الرصافةِ فالثنيّةِ فالخورنقْ

جَرَّ البَلى أذيالَهُ فيها، فأدرَسَها وأخلَقْ

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٣.

(٢) الطبري: التاريخ ٦/٢٧٥.

(٣) ن.م ٨/١٥٩.

(٤) عبد المجيد فهمي: تاريخ مشاهير الألوية العراقية ١/٧٠.

(٥) الطبري: التاريخ ٧/٦١٤. ابن الجوزي: المنتظم (القسم المخطوط) ٨/ورقة ٣٢ب.

(٦) الطبري: التاريخ ٨/١١.

(٧) ن.م ٨/١٥٠.

(٨) ياقوت: معجم البلدان ٣/٤٩.

وإن اقتران الرصافة بالخورنق يدفعنا للإعتقاد بأنها تقترب من الحيرة والنجف.

١٨- السيلحون

يقول اللغوي ابن جنّي: السيلحون واحدها سيلح وإنْ لم يُنطَقْ به مفرداً[١] والسيلحون قرية ضاربة في البَر، تقع قرب الحيرة أو القادسية أو بينهما، وقد سُميت بهذا الأسم لأنها كانت مَسْلَحَة للملك الفارسي كسرى، وفي هذا الموضع نزل المختار بن أبي عبيد الثقفي عام ٦٧هـ أثناء ثورته ضدَّ الأمويين[٢]. وقد ورد ذِكْر السيلحون في شعر هاني بن مسعود في رثائه للنعمان بن المنذر لمّا أقدم كسرى على قتله:

إنَّ ذا التاجَ لا أباً لكَ أضحى … وذرى بيتهِ بغَسورِ الفيولِ

إن كسرى عدا على الملك النعمانِ حتّى سقاه أمّ البليلِ

قد عمرنا وقد رأينا لدى الحيرة في السيلحين خيرَ قتيلِ

ويرد ذِكْر (السيلحون) في دواوين الشعراء مع الخطط القريبة من النجف والحيرة كالخورنق والسدير وبارق، فيقول عمرو بن الأهتم:

ما في بني الأهتمِ من طائلٍ … يُرجى، ولا خير به يصلحونْ

لولا دفاعي كنتُمُ اعبداً … مسكنُها الحيرةُ والسيلحونْ

جاءتْ بكم عفرةُ من أرضها … حيريةٌ كما بها تزعمونْ

من ظاهرِ الكَفِّ وفي بطنها … وشمٌ من الداءِ الذي تكتمونْ

ويقول النابغة الجعدي[٣]:

وإذا رأيت السيلحين وبارقاً … أغنينَ عن عمرو وأمّ قتالِ

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب٢/٦٢٤- ٦٢٥.

(٢) الطبري: التاريخ٦/٩٩.

(٣) النابغة الجعدي: الديوان ص ٢٢٧.

ملكَ الخورنقَ والسديرَ ، ودانَه   مـا بـينَ حِمْيَـر أهلهـا وأوالِ

وأشار الأعشى الكبير إلى (السيلحون) ومواردها الاقتصادية في شِعره الذي أرّخ فيه اعتقال الملك الفارسي (أبرويز) لملك الحيرة النعمان ابن المنذر في موضع (ساباط) بقوله[1]:

ولا الملك النعمان يومَ لقيته   بأمته يعطي القطوط ويأفق
وتُجبى إليه السيلحون ودونها   صريفون في أنهارها والخورنق

وينقل الأستاذ (م.ج.كستر) عن مخطوطة لأبي البقاء هبة الله، المُسَمّاة: ((المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية)) والمحفوظة في المتحف البريطاني، إن إقطاع النعمان بن المنذر من كسرى مائة ألف درهم من رستاق السيلحين، وقطائع بني طلحة وسنام وطباق، ويعقب الأستاذ (كستر) على هذا النص فيقول:

((يطابق المؤلف أسماء المواضع المذكورة مع أسماء المواضع الجارية في زمانه فيرى انهم قد حلّوا في منطقة النجف))[2]، ومما يؤيد رأي الأستاذ ((كستر)) أن الشعراء عند إيرادهم السيلحين ، يذكرون ما في منطقة النجف والحيرة من مواقع وقد أشار الشاعر سليمان بن ثمامة إلى السيلحين لَمّا سيّر إمرأته من اليمامة إلى الكوفة، فيقول[3]:

فمرّتْ بباب القادسيةِ غدوةً   وراحتها بالسيلحين العبائرُ
فلما انتهتْ دونَ الخورنقِ عادها   وقصرُ بني النعمانِ حيثُ الأواخرُ
إلى أهلِ مصرٍ أهّلَ الله حالَه   بهِ المسلمون والجهودُ الأكابرُ

---

(١) الأعشى الكبير: الديوان ص٢١٩ . الجواليقي: المعرب ص١٣٥ . ياقوت: معجم البلدان١٦٦/٣ .الزبيدي: تاج العروس١/٣٣٢ .المسعودي: مروج الذهب٢/١٠٢ .

(٢) كستر: الحيرة ومكة ص١٨ .

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢٩٨/٣ .

فصارتْ إلى أرضِ الجهادِ وبلدةٍ مباركةٍ والأرضُ فيهما مصائرُ
فألقتْ عصاها، واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

ويقول الأشعث بن عبد الحجر بن عوف بن الأحوص[1]:

وما عقرتْ بالسيلحين مطيّتي وبالقصر إلا خشيةً أن أُعيّرا
فلستُ امرءاً يُبكى عليَّ برهطه وقد سادَ أشياخي معدّاً وحِمْيَرا

١٩- شماري

يقع بستان (شماري) في ظهر الحيرة، وكان لبعض الأشاعثة. وقد ورد ذِكره في شِعر أحد الشعراء المعاصرين لهارون الرشيد، جاء في بعضه[2]:

جِنانَ شماري ليسَ مثلُكِ ناظرٌ لذي رمقٍ عيّا عليهِ طبيبُ
تربُكِ كافورٌ، ونورُكِ زهرةٌ لها أرَجٌ بعدَ الهدوءِ يطيبُ

٢٠- صريفين

ورد ذِكر قرية ((صريفين)) عند الحديث عن قرية السيلحون. ويبدو أنهما تقعان في مكان واحد، وقد نُسِبَ اليهما جماعة من العلماء[3]. وأشار اليها الشاعر أعشى قيس بقوله:

وتجبى اليها السليحون ودونها صريفون في أنهارها والخورنق[4]

---

(١) ن.م. ٢٩٩/٣

(٢) يوسف رزق الله: الحيرة ص٢٦٩

(٣) ياقوت: معجم البلدان٤٠٤/٣، المشترك وضعاً ص٢٨٣

(٤) الأعشى: الديوان ص٢١٩. الجواليقي: شرح أدب الكاتب ص٣٠٨.

٢١- صيـودة

يقع موضع (صيودة) في ظاهر الحيرة، ويقال إنه يقع في طرف البر مما يلي الكوفة في مكان يعرف بالسبيع[١]، وفي موضع صيودة بنى ملكشاه أبو الفتح بن أبي شجاع محمد ألب رسلان المتوفى عام٤٨٥هـ، منارة القرون[٢]. ويقول الأربلي: إن الخليفة المقتدي بأمر الله هو الذي بنى (منارة أم القرون) في حواضر الصيد وقرونه[٣]. ويقول البغدادي: إن ملكشاه لّما رجع من توديع الحاج، عمل حلقة للصيد، وقد اصطاد عدداً من الوحوش، فأخذ قرونها وحوافرها فبنى منها المنارة، بين كل آجرتين قرن أو حافر. وقد بقيت هذه المنارة إلى القرن الثامن الهجري[٤].

٢٢- ضـارج

يقع موضع (ضارج) قرب الكوفة، وهو عبارة عن أرض سبخة مشرفة على بارق[٥].

٢٣- الطـف

الطف في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق[٦]. وقيل: هو ساحل البحر وجانب البر[٧]. ويقول ابن منظور: وسُميَ الطف لأنه طرف البر مما يلي

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص١١. أبو شامة: الروضتين١/٢٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم٩/٧٠. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/١٤٢.

(٣) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص٢٦٩.

(٤) البغدادي: مراصد الاطلاع٣/١٣١٤.

(٥) ن.م ٢/٨٦٣.

(٦) ياقوت: معجم البلدان٤/٣٥. الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص٩٧. ابن منظور: لسان العرب٩/٢٢١. الزبيدي: تاج العروس٦/١٨٢.

(٧) ابن الأثير: النهاية٣/١٢٩.

الفرات[1]. ومن ذلك جاء لفظ ((طف النجف))[2]. ويقال: إن النجف لغةً يعني طف الوادي وحاشيته المرتفعة[3]. وتقع في طف النجف عدد من العيون المتدفقة كالقطقطانة والرهيمة وعين جمل وغيرها. وكانت هذه العيون بيد الفُرس، ولكن بعد موقعة ذي قار تغلّب عليها العرب. وعند الفتح الإسلامي للعراق، أصبحت هذه العيون عشرية، وفيها يقول الأكيشر الأسدي[4]:

أنّي يُذكّرني هنداً وجارتها	بالطفِ صوتُ حماماتٍ على نيقِ
بناتُ ماءٍ معاً بيضٌ جآمتُها	حُمْرٌ مناقِرُها، صُفْرُ الحماليق

وقد شهد ((طف النجف)) أحداثاً في العصر الراشدي، ففي عام ١٤هـ فرق المثنى بن حارثة الشيباني جنده من أول الطف إلى آخره، بينما هو نزل في منطقة ذي قار[5]. ويقول الطبري في أحداث هذه السنة: ((قدم رستم الجالينوس وذا الحاجب، ولا يشعرون بفصولهم من النجف، فلم يسيروا إلا فرسخا وبعض آخر، حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف، وقد ملؤوها. فقال بعضهم: ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم، وهو يرى أن القوم بالنجف))[6]. وبقي مصطلح ((طف النجف)) يسير مع التاريخ الإسلامي وحتى التاريخ الحديث، فيقول الشيخ محمد رضا الشبيبي: أن المجاهدين خرجوا من النجف في الخامس من ربيع الثاني عام ١٣٣٣هـ قاصدين الشعيبة عن طريق الطف من النجف إلى الشنافية، فالسماوة والناصرية، فبرّ الزبير[7].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٩/٢٢١.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٢/٦٠٧.

(٣) دليل المملكة العراقية لعام ١٩٣٥- ١٩٣٦ ص ٩٥٢.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٤/٣٦.

(٥) الطبري: التاريخ ٣/٤٨٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٤٨.

(٦) ن.م ٣/٥١٢- ٥١٣.

(٧) الشبيبي: (المذكرات) مجلة البلاغ، العدد الخامس، السنة الرابعة ١٩٧٣ ص ١٤.

وقد وصف الأستاذ البقيلي طف النجف بالقول: إن النجف رملة، إنما هي مجرى الفرات، وبقايا مجرى البحر الذي كان في التاريخ، يعني بحر النجف كما كانوا يسمّونه في عهد المناذرة من عهد الخورنق والسدير اللذين مازالا على رملة النجف إلى الآن، إنها أرض الطفوف[1]. ولكن إذا ذُكر ((طف الفرات)) فالمقصود به شاطئ الفرات[2]، فهو الموضع الذي استشهد فيه الإمام الحسين بن علي عليه السلام وآل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم في العاشر من محرم عام٦١هـ، وفيه يقول سليمان بن قتة[3]:

فإنَّ الأُلى بالطف من آل هاشمٍ ... تأسوا، فسنّوا للكِرامِ التأسيا

٢٤- طيـزناباذ

يقع موضع ((طيزناباذ)) بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، أو جادة الحاج[4]. ويقول المؤرخ اليعقوبي: إنها قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم وأشجار ونخل ورياض، تخرّصتها الأنهار من كل البقاع من الفرات[5]. ويقول البلاذري: إن طيزناباذ كانت تُدعى ((ضيزناباذ)) فغيّروا اسمها، وإنما نسبت إلى الضيزن بن معاوية بن العبيد السليحي[6]. ويبدو أن منطقة ((طيزناباذ)) كانت مركزاً استيطانياً عند الحافة الشرقية لبحر النجف، على مسافة تسعة أميال من مدينة النجف الأشرف الحالية، وإلى جانبها مدينة الصنين[7]. وتعرف أطلال موضع (طيزناباذ) في الوقت الحاضر باسم (طعيريزات)[8] وهي تشرف على بحر النجف، وإن هناك تِلالاً وروابيَ يبلغ ارتفاعها ما

---

(١) البقيلي: الجواهري، ذكريات أيامي، ص١٩ .

(٢) ياقوت: معجم البلدان٤/٣٦ .

(٣) الأصفهاني: الأغاني١٩/١٢٩ .

(٤) البكري: معجم ما استعجم٢/٥٦٦ .

(٥) المسعودي: مروج الذهب٣/٣٥٥ .

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٢ .

(٧) عدنان ابو الريحة: الاستيطان القبلي في منطقة بحر النجف ص١٠٦ .

(٨) إبراهيم حلمي: (طعيريزات أو أطلال طيزناباذ) مجلة لغة العرب، الجزء الثامن، السنة الثانية ١٩١٣م ص٣٢٢.

بين (١٥- ٢٥ متراً). وعلى جوانبها آثار أبنية قديمة العهد، وتمتد إلى نحو ٢ كيلومتراً تبتدئ من الموضع المعروف باسم (المصعاد) إلى ما يقرب من قصر الخورنق[١]. وقد زار هذا الموضع المستشرق الألماني (كروكمان) في الخامس من كانون الأول عام١٩٣٧ وكتب عنه وقال: إنه تل بجانب بحر النجف، ويمتد على الجهة اليمنى من الطريق بين النجف وأبي صخير، مسافة خمسة كيلومترات تقريباً. وقد عثرتْ مديرية الآثار العراقية في كانون الثاني عام (١٩٥٥) علىكعوب لِدِنانٍ مستطيلة الشكل وكبيرة، وفخار غير مزجج سميك ومُزيّن بـ(حزوز) شبيهة بفخار الحيرة والكوفة من القرنين الأول والثاني من الهجرة[٢].

وشهد موضع (طيزناباذ) جانباً من الحوادث التي وقعت بين العرب والفرس قبل الإسلام، فقبيل موقعة (ذي قار)، أغار بجير بن عائذ العجلي ومفروق بن عمرو الشيباني على القادسية وطيزناباذ وما والاهما من المناطق وغنموا غنائم كثيرة، فلما بلغ ذلك كسرى، اشتدّ حنقه على بكر بن وائل[٣]. وشهد موضع طيزناباذ جانباً من حوادث عام١٤هـ[٤]. وكان لمحمد بن الأشعث بن قيس الكندي قصر في موضع (طيزناباذ)[٥]، وهو يقع عند دير سرجس[٦]. وقد تغنّى به الشاعر أبو نؤاس، وبما يحيط به من مزارع بقوله[٧]:

قالوا: تنسّك بعد الحج، قلتُ لهم	أرجو الإلهَ وأخشى طيزناباذا
أخشى قُضَيّبَ كرْمٍ أنْ يُنازِعَني	فضْلَ الخطامِ وإنْ أسرعت أغذاذا
فإنْ سلمتُ وما قلبي على ثقةٍ	منَ السلامَةِ، لم أسلمْ ببغذاذا

(١) الطريحي: الديارات والأمكنة ص٢٢٢.

(٢) ن.م ص٢٢٨- ٢٢٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني٢٤/٥٦.

(٤) الطبري: التاريخ٣/٥١٥.

(٥) ن.م ٦/٩٤.

(٦) الشابشتي: الديارات ص١٣٣.

(٧) أبو نؤاس: الديوان ص٢٦- ٢٧.

ما شئتُ من بلدٍ تدنو منازهُهُ ... لكنَّ فيهِ قبيلاتٌ وأفخاذا

ما أبعدَ النُسك من قلبٍ تقسّمهُ ... في قطربلٍ، فقَرِّبني فكلواذا

٢٥- العذيب

يقع موضع (العذيب) بالقرب من بارق في ظهر الكوفة[١]، وإنَّ المسافة بين القادسية والعذيب ستة أميال[٢]. وفي هذا الموضع يقول سعد القرفرة، وهو أخو النعمان بن المنذر من الرضاعة[٣]:

ليتَ شِعري حتى تخبَّ لي النا ... قةُ نحوَ العذيبِ فالصيبونِ

مُحقِباً زكرةً وخبزَ رِقاقٍ ... وحباتاً وقطعةً من نونِ

وشهد موضع (العذيب) أحداثاً في التاريخ الإسلامي، فقد نزل فيه خالد بن الوليد، وهو في طريقه إلى الحيرة. ونزل فيه أبو عبيد بن عمرو الثقفي قائد موقعة الجسر[٤]. ونزل فيه المقاتلة المسلمون قبيل موقعة القادسية. وفي قصر العذيب نزل القائد سعد بن أبي وقاص، وأودعَ فيه أبا محجن الثقفي السجن[٥].

وقد شهدت منطقة العذيب وقائع معركة القادسية الفاصلة بين العرب والفرس عام١٤هـ، ففي (يوم عماس) قال عوف بن مالك التميمي[٦]:

أيا نخلةً دون العذيبِ بتلعةٍ ... سُقيتِ الغوادي المُدجناتِ من النخلِ

---

(١) البكري: معجم ما استعجم٩٢٨/٣ .

(٢) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص١٧٥ . ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص١٢٥.

(٣) الضبي: أمثال العرب ص١٦٤.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥١ .

(٥) ن.م ص٢٥٨ . الطبري: التاريخ٥٧٣/٣ .

(٦) الطبري: ٥٥١/٣ .

وبعد (يوم أغواث)، أمر سعد بن أبي وقاص بدفن شهداء المسلمين في هذا اليوم من أيام القادسية في العذيب[1]. ويبدو أن المسافة بين العذيب والقادسية كانت ساحة قتال اتخذها العرب المسلمون، فقد نزل فيها القائد سعد بن أبي وقاص[2]، وقد أطلق على تلك المنطقة (صحراء العذيب) وأشار إليها بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي بقوله[3]:

ألمَّ خيالٌ من أُميمةَ موهِناً	وقد جعلَتْ ودُّ النجوم تغورُ
ونحنُ بصحراء العذيبِ ودارها	حجازيــة إنَّ المحلَّ شطيرُ

وفي التاريخ الأموي، شهد موضع (العذيب) أحداثاً مهمّة. ففي عام ٦١هـ، جرت فيه محاورة بين الإمام الحسين عليه السلام والحر بن يزيد الرياحي، فقال الحر للإمام الحسين: فخذْ هاهنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، وكان بينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً، فسار الحسين عليه السلام في أصحابه، وكان الحر بن يزيد يسايره[4]. وفي عام٨٢هـ سار الحجاج بن يوسف الثقفي من البصرة في طريقه إلى القادسية فمرَّ بالعذيب، فمنع من قبل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من النزول بالقادسية[5]. وفي عام١٠١ هـ، نزل هشام بن مساحق موضع العذيب في محاولة لمنع هروب يزيد بن المهلب إلى مدينة البصرة[6]. وفي عام ١٢١هـ، نزل موضع العذيب الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، وقد لحقت به الشيعة[7]. وفي عام ١٢٧هـ

---

(١) ن.م ٣/٥٤٢، ٥٥٠.

(٢) المقدسي: البدء والتاريخ٥/١٧٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٦١.

(٤) الطبري: التاريخ٥/٤٠٣.

(٥) ن.م ٦/٣٤٦.

(٦) ن.م ٦/٥٧٩.

(٧) ن.م ٧/١٦٦.

هرب منصور بن جمهور، وهو من قادة الخوارج، إلى العذيب وقد قتل البرذون بن مرزوق الشيباني الذي يقول فيه غيلان بن حريث[1]:

ويوم روحاء العذيب دفعوا ... على ابنِ مرزوقٍ سمام مزعف

وتعطي هذه الأحداث أهمية لموضع العذيب لِما له من موقع حسّاس بين البصرة والكوفة وبين الحجاز والعراق، وبقي يحتفظ بموقعه هذا في العصر العباسي. ففي عام ١٥٨هـ نزل أبو جعفر المنصور في العذيب، وهو في طريقه إلى مكة المكرّمة[2]. وكان الرحّالة العربي ابن جبير قد سلك طريق الحج عن طريق العذيب وقد وصفه بالقول ((واجتزنا عشي يوم الخميس على العذيب وهو وادي خصيب وعليه بناء، وحوله فلاة خصيبة، فيها مسرح للعيون وفرجة، وعلمنا أنه بمقربة من بارق))[3]. ولذا كان العذيب وبارق يردان في أشعار بعض الشعراء وفيهما يقول ابن زمرك (ت٧٩٥هـ)[4]:

وبارق وعذيب كل مبتسم ... من الثغور يجلّيها مجلّيها

ويقول آخر:

ألا فدعوا ذِكْرَ العذيب وبارقٍ ... ولا تسأموا من ذِكر فحص السرادقِ

٢٦- القادسية

تقع القادسية في مثلث واسع من الأرض أبعادُه: (النجف والحيرة والبادية). يقول المستشرق الألماني (بروكلمان): إن القادسية تقع في غربي النجف الحاضر وعلى ثمانية عشر ميلاً ونصف من معسكر الجيش في الكوفة[5]. ويقترب الشيخ الطريحي من هذا التحديد فيقول: إن القادسية قرية قريبة من الكوفة إذا خرجتَ منها أشرفتَ على

---

(١) ن.م ٣٢٨/٧- ٣٢٩.

(٢) ن.م ١١٣/٨.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص١٦٧.

(٧) المقري: نفح الطيب١/ ٤٧٥، ٧/ ١٧١.

(٥) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية١/ ١١٥.

النجف[1]. وأشارت المصادر التاريخية إلى وجود مواضع بين العذيب والقادسية عند تقدم الجيش الإسلامي عام ١٤هـ، فقد عسكر زهرة بن حوية بعذيب الهجانات ثم نزل موضع (القادسية) بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وأن القديس يومئذ أسفل منها بميل ثم نزل سعد بن أبي وقاص القديس[2].

ويقول الدكتور صالح أحمد العلي: إن (قديس) هي بين العذيب والمكان الذي يطلق عليه القادسية، وإنها على بعد ميل من القادسية، وهي مائلة إلى الجنوب، ويبدو أن المعركة دارتْ بين قادس والعتيق، وكان صف المشركين على شفير العتيق. وكان صف المسلمين مع حائط قديس، الخندق من ورائهم. فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق[3].

وأورد المؤرخ الطبري رسالة سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حدد فيها موقع القادسية بقوله: ((إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإنّ ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم))[4].

ووصف الاصطخري موقع القادسية بقوله: (القادسية على شفير البادية وهي مدينة صغيرة ذات نخل ومياه وزروع ليس بالعراق بعدها ماء جار ولا شجر)[5]. ويقول المقدسي: (القادسية مدينة على سيف البادية تعمر أيام الحج ويحمل إليها كل خير، لها بابان وحصين طين، وقد شق لهم نهر من الفرات إلى حوض على باب بغداد عيون

---

(١) الطريحي: مجمع البحرين٤/٩٥.

(٢) ياقوت: معجم البلدان٤/٤٢- ٤٣.

(٣) العلي: منطقة الحيرة، من كتاب(معالم العراق العمرانية) ص١٣.

(٤) الطبري: التاريخ٣/٤٩٢.

(٥) الاصطخري: المسالك والممالك ص٨٣.

غربية، وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحج وهي سوق واحد الجامع فيه)[1].

وإن ما ذكر عن موقعة القادسية وما وصفت به المنطقة يؤكد لنا أن موضع (القادسية) يقترب من (الخندق) و(قصر الخورنق) و(بحر النجف) و(ظهر الحيرة)، وهذا مما جعل الشيخ القمّي يقول: إن (بانقيا) هي القادسية وما والاها من أعمال وسميتْ القادسية لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام بأنه قال: كوني مُقدّسة[2].

ومن المحتمل أن تقارب المناطق وتداخل بعضها بالبعض الآخر، أصبح من المتعذّر تحديد كل موضع بصورة مستقلة، وإلى ذلك يذهب الاصطخري إلى القول: إن القادسية والحيرة والخورنق على طرف البادية[3]. وتقترب من هذا المثلث (عيون الطف)، ويطلق على جميع هذه المواضع والمواقع لفظ (بلاد العيون)[4].

٢٧- القطقطانة

يقع موضع القطقطانة قرب الكوفة من جهة البر من أرض الطف، وكان به سجن للنعمان بن المنذر[5]. ويقول السجستاني: إن النعمان قد أقام في موضع (القطقطانة) نصف حول[6]. وتقع في هذا الموضع منازل جذيمة الأبرش التي استعملها الفُرس مسلحة لهم[7]. وتدعى القطقطانة - في الوقت الحاضر - باسم (الحياضية)[8]، وهي لا تبعد عن مركز مدينة النجف الأشرف إلاّ ببضعة كيلومترات.

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١١٧.

(٢) القمي: سفينة البحار٢/٤١٢.

(٣) الاصطخري: المسالك والممالك ص٨٣.

(٤) يوسف رزق الله: الحيرة ص١٠.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٦.ياقوت: معجم البلدان٤/٣٧٤. البغدادي: مراصد الإطلاع٣/١١٠٧.

(٦) السجستاني: المعمرون والوصايا ص٢٠.

(٧) الطبري: التاريخ١/٦١٣، ٢/٢٠٧.

(٨) عبد الرحيم محمد علي: الرهيمة ص١٧.

وقد شهدت القطقطانة في العصرين الراشدي والأموي أحداثاً مهمّة. ففي عام ١٤هـ، نزل المثنى بن حارثة الشيباني في منطقة (الطف) ثم وزّع جنده حتى بلغ القطقطانة[١]. وفي عام ٣٩هـ، هاجم الضحاك بن قيس موضع القطقطانة بأمر من معاوية بن أبي سفيان[٢] في محاولة لاحتلالها أثناء تمرّده على أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفي عام٦٠ هـ، اتخذ والي الكوفة عبيد الله بن زياد احتياطات واسعة النطاق لمنع دخول الإمام الحسين عليه السلام مدينة الكوفة. فبعث الحصين بن تميم، صاحب الشرطة، إلى موضع القطقطانة فنظّم الخيل بينها وبين القادسية، ووضع الحصين المسالح حتى منطقة خفان، تحسّباً من تقدّم الحسين عليه السلام، نحو الكوفة[٣].

ولعب موضع (القطقطانة) دوراً في الأحداث في العصر الأموي لِما يتمتع به من استراتيجية مرورية، إذْ يقف القادمون من الحجاز إلى العراق أو الذاهبون إليه في هذا الموضع، وكذلك من وإلى مدينة البصرة، حيث فيه عين من عيون الطف[٤]. وفي عام٧٦هـ، نزل بالقطقطانة شبيب الخارجي، ومرّ بالقرب منها يزيد بن المهلب عام١٠١هـ أثناء هروبه إلى البصرة، وفي ذلك يقول الشاعر[٥]:

وسار ابنُ المهلبِ، لم يعرّج ... وعرّسَ ذو القطيفةِ من كنانهْ
وياسَرَ والتياسرُ كان حزماً ... ولم يقرَبْ قصورَ القطقطانهْ

---

(١) الطبري: التاريخ٣/٤٨٢

٢ ن.م ٥/١٣٥.

٣ ن.م ٥/٣٩٤- ٤٠١.

٤ العلي: (منطقة الكوفة) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ص٢٤٦.

٥ الطبري: التاريخ٦/٢٤٠.

٢٨- منابض

يقع موضع (منابض) بنواحي الحيرة، قال فيه المسيب بن علس وقيل المتلمّس[١].

أَلَكَ السديرُ و بارقٌ ... ومنابضٌ لكَ والخورنقْ

والقصرُ من سنداذَ ذي ... الشُرُفاتِ والنخلُ المنبّق

والثعلبيةُ كلُّها ... والبدوُ من عانٍ ومُطلَق

وقد وردت هذه الأبيات بصيغةٍ أُخرى، وهي[٢]:

أَلَكَ السديرُ وبارقٌ ... ومرابضٌ لكَ و الخورنقْ

والقصرُ ذو الأحساء ... واللذّاتُ من ماءٍ وديسق

والقصر ذو المشرفاتِ ... من سنداذَ والنخلُ المسبّق

والأبيات تشير إلى أن (منابض) تتمتع بخصائص قصور الحيرة المعروفة كالخورنق والسدير وسنداد.

٢٩- النخيلة

يقع موضع (النخيلة) بظهر الكوفة أو قربها[٣]. ويقول أحد الكوفيين: إذا جزنا النخيلة رأينا بيوت الكوفة[٤]. وعند النخيلة، يقع (الجوسق) الذي اجتمعت فيه الخوارج في يوم النهروان. وبعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) نزل فيه الخوارج استعداداً لقتال معاوية بن أبي سفيان، وفي ذلك يقول قيس بن الأصم الضبي راثياً

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان٥/١٩٩

(٢) ابن دريد: جمهرة اللغة ١/٣٢٢-٣٢٣. الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ص١٢٣. شيخو: شعراء النصرانية قبل الإسلام ق٣/٢٧٨.

(٣) ياقوت: معجم البلدان٥/٢٧٨

(٤) الطبري: التاريخ٥/٦٠

الخوارج[1]:

إنـي أُديـنُ بمـا دانَ الـشُراةُ بـه ... يومَ النخيلَـةِ عنـدَ الجوسقِ الخَرِبِ
النـافرينَ علـى منهـاجِ أوّلـهـم ... من الخـوارجِ قبـلَ الـشكِّ والرِيَـبِ

وقد وقعت في موضع (النخيلة) أحداث في العهدين الراشدي والأموي، ففي موقعة البويب في الكوفة، أشار الأعور العبدي إلى قتلى الفُرس بقوله:

هاجـتْ لأعـورَ دارُ الحـيِّ أحزانـا ... واستُبدِلَتْ بعدَ عبدِ القيسِ خُفّانـا
وقـد أرانـا بهـا والـشملُ مجُتمِـعٌ ... إذْ بالنخيلـةِ قتلـى جُنـدِ مهـرانا
أزمـانَ سـارَ المثنّى بالخيولِ لهم ... فقتّلَ الزحفَ من فُرسٍ وجيلانـا
سما لمهرانَ والجيشِ الـذي معهُ ... حتـى أبادَهُـمُ مثنـىً ووحدانـا

وفي عام٣٦هـ، عسكر الإمام علي عليه السلام في النخيلة لما أراد المسير إلى صفين، ونزل بها أيضا في عامي٣٧ و٣٩هـ[2]. ولما أراد معاوية بن أبي سفيان إبرام الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام عام٤١هـ، قدِم إلى النخيلة[3] وفي عامي٦٤و٦٥هـ، عسكر التوّابون في موضع النخيلة للمطالبة بدم الحسين عليه السلام والتهيّؤ للمسير إلى الشام للإنتقام من قَتَلَة الحسين[4]. وفي عام٧١هـ، نزل عبد الملك بن مروان في النخيلة وهو في طريقه إلى الكوفة[5]. وفي عام١٠٢ هـ، عسكر عبد الحميد بن عبد الرحمن في النخيلة لصدّ يزيد بن المهلب ومنعه من دخول مدينة الكوفة[6]. وبعد

(١) ياقوت: معجم البلدان٢/١٨٥، ٥/٢٧٨
(٢) ن.م ٤/٥٦٢، ٥٦٥
(٣) ن.م ٥/١٦٥
(٤) ٥٥١،٥٥٦،٥٨٣،٥٨٤
(٥) ن.م ٦/١٦٢ .الأصفهاني: الأغاني ٩/٢٠٣
(٦) الطبري: ٦/٥٩٢

استشهاد زيد بن علي رضوان الله عليه، نزل جماعة من أنصاره في موضع النخيلة عام١٢٢هـ[1]. واتخذ الخوارج منطقة النخيلة معسكراً لهم ضد الدولة الأموية، ففي عام١٢٧هـ، نزل فيها الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، وفي عام١٢٩هـ، تجمّع الخوارج في النخيلة[2].

ولم يرد للنخيلة ذكر في العصر العباسي سوى في عام ١٣٢هـ حيث عسكر فيها أبو سلمة الخلال[3]. وتُعطي هذه الأحداث لموضع النخيلة أهمية كبيرة، إذْ أصبحت معسكراً للجند وتجمّعاً للمقاتلين ومقرّاً للثوّار.

٣٠- النمارق

يقع موضع (النمارق) قرب الكوفة، وقد نزل فيه العرب المسلمون عند وصولهم للعراق واتخذوه معسكراً للجيش. وقد أشار إليه المثنى بن حارثة الشيباني بقوله[4]:

غلبنا على خفّانَ بيداً مشيحةً ... إلى النَخَلاتِ السُمْرِ فوقَ النمارِقِ

وإنّا لنرجو أن تجولَ خيولُنا ... بشاطي فراتٍ بالسيوفِ البوارقِ

ونزل في موضع (النمارق) القائد الفارسي (جابان) عام ١٣هـ[5]. وقد مُنِيَ الفُرس بهزيمةٍ في يوم (النمارق) وعند ذلك أمر القائد، أبو عبيد الثقفي، قوّاته أن تجتاح معسكر (نرسي) وإبادة الفُرس، فأنشد في ذلك عاصم بن عمرو[6]:

---

(١) ن.م ١٨٧/٧

(٢) الطبري: التاريخ ٣١٨/٧، ٣٥٠

(٣) ن.م ٤١٨/٧، ٤٤٩

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٣٠٤/٥

(٥) الطبري: التاريخ ٤٤٨/٣

(٦) ن.م ٤٥٠/٣- ٤٥١

لعَمري وما عُمري عليَّ بهيّـنٍ ... لقد صُبِّحَتْ بالخِزيِ أهلُ النمارقِ

بأيدي رجالٍ هاجروا نحوَ ربِّهم ... يجوسونَهُم ما بينَ درتا وبارقِ

قتلناهُمُ ما بينَ مُرْجٍ مُسَلَّحٍ ... وبينَ الهوا فى في طريقِ البذارقِ

وقد أراد الشاعر أن يقول: إن المسلمين قد هزموا الفُرس بين (درتا) الواقعة بالقرب من مدينة بغداد[1] إلى (بارق) الواقعة بالقرب من مدينة الكوفة، وقد أصبحت هذه المنطقة كلّها بأيدي المسلمين بعد أن تكبّد الفُرس خسائر فادحة.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٤٤٩

البُعـدُ الحَضـاري لمنطِقَـةِ النَجَـف

إنَّ الحديث عن الحضارة في منطقة النجف في عصر ما قبل الإسلام يعود بنا إلى البُعد التاريخي لهذه المنطقة التي هي جزء من أرض الحيرة والكوفة، والتي نشأت على ربوعها حضارتان عريقتان هما أولاً: الحضارة العربية التي أوجدتها دولة المناذرة في الحيرة، وثانياً: الحضارة الإسلامية التي ترعرعت في مدينة الكوفة، فأصبحت منطقة النجف في عهدها الجاهلي ومدينة النجف الأشرف في عهدها الإسلامي وريثة هاتين الحضارتين.

وإذا درسنا الحضارة القائمة في منطقة النجف قبل الإسلام، فإننا سوف نكشف عن الوحدة بين النجف والحيرة لأن القصور والمنازل والأديرة والقلاع وغيرها كانت ممتدّة بينهما. وقد أصبح لهذه المظاهر الحضارية، فيما بعد، امتداد تاريخي سايرَ العصور الإسلامية التي مرّت بها مدينة النجف بعد نشوئها بدءاً من القرن الثاني للهجرة، وما زالت بعض أسماء النجف القديمة تلازم حياتها المعاصرة ومنها: ((الغري، الطور، الثوية، اللسان، بانقيا...)).

ونحن في دراستنا لأي مظهر من مظاهر الحضارة العربية لمنطقة النجف، نأخذ الجذر التاريخي وامتداداته الزمانية وما تفرزه من أبعاد ثقافية وفكرية. فقد أُنشِدَ الكثير من الشِعر العربي في القصور والأديرة والمعابد، بدءاً من العصر الجاهلي والعصور التي تليه، وإن الحركة العلمية والفكرية في الكوفة الإسلامية لها بعض الصلات التاريخية بالمراكز العلمية التابعة للحيرة الجاهلية.

إن هذا يعطينا مؤشراً على وجود حركة علمية وثقافية في عصر ما قبل الإسلام في منطقة النجف. ولاشكّ أن هذا البُعد الفكري تتبعه ظاهرة التحضر والتمدّن في منطقة النجف التي عاشت على ربوعها الكثير من القبائل العربية والتي أصبح لها موقع كبير في عمليات الجهاد وحركات التحرير العربية الإسلامية في العراق وبخاصّة في فترة

العصر الراشدي. ويمكننا تلمّس البعد الحضاري لمنطقة النجف في عصر ما قبل الإسلام بالمظاهر الآتية :

أولاً: القصور والمنازل والمعاقل والحصون

تركت مملكة الحيرة ودولة المناذرة اللخميين في منطقة النجف في عصر ما قبل الإسلام آثاراً تاريخية، بقيت شاخصة تساير أحداث التاريخ وتصاحبه. وتغنّى الشعراء بأطلال المنطقة وآثارها، ولا سيما قصري الخورنق والسدير. ومَنْ يتصفح تاريخ المثلّث الحضاري (الحيرة والكوفة والنجف)، يُدرك أهمية ما تركته مملكة الحيرة من خطط ومواقع، وهي تحتاج اليوم إلى مسح ميداني وآثاري للكشف عن معالمها، إذْ أن دراسة خطط المدن يقودنا إلى معرفة مدى تحضر السكان وتمدّنهم وما تعاقَب عليهم من تطورات اجتماعية وفكرية وسياسية واقتصادية وغيرها.

ولم نجد مَنْ تصدّى لدراسة الحيرة ومملكتها العربية وحضارتها العريقة سوى القليل من المؤرخين والباحثين. ففي مدينة الحيرة وظهرها الواسع نشأت دولة المناذرة التي أسسها آل لخم وسكنتها القبائل العربية المعروفة كبني بقيلة ونصر ولخم[1]. وقد عُرِفَ ملوك الحيرة عند المؤرخين والإخباريين بآل لخم وآل نصر.

ويقول الدكتور سعد زغلول : ((إن بني لخم قد استقروا في أرض الطف التي عُرفت بالنجف على الضفة الغربية للفرات))[2].

وكانت الديانة المسيحية في عصر ما قبل الإسلام قد تغلغلت في أوساط بعض القبائل العربية، حتى أصبحت فيما بعد الديانة الرسمية لدولة المناذرة، مما أعطاها بُعداً فكرياً جعلها تساير دولة الشام المعاصرة لها كدولة الغساسنة ودولة الأنباط فقد قصدَ

---

(١) الحميري: الروض المعطار ص٢٠٧

(٢) سعد زغلول: في تاريخ العرب قبل الإسلام ص٢١٥

الحيرة الشعراء والأدباء، وأنشدوا أمام ملوكها القصائد، وتغنّوا في مبانيها وقصورها، وتباروا في أنديتها الأدبية، فأصبحت بذلك مدينة الحيرة مركزاً فكرياً وحضارياً كان له أثره على مدينة الكوفة عند تخطيطها وتمصيرها، مما جعلها امتداداً لماضي الحيرة التاريخي العريق. وسوف تتركز هذه الدراسة هنا على القصور والمنازل والحصون وفقاً للترتيب الأبجدي لأسمائها، مُقدّماً عليها قصرَي الخورنق والسدير لأهميتهما الحضارية ومسايرتهما للأحداث التاريخية، وعلى ذلك، أصبحت هذه الدراسة تتوزع على محورين:

المحور الأول: الخورنق والسدير

ذهَبَ اللغويون والمؤرخون في تفسير معاني لفظي الخورنق والسدير مذاهبَ مختلفة، فقيل: إن الخورنق لفظ عربي مشتقّ من الخرنق، ومعناه الصغير من الأرانب، وينطبق هذا المعنى على الذكر والأنثى[1]. وأكد ابن جني عروبة اللفظ اعتماداً على الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يرى أن الخورنق عربي اللفظ[2].

وهنالك مَنْ يذهب إلى أن لفظ الخورنق معرب من اللفظ الفارسي الذي أصله ((خرنكاه أو خرنقا))[3] ويقول ابن سيدة ((الخورنق كان يسمى خرانكة))[4] ويعني مجلس الشراب بالعربية[5]، وإلى ذلك يذهب الأصمعي بقوله: إنَّ العرب قد عربت اللفظ المذكور فقالت: الخورنق[6]. ويرى المستشرق الفرنسي ((ماسنيون)) إن أصل

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة٢/٢٤٨. ابن سيدة: المخصص١٦/٩٠٨

(٢) ياقوت: معجم البلدان٢/٤٠١

(٣) الفراهيدي: العين٤/٣٢١. ابن منظور: لسان العرب١٠/٧٩

(٤) ابن سيدة: المخصص١٤/٤٣

(٥) السمعاني: الأنساب٥/٢٢٧

(٦) الجواليقي: المعرب ص١٧٤

الخورنق هو (هفرنه) أو (كوورنه) ومعناه ذو السقف الجميل. وربط المستشرق (نولدكة) بين هذا اللفظ وبين كلمة عبرية معناها الشجرة أو المزرعة[١].

واختلف المؤرخون واللغويون في اشتقاق معنى (السدير) أيضاً. فمنهم مَنْ قال: إنه عربي جاء من نظرة العرب إلى سواد النخيل، حتى سدرت فيه عيونهم، أي تحيّرت فقالوا: ما هذا إلاّ سدير[٢]. وذهب الحميري إلى القول: إن سدير النخل هو سواده وشخوصه[٣]. وهناك من يقول: إن السدير من الألفاظ المعربة عن الفارسية، وهو في الأصل (سه دير) أي ثلاثة أديرة أو قباب أو بيوت تحتوي على ثلاث قباب متداخلة[٤]. ويقال: إنه (سه دلي) ومعناه البيت الذي يقع في جوف بيتين[٥]. وقد ورد في المصادر معان عديدة لقصر السدير يقترب أحدها من الآخر وهي: (سادلي، سهدلي، سه دله، سه دل، سدلي)، وقد قربت العرب هذه الألفاظ وجمعتها بلفظ واحد فقالوا: (السدير). ويقول الدكتور صالح أحمد العلي: (لعله أساس طراز البناء الإسلامي المعروف بالحيري، ذي الكمين، والذي يتكون من إيوان في صدره غرفة، وفي جانبيه غرفتان)[٦]. وهذا التعريف يتفق مع الاشتقاقات المذكورة التي تعني ثلاث قباب أو شعب أو بيوت متداخلة قد أعدت لتكون (بيت الملك)[٧].

وقد حدد الجغرافيون والمؤرخون موقع قصري الخورنق والسدير من ظهري الحيرة والكوفة أو ظاهرهما، وهذا التحديد قد يبدو غير دقيق، لأن منطقة ((الظهر)) ذات رقعة جغرافية واسعة. ولكن هناك بعض النصوص تقرب قصر الخورنق من أرض

---

(١) ماسنيون: دائرة المعارف الإسلامية ٩/٣٥-٣٦. يوسف رزق الله: الحيرة ص١٩

(٢) السمعاني: الأنساب ٥/٢٢٧. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٧٨

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٢٢٦

(٤) الجواليقي: المعرب ص٢٣٦. ينظر دي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ص٨٨

(٥) السمعاني: الأنساب ٥/٢٢٧

(٦) العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/٧٦

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية ١/٩١

النجف، وهذا التحديد هو أكثر دقة من غيره. فقد ذكر المستشرق (ماسنيون): إن الخورنق موضع على مسيرة نحو ميل من النجف من أعمال الجزيرة سكنته أول الأمر قبيلة أياد، ثم وصف القصر بالقول: خرجنا من مشهد علي، فنزلنا الخورنق وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات[1].

ويقودنا هذا التحديد إلى أن قصر الخورنق يقع على مرتفع بحر النجف، وقد بقيت آثاره إلى مطلع القرن العشرين. وأشار المؤرخ الطبري إلى الخورنق بقوله: (جلس النعمان يوماً في مجلسه من الخورنق، فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق، وهو على متن النجف)[2]. وقد وقف العميد طه الهاشمي على الخورنق وحدد موقعه بالقول: والخورنق مكانه لا يزال ظاهراً على الحافة الصحراوية التي تحيط ببحر النجف من جهة الجنوب الشرقي شمال غرب أبي صخير بمسافة أثني عشر كيلومتراً، ولم يبق من بنائه شيء، فيه ركام من الآجر والحجر[3].

وهذا التحديد الموقعي المعاصر يتطابق مع تحديد المصادر القديمة. وكنتُ قد وقفتُ على أطلال الخورنق المطلّة على بحر النجف، فوجدتُ المسافة بينه وبين مركز المدينة لا يزيد على خمسة كيلومترات. ولذا أشارت المصادر إلى ذلك بالقول: إنه على متن النجف أو إنه (يشرف على النجف)[4]. ويقول المؤرخ اليعقوبي: إنه بالقرب من النجف مما يلي المشرق، بينه وبين الحيرة ثلاثة أميال[5] وذلك وفق عصر المؤرخ اليعقوبي في أواخر القرن الثالث الهجري، ولعل أطلال مدينة الحيرة كانت تمتد نحو مدينة النجف الحالية، مما جعل بعض المؤرخين والجغرافيين أن يقولوا : أن الحيرة تقع على الخورنق

---

(١) ماسنيون: الرحلة ٣٦/١.دائرة المعارف الإسلامية: ٣٥/٩

(٢) الطبري: التاريخ ٦٨/٢

(٣) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الأول ص٣٧

(٤) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام ص٢١٣

(٥) اليعقوبي: البلدان ص٦٩ .ابن رسته: الأعلاق النفسية ص٣٠٩

وهما على سيف البادية أو طرفها[١].

ويقول الجغرافي الأصطخري: إن الحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة[٢]، وإن القادسية والحيرة والخورنق على شرف البادية[٣]. وقد أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في أرجوزته إلى قصر الخورنق بقوله[٤]:

وقيل حَدُّ حيرة الخورنقِ　　　وهي تدور مثل طوق العنقِ

وكان بعض الباحثين قد حدد وقوع قصر الخورنق في الكوفة أو على فراتها، أو في الحيرة[٥]. ولعل هؤلاء قد أرادوا ظهرَي الكوفة والحيرة، وليس مركز المدينتين، ومن الغريب ما ذكره السمعاني: أن الخورنق يقع في حيرة الكوفة[٦]. ومما يؤكد وقوع قصر الخورنق في منطقة (الظهر) هو ما أشارت إليه النصوص المتقدمة، وما وقفنا عليه بأنفسنا. وتقودنا بعض النصوص إلى استنتاج هو أن قصر الخورنق كان يقترب من النجف على الطريق الرابط بينها وبين الحيرة، ويطل على منطقة بحر النجف، كما تدل الحفريات على وجود سلالم تنزل إلى البحر من أعلى حافّته، وهذا ما يدعو إلى استنتاج وجود أرصفة للتجارة[٧]. وتشير بعثة لجامعة اكسفورد إلى أنه على بُعد أربعة أميال من مرقد الإمام علي عليه السلام، باتجاه الجنوب، بقايا ما يُعرَف بتلِّ الخورنق[٨].

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص١٨.أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٩٩ ، الاصطخري: المسالك والممالك ص٥٨.

(٢) الاصطخري: كتاب الأقاليم ص٦

(٣) ن.م ص٤٦ .أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٩٩

(٤) السماوي: عنوان الشرف ص٤.

(٥) الثعالبي: ثمار القلوب ص١٣٨. الجواليقي: المعرب ص٢٣٥. القلقشندي: صبح الأعشى٤/٣٣٣

(٦) السمعاني: الأنساب٥/٢٢٦.

(٧) الجنابي: تخطيط الكوفة ص٣٣

(٨) الحديثي: نتائج تنقيبات منطقة الحيرة ص٤٧ نقلاً عن:

Rice The Oxford Excavation At Hira / ١٩٣١ / Antiquity VL:Sept.Page٢٧٨

وكانت تحيط بقصر الخورنق قرى وأنهار قد اقترنت أسماؤها بالخورنق، وهذا يجعلنا نميل إلى أن الخورنق كان يتمتع بمركز إداري كبير لدولة المناذرة، كما يقول الشاعر أعشى قيس[1]:

وتجبى إليه السيلحون ودونها   صريفون في أنهارها والخورنق

ومغزى قوله أن الأموال كانت تتدفق على دولة المناذرة من الأماكن التي أشار إليها الشاعر. ويقول سليمان بن ثمامة :

مررتُ بباب القادسيةِ غدوةً   وراحتها بالسيلحين العبائسرُ

فلمّا انتهت دون الخورنق عادها   وقصر بني النعمان حيث الأواخرُ

ويبدو أن الأموال التي كان النعمان بن المنذر يجبيها من المناطق المجاورة ترد على قصر الخورنق، ولعل بعضها كان يمثّل واردات (نهر الخورنق) والذي أشارت إليه بعض المصادر بلفظ ((قصر نهر الخورنق))[2].

أما قصر السدير، فإنه كان يقع بالقرب من قصر الخورنق[3] وكثيراً ما يقترن اسمه بالخورنق، وبخاصّة في الشعر العربي ويُنسب بناء قصر السدير إلى باني قصر الخورنق وهو النعمان بن امرئ القيس المعروف بالنعمان الأعور أو السائح[4]. ويقول الشابشتي: إن قصر السدير من القصور العظيمة العائدة إلى ملوك لخم في قديم الزمان[5]، دون أن يشير صراحة إلى اسم بانيه. ويحدد ابن الفقيه قصر السدير ما بين الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب[6].

---

(١) الأعشى: الديوان ص٢١٩ ،الجواليقي: شرح أدب الكاتب ص٣٠٨.

(٢) الفراهيدي: العين٤/٣٢١. ياقوت: معجم البلدان٥/٢٩٩.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٨٧. البغدادي: مراصد الاطلاع٢/٧٠٠.

(٤) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص٦٩. الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص٨٨- ٨٩

(٥) الشابشتي: الديارات ص٢٣٦.

(٦) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٨٧.

وهذا له دلالة على أن قصر السدير كان يواجه قصر الخورنق من جهة البادية، وبما أن الخورنق يقع على ضفاف بحر النجف، فإن السدير يقابله عبر البحر ولكن ابن الفقيه ابتعد عن التحديد عند ذِكْره (كسكر) التي هي قصبة واسط الواقعة بين الكوفة والبصرة[1]. فهو قد أصاب في قوله مابين الحيرة إلى النجف، وإلى هذا يذهب ياقوت الحموي بقوله: (وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام)[2].

وقد حدد الرحالة المنشئ البغدادي قصري الخورنق والسدير بأنهما على بُعد أربعة فراسخ من النجف[3]. وهذا التحديد غير دقيق ولعل المنشئ البغدادي كان يقصد من هذه المسافة قصر السدير، لأن الخورنق لم يبتعد عن النجف إلا بفرسخ واحد الذي هو مقداره ثلاثة أميال[4]. في حين أن المستشرق الفرنسي (ماسنيون) قد زار قصر الخورنق واطّلع على آثاره وقدّر المسافة بينه وبين النجف بميل واحد - ولعله بفرسخ واحد - ولكن ماسنيون قد وقع في وهم غريب، إذ أنه عدَّ قصر الاخيضر الواقع بين كربلاء وعين التمر، والذي زاره عام ١٩٠٨م، هو قصر السدير[5]. ولكن من المرجّح أن قصر الاخيضر يعود إلى الملك اكيدر السكوني الكندي لتقارب الاسمين[6]. ومما يضعّف من رأي ماسنيون، هو ابتعاد قصر الاخيضر عن الحيرة والنجف والخورنق، لأن النصوص تشير إلى اقتراب الخورنق من السدير واقتران اسميهما في الشعر العربي وقربهما من النجف. وما أشار إليه الشاعر من قصور ومواضع، يقترب بعضها من بعض، دليل على

---

(١) ياقوت: معجم البلدان٤/٤٦١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان٢/٣٢٨. النويري: نهاية الأرب١/٣٨٥.

(٣) المنشئ البغدادي: الرحلة ص٩٢.

(٤) فردينان توتل: المنجد ص٥٧٦.

(٥) ماسنيون: خطط الكوفة ص٧ - دائرة المعارف الإسلامية١/٥٣١، ٩/٣٥.

(٦) يوسف رزق الله: الحيرة ص٢٣.

وهم الأستاذ ماسنيون، فيقول[1]:

يا دير غيّر رسمها	مَرُّ الشمالِ مع الجنوب
بين الخورنقِ والسديرِ	فبطنِ قصرِ أبي الخصيب
فالدير فالنجف الأشمّ	جبال أرباب الصليب

وأشارت بعض المصادر إلى (نهر السدير)[2] ويُحتمل أنه سُمي بهذا الاسم لمروره بقصر السدير، شأنه في ذلك شأن (نهر الخورنق)، فيقول السيد حسين البراقي: أما آثار نهر السدير فهي ظاهرة بالقرب من خورنق النعمان المُطلّ على طف الحيرة جنوباً، ويقع في غربي الخورنق المذكور بمسافة قدْرها ثلثمائة متراً تقريباً، ومصبّه طف الحيرة[3]. ولذا أصبحت منطقة قصر السدير زراعية معشبة تُنبت القصب والحلفاء في الماء الراكد وعلى حواشي الأنهار حيث يظهر الماء في المنخفضات كما أشار الأعشى إلى ذلك بقوله[4]:

كبرديةِ الغيلِ وسطَ الغريف ... إذا خالطَ الماء منها السرور

وورد هذا البيت في بعض المصادر على النحو الآتي[5]:

كبردية الغيلِ وسطَ الغريفِ ... إذا ما أتى الماء منها السدير

وقد اختلف الباحثون في سبب بناء قصرَي الخورنق والسدير، إذْ أنه يُنسب بناء الخورنق إلى ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس المعروف بالأعور السائح أو النعمان الأكبر أو النعمان الأول (٤٠٣-٤٣١م). ونسبه آخرون إلى النعمان بن المنذر الذي عرف

---

(١) ياقوت: معجم البلدان٤/٣٥٤.

(٢) ن.م ٣/٢٠١. المشترك وضعا ص٢٤٢ .ابن منظور: لسان العرب٤/٣٥٥.

(٣) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٣٣.

(٤) الأعشى: الديوان ص٩٣.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٧/٩١.

بصاحب الخورنق[1]. وكان أصحاب الرأي الأول يقولون أن النعمان الأكبر قد بنى قصر الخورنق استجابة للملك الفارسي يزدجرد الأول (٣٩٩- ٤٢٠م) والمعروف بالأثيم، لكي يجعله منزلاً ومصحاً لإبنه بهرام جور حين وصف له الأطباء بوادي العرب وصلاحيتها للنقاهة[2] بعد أن سأل عن مكان أو منزل برّي مرئ صحيح من الأدواء والأسقام[3]، وأنه يقع ما بين البدو والحضر[4].

وقد أشار بعضهم إلى أرض العرب، وأن يُسقى ولدُه أبوال الإبل وألبانها، على أثر ذلك اختار أرض الحيرة والسكن في قصر الخورنق. وبقيَ (بهرام جور) في منطقة الحيرة حتى (برع في الأدب والفروسية)[5]. وذكر الأستاذ كريستنسن: إنه من المؤكد أن بهرام كان يعيش في قصر الخورنق بالحيرة، وهو القصر الذي يُنسَب بناؤه إلى النعمان اللخمي، ولكن تاريخه يرجع بغير شك إلى أبعد قِدَما، وأن بهرام قد رُبّيَ بإرشاد المنذر بن النعمان وخليفته[6]. وذكر المؤرخ الدينوري: أن يزدجرد الأثيم قد هلك وابنه بهرام غائب عند المنذر بالخورنق[7].

وللأستاذ الدكتور جواد علي رأيٌ له وجاهته في إرسال بهرام إلى الحيرة، فيقول: إن الخورنق كان مبنياً قبل إقامة بهرام فيه بزمن، وإن إرساله إلى الحيرة كان من باب النفي والإبعاد له على أثر خلاف وقع بينه وبين أبيه، ولم يكن يزدجرد يعطف عليه عطفه على ولديه[8]. وربما كان هذا السبب في إبعاده عن الملك. فيقول اليعقوبي إن نساء

---

(١) المسعودي: مروج الذهب٢/٩٨. الصابي: الهفوات النادرة ص٢٣٦. ابن حبيب: المحبر ص٣٥٨ المقدسي: كتاب التوابين ص٣٨. الفردوسي: الشاهنامة ٢/٧٥

(٢) الأخفش الصغير: كتاب الاختيارين ص٧١٣. السمعاني: الأنساب٥/٢٢٦

(٣) الطبري: التاريخ٢/٦٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ١/٤٠٠.

(٤) الجواليقي: المعرب ص١٧٤.

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٤. ياقوت: معجم البلدان٢/٤٠٣.

(٦) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين ص٢٦٠.

(٧) الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٨.

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٢/٦٤٦.

العرب أُرضعت بهرام جور ونشأ فيما بعد على الأخلاق الفاضلة ولما مات يزدجرد قال الفُرس: إن بهرام قد نشأ بأرض العرب ولا علم له بالملك[1] ويعود هذا الرفض لعاملين أولهما: إبعاده إلى أرض العرب للتخلص منه سواء كان صغير السن أو كبيره، وثانيهما: تأثره بالأخلاق العربية والسجايا الفاضلة مما قد يشكل تهديدا لكيان الدولة الفارسية، وخشية تحالفه مع دولة المناذرة العربية التي تربّى في ربوعها.

وكان المؤرخ الدينوري قد انفرد برأي حول تاريخ بناء قصر الخورنق جاء فيه: أن جذيمة الأبرش كان ملكاً حكيماً بالخورنق، حتى دعته نفسه أن يتزوج مارية ابنة الزباء الغسانية التي ملكت بعد عمها الضيزن الذي قتله سابور، فقتلت جذيمة ثم قتلها قصير مولاه، فجعل الملكة القاتلة بنتاً من بنات الزباء فدعاها (مارية) وبذلك أنقذ الزباء من تهمة القتل وجعلها ملكة على الجزيرة، وجعل نسبها من غسان، ثم أبى إلا أن يجعل لجذيمة قصراً منيعاً. فوقع اختياره على الخورنق، وهو قصر لائق لأن يكون قصر الملكة[2]. وقد شكك أُستاذُنا الدكتور جواد علي بهذه الحكاية التي أوردها الدينوري بقوله: إن الفارق الزمني كبير بين جذيمة الأبرش، الذي امتلك السلطة بعد مالك بن الفهم أول ملوك الحيرة، والنعمان بن امرئ القيس المعروف بصاحب الخورنق[3].

ونحن نميل إلى الرأي القائل أن ((النعمان السائح)) باني قصر الخورنق لأنتساب الشقائق إليه، فإنه كان يعتني بنوع من الزهور الطبيعية التي كانت تنبت في أرض النجف أو في ظهر الحيرة، فنسبت إليه تلك الشقائق، فقيل لها شقائق النعمان[4]. وكان النعمان السائح يؤثر الإقامة في قصر الخورنق للراحة والاستمتاع بما يوفر له من هدوء واستجمام. فإنه كان يرى البحر تجاهه والبر خلفه، والحوت والضب والظبي والطير

---

(١) اليعقوبي/ التاريخ ١٤١/١.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٧.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٣٠٢/٣.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء ١٩٢/١٠. المكي: نزهة الجليس ١٠٦/١.

والظليم والنخل والزرع[1]. وكان يأنس بحركة الصيد وأصوات الملاّحين وصيد الظباء والأرانب والثعالب، وقد سُرَّ بذلك غاية السرور وأُعجب به أعظم العجب[2]. وذكر الطبري: أن النعمان جلس يوماً من أيام الربيع في قصر الخورنق فأعجب بالخُضرة والنور والأنهار[3]، ومن الخورنق قد أشرف على النجف وما يليه من نخل وبساتين وجنان وأنهار، مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق[4]. وربط الطبري بين هذا الموقع وبين خصائصه الصحية بقوله: إنه بريئ، صحيح من الأدواء والأسقام[5]. وذكر ابن أبي الحديد: كان ملك من ملوك الحيرة إذا مَرِض حُمِل على نعش وطيْفَ به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف يُنزِّهونَه[6]. وإلى ذلك أشار إسحاق بن إبراهيم الموصلي[7]:

يا راكبَ العيسِ لا تعجَلْ بنا وقِفِ ... نُحيي داراً لِسُعدى ثم ننصرفِ

لم تنزلْ الناسُ من سهلٍ ولا جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أعذى من النجفِ

حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ من جوانبها ... فالبرُّ في طرَفٍ والبحرُ في طرَفِ

وما يزالُ نسيمٌ من يمانيةٍ ... تأتيكَ منها بريّا روضِهِ الأنِفِ

كأنَّ تُربَتَهُ مِسكٌ يفوحُ بهِ ... أو عنبرٌ دافَهُ العطّارُ في صدَفِ

وإلى خصائص منطقة النجف الطبيعية والصحية، أشار الشريف الرضيّ بقوله[8]:

---

(١) ابن الفقيه: مختصر البلدان ص١٧٧. الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص٨٩.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب ص١٣٨. الصابي: الهفوات النادرة ص٢٣٦.

(٣) الطبري: التاريخ٢/٦٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ١/٤٠١.

(٤) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص٨٨- ٨٩.

(٥) الطبري: التاريخ٢/٦٦. السمعاني: الأنساب٥/٢٢٦.

(٦) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة٢٠/١٦٦.

(٧) الزبيدي: تاج العروس٦/٢٦٦.

(٨) الشريف الرضي: الديوان١/٤٤٢.

سقى الله البطاحَ وما تصدّى لنا بينَ الخُورنقِ والسديرِ
وآراماً برامةِ كلُّ غيثٍ تملّسَ من سحائبه، مطيرِ
ففيها هزّني أرَجُ الخزامى وأعداني على نارِ الهجيرِ

ومن المحتمل أن النعمان السائح قد اختار منطقة ظهر الحيرة لبناء قصر الخورنق عليها لهذه الخصائص والسمات، فقد كان بحر النجف في جانب وخدّ العذراء في جانب آخر، وعلى إثر ذلك جاءت اهتماماته بالزهور والشقائق ليضفي على المنطقة جمالية أكبر ويؤهلها للسكن والإدارة بما كانت تتمتع بصحة هواء[1]. وقد استوحى الشاعر النجفي المعاصر الشيخ محمد السماوي هذه الخصائص، فيقول[2]:

هذا وكانت منبتَ الشقيقِ فاختصّها النعمانُ للتأنيقِ
فهوَ من الخورنقِ الشهيرِ نزهتُهُ إلى بنا السديرِ
وكانتْ المعبدَ للرهبانِ فكم لهم بها من المباني

وبقيت منطقة الخورنق والنجف تتمتع بخصائصها الطبيعية والصحية عبر عصورها التاريخية، فذكرَ الجاحظ: أن رجلاً هرب من الطاعون إلى النجف في أيام شريح القاضي، فكتب إليه شريح قائلاً: أما بعد، فإن الفرار لن يبعد أجلاً، ولا يُكثر رزقاً، وأن المقام لن يقرب أجلاً، ولن يقلل رزقاً، وأن النجف من قدرة لقريب[3]. وفي نص يقول أن شريحاً نفسَه قد هرب إلى النجف فِراراً من الطاعون[4]، وذلك للوصول إلى البادية، أو البقاء في الرياض المحيطة بالخورنق والتي وصفها السيد علي بن محمد

---

(١) النويري: نهاية الأرب١/٣٨٦.

(٢) السماوي: عنوان الشرف ص٤.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين٢/٢٠٣. الحصري: زهر الآداب٢/٩٩٥. ابن عبد ربه: العقد الفريد٣/١٩٣.

(٤) ابن الجوزي: الأذكياء ص٦٥.

العلوي بقوله[1]:

فيا أسفي على النجفِ المُعرّى ... وأوديـةٍ منـوّرةِ الأقاحـي

وما بسَطَ الخورنقُ من رياضٍ ... مُفجّـرةٍ بأفنيـةٍ فسـاحِ

وواأسفا على القنّاصِ تغدو ... خرائطها على مجرى الوشاحِ

وقد عقّب الشيخ علي الشرقي على هذه الأبيات بالقول: (النجف هي خورنق اليوم، وقريب من خورنق الأمس، وإن النجف المعرّى الذي تكتنفه أودية منوّرة الأقاح، كانت مُتنزَّهَ الساسانيين والمناذرة والعباسيين)[2]. وقد اجتمعت فيه نقاوة هواء الصحراء، وخصب العراق، وتجارة البحر[3]. ولكن هذه الخصائص كلها قد أعرض عنها (النعمان السائح)، وأدار وجهه عن تلك الطبيعة الخلاّبة والموقع الأخّاذ، ولم يطل مكوثه في قصر الخورنق طويلاً، فقد غلبت عليه فجأة مسحة تعبّدية زهدية جعلته يفكر باليوم الآخر وبالأعمال التي يجب أن تدوم وتبقى. وبعد أن استغرق في تأمل عميق، قال لوزيره ذات يوم: هل رأيت مثل هذا المنظر قط؟ قال: لو كان يدوم! قال: فما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة. قال: فبِمَ يُنالُ ذلك؟ قال: بتركِكَ الدنيا. فاستجاب النعمان لرأي وزيره وترك المملكة وأُبهة الحكم من تلك الليلة ولبس المسوح وهام على وجهه، هارباً من الناس، ولم يعلم به أحد[4].

وذكر المؤرخ اليعقوبي سبب تنسّك النعمان بقوله: بينما كان النعمان جالساً في قصر الخورنق إلى ما بين يديه من الفرات، وما عليه من النخل والأجنة والأشجار، إذْ ذكَر الموت. فقال: وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا؟! فتنسّكَ واعتزل

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٢٧١. العمري: غاية المرام ص٧٠.

(٢) الشرقي: الأحلام ص٣٩.

(٣) العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/ ٧١.

(٤) الطبري: التاريخ ٢/ ٦٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/ ٤٠١.

المُلك[1]. وعند الصباح جاء الناس كعادتهم، وهم لا يعلمون بما جرى للملك فلم يؤذن لهم عليه كما كان يُفعَل. لما أبطأ الأذن لهم عليه، سألوا عنه فلم يجدوه[2]. وقد أرّخَ الشاعر الحيري عدي بن زيد هذه الحادثة في قصيدة خاطب بها النعمان بن المنذر، وقد أشار فيها إلى النعمان السائح، باني قصر الخورنق، بقوله[3]:

أينَ كسرى كسرى الملوك أنوشر ... وانُ، أم أينَ قبلَه سابورُ

وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـ ... روم، لم يبقَ منهُمُ مذكورُ

وأخو الحضْرِ إذْ بناهُ، وإذْ دجـ ... لـةُ تُجبى إليهِ والخابورُ

شادهُ مرمراً وخلّلَهُ كِلـ ... ساً فللطيرُ في ذراهُ وُكورُ

لم يهبهُ ريبُ المنونِ فبانَ الـ ... ملكُ عنهُ فبابُهُ مهجورُ

وتبيّن ربُّ الخورنقِ، إذْ أشـ ... رفَ يوماً وللهدى تفكيرُ

سرّهُ حالُهُ وكثرة ما يمـ ... لِكُ والبحرُ مُعْرِضاً والسديرُ

فارعوى قلبُهُ وقالَ فما غِبـ ... طَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ؟!

ونجد في أبيات عدي بن زيد العبادي، التي أنشدها أمام النعمان بن المنذر، صفة العِظة والتذكير والترغيب في اعتناق الديانة النصرانية ونبذ عبادة الأوثان كما نتلمّس فيها زهد الرهبان وطرائق التصوف عن طريق التذكير بالآخرة والتزهيد بالدنيا ووعظ بالمصير المحزن الذي يلحق بالمغرورين العتاة، كالمصير الذي لحق الملوك[4].

---

(١) اليعقوبي: التاريخ ١٨١/٢.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٢٠٣/٣.

(٣) عدي بن زيد: الديوان ص٨٨، ابن قتيبة: المعارف ص٦٤٧، الطبري: التاريخ ٩٨/٢، أبو العلاء المعري: رسالة الغفران ص٥٤٧، المقدسي: كتاب التوابين ص٣٩، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض... ص٨٩، الصنعاني: نسمة السحر ٢/ورقة ٢١١

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٢٠٤/٣.

ويبقى قصر الخورنق يقترن باسم النعمان حتى قيل: (خورنق النعمان) وأن النعمان (صاحب الخورنق)[1]. وقد أشار إليه أبو العلاء المعري قائلاً: ((ومَلَك بعد امرئ القيس ابنُه النعمان الأكبر، بنى الخورنق، وفي الدهر عبر، ونظر يوماً وقد فكر إلى الخورنق، وملك اشتكر))[2].

وقد ارتبط قصر الخورنق بحكاية المهندس ((سنمار)) والمثل الذي ألحق بجزائه، وتدور الحكاية حول هندسة القصر الفريدة التي أجادها سنمار إبداعاً في البناء والهندسة، فقد كانت الأنوار تتلألأ به في الليل والنهار مع الألوان المختلفة، ففي الصباح يبدو أزرق اللون، وفي الظهر أبيض، وفي العصر أصفر. ومما زاد من إعجاب النعمان ما ذكره سنمار: إنه بإمكاني تحريك القصر مع سير الشمس، ويتجه إليها على اختلاف مسيرها[3].

وتذكر بعض النصوص: أن سنمار، بعد إكماله بناء الخورنق، قال: لو علمت أنكم توفونني أجري لعملته يدور مع الشمس. فقال له النعمان: إنك لتقدر على ما هو أفضل منه! ثم أمر به فأُلقي من أعلى رأس الخورنق إلى الأرض فهلك. فضربت العرب بجزائه المثل[4]. وتُرجع بعض المصادر هلاك سنمار إلى قوله: ((إنْ أخذت هذا الحجر من هذا الموضع من البناء تداعى كله))[5]. ولّما سمع النعمان هذا الكلام، أقدم على قتل سنمار خوفاً من أن يتسرب هذا السر إلى غيرهما. وتكتفي المصادر بسرد هذه الحكاية دون تعقيب أو تحليل أو نقد. ونحن نرى ما هي إلا ضرباً من الأساطير حيث يتعذّر تصوّر إرتكاز قصر واسع وفخم كقصر الخورنق على آجرة واحدة، أو أنه يدور

---

(١) الطبري: التاريخ٢/٦٥.

(٢) أبو العلاء المعري: الوسائل ص١٨١.

(٣) السمعاني: الأنساب٥/٢٢٦. البكري: معجم ما استعجم٢/٥١٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ١/٤٠٠. العمري: مسالك الأبصار١/٢٣٠

(٤) الطبري: التاريخ٢/٦٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ١/٤٠٠.

(٥) السمعاني: الأنساب٥/٢٢٧. ابن الفقيه: مختصر البلدان ص١٧٦- ١٧٧. البغدادي: مراصد الأطلاع١/٤٨٩.

مع الشمس. ولكن الجاحظ وهو العقلاني الوحيد ممن ذكر حكاية سنمار، يرى أن النعمان قد خاف أن يبني سنمار مثل قصر الخورنق لرجل آخر من الملوك، وهذا السر الذي أدى إلى قتله[1].

وقد تردد ابن خلدون في بيان رأيه القاطع في حكاية سنمار بقوله: (من أجل محاورة وقعت اختلف الناس في نقلها والله أعلم بصحتها)[2]. ولعل حكاية بناء الخورنق ومأساة سنمار لا تخلو من حقيقة، وقد كشف عن بعضها الجاحظ في كتاب (الحيوان)، وإنْ أحاطت بها الأساطير. ولعل اعتزال النعمان السائح عن الملك كان نتيجة إحساسه بالذنب الذي اقترفه بحق سنمار مهندس القصر. وما محاولته في الانصراف عن الدنيا ومباهجها إلاّ ضرْب من التكفير عن بشاعة الجريمة التي أصبحت مثلاً للجزاء غير العادل. وإلى ذلك أشار الثعالبي بالقول: ((يُضرَب به المثل للمُحسِن يُكافأُ بالإساءة))[3]، حتى لقد أورد الكثير من الشعراء العرب هذا المثل في أشعارهم، فيقول الشاعر العربي[4]:

جزانـي جـزاه الله شـرَّ جزائـه ... جـزاء سـنمّارٍ ومـا كـانَ ذا ذنْـبِ

سوى رصِّهُ البنيان، عشرينَ حجة ... يُعلّي عليهِ بالقراميدِ و السكبِ

فلمّـا رأى البنيـانَ تـمَّ سـموقُه ... وآضَ كمثْلِ الطودِ ذي الشامخِ الصعبِ

وظـنَّ سنمّـارٌ متـى تـمَّ، ... أنـهُ يفـوز لديـه بـالمودّةِ والقـربِ

فقالوا اقذفوا بالعلجِ من فوق برجه ... فهذا لعمر الله من أعجبِ الخطبِ

---

(١) الجاحظ: الحيوان١/٢٤.

(٢) ابن خلدون: التاريخ٢/٢٦٣

(٣) الثعالبي: ثمار القلوب ص١٣٨.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية١/٩١. الجاحظ: الحيوان١/٢٤. الزمخشري: المستقصى٢/٥٢ الأخفش الأصغر: كتاب الاختيارين ص٧١٣.

وقال آخر[1] :

جزتنا بنو سعدٍ بحسنِ فعالها　　　جزاءَ سنمارٍ وملْ كان ذا ذنبِ

وقال سليط بن سعد[2] :

جزى بنوهُ أبا الغيلانِ عن كبرٍ　　　وحسنِ فعلٍ كما يُجزى سنمارُ

وقال البرنق بن عياض :

جزتني بنو لحيان حقنَ دمائهم　　　جزاءَ سنمارٍ بما كان يفعلُ

وقال أبو الطمحان القيني :

جزاء سنمارٍ جزاها، وربها　　　وباللات والعزى جزاء المكفرِ

وقال يزيد بن إياس النهشلي :

جزى الله كمّالاً بأسوءِ فعلهِ　　　جزاءَ سنمارٍ جزاءاً مؤخرا

وقد أشارت الأبيات التي قيلت في جزاء سنمار إلى أن عشرين سنة قضاها سنمار في بناء قصر الخورنق، وفي بعض الروايات أكثر من ذلك، ولّما أكمل البناء وأصبح كالطود الشامخ، جعل مصيره كله مناطاً بآجرة واحدة فيه احتفظ سنمار بسرّها المنحوس لنفسه إلى الأبد. وظن أنه سينال الجزاء الحسن إزاء عمله هذا، فإذا بالنعمان يأمر بقذفه من أعلى القصر، وتكون حياته قرباناً له وأصبح المثل العربي (جزاه جزاء سنمار) مثل الجزاء السيء الذي تلوكه الألسن ويستشهد به حتى اليوم. وتلتقي أبيات الشعراء في الأسطورة مع نصوص الأدباء والمؤرخين والجغرافيين وغيرهم، ولكن هذا الإجماع على هذه الحكاية التي قطع الأستاذ (كريستنسن) بأسطوريتها وخرافتها[3] في الوقت الذي لا تخلو من واقع وحقيقة، فقصر الخورنق يُعد مفخرة حضارية يعكس

---

(١) الميداني : مجمع الأمثال١/ ١٩٥. الواحدي : الوسيط في الأمثال ص٩٢.

(٢) الطبري : التاريخ٢/ ٦٦ . الجواليقي : المعرب ص٢٤٣ . الحميري : الروض المعطار ص٢٢٦ الآلوسي : بلوغ الإرب١/ ٢١٤.

(٣) كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ص٤٤٤ . سعاد ماهر : مشهد الإمام علي ص٩٣.

جانباً مهماً من واقع الحضارة العربية الشامخ في عصر ما قبل الإسلام، وإن كانت بعض النصوص لا تخلو من المبالغات أو تقترب من اللاعقلانية. وقد تغنّى الشعراء على مر العصور بما فيه من جمال وإبداع وتنوّع في فنون الزخرفة المعمارية، ولأنه جمع على صعيد واحد بين العظَمَة وبهاء الزخرفة وجمال الموقع[١].

وقد عدّه الأستاذ (دي شير) مع قصر السدير (من غرائب الدهر)[٢]. ووصفه القزويني بالقصر العجيب الذي ما كان لأحد من الملوك مثله[٣]، وعدّه المستشرق (ماسنيون) مع قصر السدير من عجائب الدنيا الثلاثين[٤]. وقال عنه الشابشتي: إنه من القصور العظيمة[٥]. وقد أشار إلى ذلك شريح القاضي أثناء محاورته الضحاك بن قيس بقوله: يا أبا أمية، أرأيت بناء أحسن من هذا؟ قال: نعم، السماء وما بناها[٦].

هذه عظَمَة قصر الخورنق وأبعاده الحضارية، أما قصر السدير فليس ثمّة إشارات صريحة إلى بانيه، ولم تدر حوله حكايات معينة، ولكن بحكم اقترانه بقصر الخورنق جعلنا نميل إلى رأي الخوارزمي وهو: أن النعمان باني القصرين[٧].

وإلى ذلك أشار الدكتور جواد علي بقوله: (واقترن اسم هذا القصر - ويعني الخورنق - في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً إلى هذا النعمان، هو السدير)[٨]. ولكن مما ورد في وصف القصرين، نرى أن قصر السدير لم يكن في ضخامة قصر الخورنق، لأن الخورنق كان قصراً كبيراً قد أُعِدَ للسكن وحصناً يهيمن على مشارف

---

(١) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة ص٢١٨.

(٢) دي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ص٨٦.

(٣) القزويني: آثار البلاد ص٣٦٠.

(٤) ماسنيون: دائرة المعارف الإسلامية٩/٣٥.

(٥) الشابشتي: الديارات ص٢٣٦.

(٦) ابن الفقيه: مختصر البلدان ص١٧٨. ياقوت: معجم البلدان٢/٤٩٣.

(٧) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص٩٦.

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٣/٢٠١.

البادية[1]. وقد ألمح الشاعر الأحوص إلى إتخاذ قصر السدير للسكن أيضاً، بقوله[2]:

قومٌ يحلّون بالسديرِ وبالعبـ ـرةِ منهم مرأى ومستمع

وكانت الخرنق بنت بدر بن هفان (ت ٥٧٠م) قد رثت زوجها بشر بن عمرو، فأشارت إلى قصر السدير بقولها[3]:

يا رب غيث قد قرى عازب أجش أحوى في جمادي مطير
سار به أجرد، ذو ميعة عبلا سواء غير كاب عثور
فألبس الوحش بحافاته والتقط البيض بجنب السدير

وأصبح لقصري الخورنق والسدير عند العرب خارج العراق سمعة حضارية ومقاماً معمارياً كبيراً جعل الأمم والشعوب تسمي مدناً وقصوراً باسم (الخورنق والسدير). فذكر شمس الدين محمد المعروف بابن المنقار (ت١٠٠٥هـ) عظمتهما بقوله (وما كل قصرٍ خورنق وسدير)[4]. ومعنى ذلك أن القصور المسماة بالخورنق والسدير الواقعة خارج منطقة النجف، لم تصل إلى مستوى القصرين من حيث العمارة والبناء. وقد أُطلق على إحدى القرى القريبة من مدينة بلخ اسم (قرية الخورنق) وقد سمع بها أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني (ت٥٦٢) الحديث النبوي الشريف[5]. وفي مصر والجزيرة العربية واليمن مدن وقرى قد سميت باسم (السدير)[6]. وقد أورد

---

(١) ن.م ٣/٢٠٢.

(٢) الأحوص: شعر الأحوص ص٨، ص١٤٤.

(٣) شيخو: شعراء النصرانية قبل الإسلام ق٣/٣٢٦.

(٤) مدرسي: ريحانة الأدب١/١٢٨.

(٥) السمعاني: التحبير٢/٢٢٢، الأنساب٥/٥٢٥. البغدادي: مراصد الاطلاع١/٤٨٩. منيرة ناجي: تاج الإسلام السمعاني ص١٦٥.

(٦) ياقوت: المشترك وضعا ص٢٤٢. البغدادي: مراصد الاطلاع٢/٧١٠. محمد شفيق غربال: الموسوعة الميسرة ص٩٨٥

المؤرخ الأندلسي ((المقري)) وجود قصرين في الأندلس يحملان اسمي الخورنق والسدير، وقد تغنّى بهما الشعراء[1] فقال ابن حمديس في وصف دار بناها المنصور بن علناس في مدينة بجاية[2]:

واشتقَّ من معنى الحياة نسيمه	فيكاد يُحدثُ للعِظامِ نشورا
نسي الصبيحَ من المليحِ بذكره	وسما ففاقَ خورنقاً وسديرا

وأشار في مدحه للمنصور إلى قصري الخورنق والسدير بقوله:

أعليتَ بينَ النجمِ والدبرانِ	قصراً بناهُ من السعادةِ بانِ
فضحَ الخورنقَ والسديرَ بحسنه	وسما بقمّتهِ على الإيوانِ

وذكر الوهراني في وصف قصر حومة باب النصر: إنه يصلح لسكن إمام العصر ما بين روضةٍ وغدير وخورنقٍ وسدير[3]. وقد أنشد الوزير أبو بكر بن الصائغ في الأمير أبي بكر بن إبراهيم قصيدةً، منها[4]:

تراءى بالسدير فزاد قلبي	من البرحاء ما شاء السديرُ
فلولا أن يوم الحشر يقضي	على حكمٍ، إذا استولى، يجورُ

وذكر علي بن ظافر قصري الخورنق والسدير بالقول[5]:

خفضَ الخورنقُ والسديرُ سموّه	وثنى قصور الروم ذات قصور

وذكرَ أحد شعراء مدينة طليطلة[1]:

---

(١) المقري: نفح الطيب١/٦٤٧، ٦٢٥، ٤٩٣، ١٥٣، ١٠. ٣/٢٥٨. ٤/٤٨٣. ٥/٣٧٤.

(٢) ن.م ١/٤٩٣ .ابن حمديس: الديوان ص٤٩٤ ، ص٥٤٦.

(٣) الوهراني: المقامات ص١٨٣.

(٤) الفتح بن خاقان: قلائد القيان ص٣٤٨.

(٥) المقري: نفح الطيب٣/٢٥٨.

فليس مثالها إيوانُ كسرى ولا منها الخورنقُ والسديرُ

وقال ابن خميس[٢]:

وإلاّ فقي ربَّ الخورنقِ غنيةً فما يومُه سرٌ، ولا ميته رضخُ
تطلّعَ يوماً والسدير أمامَهُ وقد نالَ منهُ العُجْبُ ماشاءَ والجفخُ

وكان الشعراء الأندلسيون إذا ذكروا قصري الخورنق والسدير، فهم تارة يقصدون بهما مرّةً الحيريين ومرة الأندلسيين. وقال الحجازي: (وسل الخورنق والسدير وغمدان)[٣]. ووصف أحدهم مدينة سرقسطة بأنها ((مثل الخورنق والسدير))[٤]. ووصف المقري، مؤرخ الأندلس، مجلساً في قصر البستان بباب العطّارين بأنه (أربى على الخورنق والسدير)[٥]. وذكر الفتح بن خاقان عهد المعتمد بن عباد بالقول: (وأربى على الخورنق والسدير، وأبدى صفحة البدر من إزرار المدير)[٦] ولما ذكر قصور الأندلس قال: (أين الخورنق والسدير، ومن شفى بهما أوامه)[٧]. وورد ذكر الخورنق والسدير في الشعر التونسي، على لسان أحد شعراء آل بيرم[٨]:

كذاكَ عراقٌ عرّقت منهُ غرّةٌ وأمسى سديرٌ مبكتاً وخورنقُ

وورد ذكر الخورنق والسدير مع قصور اليمن المشهورة وبعض الخطط والمواقع بقول سلامة بن جندل[٩]:

---

(١) ن.م ٤/٤٨٣

(٢) ن.م ٥/٣٧٤.

(٣) ن.م ١/١٥٣.

(٤) ن.م ١/٦٤٧.

(٥) المقري: نفح الطيب١/٦٢٥.

(٦) الفتح بن خاقان: قلائد القيان ص١٢.

(٧) المقري: نفح الطيب١/١٠.

(٨) رابع المحمدين من آل بيرم: الجواهر السنية ص١٧.

(٩) الأصمعي: الأصمعيات ص٣٣. البكري: معجم ما استعجم٢/٥٥٧.

ألا هل أتتْ أنباؤنا أهلَ مأربٍ كما قد أتتْ أهلَ الدُنا والخورنقِ
بأنّا منعنا بالفروقِ نساءَنا ونحنُ قتلنا، مَنْ أتانا، بملزقِ

وقد أشار الشاعر في هذين البيتين إلى (مأرب) في اليمن وإلى (دنا) في مدينة حلب وربطهما بقصر الخورنق، كما ربط الشاعر الشماخ بن ضرار الذبياني قصر السدير ببعض مدن اليمن، بالقول[1]:

رأيتُ وقد أتى نجران دوني وليلى دون أرحلها السدير
لليلى بالغميمِ ضوءُ نارٍ يلوحُ كأنهُ الشُعرى العبورُ

وحاول بعض الشعراء ايجاد الصلة بين الخورنق والسدير، وبعض المواقع والحصون والقصور. فقد ذكر الشاعر ذو الرمّة كلاً من: حزوى، وخفّان، والخورنق، بقوله[2]:

ألمت وجزوى عجمة الرمل دونها وخفّان دونَ سيله فالخورنَق

وتذكّر الشاعر عدي بن زيد العبادي حبيبته في (ذي خشب) عندما اقترب من الخورنق، فأنشد قائلاً[3]:

خفَّ القطين وأخلفوا أربي واعتادني من ذِكرهم وَصَبي
واحتلَّ أهلي بالخورنقِ والـ حيرةِ واحتلّوا بذي خشبِ

(١) الشماخ: الديوان ص١٥١.

(٢) البكري: معجم ما استعجم٢/٤٤٣.

(٣) عدي بن زيد العبادي: الديوان ص٨٠.

وقد ارتبط تاريخ الخورنق والسدير ببعض أحداث الحيرة وسكانها. فقد أشار الشاعر الأسود بن يعفر النهشلي إلى الحالة المؤلمة لآل محرق، وما نزل بهم من اضطهاد، كما توجّع لقبيلة أياد. ومن بالذكر أن آل محرق هم آل نصر أو آل لخم ملوك الحيرة من المناذرة[1]. وقال الحميري: إنّ بالحيرة منازل بني بقيلة وغيرهم، وبها منازل ملوك بني نصر ولخم، وهم آل النعمان بن المنذر[2]. وورد في قول الأسود بن يعفر: (ماذا أُرجّي بعد آل محرق!)[3]. وذكر اليعقوبي: إنّ منازل أياد كانت في الخورنق والسدير وبارق وقد أجلاهم كسرى عن ديارهم فأنزلهم تكريت، ثم أخرجهم منها إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقرة[4]. ولكن بعض المؤرخين والجغرافيين حدد (أنقرة) في أسفل قصر الخورنق[5]، وليس المقصود بها أنقرة الروم، وكانت قبيلة أياد قد نزلت ناحية (سنداد) ثم انتشرت بين سنداد وكاظمة وإلى بارق والخورنق وما يليهما[6]. إنّ هذه يكشف عن وجود تجمعات سكنية في منطقة النجف تنتشر بين القصور، ومما يؤيد ذلك هو تشوّق الشاعر عدي بن زيد إلى (خبز الرقاق) الذي كان يُصنع في هذه المنطقة، عندما كان في الشام، كما تشوّق إلى القصور والحصون فأنشد قائلاً[7]:

ليتَ شِعري متى تَخُبُّ بيَ النا ... قةُ بينَ السديرِ والصنّينِ

مُحقِباً ركوةً، وخبزَ رقاقٍ ... وبقولاً، وقِطعةً من نونِ

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٣/١٥٩.

(٢) الحميري: الروض المعطار ص٢٠٧.

(٣) اسامة بن منقذ: المنازل والديار ص٦.

(٤) اليعقوبي: التاريخ٣/١٩٦.

(٥) البكري/ معجم ما استعجم١/ ٢٠٤.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٤/ ٤٧١.

(٧) الأصفهاني: الأغاني ٢/ ١٢٣.

والصنّين الواردة هنا بمعيّة السدير، هو بلد بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر وبه نهر ومزارع[1]. وقد ألمح الشاعر ابن عنين الدمشقي إلى الخيرات التي تتمتع بها أرض الخورنق، بقوله[2]:

غزا لكَ بالوعّاءِ من أرضٍ وجْرَةٍ ... يصيف ويشتو من وراء الخورنقِ
تناءَتْ به عن قانص الأنس دارُهُ ... فكيفَ يُرجّيهِ مقيمٌ بجُلّقِ

ومن تردد الشعراء الجاهليين على بلاط المناذرة، تبرز ملامح أخرى من حياة الرخاء الاقتصادي في هذه المنطقة، إضافة إلى ما قيل من شعر يُعدُّ حصيلةً فكرية كبيرة. ففي أبيات الشاعر عمرو بن كلثوم (ت٦٠٠م) الذي ذكر فيها (سلمى) أُم الملك الحيري النعمان بن المنذر، إشارة إلى وجود صناعة النسيج في الخورنق. فقد قال[3]:

حلَتْ سليمى بخبتٍ أو بفرتاجِ ... وقد تُجاوِرُ أحياناً بني تاجِ
إذْ لا تُرجّي سليمى أن يكون لها ... مَنْ بالخورنقِ من قينٍ ونُسّاجِ
ولا يكون على أبوابها حرسٌ ... كما تُكفكِفُ قبطيّاً، بديباجِ
تمشي بِعِدْلينِ من لؤمٍ ومَنقَصةٍ ... مشيَ المُقيّدِ في الينبوتِ والحاجِ

وقد اطّلع عمرو بن كلثوم على حياة الترف في قصر الخورنق وما كان يضم من نسّاج وقيان وصاغة، فيقول الدكتور صالح العلي: (رقيت الصناعة في الحيرة رقياً كبيراً، فازدهرت فيها صناعة الأنسجة)[4]. ومن المحتمل أن صناعة النسيج في قصر الخورنق التي أشار إليها عمرو بن كلثوم كانت خاصّة بالأسرة المالكة، وقد عاش عدد

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٣١/٣.

(٢) ابن عنين: الديوان ص١٣٩.

(٣) عمرو بن كلثوم: الديوان ص٥٩٥. ينظر لويس شيخو: شعراء النصرانية قبل الإسلام ق٢٠٣/٢.

(٤) العلي: محاضرات في تاريخ العرب ٧٥/١.

من الشعراء في أجواء قصور المناذرة حياةً مُترفةً ناعمة. فذكر الشاعر عروة بن الورد (قصر السدير) وأشار إلى (سلمى) أم النعمان بقوله[1]:

أرقتُ وصحبتي بمضيقِ عمقٍ	لبرقٍ من تُهامةَ، مستطيرِ
سقى سلمى، وأينَ ديارُ سلمى	إذا كانت مُجاورةَ السديرِ
إذا حلّتْ بأرضِ بني عليٍّ	وأهلي بينَ زامرةٍ و كيرِ

وانغمس بعض الشعراء باللهو والمجون في قصور المناذرة، فقد وصف الشاعر المنخل اليشكري (ت٥٩٧هـ) جانباً من هذه الحالة، بقوله[2]:

ولقد شَربتُ من المُدا	مةِ بالصغيرِ وبالكبيرِ
فإذا سكرتُ، فإنني	ربُّ الخورنقِ و السديرِ
وإذا صحوتُ، فإنني	ربُّ الشويهةِ والبعيرِ

وعلى غرار هذه الأبيات، أنشد الشاعر العباسي أبو عبد الله أحمد المعروف بابن أبي فنن، فيقول[3]:

فكأنني في نعمتي	ربُّ الخورنقِ والسديرِ
لولا تردد حاشرٍ	كالكلبِ في يومٍ مطيرِ

وأورد المؤرخ الشابشتي أبيات ابن أبي فنن بالصورة التالية[1]:

---

(١) عروة بن الورد: الديوان ص٥٦. ينظر اسامة بن منقذ: المنازل والديار ص٩٥.

(٢) الأصفهاني: الأغاني١١/٣١٨. (طبعة دار الكتب العلمية) الجاحظ: البيان والتبيين٣/٣٤٦، الأصمعي: الأصمعيات ص٦١. الزبيدي: تاج العروس١/٣٣٢. ابن قتيبة: الشعر والشعراء١/٤٠٥، السمعاني: الأنساب٥/٥٢٥

(٣) ابن المعتز: طبقات الشعراء ص٣٩٧. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد٤/٢٠٢.

قلــتُ العفــا لمّــا رويــتُ		علــى الخورنــقِ والــسديرِ
لـــولا تـــردد حاشـــرٍ		كالكلـــبِ في يـــومٍ مطـــيرِ
غـــادٍ علـــيّ ورائـــحٍ		يـــصل الـــرواحَ إلى البكـــورِ
فـــإذا بـــدا لـــيَ وجهُـــهُ		أخرجـــتُ صـــفراً في ســـروري
فهـــل الأمـــيرُ بجـــودِهِ،		عـــن قُبْحِ طلعَتِهِ، مُجيري؟

وقد أجمعت المصادر على أن المنخل اليشكري من شعراء العرب قبل الإسلام وقد مات على الجاهلية. ولكن الآلوسي في حديثه عن أبيات المنخل المتقدمة قال: إنه عاش في الإسلام، وإن عمر بن الخطّاب (رض) قد عزله بسبب هذه الأبيات[٢]. ولكن الآلوسي ناقض نفسه بعد ذلك وقال: ((والمنخل هذا من شعراء الجاهلية)). ولعله أراد أن يقول: إنه من المخضرمين حيث عاش الجاهلية وأدرك الإسلام، ثم أورد أخباره مع المناذرة. وقد أوضح الجواليقي سبب إنشاد المنخل اليشكري هذه الأبيات بأنه، عد أن أشرف بعض آل المنذر على قصر الخورنق، نظر إلى ما حوله وإلى ما يجيء إليه وتذكّر الآخرة وزهد في الدنيا ورفض ما كان فيها[٣]. وكان المنخل ينادم النعمان بن المنذر مع الشاعر النابغة الذبياني، وقد أكرمهما النعمان وقرّبهما إليه، وربما أساء المنخل هذا التكريم واتُهِمَ بعلاقة عاطفية مع المتجودة، زوجة النعمان بن المنذر، فقُتِلَ على أثرها. ومما يؤكد هذه العلاقة، ما ذكره المنخل نفسُه في المتجردة بقوله[٤]:

ولقـــد دخلـــتُ علـــى الفتـــاة		الخـــدرِ في اليـــومِ المطيـــرِ
الكاعِـــبِ الحـــسناءِ، ترفـــلُ		في الـــدمقسِ وفي الحريـــرِ

---

(١) الشابشتي: الديارات ص١٢٥.

(٢) الآلوسي: بلوغ الأرب١/٢١٥.

(٣) الجواليقي: المعرب ص١٧٥.

(٤) الأصمعي: الأصمعيات ص٦٠. ينظر الربيعي: ملكة وشاعران ص١٣.

ودفعتُهـــا ، فتدافعـــتْ ... مـشيَ القطـاةِ إلى الغـديرِ
ولثمتُهـــا ، فتنفّـــستْ ... كتـنفّسِ الظـبيِ البهيـــرِ
فـدنتْ وقالـتْ : يـا مُنَخّـلُ ... مـا بجـسمِكَ مـن حـرورِ
مـا شـفَّ جـسميَ غـيرُ حُبِّـ ... ـكِ فاهـدئي عـني وسـيري
وأُحبُّهـــا وتُحِبُنـــي ... ويُحِـبُ ناقَتَهـا بعـيري
يـا هنـدُ مَـنْ لمُتيّـمٍ ... يـا هنـدُ للعـاني الأسـيرِ

وكان الشاعر أبو الشيص هو الآخر قد عاش حياة اللهو والأنس والطرب في منطقتَي الخورنق والسدير، فيقول[1]:

يـسقيكَ ريـقَ سـبيئةٍ حيريـةٍ ... مما استقاهُ لفصحِهِ القسّيسُ
بـينَ الخورنـقِ والـسديرِ محلـةٌ ... لِلّهـوِ فيهـا منـزلٌ مطمـوسُ

وورد البيتان بصورةٍ أخرى وعلى النحو التالي :

وسبيئةٌ من كرمِهـا حيريَةٌ عذراءُ من لمسِ الرجالِ شَموسُ وسبيئةٌ من كرمِهـا حيريَةٌ
لم يفتـقْ النعمـانُ غُـدرتَها ولم ... يرشـفْ مجاجَـةَ كأسِـها قابـوسُ

وكان بعض الشعراء قد قصدوا الحيرة وعاشوا في قصورها طلباً للمال والعيش الرغيد. فمدحوا الملوك ووصفوا القصور، وأطلقوا لفظ (رب الخورنق ورب السدير) على ملوك المناذرة، ومنهم الشاعر حسّان بن ثابت الأنصاري الذي يقول[2]:

وحارثة الغطريف، أو كابنِ منذرٍ ... ومثل أبي قابوسِ ربِّ الخورنق

(١) أبو الشيص: أشعار أبي الشيص الخزاعي ص٦٥ .ينظر ابن المعتز: طبقات الشعراء ص٨٦.

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري: الديوان ص١٦٦ . ينظر ابن كثير: البداية والنهاية٦/٣٤٧.

وقد ذهب شُرّاحُ هذا البيت إلى أن المراد بابن المنذر هو ملك الحيرة عمرو بن هند، وأن المراد بأبي قابوس هو النعمان بن المنذر بن امرئ القيس الذي لبس المسوح وساح في الأرض، وقد نعتَهُ الشاعر عدي بن زيد العبادي بربِّ الخورنق، وهو تفسير يتفق مع رأي الكثير من المؤرخين بأنه هو الباني لقصر الخورنق. أما إطلاق حسان بن ثابت على أبي قابوس لفظ(رب الخورنق) هو من باب المديح له تعظيماً لمكانته أو تشبيهه بالنعمان بن المنذر الأول المعروف بالسائح. وقد أراد حسان بن ثابت من لفظ(رب الخورنق) هو مالكه والنازل فيه لا الباني له، وقد ذكَرَهُ لشهرة القصر في أيامه، فلا يقع التعارض بين التفسيرين[1]. وارتبطت قصور الحيرة، وفي مقدمتها قصرا الخورنق والسدير، بالحياة السياسية لدولة المناذرة وبالعلاقات القائمة بينها وبين الدولة الساسانية الفارسية، والقبائل العربية المعاصرة لها. ويبقى هذان القصران يسايران التاريخ العربي الإسلامي طوال العصور المتعاقبة. فقد أشار أعشى قيس إلى عظمة الملك النعمان بن المنذر، والأموال التي كانت تُجبى إليه من المناطق الواقعة تحت سيطرته وكيفية إقدام كسرى أبرويز على قتله، فيقول[2]:

ولا الملك النعمان يومَ لقيته ... بأمته يعطي القطوط ويأفق

وتُجبى إليه السيلحون، ودونها ... صريفون في أنهارها والخورنق

ويقسمُ أمرَ الناسِ، يوماً وليلةً ... وهم ساكتونَ والمنيّةُ تنطق

ويأمرُ لليحموم كلَّ عشيّةٍ ... بِقَتٍّ وتعليقٍ فقد كان يسبق

يعالي عليه الجلّ كلَّ عشيةٍ ... ويرفع نقلاً بالضحى ويعرّق

فذاك وما أنجى من الموت ربهُ ... بساباط حتى مات وهو محزرق

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٣/٢٠٣.

(٢) الأعشى الكبير: الديوان ص٢١٩، ينظر: الجواليقي: المعرب ص١٣٥، ياقوت: معجم البلدان: ٣/١٦٦، الزبيدي: تاج العروس ١/٣٣٢.

ولما ولي عمرو بن هند المملكة بعد أبيه النعمان بن المنذر، أصبحتْ لها مقام سياسي رفيع حتى أنه عُـدَّ من أبرز ملوك لخم في الحيرة، وامتدّ سلطانه إلى البحرين وجبلي طي. ويبدو أنه استفاد من ضعف دولة الغساسنة في الشام وأخذت قوافله تجوب أرض الحجاز[1]. ويبدو أن العلاقة بين المناذرة والدولة الساسانية أخذت في التدهور في عهد النعمان بن المنذر. وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذا التدهور السياسي، بيد أن أقرب الآراء إلى الصحة هو خوف الساسانيين وملكهم كسرى أبرويز من تعاظم سلطان المناذرة وازدياد نفوذ النعمان بن المنذر. فيقول المؤرخ الدينوري ((أن الملك النعمان وأهل بيته واطأوا العرب وأعلموهم توكفهم خروج الملك عنا إليهم))[2]، مما جعل كسرى يستدعي النعمان إلى بلاطه، وقد أغاظه مما سمعه من النعمان من قول، وفخره واعتزازه بالعرب وتفضيلهم على الأمم والشعوب وحتى الفرس منهم، وقد ردّ عليه كسرى: أن ليس للعرب من خصال الخير في أمر دينٍ ولا دنيا ولا حزمٍ ولا قوّةٍ. فاستشاط النعمان من هذا الكلام واشتد غضبه وأجاب كسرى من دون خوف أو تردد، موضّحاً مآثر العرب وعزّتهم، ومبيّناً أنسابهم وأحسابهم ووفائهم. ولمّا عاد النعمان إلى الحيرة، كانت في نفسه غيرة العربي الأصيل وفي قلبه شمم وكبرياء قومه بعد أن أخذت كلمات كسرى تحزُّ في نفسه، مما جعله يفكر بالطريقة التي يثأر بها من كسرى.

فجمع وجوه العرب وكبار الشخصيات القبلية من أمثال: أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التيميين، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين، وخالد بن جعفر، وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين، وعمرو بن الشريد السلمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظالم المري. وقد أعدَّ قصر الخورنق مكاناً للاجتماع[3]. وعند حضور الجميع في الخورنق، تقدم النعمان إليهم وخاطبهم بالقول:

---

(١) العلي: محاضرات في تاريخ العرب، ١/٦٨.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٠٥.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد٢/٩، الآلوسي: بلوغ الأرب١/١٥٠.

(قد عرفتم هذه الأعاجم، وقرب جوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوّفتُ أن يكون لها غور، ويكون الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله. فاقتصّ عليهم بمقالات كسرى وما ردَّ عليه)[1]. وفي قصر الخورنق تمَّ الاتفاق بين النعمان بن المنذر وبين زعماء القبائل العربية على مقابلة كسرى ومخاطبته بلسان عربي رصين، لكي يُغيّروا نظرته الحاقدة تجاه العرب (وليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدّثته نفسه).

وتبرز في (مؤتمر قصر الخورنق) ثقة القبائل العربية بالنعمان بن المنذر، ومدى ارتباطها به في سبيل جمع الكلمة ورصّ الصفوف، من أجل إيقاف الخطر الفارسي أو مقاومته. ولكن الملك الفارسي كسرى أبرويز كان يمتلك من القوّة والنفوذ ما يفوق القوة العربية، وقد مكّنته قوّته تلك من اعتقال النعمان وإيداعه السجن، وتعيين إياس بن قبيصة الطائي ملكاً على الحيرة. وكان ابن قبيصة شخصية ضعيفة مهزوزة، وقد ساندته قوة فارسية في سبيل تثبيت حكمه. وأشار المؤرخ المسعودي إلى مقتل النعمان بن المنذر، فأورد روايتين إحداهما أنه ألقي تحت أرجل الفيَلة، وثانيهما أنه مات في السجن النعروف بسجن (ساباط)[2]. وقد أنشد الأعشى قائلاً[3]:

فذاك وما أنجى من الموت ربه	بساباط حتى مات وهو محزرق

ويبدو أن إياس بن قبيصة لم يشغل المكان الذي كان النعمان يشغله في مملكة الحيرة، ولم يطق الناسُ وجودَه، مما اضطر الفُرس إلى إسناده بحامية عسكرية قوية ولكنه، على الرغم من ذلك، لم يستطع جلب القلوب إليه، فظلّ الناس كارهين للفرس[4]. وعند ذلك أخذ العداء يتصاعد بين العرب والفرس فأدّى أخيراً إلى نشوب

---

(١) الآلوسي: بلوغ الأرب ١/١٥١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب٢/١٠١، ١٠٢.

(٣) الأعشى: الديوان ص٣٣.

(٤) العلي: محاضرات في تاريخ العرب١/٦٨.

موقعة (ذي قار) ويعود سببها إلى إيداع سلاح وأهل بيت النعمان بن المنذر عند هانئ بن هانئ بن مسعود الشيباني، وحينما أراد كسرى استرجاع الودائع رفض هانئ الشيباني مما أدّى إلى إعلان الحرب بين الطرفين، وكان النصر حليف الشيبانيين. وإلى موقعة (ذي قار)، أشار الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله بقوله: (هذا يوم انتصف العرب فيه من العجم وبي نُصِروا)[1]. ولم يجد كسرى أبرويز، بعد هزيمته في ذي قار، إلاّ أن يدخل قصر الخورنق ويأمر بنزع كتفَي إياس بن قبيصة الطائي[2].

أما العلاقات السياسية بين دولة المناذرة في الحيرة وبين القبائل العربية المعاصرة لها، فكانت تتأرجح بين السلب والإيجاب. فقد أشارت بعض النصوص إلى أن قيس بن سلمة حفيد الحارث بن آكل المرار الكندي، قد أغار على مدينة الحيرة انتقاماً من المنذر لما أنزل بالكنديين من خسائر جسيمة. وقد استطاع قيس بن سلمة أن يهزم المنذر ويُدخله (قصر الخورنق) مع ولديه قابوس وعمرو، ولكن المنذر، بعد مرور عام على هزيمته، أراد أن ينتقم لنفسه. فشنَّ غارة على كندة وكانت موفّقة وناجحة، إذْ كلّفت الكنديين اثني عشر أميراً من بني حجر بن عمرو، وقعوا أسرى في موضع (ذات الشقوق) فأمر بضرب أعناقهم في منطقة (الجفر). وقد عرفت تلك المنطقة فيما بعد باسم (جفر الأملاك) والذي يقع فيه (دير بني مرينا). وفيه أنشد امرؤ القيس قصيدة في رثائهم، منها[3]:

ألا يا عينُ، بكّي لي شنينا	وبكّي لي الملوكَ الذاهبينا
ملوكاً من بني حجر بن عمرو	يساقون العشية يقتلونا
فلو في يومِ معركةٍ أُصيبوا	ولكن في ديارِ بني مرينا
فلم تُغسَل جماجمهم	ولكن بالدماءِ مُرمّلينا

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٧٦/٢٤ (الطبعة المحققة). الطبري: التاريخ ١٩٣/٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٩٣/٢.

(٢) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب ص٣٤. ماسنيون: دائرة المعارف الإسلامية ٣٥/٩.

(٣) السندوبي: شرح ديوان امرئ القيس ص١٩٠. ياقوت: معجم البلدان ٦٤٨/٢.

بسدرٍ تظلُّ الطيرُ عاكفةً عليهم   وتنتـزعُ الحواجـبَ و العيونـا

وقد أفلت الشاعر امرؤ القيس من هذه الكارثة التي حلّتْ بقومه وهرب على فرسٍ شقراء، فطلبه القوم ولم يلحقوا به.

وعرفت مملكة الحيرة عمرو بن هند بن المنذر(٥٥٤- ٥٦٩م) بجبروته وسطوته وجَورِه، وأشار إليه الذهّاب العجلي بقوله[١]:

أبى القلبُ أن يهوى السديرَ و أهلَهُ   وإنْ قيلَ: عيشٌ بالسديرِ غريرُ
فما أنذروا الحيَّ الذي نزلوا بهِ   وإني لِمَنْ لم يأتهِ، لنذيرُ
بهِ البَقُّ والحُمّى وأُسْدٌ خفيّةٌ   وعمرو بنُ هندٍ يعتدي و يجورُ

ونسبت بعض المصادر هذه الأبيات لسويد بن منجوف العبدي[٢]. وأشار الشاعر عمرو بن أمامة إلى عمرو بن هند بقوله[٣]:

ألإبنِ أمكَ ما بدا   ولكَ الخورنقُ والسدير
فلأمنعَنَّ منابتَ الـ   ـضمران إذْ منعَ القصور

وقد أبعد عمرو بن هند الشاعر المتلمس بن جرير عندما عيَّره بأُمّه في قصيدة أشار فيها إلى الخورنق والسدير وبعض المواضع القريبة منهما[٤].

وبقيت مملكة الحيرة إلى عهد قريب من ظهور الإسلام، وقد شهد قصرا الخورنق والسدير أحداث المملكة وصراعاتها مع الفرس والقبائل المجاورة لها. وأثناء الصراع بين النعمان بن المنذر والفُرس، وقع بعضُ الحيريين أسرى بيد الفرس، فلما سألوهم عن

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء١/ ٣٢٧. القرطبي: بهجة المجالس ق٢/ ١٠٣. نلكسن: تاريخ العرب الأدبي ص٨٩.
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء١/ ٣٨٧. القرطبي: بهجة المجالس ق٢/ ١٠٣.
(٣) الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ص١١٨. الضبي: أمثال العرب ص١٥١.
(٤) الأزدي: جمهرة اللغة١/ ٣٢٢. الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ص١٢٣.

أمرهم أخبروهم عن مقتل النعمان والسيطرة على الخورنق والسدير والاستحواذ على ما فيهما[1]. ولكن منطقة الحيرة بما فيها من قصور ومواضع قد خضعت للإسلام فيما بعد. ففي عام ١٢هـ، نزل خالد بن الوليد بقصر الخورنق ومنه كان يبعث السرايا لحصار مدينة الحيرة[2]. ولما تمكن منها، أنشده عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة يذكّره بأمجاد المناذرة وملوك الحيرة، بقوله[3]:

أَبَعدَ المنذرين أرى سواماً ... تروّحُ بالخورنقِ و السديرِ
تحاماهُ فوارسُ كلِّ حيٍّ ... خافةَ أغضَفٍ، عالي الزئيرِ
وبعدَ فوارسِ النعمانِ أرعى ... لوصاً بينَ مُرَّةَ والحفيرِ
فصرنا بعدَ هَلْكِ أبي قبيسٍ ... جُرْبِ المَعْزِ في اليوم المطيرِ
تقسّمنا القبائلُ من مَعَدٍّ ... لانيةُ كأيسارِ الجَزورِ
وكُنّا لا يُرامُ لنا حريمٌ ... نحنُ كضرَّةِالضَرْعِ الفَخورِ
نؤدّي الخَرْجَ بعدَ خراجِ كسرى ... خرجٍ في قريظةَ والنضيرِ
كذاكَ الدهرُ دولتُهُ بحالٍ ... فيومٌ من مساءةٍ أو سرورِ

وقد أشارت هذه الأبيات إلى أسف الشاعر على انتزاع السلطة من اليمانيين وهم قومه وأهله إلى غيرهم من القبائل، ولعله كان يقصد بذلك العدنانيين، كما يبدي امتعاضه من إعطاء الخراج إلى هؤلاء، بعد أن كانوا يأخذونه من القبائل لقاء حمايتهم للقوافل التجارية. فهو بذلك قد صور حالة الحيرة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعد حركات الفتوح الإسلامية، وما وقع على الحيرة من تسلّط قبائل (معد) عليها. وقد ظهر في هذه الأبيات لفظ (قريظة والنضير) حيث أراد الشاعر أن يقول: إن حكم الحيرة

---

(١) الواقدي: فتوح الشام٢/١٨٨.

(٢) الطبري: التاريخ٣/٣٦٢. الشريف المرتضى: الأمالي١/٢٦٢.

(٣) ن.م. ياقوت: معجم البلدان٢/٤٠٢، ٤٩٢. السجستاني: المعمرون والوصايا ص٢٧.

قد بلغ هاتين القبيلتين اليهوديتين[1]. وحدد المؤرخ الطبري حركات خالد بن الوليد العسكرية في أرض النجف وهو في طريقه إلى الحيرة بقوله: (لما أصاب خالدٌ ابن الازاذبة على فم فرات بادقلي، قصد للحيرة واستلحق أصحابه، وسار حتى ينزل الخورنق والنجف، فقد دخل خالد الخورنق وقد قطع الازاذبة الفرات هاربا من غير قتال. وإنما حداه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير، ومصاب ابنه، وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض، ولما تتامَّ أصحابُهُ إليه بالخورنق، خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الازاذبة بين الغريين والقصر الأبيض)[2].

وأشارت بعض النصوص إلى أن خالد بن الوليد نزل بجيشه بين الخورنق والنجف وسيطر على الروابي المطلّة على بحر النجف. وأشارت نصوص أخرى إلى أن خالداً نزل الخورنق والسدير وبعث سراياه لحصار حصون الحيرة. أما القائد الفارسي (رستم) فقد عسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف، بحيال الخورنق إلى الغريين[3]. وقد حدد الأستاذ أحمد عادل كمال الموقع بدقة، فقال: إنه عسكر بين الفرات وبين النجف، فيما بين النجف إلى الخورنق إلى الغريين[4]. وذكر المؤرخ اليعقوبي: (أن خالداً نزل قصر الخورنق وسار حتى صيّر الحيرة خلفَ ظهره)[5]. وبعد أن أتمت الجيوش الإسلامية تحرير الحيرة ومنطقتها ومواقع الظهر كله، التقى خالد بن الوليد (الحرقة) ابنة النعمان بن المنذر. فقال لها: إخبريني بشيءٍ أدركتِ. قالت: ما طلعت الشمس بين الخورنق والسدير إلاّ على ماهو تحت حكمِنا، فما أمسى المساء حتى صرنا خَوَلاً لغيرنا، ثم أنشدت قائلة[6]:

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٦٨٣/٩.

(٢) الطبري: التاريخ ٣٥٩/٣- ٣٦٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٥٩/٣.

(٤) أحمد عادل كمال: القادسية ص٨٦.

(٥) اليعقوبي: التاريخ ١٢٠/١.

(٦) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣٦٥/٨، ١٧٠/١١.

وبينا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سوقةٌ نتنصَّفُ
فتبّاً لِدُنيا لا يدومُ نعيمها تُقلّبُ شاراتٍ لنا، وتُصرّفُ

وكانت بعض المصادر قد ذكرت أن سعد بن أبي وقاص هو الذي التقى (الحرقة) ابنة النعمان أثناء زحفه نحو الحيرة وجرى معها الحوار المتقدم[1].

ويبدو أن هذا الرأي ضعيف لأن سعداً قد حاصر قصرَي الخورنق والسدير، وترك جميع ما أخذه بالحيرة ومن ثم تحرك نحو القادسية[2]. ولكن من المرجح أن خالد بن الوليد هو صاحب الحوار مع (الحرقة) ابنة النعمان وذلك بتواتر الروايات عند نزوله بقصر الخورنق، ومنه أمر قادته بمحاصرة قصور الحيرة، فقد حاصر ضرار بن الأزور (القصر الأبيض) وكان فيه إياس بن قبيصة الطائي، وحاصر ضرار بن الخطاب (قصر الفرس) وفيه عدي بن عدي، وحاصر ضرار بن مقرن المازني (قصر بني مازن)، وحاصر المثنى بن حارثة الشيباني (قصر بني بقيلة)، وكان فيه عمرو بن عبد المسيح[3].

وذكر الدكتور جواد علي: أن خالد بن الوليد قد حاصر (قصر العدسيين) الذي كان فيه عدي بن عدي المقتول، ولم يصمد هؤلاء أمام المسلمين، وقد تهاوت قصورهم، وطلبوا الصلح[4]. ولما غادر خالد بن الوليد العراق بناء على الأوامر الصادرة من الخلافة، استرجع الفُرس المناطق التي حررها المسلمون في الفترة ١٢-١٣هـ، فكتب المثنى بن حارثة الشيباني إلى الخليفة عمربن الخطاب (رض) يخبره بخطورة الموقف، وكان المثنى قد توجه نحو الحيرة وقد سلك وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة بن عبد الله الضبي على النجف[5]. وتقرر تحرير مدينة الحيرة

(١) الديلمي: إرشاد القلوب ١/٢٧.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٤/٢٢٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٤/ورقة ٣٧ب.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٢/٦٤٩.

(٥) الطبري: التاريخ ٣/٤٦١.

للمرة الثانية وأُعطيت القيادة إلى سعد بن أبي وقاص عام ١٤هـ، ولما أحسَّ الفُرس بالخطر الزاحف من الجزيرة العربية، اتخذ القائد الفارسي (رستم) منطقة (الخورنق والغريين) معسكراً للجيش[١]. ويبدو أن المثنى بن حارثة الشيباني، قبيل وصول سعد إلى العراق، قد غادر منطقة النجف ذات الموقع الاستراتيجي الحسّاس والتي عرف خطورتها خالد بن الوليد عندما أقدم على احتلالها قبيل زحفه على الحيرة.

وقد دخل (قصر الخورنق) في نطاق خطط موقعة القادسية التي قادها سعد بن أبي وقاص في رسالة بعثها إلى عمر بن الخطاب جاء فيها: (إن القادسية فيما الخندق والعتيق، وانما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما إحداهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يسمى (الخصوص) يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة)[٢]. ومن الملاحظ أن (قصر السدير) قد ورد في أشعار حنظلة بن بؤية التي أنشدها في موقعة اليرموك، منها[٣]:

فــي كـلِّ يـومٍ خيلُنـا تغيـرُ   هيهـات يـأبى ذلـكَ الأمـيرُ
نحـنُ لنـا البلقـاءُ والسـديرُ   والمِلـكُ المُتَـوَّجُ المحبـور

وقد استمرت قصور الحيرة وخططها الواقعة في منطقة النجف تساير الأحداث في التاريخ الإسلامي بدءاً من العصر الراشدي وحتى العصر العباسي، ففي عهد الإمام علي عليه السلام، كان الوليد بن عقبة بن أبي معيط يُحرّض أخاه عمارة بن الوليد للثأر من قتلة عثمان. فقال[٤]:

يبيتُ وأوتارُ ابنِ عفان عنده   مخيّمةٌ بينَ الخورنقِ والقصرِ

---

(١) ن.م ٣/٥٠٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٩٢.

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٩٧.

(٤) الطبري: التاريخ ٤/٤٢٦. الثقفي: الغارات ٢/٤٢٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/١٨٩.

ولما اتخذ الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية عام ٣٦هـ، دخل (قصر الخورنق) وهو يرتعد من البرد تحت سمل قطيفة. فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لكَ ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسِكَ ما تصنع؟! فقال: (واللهِ ما أرزأكم في مالكم شيئاً، وإنها لَقطيفتي التي خرجتُ بها من منزلي، أو من المدينة)[1]. وذكر السيد ابن الطاووس: أن الإمام علياً عليه السلام اشترى ما بين الخورنق إلى الحيرة، إلى الكوفة من الدهاقين بأربعة ألف درهم وأشهَدَ على شرائه[2]. ومن المحتمل أن الإمام عليه السلام أراد نقل ملكية منطقة النجف من عناصر غير إسلامية وجعْلَها ملكاً للدولة والخلافة الشرعية.

وذكر المحدّث ابن شهر آشوب عن الأصبغ بن نباته رحمه الله قولَه (أمَرَنا أمير المؤمنين بالمسير من الكوفة إلى المدائن. فسرنا يوم الأحد، وتخلّفَ عنا عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي، مع خمسة نفر خرجوا إلى مكانٍ في الحيرة يقال له (الخورنق والسدير) وقالوا: إذا كان يوم الجمعة لحقنا عليّاً)[3]. وفي نَصٍ آخر أن الإمام علياً عليه السلام قال لهم: وكأني بكم بالخورنقِ قد بسطتم سُفَرَكم للطعام إذْ يمرُّ بكم ضب فتأمرون صبيانكم فيصيدونه، فتخلعوني وتبايعونه[4].

وكان الإمام علي عليه السلام إذا أراد الخَلْوة بنفسه بعيداً عن الناس، يتوجه إلى منطقة النجف التي هي (ظهر الكوفة) أو يقصد قصر الخورنق على وجه التحديد. ويرافقه في جولاته هذه نخبة من خواص أنصاره وأعوانه وهم يستمعون لأقواله ونصائحه. ولكن بعد استشهاده عليه السلام، لقيَ أصحابُه على يد معاوية بن أبي سفيان القتل والتعذيب والتشريد، وكان حجر بن عدي وأصحابه في مقدمة مَنْ نفذ

---

(١) أبو عبيد: الأموال ص٣٨٣. أبو نعيم: حلية الأولياء١/٨٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٤٠٠. سبط بن الجوزي: تذكرة الخواص ص١٢١.

(٢) ابن طاووس: فرحة الغري ص٢٠. العلاّمة الحلي: الدلائل البرهانية من (كتاب الغارات) للثقفي ٢/٨٤٥.

(٣) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٢/٩٧.

(٤) الكاظمي: تكملة الرجال ٢/٢١٩.

بهم معاوية حكم الإعدام، بعد أن سيّرهم من الكوفة إلى الشام سنة ٥٣هـ. وفي ذلك أنشدت هند بنت زيد الأنصارية أبياتاً، أشارت فيها إلى قصرَي الخورنق والسدير، منها[1]:

تَرَفَّعْ أيها القمرُ المُنيرُ	لَعلَّك أن ترى حجراً يسيرُ
يسيرُ إلى معاويةَ بنَ حربٍ	ليقتلهُ كذا زعَمَ الأميرُ
ويصلبهُ، على بابَيْ دمشقٍ	وتأكلُ، من محاسنِه، النسورُ
تجَبَّرَت الجبائرُ بعدَ حجرٍ	وطابَ لها الخورنقُ والسديرُ
وأصبحت البلادُ له محولاً	كأنْ لم يُحيها مُزنٌ مطيرُ
ألا ياحجرُ حجرَ بني عديٍّ	تلقّتكَ السلامةُ والسرورُ
أخافُ عليكَ ما أردى عدياً	وشيخاً في دمشقَ، له زئيرُ
فإنْ تهلكْ فكلُّ زعيمِ قومٍ	من الدنيا إلى هلكٍ يصيرُ

ويبدو أن بعض الولاة الأمويين في الكوفة قد أولى قصر الخورنق عناية وأهتماماً، ومن المحتمل أنهم كانوا يتخذونه مكاناً للراحة والاستجمام. فقد قام الضحاك بن قيس ببناء مواضع في قصر الخورنق ثم قام بتبييضه[2]. ومما يؤيد إتخاذ الأمويين قصرَ الخورنق مكاناً للراحة، هو أن عبد الملك بن مروان أقام وليمة كبيرة عام ٧١هـ، كان قد أعدَّها عمرو بن حريث في قصر الخورنق ابتهاجاً بمقتل مصعب بن الزبير. وحينما حضر عبد الملك الوليمة، قال: ما ألذ عيشنا لو دام! ولكنّا كما قال الأُوَل[3]:

وكُلُّ جديدٍ، ما أُقيمَ، إلى بِلىً　　وكُلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كان

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٦/٢٢٠. الطبري: التاريخ ٣/١٢. المسعودي: مروج الذهب ٣/١٢. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني١٧/١٣٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٤٨٧.

(٢) ابن الفقيه: مختصر البلدان ص١٧٨. ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٩٣.

(٣) الطبري: التاريخ٦/١٦٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ٣/٣٣٢.

وبعد تناول الطعام، طاف عبد الملك بالقصر وقال لعمرو بن حريث: لِمَنْ هذا البيت ومَنْ بناه؟ وقد أجاب ابن حريث على أسئلة عبد الملك وكل ما يتعلّق بتاريخ قصر الخورنق[1].

وذكر خالد بن صفوان بن الأهتم: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك مع وفد من أهل العراق، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن ملكاً من الملوك خرج في عامٍ مثل عامِك هذا إلى الخورنق والسدير في عامٍ قد بكر وسميّه وتتابع وليّه وأخذت الأرض ألوان زينتها في ربيع مونق، فهي في أحسن منظر وأجمل مختبر بصعيدٍ كأنَّ ترابه قطع الكافور، وكان قد أُعطيَ فتاء السن مع الكبرة والعظمة والقهر، فنظر فأبعد النظر[2]. وفي عام ١٠٥هـ، اجتمع الخوارج في قصر الخورنق وأمّروا عليهم مصعب بن محمد الوالبي. ولما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة، استعمل على الكوفة خالد القسري وطلب منه قتال الخوارج وقائدهم مصعب الوالبي[3]. وفي عام١٢١هـ، تقدّم أحدُهم إلى هشام بن عبد الملك في موعظة فذكّره بقصرَي الخورنق والسدير[4].

وقد أعطتنا هذه النصوص بُعدين أساسيين هما: أن الخورنق بقي تاريخه في التداول وأخباره على الألسن حتى العصر الأموي، وأصبح مقصداً لرجال الحكم والإدارة ومقرّاً للثوّار والتجمّع، واستمر ذلك حتى العصر العباسي. فقد قصد الخورنق والسدير الخلفاء والأمراء والقادة وأنشد فيه الشعراء قصائدهم. وكان كلٌّ من السفّاح والمنصور والرشيد قد قصد الخورنق واستمتع بطبيعة أجوائه. قال المسعودي: إن هؤلاء قصدوا الحيرة لطيب هوائها وصفاء جوّها وصحة تربتها وقرب الخورنق والنجف منها[5]. وقال البلاذري: لمّا تأسست الدولة العباسية أُقطِعَ قصرُ الخورنق لإبراهيم بن

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٥/٣٥٢.

(٢) الحميري: الروض المعطار ص٢٢٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ٥/١١٩.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم٧/ورقة١٩٤أ- ١٩٥أ.

(٥) المسعودي: مروج الذهب٢/١٠٤.

سلمة، أحد الدُعاة العباسيين في خراسان، وذلك في عهد أبي العباس السفاح[1]. وقد أُحدِثتْ في القصر قبّة لم تكن من قبل[2].

واتخذه الخلفاء موضعاً ينزلون فيه أثناء خروجهم للصيد[3]. وفي ذات يوم من أيام الربيع خرج أبو العباس السفاح ومعه جماعة إلى قصر الخورنق وتناولوا الطعام فيه[4].

ويبدو أن أبا جعفر المنصور قد اختار (رصافة الكوفة) عاصمة لملكه لأنها على مقربة من قصر الخورنق الذي ورد ذِكره مع (رصافة الكوفة) في شِعر الحسين بن السري الكوفي، بقوله[5]:

ولقد نظرتُ إلى الرُصا ... فةِ فالثنية فالخورنقْ
جرَّ البلى أذيالَهُ ... فيها فأدْرَسَها وأخْلَقْ

ودخل هارون الرشيد (قصر السدير) عند مُنصَرَفه من الحج، فطاف في فنائه ونظر إلى بنائه حتى وقعت عيناه على كتابةٍ في أعلاه، فأمر أحد الحاضرين أن يصعد إلى موضع الكتابة ليقرأها، فإذا هذه الأبيات[6]:

إلى بني المنذرِ عامَ انقضَوا ... بحيثُ سادَ البيعةَ الراهِبُ
أضحوا ولا يرجوهمُ راغبٌ ... يوماً، ولم يرهبْهمُ راهبُ
وأصبحوا أكلاً لدودِ الثرى ... وانقطع المطلوبُ والطالبُ

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٦.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها١/١٤.

(٣) لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٠٢.

(٤) الصابي: الهفوات النادرة ص٩٧.

(٥) ياقوت: معجم البلدان٣/٤٩.

(٦) الشابشتي: الديارات ص٢٣٨.

وبقيت الأيام تتداول عهد المناذرة وقصور الحيرة على ألسِنَةِ الشعراء في العصر العباسي، فقد كان بعضهم يقضي وطَراً في هذه القصور وما تحيط بها من طبيعة خلاّبة ومناظر جميلة. فأشار الشاعر محمد بن كناسة (ت٢٠٥هـ) إلى منطقة النجف وقصورها ومنازل النعمان فيها، بقوله[١]:

الآن حينَ تَزَيَّنَ الظَهْرُ ... ميثاؤهُ وبراقُهُ العفرُ

وبدا الخورنقُ في مطالعها ... فَرداً يلوحُ كأنه الفجرُ

كانتْ منازلُ للملوكِ، ولم ... يعلمْ بها لِمُمَلّكٍ قبرُ

ومدح أبو العتاهية (ت٢١٠هـ) الخليفة الهادي بقوله[٢]:

لَهفي على الزمنِ القصيرِ ... بين الخورنقِ والسديرِ

إذْ نحنُ في غُرَفِ الجِنا ... نِ، نعومُ في بحرِ السرورِ

وتشوّقَ أبو نؤاس (ت ١٩٩هـ) إلى ندمائه في قصر السدير وتذكّرَ أيامه السالفة في تلك الربوع، فقال[٣]:

عادَ لي بالسديرِ شاردُ قصفِ ... وسرورٍ مع الندامى وعزفِ

وعيونُ الظباءِ ترنو إلينا ... مُنْعِماتٌ بكلِّ بِرٍّ ولطفِ

فطَردنا الصدودَ، أقبحَ طردٍ ... وعطفنا الوصالَ أحسن عطفِ

ورخيمُ الدلالِ كاد منَ الرقّـ ... ـةِ، يدمي أديمَهُ وقْعُ طرفِ

حلَّ منهُ الصليبُ في موضع الجيـ ... ـدِ، فقد خصَّه على كلِّ إلفِ

فأدَرنا رحى السرورِ ثلاثاً ... ووصلنا الخُصورَ، كفّاً بكَفٍّ

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٣/٢٤٢- ٢٤٤، ينظر مهذب الأغاني ٩/٣.

(٢) أبو العتاهية: الديوان ص١٠٢- ص١٠٣، ينظر ابن طيفور: تاريخ بغداد ص١٦٥.

(٣) أبو نؤاس: الديوان ص٣٦٤. الشابشتي: الديارات ص٢٣٧.

وورد ذِكرُ الخورنقِ والسدير في مدائح ابن الرومي (ت٢٨٤هـ)، منها[1]:

جمع الشباب ولهونا   فيهِ الخورنق والسدير

وكذلك في قوله:

مُحجَبَةٌ تحتَلُّ عُلْيا خورنقٍ   تُشارِفُ أنهاراً خِلالَ سديرِ

وجمع الشاعر ابن كناسة خطط الحيرة ومنطقة النجف بقوله[2]:

أيُّ صبرٍ ومنظرٍ ومَزارِ   واعتبارٍ لناظري ذي اعتبارِ

في مَحَلِّ الخيامِ في النجفِ المعـ   رضِ فوقَ الجِنانِ والأنهارِ

فالرحى فالسديرُ فالحيرةُ البيـ   ضاءُ ذاتُ الحصونِ والأحبارِ

وورد ذِكرُ الخورنق في قصيدة البلتع العنبري، المستنير بن عمرو:

أتُعيبَ مَنْ رَضِيَتْ قريشٌ مهرَهُ   وأبوكَ عبدٌ بالخورنقِ أوكَعُ

وقد تغنّى الشاعر الكوفي علي بن محمد العلوي المعروف بالحماني (ت٣٠١هـ) بالظواهر الطبيعية الخلاّبة في منطقة (الظهر) بقصيدة جميلة وصف بها القصور والأديرة والمعابد، منها[3]:

سقياً لمنزلةٍ وطيبِ   بينَ الخورنقِ والكثيبِ

بمدافعِ الجرعاتِ من   أكنافِ قصرِ أبي الخصيبِ

دارٌ تخيَّرَها الملوكُ   فهتَّكتْ رأيَ اللبيبِ

أيامَ كنتُ، منَ الغواني،   في السوادِ منَ القلوبِ

لو يستطِعْنَ خبأنني   بينَ المخانقِ والجيوبِ

---

(١) ابن الرومي: الديوان ٨٩٨/٣ ، ٩٩٧.

(٢) ابن الجراح: الورقة ص٨٧.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٠٣/٢ ، ٤٩٣.

أيامَ كنتُ، وكُنَّ لي ... مُتَحَرِّجينَ منَ الذنوبِ
غِرَّين يشتكيان ما ... يجدان بالدمع السروبِ
لم يعرِفا نَكَداً سوى ... صدّ الحبيبِ عن الحبيبِ

وقال أيضاً[1]:

كم وقفةٌ لكَ بالخور ... نقِ، ما تُوازى بالمواقفْ
بينَ الغديرِ إلى السديرِ ... إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرهبانِ في ... أطمارِ خائِفةٍ وخائف
دِمَنٌ كأنَّ رياضَها ... يكسينَ أعلامَ المطارف
وكأنما غدرانها ... فيها عشورٌ في المصاحف
وكأنما أغصانُها ... تهتزُّ بالريح العواصف
طررُ الوصائِفِ يلتقين ... بها إلى طررِ المصاحِفْ
بحريَّةٌ شتواتُها ... برّيةٌ منها، المصائف
دريّةٌ صهباءُ كما ... فوريّةٌ منها المشارف

وإن الديارات المعروفة باسم (الأساقف) التي أشار لها الشاعر الحماني تقع في منطقة النجف في عصر ما قبل الإسلام، وهي عبارة عن قِباب وقصور بحضرتها نهر يُعرَف بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخصيب وعن شماله قصر السدير[2]. وهذه

---

(1) ن.م ٢/٤٠٣، ٤٩٨. ابن الفقيه: مختصر البلدان ص١٧٩. الشابشتي: الديارات ص١٧٩.

(2) البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/٥٥١.

الديارات هي على مقربة من قصور ((الخورنق والسدير والأبيض))[1]. وإلى ذلك أشار الشاعر الحماني بالقول[2]:

ألا هــل ســبيلٌ إلــى نظـرةٍ	بكوفـان يحيـى بهـا النـاظرانْ
يقلّبُهـا الـضبُّ دونَ الـسدير	وحيــثُ أقـامَ بهـا القائمـانْ
وحيــثُ أنــافَ بأرواقِــه	محــلُّ الخورنـــقِ و الماديـانْ
وهــل أبكرتْنــا بكثبانهـــا	تلــوحُ كأوديــةِ الــشاهجانْ
وأنوارُهـــا مثــلُ بُــردِ الـنبيِّ	ضَــوَّعَ بالمِـسْكِ والزعفــرانْ

وروى محمد بن خلف المرزباني عن بعض شعراء مدينة الكوفة أن جارية محمد بن كناسة، المعروفة بدنانير، أرادت زيارة الحيرة في أيام الربيع لتشاهد في ظهرها الورود والأعشاب. فقصدت (قصر الخورنق) وجلست في بعض الأماكن المُعشبة وتمتّعت بمنظر الشقائق الملوّنة، وقد استهواها المنظر الخلاّب ودخلت في أعماقها صورة الطبيعة الضاحكة، فأنشأت تقول[3]:

وسرى الفرات على مياسرها	وجرى على أيمانهـا النهـرُ
وبــدا (الخورنــقُ) في مطالعهــا	فــرداً يلــوحُ كأنــهُ الفجــرُ
كانـت منـازلَ للملـوكِ، ولــم	يُعمَــلْ بهــا لمالــكٍ قبــرُ

وكان الشاعر بكر بن خارجة الكوفي هو الآخر ممن وقف على ربوع النجف واستنشق عبير شقائقها المحيطة بقصورها ومنازلها، فأنشد قائلاً[4]:

---

(١) حسن الحكيم: (مصطلح الغري وأطواره التاريخية) بحث في مجلة كلية الفقه ع١ ص٤٠٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٤٩٠.

(٣) الأزدي: بدائع البدائه ص٢١٨، ص٢١٩.

(٤) مصطفى جواد: (النجف والحيرة) بحث في موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف١/٣٤.

الخورنـــقُ مـــن محـــلٍّ	طريـف الروضِ معشوقٍ أنيـقِ
أقمـــتُ بـــدير حنّتـــهِ زمانـــاً	بسُكرٍ في الـصبوحِ وفي الغبـوقِ
ومِنّـــا لابِـــسٌ إكليـــلَ زهْـــرٍ	ومختـضبُ الـسوالف بالخُلـوقِ
كـــأنَّ رياضَـــهُ حُـسْناً ونـــوراً	سـحائبُ ذُهِّبَـتْ بِـسنا الـبروقِ
وأنَّ تقـــاطُرَ الأشــجارِ فيـــهِ	إذا غـسقَ الظـلامُ قطـارُ نُـوقِ
ومـاذا شِـئتَ مـن دُرَرِ الأقـاحي	هُنـاكَ وفـي يواقيـتِ الـشقيقِ

وقد ورد في هذه الأبيات ذِكْر (دير حنّـة) وهـو مـن أديرة الحيرة الواقعـة في منطقـة النجف، وكان يعود لبني ساطع من تنوخ، وتقابلـه منارة عاليـة تُسمى (القـائم) وهـي لبني آوس بن عمرو بن عـامر. وقد حـدد الـشاعر الثرواني هـذا الديـر وغيره مـن أديرة منطقة الخورنـق، بقوله[1]:

يـا دَيـرَ حنّـةَ عنـدَ القـائمِ الـساقي	إلى الخورنقِ من دَيـرِ ابـنِ بـرّاقِ
لـيسَ الـسلوّ، وإنْ أصبحـتُ ممتنعـاً	من بُغيتي فيكَ، من شكلي وأخلاقي
لعافيـكَ مـن عـافٍ معالمُـهُ سُقيـاً	قفرٌ، وباقيكَ مثلِ الوشـمِ مـن بـاقِ

وورد ذِكْر الخورنق والسدير في مدائح ومراثي الشاعر السري الرفّاء. ففـي قـصيدة له يمدح فيها الأمير أبا المرجى جابر بن ناصر الدولة يقول[2]:

قَصُرَتْ ليلةُ الخورنقِ حُسناً	والليالي الطوالُ فيها قِصارُ

وفي رثائه لبني فهد يقـول:

فاســـأل الحـيرةَ عـــن جبّـــارِها	حـينَ يومـــاهُ حيـــاةٌ وأجـــلْ
يرتـدي ظِـلَّ الـسديرينِ، فـــإنْ	شبّت الحربُ ارتـدى ظِلَّ الأسـلْ

---

(١) البكري: معجم ما استعجم٢/٥٧٨. ياقوت: معجم البلدان٢/٥٠٧.

(٢) السري الرفاء: الديوان٢/١٦٨، ٥٦٧.

والشاعر في هذين البيتين قد أشار إلى المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء وسمّاهُ (جبّار الحيرة) إليهِ يُنسَب بناء (الغريين) في أرض النجف، وهو صاحب يومَي الحياة والأجل أو (البؤس والنعيم).

وبقيَ ذِكْر الخورنق والسدير يَرِدُ على ألسِنَةِ وأقلام الكتّاب والشعراء في العصور العباسية المتأخرة، والعصور التالية. فقد ذكر الجواليقي (ت٥٤٠هـ) قصر الخورنق بأنه (قائمٌ إلى الساعة)[1] ، أي إلى عصر الجواليقي، وهو منتصف القرن السادس الهجري. وفي العهد المغولي الايلخاني، وورد ذِكر الخورنق والسدير في قصائد الشعراء الذين أشاروا إلى محاولات إيصال الماء إلى مدينة النجف الأشرف في عهد السلطان أبي قاخان بن هولاكو، فقد قال بعضهم[2] :

يا نزهةَ اليوم المطيرِ	بين الخورنقِ والسديرِ
والماءُ شُبهُ بَواطِنِ الـ	حيّاتِ مجهولُ الظهورِ
والطَلُّ في دِمَنِ الثرى	كالبكرِ في ثوبٍ حريرِ

وقد زار ابن بطّوطة قصر الخورنق، بعد زيارته لمدينة النجف عام٧٢٦هـ فقال ((خرجنا من مشهد علي عليه السلام فنزلنا قصر الخورنق، موضع سكن النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء، وبه عمارة وبقايا قباب فخمة في بناء فسيح على نهر يخرج من الفرات، ثم رحلنا عنه فنزلنا موضعاً يُعرف بقائم الواثق وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه إلا صومعته))[3] وفي عام ١٠٤٢هـ، شُقَّ نهرٌ من حوالي مدينة الحلة إلى مسجد الكوفة ومنه إلى الخورنق، وعُمِلَتْ قناة مُحكمة البناء من

---

(١) الجواليقي: المعرب ص١٧٤.

(٢) الشيرازي: وصّاف الحضرة وأحوال سلاطين المغول ص٦٠ . البراقي: تاريخ الكوفة ص١٧٨.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ص١١٣ . ينظر ماسنيون: الرحلة ١/٣٦.

الخورنق إلى بحر النجف[1]. وكانت أطلال قصر الخورنق قد احتلّت مساحة واسعة في قصائد وكتابات الشعراء والكتّاب النجفيين المعاصرين، إذ كانوا يمرّون على هذه الأطلال ويستذكرون ماضيها وملوكها. وقد أشار إلى ذلك السيد مهدي الأعرجي[2] حيث قال:

مررتُ على قصر الخورنقِ، بعدما ... تعفّتْ مغانيهِ وحالَ جديدُهُ
فخُيّلَ لي النعمانُ في صدرِ دستهِ ... ومن حولهِ غلمانُهُ و جنودُهُ
فظَلْتُ أُناجيهِ وأجهشُ بالبُكا ... وأُبدي الشجى طوراً وطوراً أُعيدُهُ
ألا أينَ ذاكَ المُلكُ والصولةُ التي ... تضعضعُ منها في العرينِ أُسودُهُ
فيا أيّها المرءُ اعتبِرْ إنَّ مَنْ عصى ... على الدهرِ راحَ الدهرُ طوعاً قودُهُ

وقال الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي[3]:

ما راعني منظرٌ مثلُ الخورنقِ مُذْ ... وقفتُ فيهِ على الأطلالِ أرثيهِ
قد أدبر الدهرُ عنهُ فانطوتْ معهُ ... أحلامُهُ وذوتْ منهُ أمانيهِ
وأقفرتْ عرصاتٌ منهُ عامِرةٌ ... كانت، بحيثُ بها تزهو مبانيهِ
فما ترى فيهِ غيرَ الطيرِ، تندبهُ ... وشاعر البؤسِ، بالبلوى، يُناجيهِ

وقال الشيخ علي البازي[4]:

وسما رِفعَةَ الخورنقِ شأواً ... مثلما قد سموتَ بانيهِ جِدّا

---

(١) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٨١. محبوبة: ماضي النجف وحاضرها١/١٩٤.

(٢) الأعرجي: الديوان/ ورقة ٩٥.

(٣) الفرطوسي: الديوان ص ٢٩٦.

(٤) مجلة الغري: العدد(١٣- ١٤) السنة العاشرة ١٩٤٩م ص٢٨٥.

ووقف على أطلال الخورنق باحثون ومنقّبون ووصفوا بقاياه[1]. وقد جاء في الدليل العراقي الصادر عام١٩٣٥- ١٩٣٦م: أن أطلال الخورنق شاخصة حتى اليوم بالقرب من الحيرة وبينها وبين النجف[2]. ويسقي منخفض النجف في الوقت الحاضر جدولان هما (السدير والبديرية) وهما يتفرعان من نهر يُدعى (جحات)، والمنحدرات من الجنوب نحو الشمال باتجاه بحر النجف حيث يرتفع بمعدل ثلاثة عشر متراً فوق مستوى سطح البحر[3]. وكان (نهر السدير) يُعرف باسم (الجدول الصافي) الذي انساب لأول مرة إلى منخفض النجف في العام١٨٢٤ م[4].

(١) السعدي: جغرافية العراق الحديثة ص١٨٣.

(٢) دليل المملكة العراقية ص ٩٧٤.

(٣) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٢٤.

(٤) عدنان أبو الريحة: الاستيطان القبلي في منطقة بحر النجف ص١٢٩.

المحور الثاني : القصور والمنازل الأخرى

تقع في منطقة النجف قصور ومنازل ومعاقل وحصون ، وقد أشارت المصادر إلى مواقعها من ظهرَي الحيرة والكوفة ، وكان لبعضها نصيب كبير من الأحداث في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية. وهذه القصور والمنازل هي :

١- قصر أبي الخصيب

ينسب هذا القصر لأبي الخصيب بن ورقاء أحد موالي أبي جعفر المنصور. ويقع في ظاهر الكوفة على مقربة من قصرَي الخورنق والسدير ، وقد أشار إليه الشاعر بالقول[١] :

يا دَيرُ غيّرَ رسمَها ... مَرُّ الشمالِ مع الجنوبِ
بينَ الخورنقِ والسديرِ ... فبطنِ قصرِ أبي الخصيبِ
فالديرِ فالنجفِ الأشمِّ ... جبالِ أربابِ الصليبِ

ويبدو من خلال هذه الأبيات أن قصر أبي الخصيب يقع في منتصف المسافة بين الخورنق والسدير ، إذ يقع قصر الخورنق في شماله وقصر السدير في جنوبه[٢].

وذكر ياقوت الحموي : أن هذا القصر يقع بين الخورنق والسدير[٣]. ومن المحتمل أن هذا القصر قد نزل فيه أبو الخصيب فنُسِبَ إليه في عهد أبي جعفر المنصور أثناء إقامته في مدينة الكوفة ، أو عند بنائه لمدينة الرصافة الواقعة في ظهر الكوفة وذلك قبيل بناء مدينة بغداد عام ١٤٥هـ ، وربما أن قصر أبي الخصيب قد تزامن ذِكْرُه في الشعر العربي مع الخورنق والسدير ، فإن بناءه يعود للعصر الجاهلي ، ومن المحتمل أن المنصور أعاد بناءه ،

---

(١) الشابشتي : الديارات ص٢٣٦. ياقوت : معجم البلدان٤/ ٣٥٤. البغدادي : مراصد الاطلاع٣/١٠٩٦.

(٢) سعاد ماهر : مشهد الإمام علي في النجف ص٩٥.

(٣) ياقوت : المشترك وضعاً ص١٩١.

وتولّى الإشراف عليه أبو الخصيب بن ورقاء مولاه. ويقع بين القصور الثلاثة (الخورنق والسدير وأبو الخصيب) دير مارت مريم ولعله هو الذي أشار إليه الشاعر في الأبيات المتقدمة بلفظ (الدير) وكان يعود إلى عصر المناذرة، ويشرف على النجف وإليه أشار الشاعر الثرواني بقوله[1]:

بمـارتَ مريـمِ الكـبرى	وظِـلُّ فنائهـا فقِـفِ
فقصرِ أبـي الخصيب المُشْ	رِفِ الموفـي علـى النجـفِ
فأكنـافِ الخورنـقِ و الـ	ـسديرِ مـلاعبُ السـلفِ
إلى النخـلِ المكمـمِ و الـ	حمائـمِ فوقـهُ، الهُتَّـفِ

وتذكر المصادر التاريخية أن لمارت مريم في منطقة النجف دَيرين متقابلين بينهما مدرجة الحاج وطريق السابلة إلى القادسية، وهما مشرفان على النجف. ومَنْ أراد الخورنق عدل عن جادَّتِهما ذات اليسار. وفيهما يقول الثرواني[2]:

دع الأيـامَ تفعـلُ مـا أرادتْ	إذا جـادت بنـدمانٍ وكـأسِ
ومارت مريمٍ والصحنُ فيهِ	يلـوحُ حديقـةً مـن وردِ آسِ
وظبيٍ من لـواحظِ مقلتيهِ	نعـاسُ مـن فتـورٍ لا نعـاسِ
ومحتضِنٍ لطنبـورٍ فـصيحٍ	يُغنّينـا بـشعرِ أبـي نـؤاسِ
ومـا اللـذاتُ إلا أن ترانـي	صـريعاً بـينَ باطيـةٍ وكـاسِ

ويبدو أن دَير مارت مريم كان يألفه فتيان الكوفة وظرفاؤها ويقضون فيه وطراً من الأُنس والطرب، وقد سكنه قِسّ يقال له (يوشع). فقال فيه بكر بن خارجة[3]:

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٩٨.

(٢) العمري: مسالك الأبصار ١/٣١٨.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٩٨.

بتنــا بمــارتَ مريـــمِ	سُقيـــاً لمــارت مريـــمِ
ولِقِـــسّنا يحيـــى المهيـــنمِ	بعـــدَ نـــومِ النُـــوّمِ
وليوشـــعٍ والخمـــرةِ الـــ	حمـــراءِ مثـــلِ العنـــدَمِ

٢- القصر الأبيض

يعود بناء القصر الأبيض إلى عصر المناذرة ملوك الحيرة[١]، وقد سميَ بهذا الإسم لأن جدرانه قد جُصِّصتْ فظهرت بيضاء[٢]. ومن المحتمل أن النعمان بن المنذر قد اتخذه مسكناً له، ولِذا قيل (أبيض النعمان)[٣]. وأشار ياقوت الحموي في معجمهِ في مادة (لحيان) أنه أبيض النعمان، واستشهد بقول الشاعر حاتم الطائي[٤]:

وما زلتُ أسعى بينَ خصٍ ودارةٍ	ولحيانَ حتى خفتُ أن أتنصّرا

ولكن هذا البيت قد ورد في ديوان حاتم الطائي على هذه الصورة[٥]:

وما زلتُ أسعى بينَ نابٍ ودارةٍ	بلحيانَ حتى خفتُ أن أتنصّرا

إذ لم أجد في المصادر الجغرافية موقعاً باسم (ناب) في حين أن (خصّاً) التي أوردها ياقوت، هي موضع ديار يربوع بن حنظلة في أرض نجد وأن (دارة) التي أوردها دون إضافة إلى قبيلة من قبائل العرب، قد زادت على العشرين دارة وبقيت مجهولة. ولعله أراد بها إحدى قبائل الحيرة بدلالة (لحيان) التي هي كناية عن اللون الأبيض ومعناها تثنية لحي العظم الذي تكون فيه الأسنان. ويبدو أن النصرانية قد انتشرت بين أرض نجد إلى الحيرة، وأن القصر الأبيض هو أحد مراكزها بدلالة ما ورد في بعض

---

(١) الشابشتي: الديارات ص٢٣٨. ياقوت: معجم البلدان ٤/ ٣٥٤.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٥/ ٢١٣.

(٣) الطبري: التاريخ ٤/ ١٤.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٥/ ١٥.

(٥) حاتم الطائي: الديوان ص٢٦٧.

النصوص: أن عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني هو الباني للقصر الأبيض[1]. وقيل: أن جابر بن شمعون، أسقف الحيرة وأحد بني آوس بن قلام، قد أتاه النعمان بن المنذر وعدي بن زيد العبادي، وطلب منه النعمان مالاً يستعين به على أمره عند كسرى، فأضافهما ثلاثة أيام وأعطاهما ثمانين ألف درهم[2]. وهذا يدل على أن النصرانية قد انتشرت في الحيرة واتخذت لها مراكز للدعوة إليها. ولما اعتنقها ملوك الحيرة، استخدموا هذه المراكز للإدارة ومنها (القصر الأبيض) الذي ارتبط تاريخه بتاريخ المناذرة.

ذكر ياقوت الحموي: أن قيس بن سلمة قد أغار على المنذر وهزمه حتى أدخله (الخورنق) ومكث فيه سنة كاملة، ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) فأصاب منهم إثني عشر شاباً من بني حجر بن عمرو، ومعهم الشاعر امرؤ القيس ولكنه أفلت منهم. وجيء بالأسرى إلى مدينة الحيرة، فحبسهم المنذر بالقصر الأبيض لمدة شهرين ثم أمر بقتلهم[3].

وبقي القصر الأبيض يساير الأحداث في التاريخ الإسلامي. ففي عام ١٢هـ، حاصر خالد بن الوليد قصور الحيرة الممتدة من النجف إلى الحيرة وهي: القصر الأبيض وقصر ابن بقيلة وقصر العدسيين، وعقد معاهدة صلح مع أهالي هذه القصور[4]. وذكر الطبري: أن خالداً عسكر بين الغريين والقصر الأبيض[5]. ومن هذا القصر، دعا الناس إلى الإسلام أو دفع الجزية أو المنابذة. وكانوا في بادئ الأمر قد اختاروا الثالثة، ولكنهم عدلوا بعد ذلك عن رأيهم وصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة[6].

---

(١) الهمداني: الإكليل ٨/١٥٤.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٢/٢٦.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٠١.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٤٥.

(٥) الطبري: التاريخ ٤/١٤.

(٦) ن.م ـ الدميري: حياة الحيوان الكبرى ١/٢٧٧.

ويبدو أن خالد بن الوليد قد وقف في أرض النجف فوجدها ذات أهمية عسكرية لها خطورتها على سير المعارك. فقرر احتلال القصور الواحد بعد الآخر ثم التقدم على الحيرة . فطلب من ضرار بن الأزور محاصرة القصر الأبيض ، وكان فيه إياس بن قبيصة الطائي.كما طلب من ضرار بن الخطاب محاصرة قصر العدسيين[1] ، وتقدم هو لمحاصرة قصر الفِرس[2] (بكسر السين). ونزل سعد بن أبي وقاص عام ١٤هـ بالقصر الأبيض قبيل معركة القادسية ، واتخذ الإيوان مصلّى[3] ويبدو أنه حصلت من أهالي القصر الأبيض مقاومة خفيفة حيث أشار الطبري إلى ذلك بالقول: (إن أهل الحيرة استعملوا الخزازيق ورموا بها العرب المسلمين من أعالي القصر الأبيض)[4]. وقال: إنه بعد معركة القادسية دخل المسلمون (بهرسير) في جوف الليل وقد لاح لهم القصر الأبيض ، فقال ضرار بن الخطاب (الله أكبر، أبيض كسرى)[5]. وأن مدينة (بهرسير) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وكان (القصر الأبيض) هناك على غرار القصر الأبيض في منطقة النجف ، ولذا سميَ بأبيض النعمان تميزاً له عن أبيض كسرى في المدائن ، وكانا من قصور الأسر الحاكمة.

ومما يؤيد ذلك أن المختار بن أبي عبيد الثقفي عام٦٦هـ ، بعد سيطرته على الكوفة ، دخل القصر الأبيض وعثر على أشعار مدفونة بعد أن قيل له : إن تحت هذا القصر كنزاً ، فاحتفره فوجد أشعاراً كان النعمان بن المنذر قد دفنها فيه[6]. وفي عام ٧١هـ ، بعث عبد الملك بن مروان إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب بن الزبير يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق. فأجابه مصعب بالقول: (إنه والله ما كان من أحد أيأس منه مني ، ولقد

---

(١) ن.م ٣٦٠/٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم٤/ورقة٣٧ب .ابن خلدون: التاريخ ٢٦٨/٢.

(٣) الطبري: التاريخ٤/ ١٤ .الذهبي: تاريخ الإسلام ١٨/٢.

(٤) ن.م : ٣٦٠- ٣٦١.

(٥) الطبري: التاريخ ٨/٤.

(٦) ابن جني: الخصائص ٣٨٧/١.

كتب إلي أصحابك كلهم بمثل الذي كتب إلي، فأطعني فيهم فأضرب أعناقهم، قال: إذاً لا تناصحنا عشائرهم. قال: فاوقرهم حديداً وابعث بهم إلى (أبيض النعمان) فأحبسهم هنالك ووكّل بهم من ضرب أعناقهم إن غُلبت، وإن غَلبت حننت بهم على عشائرهم.

ويبدو أن (القصر الأبيض) كان يشابه (قصر الخورنق) في الأهمية وخطورة الموقع، إذ كان الولاة والثوار يتخذونه مقراً ومعسكراً وسجناً لخصومهم. ففي عام ١٢٦هـ، عَزَل يزيد بن الوليد، والي الكوفة، يوسف بن عمر وولى على العراق الحارث بن العباس بن الوليد، وكان قد نزل القصر الأبيض. وفي عام١٣٢هـ، دخل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، مع أهل بيته، القصر الأبيض بعد مقتل ولده على يد الجيش العباسي، ومن القصر الأبيض توجه إلى كسكر[١] وهي مدينة واسط قبل أن تمصّر في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي.

ودخل هارون الرشيد (القصر الأبيض) وتجوّل فيه، وقد شاهد على أحد جدرانه كتابة فقرأها فإذا بها (حضر عبد الله بن عبد الله ولأمر ما كتمت نفسي وغيبت بين الأسماء اسمي)[٢] ومن المحتمل أن القصر الأبيض في العهد العباسي أصبح مقصداً للناس بعد أن فقدَ مكانه الإداري، وأخذ زائروه يكتبون مذكراتهم على جدرانه.

٣- قصـــر ابن مازن

يقع قصر (ابن مازن) بين الغريين (أرض النجف) والحيرة، وهو أحد القصور التي أمر خالد بن الوليد بفتحها قبيل الدخول إلى مدينة الحيرة، وأرسل ضرار بن مقرن المزني لمحاصرته وكان فيه ابن أكال[٣]. ولم تشر النصوص التاريخية إلى هذا القصر بعد عام

---

(١) الطبري: التاريخ ٦/١٥٧، ٧/٤١٩، ٢٧١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/٣٥٤.

(٣) الطبري: التاريخ ٣/٣٦٠.

١٢هـ، وربما قد أُزيل من الوجود.

٤- قصـر الأثـل

يقع قصر الأثل في منطقة بحر النجف، وبالقرب من قصر (الرهبان) ولم يبقَ منه إلا بقايا تحوّلت إلى تلال محيطة بقصر الرهبان. وسميَ هذا القصر بالأثل وذلك لوجود أشجار من الأثل حوله[١]. ولم تشر المصادر إلى هذا القصر ولعله اندرس منذ عهد بعيد، وقد أطلق عليه سكان المنطقة هذا الاسم.

٥- قصـر أم عريـف

يقع قصر (أم عريف) في الجنوب الشرقي من مدينة الكوفة، قرب بحر النجف[٢]. وتشغل خرائبه مربعاً من أرضٍ رمليةٍ قليلة الارتفاع، يكثر عليها كسر الفخار والآجر والجص وزخارف الزجاج. وتدل التنقيبات الأثرية التي أُجريت عام ١٩٥٦م على أن هذا القصر مربع الشكل وأبعاده (٦١×٦١م) وجدرانه سميكة مشيدة بالآجر والجص، وأحياناً بكسر الحجر، ومعدل قطرها ثلاثة أمتار تقريباً، متعامدة ومتوازٍ بعضها للآخر. وهذه الجدران مغلفة جميعها بنوع خاص من الآجر المطلي بدهان أزرق غامق قياسه (١٨×١٨×٣سم) وأُحيط القصر جميعه من الخارج بسور ضخم من اللبن عرضه حوالي ثلاثة أمتار ونصف وكل جدار من جدرانه يضم أبراجاً نصف دائرية قياسها ٣م تقريباً. وتنتهي أطراف السور حيث يتصل بعضه ببعض بأبراج نصف دائرية أيضاً[٣]. وقد رجح الدكتور كاظم الجنابي تاريخ قصر أم عريف إلى العصر الأموي وما بعده حيث عثر على قطعة نقدية ضُربت في مدينة الكوفة عام ١٢٨هـ وهذا التاريخ يقترب من عهد

---

(١) الدجيلي: (عريسات) بحث في مجلة لغة العرب ج٢ س٢ ص٥٤١- ٥٤٢.

(٢) الجنابي: تخطيط الكوفة ص٤١.

(٣) ن.م ص١٦٢- ص١٦٣.

يزيد بن عمر بن هبيرة. كما دلّت بعض الزخارف المُحلاّة بنقوش نباتية على أن تاريخها يعود إلى نهاية العصر الأموي[1].

٦- قصر بني مُقاتل

نسب هذا القصر إلى مقاتل بن حسان بن آوس، وقد قال فيه ابن طخماء الأسدي[2]:

كأن لم يكن بالقصر، قصرِ مقاتلٍ وزورةَ ظَلٌّ ناعِمٌ وصديقُ

وأني، وإنْ كانوا نصارى، أُحبّهم ويشتاقُ قلبي نحوَهُم ويتوقُ

وأشار عبيد الله بن الحر الجعفي إلى قصر بني مقاتل بقوله[3]:

وبالقصرِ، ما جرّبتُموني، فلم أخِمْ ولم أكُ وقّافاً ولا طائِشاً فشَلْ

وبارزتُ أقواماً بقصرِ مُقاتِلٍ وضاربتُ أبطالاً ونازلتُ مَنْ نزلْ

فلا بصرةٌ أُمي، ولا كوفةٌ أبي ولا أنا يُثنيني عن الرحلةِ الكسلْ

فلا تحسبنّي، ابنَ الزبيرِ، كناعسٍ إذا حلّ أغفى أو يُقالُ له: ارتحِلْ

فإنْ لم أزرْك، الخيلُ تردى عوابساً بفرسانها حولي، فما أنا بالبَطَلْ

وحدد ياقوت الحموي موقع قصر بني مقاتل بالقرب من موضع (القطقطانة) وسلام والقريات، على حافّة البادية على طريق الحج المؤدي إلى الديار المقدسة. وقال: أن سلام موضع عند قصر مقاتل بين عين التمر والشام، وقال آخر إنه منزل بعد قصر بني مقاتل للمغرّب الذي يطلب السماوة[4]. أما (القريات) فهي جمع تصغير القرية من

---

(١) ن.م ص١٦٤- ص١٦٥.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/٣٦٤.

(٣) ن.م ٤/٣٦٤.

(٤) ن.م ٣/٢٣٤.

منازل طي[1]. وقد نزل الإمام الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل أثناء طريقه إلى مدينة الكوفة، وقد دخل عليه عمرو بن قيس المشرقي وابن عمٍ له، فسلّما على الحسين عليه السلام، فقال لهما: أجئتما لنصرتي؟[2]. والتقى عبيد الله بن الحر الجعفي في هذا القصر الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد مسلم بن عقيل (عليه السلام)[3].

وقد نزل في قصر بني مقاتل بعض الثوار في العصر الأموي وولاة الكوفة. ففي عام ٧٦هـ مرَّ شبيب الخارجي على هذا القصر في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي. وفي عام ١٢٦هـ نزله خالد بن عبد الله القسري بعد أن أطلق سراحه هشام بن عبد الملك. وفي عام ١٧٠هـ أقام فيه هارون الرشيد أربعين يوماً بعد أن خلعه الهادي[4].

٧- قصر بني بقيلة

نُسِب هذا القصر لعبد المسيح بن بقيلة الغساني، ويعود سبب تسميته (بقيلة) إلى أنه خرج يوماً على قومه في حُلّتين خضراوين، وقد اتّزر بإحداهما واشتمل بالأخرى. فقال قومه: ما هو إلا بقيلة[5]. ويُدعى هذا القصر أيضاً بقصر عبد المسيح. ويقع قصر بني بقيلة في منطقة النجف بين الغريين والحيرة، وبالقرب من دَير (ابن مزعوق). فذكر الشابشتي: (أن دير مار فاثيون أسفل النجف، ودير ابن مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح بأعلى النجف)[6]. وذكر الشريف المرتضى: أن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بقيلة، قال[7]:

---

(١) ن.م ٣٣٥/٤.

(٢) الطوسي: أخبار معرفة الرجال ص١١٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٢٩١/٥ . الطبري: التاريخ ٤٠٧/٥.

(٤) الطبري: التاريخ ٢٤٠/٦ ، ٢٥٤/٧- ٢٥٥ ، ٢١٠/٨.

(٥) الشابشتي: الديارات ص٢٣٩.

(٦) ن.م ص٢٣٠.

(٧) الشريف المرتضى: الأمالي ٢٦٢/١ . ينظر السجستاني: المعمرون والوصايا ص٤٧. البراقي: البقعة البهية/ ورقة١٠ب

لقد شيّدتُ للحَدَثانِ حصناً   لو أن المرءَ تنفعُهُ الحصونُ
طويلَ الرأسِ أقعسَ مُشمخراً   لأنواعِ الرياحِ بهِ حنينُ

وذهب بعض المؤرخين إلى أن قصر بني بقيلة يقع في الحيرة، وقال آخرون أنه بالقرب منها[1]. وأن الرأي الثاني هو الصحيح إذ تدل الأحداث التاريخية أنه يقع خارج مدينة الحيرة، فهو أحد القصور التي أمر خالد بن الوليد باحتلالها قبيل دخوله الحيرة، بعد أن عسكر في أرض (الغري) فأرسل المثنى بن حارثة الشيباني لمحاصرته[2]. وذكر الجاحظ: أن خالداً قال لأهل الحيرة (أخرجوا إلي رجلاً من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور، فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني وهو الذي بنى هذا القصر)[3]. وبعد حوار بين خالد وعبد المسيح، قال خالد: فما أدركت؟ قال عبد المسيح: أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين، وأمواج البحر تضرب تحت قدميك[4]. وبعد ذلك صالح عبد المسيح الغساني خالد بن الوليد على الحيرة[5]. وأورد المؤرخ الطبري رواية مفادها: أن العرب المسلمين دعوا أهل الحيرة، وأجلَوهم يوماً وليلةً، فلمّا أبوا اضطرّوا إلى قتالهم وتمكنوا من افتتاح دورِهم وأديرتهم[6]. ولكن النصوص الأخرى تشير إلى دخول المسلمين الحيرة صلحاً وبدون قتال.

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق ص٤٨٥. البلاذري: أنساب الأشراف٥/٣٣٢. ينظر دائرة المعارف الإسلامية (مادة الحيرة) ٨/١٦١.

(٢) الطبري: التاريخ٣/٣٦٠.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين٢/١٤٧.

(٤) الحميري: الروض المعطار ص٢٠٩، ص٥٧٥.

(٥) ابن دريد: الاشتقاق ص٤٨٥.

(٦) الطبري: التاريخ ٣/٣٦٠.

وأورد الشريف المرتضى خبراً عن بناء قصر بني بقيلة بقوله: أن بعض مشايخ الحيرة خرج إلى ظهرها يختطُ ديراً، فلما احتفر موضع الأساس وأمعن في الأحتفار، أصاب كهيئة البيت. فدخله فإذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة تقول: أنا عبد المسيح بن بقيلة، وهذه الأبيات[1]:

حلبتُ الدهرَ، أشطره حياتي ... ونلتُ من المنى بلغَ المزيدِ

وكافحتُ الأمورَ، وكافحتني ... فلم أحفَلْ بمعضلةٍ كؤودِ

وكدتُ أنال في الشرفِ الثريا ... ولكن لا سبيل إلى الخلودِ

وورد في شعر أبي العلاء المعري بعض خطط الحيرة ومنها قصر بني بقيلة بقوله[2]:

متى ما شئتَ موعظة، فعرّجْ ... بيثربَ سائلاً عن آلِ قيلة

وقفْ بالحيرةِ البيضاء وانظرْ ... منازلَ منذرٍ، وبني بقيلة

٨- قصر الدكاكين

يقع قصر الدكاكين بالقرب من عين (الرهيمة) وهو عبارة عن ربوة يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ومحيطها زهاء مائتي متر. والدكاكين هي مساطب متوالية، تتفرع إلى دهاليز، تقع بين تلين علوّ كل واحد منها نحو عشرة أمتار، ويعتقد أن هذه الدهاليز كانت مقابر يبلغ عددها نحو الأربعين، وهي متقاربة تبعد الواحدة عن الأخرى زهاء ثلاثة أمتار، وعرض الواحدة حوالي متر أو متر ونصف وطولها يتفاوت بين أربعة أمتار إلى عشرة، وفي أحد أركانها توجد كتابة حميرية باللون الأسود[3]. وبناءً على هذا الوصف، فلا يستبعد أن يكون (قصر الدكاكين) من قصور الحيرة، ويعود إلى أسرة

---

(١) الشريف المرتضى: الأمالي ١/٢٦٣.

(٢) المعري: اللزوميات٢/٣٠٠. ينظر تعريف القدماء بأبي العلاء ١/١٧٤.

(٣) الدجيلي: (عربسات) بحث في مجلة لغة العرب ج٢ س٢ ص٥٤١- ص٥٤٢.

معروفة ليكون مقبرة لأفرادها. ولم يكن هو القصر الوحيد في تلك المنطقة ، فهناك قصر الرهبان وقصر الأثل وغيرهما .

٩- قصر الرهبان

يقع قصر الرهبان في منطقة بحر النجف، وهو تل مربع الشكل يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار، وطول كل جانب من جوانبه ثلاثون متراً، وكل جدرانه مبنيّةٌ باللبن، وفوقه من الجنوب الشرقي تلٌ أكبر منه مرتين، وفي جنوبه تلول تسمى (الكزازة) لأن فيها قطعاً من الزجاج، وحول القصر خمس عيون ماؤها حلو المذاق، وعند الجانب الغربي منه عين ماء. وفوقه كذلك عين ماء[1].

١٠- قصر سنداد

وردَ ذِكر قصر (سنداد) مع القصور المشهورة في منطقتي النجف والحيرة كالخورنق والسدير وما يحيط بهما من منازل. وقد أشار إليه الشاعر الأسوَد بن يعفر وهو يصف القصور والمنازل، بقوله[2]:

مــاذا أؤمّــلُ بعــدَ آلِ محــرّقٍ	تركـوا منازلَهــم ، وبعــدَ أيادِ
أهلِ الخورنـقِ و السديرِ و بـارقٍ	والقصرِ ذي الشرفاتِ من سنداد

وقد حددت بعض المصادر وقوع هذا القصر على نهر سنداد حيث مساكن ((آل محرق)). وكانت قبيلة أياد قد نزلت سنداد وأقامت فيه دهراً[3].

---

(١) ن.م. ص٥٤٣.

(٢) الأسود بن يعفر: الديوان ص٢٧. ينظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء١/ ٢٥٥، المعارف ص٤٦٧، المقدسي: كتاب التوابين ص٤٠

(٣) البكري: معجم ما استعجم١/ ٦٩، العمري: مسالك الأبصار١/ ٢٢٩.

١١- قصر صنين

يقع قصر (صنّين) في ظاهر الكوفة، وفيه سَجَنَ النعمانُ بنُ المنذر الشاعر عدي بن زيد العبادي[١]. وقد حُدِّدَ موقعُه في جنوب غرب قصر الخورنق على بعد عشرة كيلومترات[٢]. وذكر الشيخ علي الشرقي: أنه يقع جنب مدينة النجف، وقريب منه الموضع المعروف بالقائم، وهو بقايا دَير كبير وكان العراقيون الأولون يُقيمون أمام بعض المعابد بناية يسمونها (جفرتا) وأخيراً سميت الملوية، وقد اندرس هذا الدير، وبقيت أبدته وسموها (القائم)[٣].

ويبدو أن قصر (الصنين) يقع على حافة بحر النجف بدليل أن العرب المسلمين في عام ١٤هـ أغاروا على الفرس قرب الصنين، وغنموا أموالاً وأسروا عدداً من الرجال والنساء[٤]. وقد امتلك قصر الصنين طلحة بن عبيد الله، ولما باعه، كتب كتاباً مشهوراً عند المحدثين[٥]. وبقي قصر الصنين قائماً إلى العصر العباسي، ويقول فيه أحد الشعراء[٦]:

ليتَ شِعري متى تَخبُّ بيَ النا ... قةُ نحو العذيبِ فالصنّينِ
مُحقِباً ركوةً وخبزَ رقاقٍ ... وجبيناً وقطعةً من نونِ

١٢- قصور العباديين

نسبت قصور العباديين إلى جماعة من النصارى الذين بالعُبّاد، وهم ينتمون إلى قبائل عربية مختلفة. وقد اعتزل هؤلاء الناس وسكنوا في قصور شيدوها لأنفسهم في

---

(١) ياقوت: معجم البلدان٣/٤٣١.

(٢) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ج١، مج٣، س١٩٥٤ ص٧٧.

(٣) الشرقي: الأحلام ص٥١.

(٤) الطبري: التاريخ٣/٤٩٤.

(٥) ياقوت: معجم البلدان٣/٤٣١.

(٦) ابن قتيبة: عيون الاخبار٣/٢١١.

منطقة النجف، وقالوا: نريد أن نتسمّى بعَبيد الله[1]. وحُددت هذه الديار أو قصور العباديين بين دير هند ومدينة الكوفة.

وعندما قتل رهط من بني آكل المرار الكندي، حينما أغاروا على الحيرة وفيهم الشاعر أُمرؤ القيس، أنشد قائلاً[2]:

ملوكاً من بني حجر بن عمروٍ يُساقون العشيّة يُقتَلونا

وفي عام ١٤هـ تمكن أحد رجال سعد بن أبي وقاص من قتل أحد رجال كسرى المرابطين في قصر (بني مقاتل). وقد أشار النعمان بن قبيصة إلى هذه الحادثة وذكر فيها (قصور العباديين)، منها[3]:

لقد غادر الأقوام ليلة أدلجوا بقصر العبادي ذا الفعال مُجدّلا
دلفتُ له تحتَ العجاج بطعنةٍ فأصبح منها في النجيع مُرمّلا
أقول له والرمحُ في نفضِ كتفهِ أبا عامرٍ عنكَ اليمين تحللا
سقيتُ بها النعمانَ كأساً رويّةً وعاطيتُهُ بالرمحِ سُمّاً مُثمّلا
تركتُ سباعَ الجوّ يعرفْنَ حوله وقد كان عنها لأبن حيّة معزلا
كفيتُ قريشاً، إذْ تغيّبَ جمعُها وهدّمتُ للنعمانِ عِزّاً مؤثّلا

١٣- قصر العدسيين

يقع قصر العدسيين بين الغريين والحيرة، وهو أحد القصور التي حاصرها ضرار بن الخطاب بأمرٍ من خالد بن الوليد[4]. وقد وقع ابن الأثير في وهم بقوله: أن ضراراً حاصر قصر الغريين[5]، إذ ليس من المنطق حصار (الغريين) اللذين هما من معاقل

---

(١) الأصفهاني: الأغاني٨/٦٤.

(٢) السندوبي: شرح ديوان امرئ القيس ص١٩٠، ياقوت: معجم البلدان٢/٦٤٨.

(٣) الطبري: التاريخ ٣/٥٧٣.

(٤) ن.م. ٣/٣٦٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ٢/٣٩٠.

الجيش العربي الإسلامي، ومنهما كان التحرك نحو القصور القريبة من مدينة الحيرة في محاولة لإسقاطها[1]. كما أنه ليس في المنطقة قصر اسمه (الغريين) وإنما أرض النجف تُدعى بهذا الاسم. وقد حدد البلاذري موقع قصر العدسيين في طرف الحيرة[2]. وكان فيه عدي بن عدي المقتول أثناء حصار ضرار بن الخطاب للقصر[3]. وسبب تسمية القصر بهذا الاسم، كما أشارت بعض المصادر، هو نسبةً لعدسة بنت مالك بن عوف الكبي، وقد انتسب بنو عمار بن عبد المسيح إلى جدّتهم عدسة[4].

١٤- قصر العذيب

يقع هذا القصر في موضع (العذيب). وقد نزل فيه سعد بن أبي وقاص عام١٤هـ في الوقت الذي أقبل فيه القائد الفارسي (رستم) بستين ألف مقاتل وذلك قبيل معركة القادسية[5]. ولما التحم المسلمون مع الفرس في القتال، كان سعد في هذا القصر ينظر إلى المعركة ومعه زوجته سلمى بنت خصفة. ولما جالت الخيل في الميدان، أُرعِبَتْ سلمى وقالت: وامُثناه ولا مُثنى لي اليوم، فغضب سعد من كلامها ولطم وجهها. فقالت: أغيرةً وجُبناً؟! ولما رأى أبو محجن الثقفي ما تصنع الخيل حين جالت، وهو بقصر العذيب، أنشد قائلاً[6]:

كفى حَزَناً أن تُردَعَ الخيلُ بالقنا ... وأُتْـرَكَ مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وأُغْلِقَتْ ... مصاريعُ دوني لا تُجيبُ المُناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وأُخوةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخاً ليا

---

(١) الحكيم: (مصطلح الغري وأطواره التاريخية) بحث في مجلة كلية الفقه ع١ ص٤٠٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٤.

(٣) الطبري: التاريخ ٣٦٠/٣.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٤. ابن الفقيه: مختصر البلدان ص١٨٣. ينظر البراقي: البقعة البهية / ورقة١١.

(٥) الطبري: التاريخ ٥٧٣/٣.

(٦) ن.م. ٥٧٥/٣.

وذكرت بعض المصادر أن المهندس (سنمّار) الذي يرد ذِكره في بناء قصر الخورنق، وبه يُضرب المثل، هو الذي بنى قصر العذيب[1].

١٥- قصر الفِرْس

إن الفِرْس (بكسر الفاء وسكون الراء والسين المهملة) ضرب من ضروب النبات في منطقة النجف. وكان قصر الفِرْس أحد القصور المشهورة في المنطقة[2] إذ يقع بين النجف والحيرة، وقد حاصره ضرار بن الخطاب وكان فيه عدي بن عدي[3]، وذلك بأمرٍ من خالد بن الوليد.

١٦- منازل آل محرق

تعود منازل آل محرق لملوك الحيرة اللخميين. ويبدو أنها كانت تقع في أرض النجف عند (الغريين) وورد ذِكرها في رثاء أحد شعراء بني أسد لنديمَي المنذر بن ماء السماء بقوله[4]:

يـا قـبرُ بـينَ بيـوتِ آلِ محـرّقِ ... جـادتْ عليـكَ رواعـدٌ وبُـروقُ
أمـا البكـاءُ فقـلَّ عنـكَ كـثيرُهُ ... ولـئن بكيتُـكَ، فالبُكـاءُ حقيـقُ

وفي عام٣٩٢هـ، زار الشريف الرضي منازل (آل محرق) بعد زيارته لمرقد جده أمير المؤمنين عليه السلام، ووصفها بقوله[1]:

---

(١) محمد بن حبيب: المنمق في أخبار قريش ص٣٣٩.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٦٢/٤، المشترك وضعا ص٣٥٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٤/ ورقة ٣٧ ب.

(٤) الأصفهاني: الأغاني٥/ ٢٢٧ (طبعة دار الكتب العلمية).

ما زلتُ أطْرقُ المنازلَ بالنوى حتى نزلتُ منازلَ النعمانِ
بالحيرةِ البيضاءِ حيثُ تقابلتْ شُمَّ العِمادِ، عريضةَ الأعطانِ
شهدتْ بفضلِ الرافعين قِبابها وتبينُ بالبنيانِ فضلَ البانـي
ما ينفع الماضينَ، إنْ بقيتْ لهم خُطَطٌ مُعَمَّرَةٌ بعُمرٍ فانِ
ورأيتُ عجماءَ الطلول من البلى عن منطقٍ عربيةَ التبيانِ
باقٍ بها حظُّ العيونِ، وإنما لا حظَّ فيها اليومَ للآذانِ
وعرفتُ، بينَ بيوتِ آلِ مُحَرّقٍ مأوى القِرى ومواقِدَ النيرانِ

ووصف الشريف الرضي (دَير هند) في منطقة النجف وما فيه من منازل بقوله:

ولقد رأيتُ بديرِ هندٍ منزلاً أَلِماً من الضرّاءِ والحدَثانِ
أغضى كمستمعِ الهوانِ تغيبتْ أنصارُهُ وخلا من الأعوانِ
بالي المعالمِ، أطرقتْ شُرُفاتُه إطراقَ مُنجذِبِ القرينةِ عانِ

ولمّا رأى منازل الحيرة قد خُرِبتْ وتحولتْ إلى أطلال، تذكّرَ آل المنذر بن ماء السماء وأمجاد دولة المناذرة وأنشد قائلاً:

أينَ بانوكِ أيها الحيرةُ البيـ ضاءُ والموطِئونَ منكِ الديارا
والأُولى شققوا ثراكِ من العُشْـ بِ وأجروا خلالكِ الأنهارا

١٧- المعاقِل والحصون

أُنشِئتْ في منطقة النجف حصون ومعاقل بعضها يعود إلى ملوك الفُرس وبعضها إلى ملوك دولة الحيرة ومنها (معقل الأبلق) وهو من المعاقل القريبة من الحيرة، وقد بناه

---

(١) الشريف الرضي: الديوان١/ ٢،٥٠٩ /٤٦٨ . ينظر الشجري: الأمالي٢/ ١٧٢- ١٧٣. زكي مبارك: عبقرية الشريف الرضي٢/ ٢٥٧.

أحد أكاسرة الفُرس[1]. وذكرت المصادر (حصن الحير أو سجن الحير) ويقع على النجف ويُنسَب إلى الملك البابلي بختنصر. وقد حُصّنَ وسُجِنَ فيه جماعةٌ من العرب ووكّلَ به حُرّاساً للحفاظ على السجناء[2]. وذهب ابن الجوزي إلى القول: إن هذا الحدث وقع في عهد معد بن عدنان[3]. وهو بذلك يُعطي بُعداً تاريخياً لمنطقة النجف. وأوردت بعض المصادر اسم (قصر الصنبر) ونسَبَتْه إلى بانيه سنمار. وورد ذِكره مع قصر العذيب في شعر الشاعر بقوله[4]:

لَيتَ شِعري متى تَخُبُّ بي النا قةُ نحو العذيبِ والصنبرِ

ووردت (الصنين) بدلاً من (الصنبر) فيما تقدم وهو الصحيح لضرورة استقامة الوزن، ولعلهما قصر واحد. ولكن الدكتور مصطفى جواد عدّه من قصور الحيرة التي بناها امرؤ القيس بن النعمان ويقع قرب الفرات للنزهة[5]. وأُنشئت في الكوفة في العصور الإسلامية قصور منها (قصر الإمارة) و(قصر طمار) و(قصر اسماعيل بن عبد الله).

---

(١) بول: دائرة المعارف الإسلامية (مادة الحيرة) ٨/١٦١.

(٢) الطبري: التاريخ١/٥٥٨، ابن الأثير: الكامل ١/٢٧١. ياقوت: معجم البلدان٢/٣٢٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ١/ق١/ورقة٣٣أ.

(٤) الأصفهاني: تاريخ سني الملوك ص٩٠.

(٥) مصطفى جواد: موسوعة العتبات/قسم النجف ١/٥٨.

ثانياً: الأديرة والبِيَع وأماكن العِبادة

ضمّتْ منطقة النجف وظهر الحيرة عدداً من الأدية والبِيَع وأماكن العبادة في عصر ما قبل الإسلام، ولعل ارتفاع المنطقة وإشرافها على بحر النجف جعلها منطقة محببة للنصارى والرهبان لبناء الأديرة. فذكَر ياقوت الحموي: أن الدير بيت يتعبّد فيه الرهبان، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال. فإن كان في المصر، كانت كنيسة أو بيعة[١]. وإلى هذا الرأي، ذهبت الدكتورة سعاد ماهر إلى القول: (كان لموقع مدينة النجف الجغرافي، على اعتبار أنها ضاحية الحيرة وتطرّفها في الصحراء، أثر كبير في انتشار الأديرة المسيحية فيها)[٢]. وقد اختار "العبّاد" أرض النجف مكاناً للعبادة والتوجه إلى الله. وكان هؤلاء من قبائل شتّى اجتمعوا، وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها لأنفسهم في "ظاهر الحيرة" وتديّنوا بدين النصرانية[٣].

وأصبحت هذه الديارات في هذه المنطقة مبثوثة هنا وهناك، وقد نظّمتْ حولها الحدائق ونُسّقتْ جوانبُها بالرياض وزُيّنتْ بالشقائق والرياحين ليساعد جمال المكان على صفاء النفس ورقّة الحس وسموّ الخيال[٤]. وكان النساطرة من النصارى العرب المتحضّرين قد سكنوا هذه الأديرة. وعند ظهور الإسلام، بقيت قائمة في ظهرَي الحيرة والكوفة واستُخْدِمتْ صوامع للعبادة. وقيل أن الإمام علياً عليه السلام قد مرَّ على أحد الأديرة في منطقة النجف أثناء خلافته، وإذا بالناقوس يضرب، قال ابن الكواء وكان معه: (فجعلتُ أتعسه) فردَّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: "صه يا ابن الكواء، إنك لاتدري ما يقول الناقوس". فقال ابن الكوّاء: (يا أمير المؤمنين، الناقوس يتكلم؟!) فأجابه عليه السلام: "والذي خلق الحبّة وبرأ النَسمة، ما من ضربة تقع على

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٩٥.

(٢) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص٩٦.

(٣) القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١٩.

(٤) المخزومي: مدرسة الكوفة ص٣.

ضربة ولا نقرة تقع على نقرة إلا وهي تحكي مثلاً وتؤدي عِلماً". فقال ابن الكواء: (فما يقول الناقوس؟) فقال عليه السلام: إنه يقول[1]:

مهلاً مهلاً يا ابن الدنيا

مهلاً مهلاً إن الدنيا

قد غرّتنا واستهوتنا

لسنا ندري ما فرّطنا

فيها إلا أن قد متنا

ما من يومٍ يمضي عنّا

إلا هدّتْ منا رُكنا

وفي نَصٍ آخر يقول: إن الحارث الأعور كان يسير مع الإمام علي عليه السلام في منطقة ظهر الحيرة وإذا بديراني يضرب بالناقوس. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "يا حارث، أتدري ما يقول هذا الناقوس؟" فقال: الله ورسوله وابن عمّ رسوله أعلم. فأجابه عليه السلام قائلاً: "إنه يضرب مثل الدنيا وخرابها"، ثم قال[2]:

لا إله إلا الله حقاً حقاً

لا إله إلا الله صِدقاً صِدقاً

إن الدنيا قد غَرّتنا وشغلتنا

واستهوتنا و استغوتنا

يا ابنَ الدنيا مهلاً مهلا

يا ابن الدنيا دقّاً دقّا

يا ابن الدنيا جمعاً جمعا

تفنى الدنيا قرناً قرنا

---

(١) يوسف رزق الله: الحيرة ص٤٠.

(٢) الصَدوق: معاني الأخبار ٢/٢٣١.

ما من يومٍ يمضي عنّا

قد ضيّعنا داراً تبقى

واستوطنّا داراً تفنى

لسنا ندري ما فرطّنا

فيها إلا لو قد متنا

وبلا أدنى شك، أن هذا اللون من الشعر المنثور المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام لا يقترب من بلاغته وبيانه ولا يرقى إلى أسلوبِ خُطَبه المدونة في كتاب (نهج البلاغة) . وكان الإمام سلام الله عليه قد أشار إلى أهمية منطقة النجف من الجانب الروحي بقوله : " أوّلُ بقعةٍ عُبِد اللهُ عليها ظهر الكوفة، لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة"[1].

ولمّا كان الدين الإسلامي يحترم الديانات السماوية السابقة ويجعل معتنقيها في ذِمّة المسلمين، جعل الأديرة ومواضع العبادة قائمة في أرض النجف حتى العصر العباسي. فذكر المسعودي: أن جماعة من بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم قد نزلوا الحيرة وأطالوا المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها، وكان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان[2].

وأشار المستشرق الفرنسي (ماسنيون) إلى وجود نصارى في الكوفة بقوله:

"إن اسمها سرياني، وقد عُرِفت عند السريان الذين كانوا ينزلون الديارات في أطراف الكوفة عند النجف والحيرة باسم (عاقولا أو ياكولا) وكلمة عاقولا بالسريانية حَلَقة أو دائرة"[3]. وكان بنو عباد قد اعتنقوا النصرانية في الحيرة.

وأشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي إلى النصرانية في منطقة النجف في

---

١ النوري : مستدرك الوسائل ١٠/١٠٢ (الطبعة المحققة).

(٢) المسعودي : مروج الذهب ٢/١٠٤.

(٣) ماسنيون : خطط الكوفة ص١٠٣ (الطبعة المحققة).

عصر ما قبل الإسلام بقوله[1]:

ومعبد كان إلى الرهبانِ	فكم لكم بهِ من المباني
كدَير مريمٍ ودَيرِ الحَرَقةْ	ودَيرِ أسكولٍ، بهذي المنطقةْ
وكم بها لأسقفٍ من دَيرِ	لأنها البقعةُ ذاتُ الخيرِ
فيا لها من بقعةٍ في العالَمِ	يُسبّحُ اللهُ بها من آدمِ
ويالها من بقعةٍ مباركةْ	تختصُّ بالقُدسِ، بلا مشاركةْ

وأصبح لأديرة النجف وأماكن العبادة في الشعر العربي موقعٌ كبير، إذ قصد هذه المؤسسات الدينية عدد من الشعراء وتغنّوا بها كأبي نؤاس والثرواني الكوفي والحماني العلوي وغيرهم، فقد ذكروا الصليب في بعض قصائدهم بعد أن رأوا النصارى يرسمونه على أديرتهم وبيَعهم ودورهم، ويُعلّقونه على صدورهم ويحملون أعلامه في مواكب ملوكهم، كما في أشارة الشاعر[2]:

فالدَير فالنجف الأشم   جبال أرباب الصليبِ

وكانت الأديرة في منطقة النجف كثيرة ومتفاوتة في الأهمية. وقد آثرنا دراستها وفق ترتيبها على حروف المعجم، وهي :

١- دَير ابن براق

يقع دير ابن براق في ظاهر الحيرة[3]. وقد ذكره الشاعر الثرواني بمعية (دير حنّة) بقوله[4]:

يا دير حنّةَ عند القائم الساقي   إلى الخورنقِ من دير ابنِ بَرّاقِ

---

(١) السماوي : عنوان الشرف ص٧.

(٢) يوسف رزق الله : الحيرة ص٥٣.

(٣) ياقوت : معجم البلدان٢/٤٩٦ . البغدادي : مراصد الاطلاع٢/٥٥٠.

(٤) ن.م. ، ينظر البستاني : دائرة المعارف ١٩٢/٨.

وقد وقع الأستاذ الطريحي في وهم في ربطهِ بين (ابن براق) وطرف البراق في مدينة النجف بقوله: "وفي النجف اليوم محلة قديمة تعرف بمحلة البراق لا يُعرف حتى الآن وجه تسميتها بهذا الاسم، ونستطيع أن نقرّبَ بين اسم هذا الدير واسم المحلة"[1]. وإني لا أرى وجهاً للتقريب بين الإثنين، لأن محلّة البراق لم تكن بعيدة الزمن وإنما أخذت مكان محال قديمة كمحلة آل طريح وجبل النور وآل جلال وغيرها. فليس من المنطق العلمي أن الاسم الحديث يقترن باسم قديم.

٢- دَيـر ابن مزعـوق

يقع دير ابن مزعوق في ظاهر الحيرة بالقرب من دير الحريق[2]. وقد سمّته بعض المصادر "دير المزعوق وبيعة المزعوق"[3] وكان الناس يأمّونه في الأعياد لأجل النزهة، لأنه يقع في أنزه البقاع زهراً، ورقيق هواء ودفقِ ماء[4]. وقد وُصِفَ بأنه كثير الرهبان وحَسِن العمارة[5]. وكان هذا الدير على مقربة من أديرة أخرى ذكرها محمد بن عبد الرحمن الثرواني بقوله[6]:

دَيـر الحريـقِ، وبيعـة المزعـوقِ	بـينَ الغديـرِ، وقُبَّـةِ السنّيقِ
أشهى إلـيَّ مـن الصراةِ وطيبها	عند الصباحِ ومن دجى البطريقِ
يا صاحِ فاجتنب الملامَ أما ترى	سمِجاً ملامَكَ لي وأنتَ صديقي

---

(١) الطريحي : الديارات والأمكنة ص٨١.

(٢) الشابشتي : الديارات ص٢٣٠ . ياقوت : معجم البلدان٢/٥٣٧. البغدادي: مراصد الاطلاع٢/٥٧٧.

(٣) العمري: مسالك الأبصار١/٣١٦.

(٤) العمري : مسالك الأبصار ١/٣١٦.

(٥) الشابشتي : الديارات ص٢٣٠.

(٦) ن.م. ، العمري: مسالك الأبصار١/٣١٦ . ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٣٧.

والشاعر هنا قد ذكر أديرة ومواضع في منطقة النجف، كما ذكر نهرَي (الصراة) في بغداد، وهما الصراة الكبرى والصراة الصغرى[1]، وقد قارن بين مواضع النجف ونهرَي الصراة من حيث جمال الطبيعة وعذوبة الهواء. فهو أثناء إشارته لدير ابن مزعوق، أوضح الخصائص الطبيعية للمنطقة وما تضم من أديرة بقوله:

قلتُ لهُ، والنجومُ طالعةٌ ... في ليلةِ الفِصحِ أوّلِ السَحَرِ
حولكَ (مارفائيونُ)، وفي ... ديرِ (ابنِ مزعوقِ) غير مقتصرِ
يقتصُّ منه النسيمُ على طرقِ ... الشامِ وريحُ الندى عن المدرِ
ونسألُ الأرضَ عن بشاشتها ... وعهدِها بالربيعِ والمطرِ
في شربِ خمرٍ وصدعِ محسنةٍ ... تلهيكَ بين اللسانِ والوترِ

ويبدو أن دير (ابن مزعوق) كان مقصداً للشعراء الماجنين الذين يقصدونه للأُنس والطرب بدلالة ما وصفه الشاعر الكوفي علي بن محمد الحماني بقوله[2]:

إن أنسَ، لم أنسَ أياماً لهوتُ بها ... لم أنسَ يوميَ في ديرِ ابنِ مزعوقِ
أيامَ أنشدُ مَنْ شِعري يُرجّعُهُ ... على المثاني وأُسقى بالأباريقِ
باتتْ تُعلِّلُني بالراحِ جاريةٌ ... حتى إذا قَرُبَتْ عُلِلتُ بالريقِ
ما لي وللدهرِ، يُعنيني وأجمعُهُ ... أغري بجمعٍ، ويُغري لي بتفريقِ

ويُلاحَظ أن الشاعر الحماني كان يكرر المجيء إلى هذا الدير، إذْ يجد فيه متعته. كما أن وصفه الدقيق له يكشف عن صورة من حياة المتعة واللهو والمجون في العصر العباسي، فهو يقول[3]:

كرَّ الشرابَ على نشوان مصطبح ... قد هبَّ يشربُها والديكُ لم يصحِ

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٩٩.

(٢) كشاجم: المصايد والمطارد ص٢٢٤.

(٣) الشابشتي: الديارات ص٢٣٢. العمري: مسالك الأبصار ١/٣١٦.

والليلُ في عسكرٍ جمٌّ ، بوارِقُهُ ... من النجومِ وضوءُ الصُبحِ لم يَضُحِ

والعيشُ ، لا عيش إلاّ أن تُباكِرَها ... صهباءَ تقتلُ همَّ النفسِ بالفَرحِ

ما لي وللدهرِ، يُعنيني وأجمعُهُ ... حتى يظلّ الذى قد باتَ يشربُها

٣- دَير ابن وضّاح

يقع دَير ابن وضاح بنواحي الحيرة ويُدعى دير ((مر عبدا)) وهو منسوب إلى مر عبدا ابن حنيف بن وضّاح اللحياني ، الذي كان مع ملوك الحيرة[١]. وقد أشار بكر بن خارجة إلى هذا الدير بقوله[٢]:

إلى الدساكرِ في الدير المقابِلِها ... إلى الأكيراحِ أو دير ابنِ وضّاحِ

والدساكر التي وردت في هذا البيت جمع دسكرة ، وهي القرية أو الصومعة أو البيوت التي يكثر فيها الشراب والملاهي[٣]. وتقابل (الدساكر) بعض أديرة الحيرة .

٤- ديارات الأساقف

تقع ديارات الأساقف في أرض النجف ، وهي قباب وقصور بحضرتها نهر الغدير ، عن يمينه قصر أبي الخصيب وعن شماله قصر السدير[٤]. وقد احتمل الأستاذ الطريحي : أن هذه الديارات تقع عندموضع "الطارات" الواقعة غربي مدينة النجف الأشرف[٥]. وقد أشار الشاعر علي بن محمد العلوي الحماني إلى ديارات الأساقف بقوله[٦]:

كم وقفة لكَ بالخور ... نقِ ما تُوازى بالمواقفْ

(١) ياقوت : معجم البلدان ٥٣٦/٢.

(٢) ن.م. : ٤٩٦/٢.

(٣) البستاني : فاكهة البستان ص٤٥٦.

(٤) الشابشتي : الديارات ص٢٣٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٤٩٨/٢ ، البغدادي : مراصد الأطلاع ٥٥١/٢.

(٥) الطريحي : الديارات والأمكنة ص٧٥.

(٦) ياقوت : معجم البلدان ٤٩٨/٢ ، القالي : الأمالي ١٧٧/١ ، ابن الفقيه : مختصر البلدان ص١٧٩ ، السقاف : الأوراق ص١٥٦- ص١٥٧.

بـينَ الغديـرِ إلى الـسديرِ إلـى ديـاراتِ الأسـاقفْ
فمـدارج الرهبـانِ فـي أطمـارِ خائفـةٍ وخـائفْ
دِمَـنٌ كـأنَّ رياضَهـا يكـسينَ أعـلامَ المطـارفْ
وكأنمـا غدرانهـا فيهـا عـشورٌ في مـصاحفْ
تلقـى أوائلُهـا أوا خِـرَها بـألوانِ الرفـارفْ
بحريّـةٌ شتواتُهـا بَـريّةٌ فيهـا المـصائف
دُرِيّـةُ الحَـصْباءِ كافـو ريـةٌ منهـا المـشارف
باتـتْ سـواريها تمخّـضُ في رواعِدهـا القـواصف
وكـأنَّ لمـعَ بروقهـا في الجـوِّ أسيافُ المشاقفْ
ثـمَّ انـبرتْ سـحّاً كبـا كيـةٍ بأربعـةٍ ذوارفْ
وكـأنما أنوارُهـا تهـزُّ في الـدرجِ العواصفْ
طـررُ الوصـائفِ يلـتقينَ بهـا إلى طـررِ الوصائـفْ
دافقتْـها عـن دجنِهـا بالقلـبِ والبيضِ الغطارفْ
واهـاً لأيـامِ الـشبابِ وما لبسنَ من الزخـارفْ
وزوالهـنَ بمـا عرفـتَ مـنَ المناكـرِ والمعـارفْ

وبعد هذا الوصف الدقيق لديارات الأساقف وتحديد المواضع التي تقترب منها، يصف الشاعر أيامه التي قضاها في تلك المنطقة فيقول :

واهـاً لأيامـي وأيـامِ التقيّـات المراشِـف
والغارسـاتِ البـانِ قُـضباناً علـى كثـبِ الـروادف
والجـاعلاتِ البـدر مـا بـينَ الحواجـبِ والـسوالف
أيـامَ يُظهِـرنَ الخـلافَ، بغـيرِ نيّـاتِ المخـالف
وقـف النعيم علـى الـصبا، وتزلزلـتْ تلـكَ المواقـف

٥- دَيـر الأسـكـون

يقـع هذا الدير في ظاهر الحيرة، وهـو راكـب على النجف وفيه قلالي وهياكـل، وتعني بيت النصارى، وتزين الدير صورة لمريم وعيسى عليهما السلام، وفيه تغنّـى الشاعر فقال[١]:

ولَمّا يُلبّي على هيكلٍ   بناهُ وصلّبَ فيهِ فصارا

وتعني (القلالة) الصومعة التي يتعبّد فيها الراهب، وهي من الألفاظ المعرّبة من أصل يوناني وهو (Kellugon) ومعناه الراهب أو الناسك، وجمعها (قلايا) وتكون على شكل بناء مرتفع يشبه المنارة ينفرد بها الراهب، وقد لا يكون لها بناء ظاهر[٢]. وأشار الجغرافيون إلى وصفها بالقول:

إن القلالي والهياكل عليها سور حصين وعليه باب حديد، ومنه يهبط الهابط إلى غدير بحيرة، أرضه رضراض ورمله أبيض، وله مشرعة تقابل الحيرة لها ماء إذا انقطع النهر كان منه شراب أهل الحيرة[٣]. ولعل وجود السور المنيع الشاهق يمنع اللصوص من السطو، ودفعاً عن غارات قطّاع الطرق[٤]. ونقل العمري بعض مراسيم هذا الدير بقوله: إن النصارى يجتمعون في (دير الأسكون) في الأعياد، وفي كل يوم جمعة بعد الصلاة، وإذا كان يوم الشعانين أتوه من كل ناحية مع شماميسهم بصُلبهم وأعلامهم، فإذا استمتعوا فيه، وفي القصر الأبيض والقلالي المدانية، خرج أسقفهم بهم لإلى مكان يُعرف باسم (قبيات الشعانين) وهي قباب على ميل من ناحية طريق الشام فأقاموا بها يومهم ذلك إلى آخره، ولكلٍ منهم يومئذٍ شأن يعنيه[٥]. ويُعطي هذا النص أهمية تاريخية

---

(١) ابن سيدة: المخصص ١٠١/١٣. ابن منظور: لسان العرب ٧٠/١١.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٥٩٨/٦.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٤٩٨/٢. البغدادي: مراصد الاطلاع ٥٥١/٢. الكلداني: ذخيرة الأذهان ٢٨٧/١.

(٤) رفائيل بابو اسحاق: أحوال نصارى بغداد ص٩٤.

(٥) العمري: مسالك الأبصار ٣١١/١- ٣١٢.

إذ حدد موقع دير الأسكون من القصر الأبيض والقلالي المخصصة للرهبان الواقعة على طريق الشام، وهذا له دلالة على وقوع الدير وهذه المواضع في أرض النجف الحالية. وأشارت المراجع الحديثة إلى (دير الأسكول)[1]. ولم تُشر المصادر الأولية إليه، ولعله تصحيف من (دير الأسكون).

٦- دَيـر الأعـور

يقع دير الأعور بظاهر الكوفة، وأشار إليه الدكتور صالح أحمد العلي بأنه يقع في منتصف الطريق بين كربلاء والكوفة[2]. ولكن الأحداث التاريخية تقرّبه من مدينة الكوفة. فقد ذكَر الطبري في أحداث عام١٤هـ: أن رستم القائد الفارسي نادى الناس بالرحيل. فخرجَ ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط، فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف، بحيال الخورنق إلى الغريين[3]. وهذا النَص يجعلنا نميل إلى أن دير الأعور يقَع بين النجف ومنطقة الفرات القريبة من الكوفة باتجاه الحيرة. وقد اعتقد الجغرافي ابن الفقيه: أن دير الأعور هو دير الجماجم[4]. وربما جاء هذا الإعتقاد لسكنى قبيلة أياد فيها، وقد ذهبت بعض المصادر إلى القول: أن رجلاً من أياد يقال له الأعور من بني حذافة بن زهر بن أياد قد بنى هذا الدير فنُسِبَ إليه[5]. وفيه يقول أبو داود الأيادي[6]:

ودير يقول له الرائدو   ن أم دار الحذاقى دارا

---

(١) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ١٧/١ . السماوي : عنوان الشرف ص٧.

(٢) العلي : (منطقة الكوفة) بحث في مجلة سومر، المجلد٢١ لسنة ١٩٦٥ ص٢٣٦.

(٣) الطبري : التاريخ ٥٠٨/٣.

(٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص١٣٥.

(٥) ياقوت : معجم البلدان٢/٤٩٩ . البغدادي : مراصد الأطلاع٢/٢٥٢.

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص٢٨٢.

ومن المحتمل أن (دارا) هو الوادي الواقع في ديار بني عامر[1]. وقد شهد (دير الأعور) وقائع تاريخية. فخلال أحداث معركة القادسية، اتخذه القائد الفارسي (رستم) مقراً له ولجنده، وقد أقام به أربعة أشهر[2].

وفي عام ٦٥هـ، خرج الصحابي سليمان بن صرّد الخزاعي من النخيلة، ودعا حكيم بن منقذ ونادى في الناس: (ألا لا يبيتنَّ رجل منكم دون دير الأعور)[3]. ولما ورد الكوفة عبيد الله بن الحر الجعفي، أيام عبد الله بن الزبير، بعث إليه مصعب بن عمرو بن عبيد الله بن معمر فقاتله، فخرج إلى دير الأعور، وقد دعا مصعب بن الزبير حجار بن أبجر العجلي لمقاتَلة عبيد الله، فقاتله عند دير الأعور[4]. وفي عام ١٣٢هـ، دخل الحسن بن قحطبة الطائي (دير الأعور في يوم عاشوراء وكان معه العباسيون)[5]. ويبدو أنهم كانوا في طريقهم إلى مدينة الكوفة أثناء الثورة العباسية ضد الحكم الأموي. وفي عام ٢٠٢هـ، وجّه المأمون حميد بن عبد الحميد لحصار مدينة بغداد، فتوجّه إليه سعيد بن الساجور وأبو البط من منطقة النيل إلى الكوفة. فلما صار في دير الأعور، أخذ طريقاً للوصول إلى عسكر هرثمة عند قرية شاهي[6] التي هي على مقربة من موضع القادسية[7].

٧- دَيـر الأكيـراح

يقع (دير الأكيراح) في ظاهر الحيرة[8]، وقد أكّدت المصادر على هذا الموقع. ولكن

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤١٨/٢.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص١١٥.

(٣) الطبري: التاريخ ٥٨٩/٥.

(٤) ن.م. ١٣٤/٦.

(٥) ن.م. ٤١٤/٧- ٤١٦. مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية ص٣٧٣.

(٦) ن.م. ٥٦٠/٨.

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٣١٦/٣.

(٨) ن.م. ٢٤٢/١.

المستشرق (ماسنيون) قد حدد موقعه بالحيرة[1]، وهذا وَهْمٌ تفنّده النصوص التاريخية. فذكر ياقوت الحموي: قرأتُ بخطِّ أبي سعيد السكري، حدثني أبو جعفر أحمد بن أبي الهيثم البجلي قال: رأيت (الأكيراح) وهو على سبعة فراسخ من الحيرة، مما يلي مغرب الشمس من الحيرة وفيه ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها الماء. وفيه أنشد أبو نؤاس قوله[2]:

دع البساتينَ من وردٍ وتفّاحِ ... واعدِلْ هُدِيتَ إلى ذات الأكيراحِ
أعدِلْ إلى نفرٍ دُقّتْ شخوصُهُمُ ... من العبادةِ إلا نضوُ أشباحِ
يُكرّرونَ نواقيساً مُرَجْعَةً ... على الزبورِ، بإمساءٍ وإصباحِ
تنأى بسمعِكَ عن صوتٍ فتكرهُهُ ... فلستَ تسمعُ فيهِ صوتَ فلاّحِ
إلاّ الدراسةَ للإنجيلِ، من كُتُبٍ ... ذِكْرِ المسيحِ، بإبلاجٍ وإفصاحِ
يا طيبَهم وعتيقُ الراحِ تُحفتُهم ... بكلِّ نوعٍ من الطاساتِ، رحراحِ
يسقيكها مُدْمَجُ الخِصرينِ ذو هيَفٍ ... أخو مَدارعِ صوفٍ فوق أمساحِ

ولبكر بن خارجة أبيات اقتربت في معانيها من أبيات أبي نؤاس في وصف (دير الأكيراح) حيث يقول[3]:

دع البساتينَ من آسٍ وتفاحِ ... واقصد إلى الشيح من ذاتِ الأكيراحِ
إلى الدساكرِ فالديرِ المقابلِها ... لدى الأكيراحِ، أو ديرِ ابنِ وضّاحِ
منازلٌ لم أزلْ حيناً ألازِمُها ... لِزومَ غادٍ إلى اللذّات، روّاحِ

(١) ماسنيون: الرحلة ١/٣٢.

(٢) أبو نؤاس: الديوان ص١٢١.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٤٢.

وقد استذكر أبو نؤاس، في دير الأكيراح والأديرة القريبة منه، جلسات الشرب ومجالس الأنس. فهو يقول[1]:

واشربْ على الوردِ من مشمولةِ الراحِ	لا تحفَلَنَّ بقولِ الزاجرِ اللاحي
صهباءُ صافيةٌ تُجديكَ نكهتُها	تنفّسُ المسكَ، ملطوخاً بتفّاحِ
حتى إذا سُلْسِلَتْ في قعرِ باطيةٍ	أغناكَ لألاؤها عن ضوءِ مصباحِ
ما زلتُ أسقي حبيبي ثمَّ ألثِمُهُ	والليلُ ملتحِفٌ في ثوبِ أمساحِ
حتى تغنّى وقد مالتْ سوالِفُهُ	يا ديرَ حنَّةَ من ذاتِ الأكيراحِ

وورد في ديوان (الخالديين) دير حنّة ودير الأكيراح بمعيّة (دير العلث) الذي يقع على دجلة بين عكبرا وسامراء، وفيه حانات ومجالس شرب شبيهة بذات الأكيراح[2]. وقد أشار إليها الديوان المذكور بالقول[3]:

بدائعٌ لا لدَير العلثِ هُنَّ ولا ... لديرِ حنّةَ من ذاتِ الأكيراحِ

وكان دير الأكيراح قد بناه عبد بن حنيف من بني لحيان الذين كانوا مع قبيلة لخم[4]. وقد وُصِفَ بأنه رستاق نَزِه، وفيه بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم ويقال لواحدها (كرح) وبالقرب منها ديران يقال لأحدهما (دير مر عبدا) وللآخر (دير حنّة) كثير البساتين[5]. وقد وردت لفظة (كرحو) في اللغة السريانية (Kourho,chouiho) وتعني الكوخ أو المسكن أو بيت الراهب والناسك[6]. وذكر ابن منظور: أن الأكيراح هي بيوت ومواضع تخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم[7]. وورد في (مراصد

(١) أبو نؤاس: الديوان ص١٠٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/١٤٥.

(٣) الخالديان: الديوان ص٣٨.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٧٩.

(٥) ياقوت: معجم البلدان١/٢٤٢. البغدادي: مراصد الاطلاع ١/١٠٩، العمري: مسالك الأبصار ١/٣١٤.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٦/٦٥٥.

(٧) ابن منظور: لسان العرب ٢/٥٧٠.

الاطلاع): أن الأكيراح، في الأصل، القباب الصغار[1]. ويبدو من كل ما ورد أن (دير الأكيراح) قد خُصص للعبادة والصلاة، كما أوضحته أبيات أبي نؤاس، إذ عاش فيه جماعة من العباد والرهبان من ذوي الأجسام النحيفة الذين اعتاشوا على شظف الحياة حتى أصبحوا كالأشباح من إطالة الصلاة وترجيع المزامير ودراسة الإنجيل[2]. ولكن هذا لا يمنع من أن يقصده بعض الشعراء للمتعة والأُنس، وقد أشار إلى هذه الحقيقة أحد الشعراء بقوله[3]:

يا دير حنّةَ من ذات الأكيراحِ ... مَنْ يصحُ عنكَ، فإني لستُ بالصاحي

يعتـادُهُ كـلُّ محفُـوٍّ، مَفارِقُـهُ ... مـن الدهانِ عليهِ سحقُ أمساحِ

مـا يدلفـون إلى مـاءٍ بآنيـةٍ ... إلاّ اغترافاً من الغُدرانِ بالـراحِ

وبقي (دير الأكيراح) والأديرة المحيطة به والقريبة منه موضع حديث الشعراء والكتّاب. فقد مرَّ به عمر بن فرج الرخجي، وهو من أعيان الكتّاب في العصر العباسي، بعد مُنصَرَفه من الحج. ولما سأل عن القائل (يا دير حنّة من ذات الأكيراح)، قال له الحسين بن هشام الحيري: إن هذا القول لأبي نؤاس، أتحِبُّ أن أُنشِدَكَ لشاعرنا الثرواني شيئاً يقرب من هذا المعنى؟ فأنشد قائلاً[4]:

علـى الريحـانِ والـراحِ ... وأيـامِ الأكيـراحِ

وإبـريقٍ كطيـرِ المـاءِ ... فـي لُجّـةِ ضحضـاحِ

سـلامٌ يُسْكرُ الصاحي ... ومـا فيـهِ فتـىً صـاحي

ومَـنْ لـي فيـهِ بالسلوةِ ... في وجـهِ ابـنِ وضّـاحِ

إذا راحَ إلـى البيعـةِ ... فـي أثـوابِ أمسـاحِ

---

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١/١٠٩.

(٢) رفائيل بابو اسحاق: تاريخ نصارى بغداد ص٩٨- ص٩٩.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٦/٤٠، الأبشيهي: المستطرف ٢/١٥٢.

(٤) الطريحي: الديارات والأمكنة ص١٠٥.

ففـــي كفّيـــهِ إفـــسادي وفـــي كفّيـــهِ إمـــساحي

٨- دَيـر اللّـج

يقع (دير اللج) في مدينة الحيرة، وفي بعض النصوص في ظهرها[١]. وهو على لفظ (لج البحر)[٢]، وكان هذا الدير قد بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ولم يكن في الديارات أحسن منه بناءً ولا أنزهَ موضعاً، وفيه أنشد الشاعر[٣]:

سقى الله ديرَ اللـجِ غيثاً فإنـهُ، على بُعـدهِ منّـي، إلـيَّ حبيـبُ
قريـبٌ إلـى قلبي، بعيدٌ محلّـهُ وكم من بعيد الدارِ وهو قريـبُ
يُهيّـجُ ذِكـراهُ غـزالٌ يحلّـهُ أغَـنٌّ سحـورُ المقلتينِ ربيـبُ
إذا رجّعَ الإنجيلَ، واهتزَّ مائداً تذكّـرَ محـزونٌ وحـنَّ غريـبُ
وهاجَ بقلبي عند ترجيع صوتهِ بَلابِـلُ أسقـامٍ بـهِ ووجيـبُ

وأشار بعض الباحثين إلى أن هذا الدير منسوب إلى اللجة بنت النعمان، أنها اتخذته في قبر مرآبا الكبير الجاثليق[٤]. وكان النعمان بن المنذر يركب في كل يوم أحد إلى (دير اللج) وفي الأعياد الدينية، ومعه أهل بيته خاصةً من آل المنذر، وعليه حُلل الديباج المذهّبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجواهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان. وإذا قضوا صلاتهم، انصرفوا إلى مستشرفةٍ على النجف. وهناك يشرب النعمان وأصحابه ويقضي بقيّة يومه فيه. وفي هذا المكان يخلع

(١) ياقوت: معجم البلدان٢/٥٣٠، البغدادي: مراصد الاطلاع٢/٥٧٣.

(٢) البكري: معجم ما استعجم٢/٥٩٦.

(٣) ن.م. ، ياقوت: معجم البلدان٢/٥٣٠-٥٣١، البستاني: دائرة المعارف٨/٢٠٥.

(٤) الطريحي: الديارات والأمكنة ص١٢٨.

ويهب، وكان ذلك أحسن منظر وأجمله[1]. كما كان النعمان يتعبّد في هذا الدير، ويستشفي به في مرضه، وهذا يعني أن الدير المذكور قد أُعِدَ للعبادة من جانب، وللشرب من جانبٍ آخر. فقد قال الشاعر[2]:

يا ليلتي ! أطيبُها ليلةً	لو لم يكنْ في قِصرِها الطِّيبُ
بتنا بدير اللجِ في حانةٍ	شرابها في الكأسِ مكبوبُ
يُديرُها ظبيٌ هضيمُ الحشا	يُحِبُّهُ الشبّانُ والشِيبُ
حتى إذا ما الخمرُ مالتْ بنا	جَرَتْ أُمورٌ و أعاجيبُ
فما تُرى ظَنُّكَ في شادنٍ	باتَ إلى جانِبِهِ ذيبُ !

وقد ورد ذِكْر (دير اللج) في شِعر امرئ القيس حينما قال[3]:

وقد عمّر الروضاتِ حولَ مخططٍ	إلى اللجِ مرأى من سعادٍ ومن مها

ووصف إسماعيل بن عمار الأسدي حياة اللهو في دير اللج وما جرى بينه وبين الجواري والمغنيات، وكنَّ لابن دامين مولى عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان هذا من مُجّان الكوفة وقد أعدَّ داره مأوىً وملتقىً لهؤلاء، فيقول[4]:

لم أنسَ (سعدةَ) و(الزرقاء) لومهما	باللجِ شرقيةً، فوقَ الدكاكينِ
تغّنّيانا كنفثِ السِحرِ، نُودِعهُ	مِنّا قلوباً غدتْ طوعَ ابنِ رامينِ
نُسقى شراباً كلونِ النارِ، عتّقهُ	يُمسي الأصحّاءُ فيهِ كالمجانينِ
إذا ذكرنا صلاةً بعدَ ما فرطتْ	قُمنا إليها بلا عقلٍ ولا دينِ
نمشي إليها بِطاءً، لا حَراكَ بنا	كأنَّ أرجُلَنا يُقْلَعنَ من طينِ
أو مشيَ عميانِ ديرٍ لا دليلَ لهم	سوى العصيِّ، إلى عيدِ الشعانينِ

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ٥٩٦/٢.

(٢) العمري: مسالك الابصار ٣٢٦/١.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١١٩٦/٤.

(٤) ن.م.: ٥٩٦/٢ - ٥٩٧.

أهــوى (ربيحَــةَ) إن الله فــضَّلَها بحُـــسنِها وغِنــاءِ ذي أفانيـــنِ
فمَــنْ يقــولُ لهــا عنّــي ويُسْعِدُها قتَلتِني يــومَ دَيـر اللــجِّ ، فــأحييني

وورد في هذه الأبيات موضع (الدكاكين) وهو من القصور الواقعة في بحر النجف.
ونقل الشاعر جرير من خط ابن أخ الشافعي: أن دير اللج هو بظاهر الحيرة، فيقول[1]:

يا رُبَّ عائِدةٍ بالغور لـو شهِـدَتْ عـزَّتْ عليهـا بـدير اللـجِ شكوانا
إنَّ العيونَ التي في طرْفها مـرضٌ قتلننـا ، ثـمَّ لـم يُحيينَ قتـلانا
يصرعنَ ذا اللُبِّ حتى لا حراك بهِ وهُـنَّ أضعَفُ خلقِ اللهِ إنسانا
يـا رُبَّ غابِطِنـا لـو كـانَ يطلبكم لاقـى مُباعَـدَةً مـنكم وحِرمانـا

وذكرَ البيهقي: أن دير اللج الذي، كان يقع بظاهر الكوفة، كان عامراً فترة حكم الوالي الأموي خالد بن عبد الله القسري المتوفى عام ١٢٠هـ[2].

٩- دَيـر أبـي مـوسى

يقع دير أبي موسى على بعد فرسخين من مدينة الكوفة، وقد نزل به الإمام علي عليه السلام عند مسيره إلى صفين، وقد صلى فيه صلاة العصر[3]. ولم تُشرْ المصادر إليه بعد ذلك.

١٠- دَيـر بني عبد الله بن دارم

حُدد موقع هذا الدير بالقرب من دير هند الصغرى الذي يلي الخندق[4] والمقصود

---

(١) جرير: الديوان ١/١٦٣.
(٢) البيهقي: المساوئ والمحاسن ص١٣٣.
(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص١٣٤.
(٤) العمري: مسالك الابصار ١/٣٢٤.

به (خندق الكوفة). وورد في بعض المصادر (خطة بني عبد الله بن دارم) بالكوفة. ولا يُستَبْعَد أن يكون الدير هذا يقع في هذه الخطة.

١١- دَيــر بنــي مــرينـا

حُدِدَ (دير بني مرينا) عند موضع جفر الأملاك في ظاهر الحيرة[١]، وإليه أشار ابن الأثير بقوله: إنه يُعرَف بحفر الأميال في ديار بني مرين العباديين بين دير بني هند والكوفة[٢]. وتعود تسمية (الأملاك) إلى إعتقال عدد من الملوك فيه، وكان قيس بن سلمة بن الحارث بن عمرو بن حجر قد أغار على ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي، فهزمه حتى أدخله (قصر الخورنق) ومعه إبناه قابوس وعمرو، ولم يكن قد ولد له يومئذٍ المنذر بن المنذر، فجعل إذا غشيه قيس بن سلمة يقول: ياليت هنداً ولدت ثالثاً (وهند هذه هي عمّة قيس أم ولد المنذر). فمكث ذو القرنين حولاً، ثم أغار عليهم في موضع (ذات الشقوق) فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر بن عمرو، وهم في أثناء الصيد، وأفلت منهم امرؤ القيس على فَرَس شقراء. فطلبه القوم كلهم فلم يقدروا عليه. وقدم المنذر بن النعمان مدينة الحيرة ومعه هؤلاء الفتية فحبسهم بالقصر الأبيض مدة شهرين، ثم أرسل إليهم أن يؤتى بهم فخشي أن لا يؤتى بهم حتى يؤخذوا من رُسُلِه، فأرسل إليهم أن اضربوا أعناقهم، فسمي المكان (جفر الأملاك) وهو موضع دير بني مرينا. وفي هذه الحادثة أنشد امرؤ القيس في رثائهم[٣]:

فلو في كلِّ معركةٍ أُصيبوا　　　ولكن من ديارِ بني مرينا

وقد أوردنا بقيّة الأبيات عند حديثنا عن قصرَي (الخورنق والسدير).

---

(١) ياقوت: معجم البلدان٢/٥٠١، البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/٥٥٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٤٣٥.

(٣) السندوبي: شرح ديوان امرئ القيس ص١٩٠.

١٢- دَيـر الجماجـم

يقع دير الجماجم على بعد سبعة فراسخ من الكوفة من طرف البر السالك إلى مدينة البصرة[١]. وقد حدد المستشرق (شتراك Streck) موضعه بالقول: إن أطلال هذا الدير على مسيرة ستة أميال أو ثمانية أميال شرقي علي (أي مدينة النجف الأشرف) في مكانٍ ما بالجزء الجنوبي الشرقي من بحر النجف الحالي[٢]. وقد أعطى أبو عبيدة سبب تسميته بهذا الاسم بقوله: الجمجمة هي القدح من الخشب، وسمي (دير الجماجم) لأنه كانت تُعمل فيه الأقداح من الخشب. وقيل الجمجمة هي البئر التي تُحفَر في سبخة فيجوز أن يكون الموضع قد سُميَ بذلك[٣].

ولكن المؤرخ ابن الكلبي قد أعطى للتسمية بُعداً تاريخياً بقوله: إنما سمي دير الجماجم لأن بني تميم بنوا بجماجمهم هذا الدير شُكراً على ظفرهم، ولم يأخذ ياقوت الحموي بهذا الرأي بقوله: وهذا عندي بعيد عن الصواب، وهو غير معقول عن ابن الكلبي، وليس يصح عنه فإنه كان أهدى إلى الصواب من غيره في هذا الباب[٤].

ويقترب البكري من رأي ابن الكلبي فيقول: سمي بوقعة أياد على أعاجم كسرى بشاطئ الفرات الغربي، فقتلت جيشه، فلم يفلت منهم إلا الشريد، فجمعوا جماجمهم فجعلوها كالكوم، فسميَ ذلك المكان بدير الجماجم[٥].

ويبدو أن البُعد التاريخي للتسمية كان أقرب إلى ذلك وإنْ اختلفت الحادثة وزمنها، فالمكان هو الثابت لدى المؤرخين والجغرافيين، وإلى ذلك أشار البلاذري: أن دير الجماجم لقبيلة أياد، وكانت بينهم وبين بني بهراء بن عمرو بن قضاعة وبين بني القين

---

(١) البكري: معجم ما استعجم٢/٥٧٣، ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٠٣، ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ورقة١٠٤ب، الزمخشري: الجبال والأمكنة ص٥٥.

(٢) شتراك: دائرة المعارف الإسلامية ٩/٣٦٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٠٣- ٥٠٤.

(٤) ن.م. : ٢/٥٠٤.

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٧٣.

بن جسر بن شبع بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف حربٌ قُتِلَ فيها من أياد خلق. فلما انفضّت الواقعة، دفنوا قتلاهم عند الدير، وكان الناس بعد ذلك يحفرون لاستخراج الجماجم، فسميَ المكان بدير الجماجم.

ونقل البلاذري عن المؤرخ محمد بن السائب الكلبي قوله: كان مالك الرماح بن محرز الأيادي قد قتل قوماً من الفُرس ونصب جماجمهم عند الدير فسميَ (دير الجماجم)[1]. وقد شاءت الصدف أن تقع معركة رهيبة عند هذا الموضع عام ٨٣هـ بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[2]. وكان ابن الأشعث قد نزل بالضارة في دير الجماجم، ونزل الحجاج الثقفي بإزاء (دير قرة). وبعد قتال عنيف دام مائة يوم وثلاثة أيام، انتصر الحجاج على خصمه ابن الأشعث[3]. وأنشد الضحاك اليربوعي قائلاً[4]:

فإنْ يهلك الحجّاجُ فالمصرُ مِصرُنا ... وإلاّ، فمثوانا بدير الجماجمِ
وإنْ تبرزا للحربِ تبرزْ سراتنا ... مصاليتَ شوساً بالسيوفِ الصوارمِ

ولم تشهدِ الجونين والشِعْبَ ذا الصَفا ... وشدّاتِ قيسٍ يومَ دير الجماجمِ

وقد أضاف الشاعر (يوم دير الجماجم) إلى أيام العرب الكبرى كيوم الجونين[5] ويوم شِعب الحيس الذي كان بين داحس والغبراء[6].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٢.

(٢) البكري: معجم ما استعجم٢/٥٧٣، ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ورقة١٠٤ب.

(٣) الطبري: التاريخ٦/٣٤٧، المسعودي: مروج الذهب٣/١٤١، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٤٠- ٤٢.

(٤) المبرد: الكامل١/٢٨٥، ١٤٣، نقائض جرير والفرزدق ص٤١٠

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٢/١٨٩.

(٦) ن.م.: ٣/٣٤٧.

١٣- دَيـر الحرقـة

ورد ذِكر (دير الحرقة) مع ديرَي أم عمرو والسلسلة[1]. والمقصود بالحرقة هنا هند الصغرى، وإليها يُنسَب (دير هند) الواقع عند الخندق في ظهر الكوفة.

١٤- دَيـر الحـريق

حدد بعض المؤرخين (دير الحريق) بالحيرة[2]. وحدده آخرون في ظهرها إذ أنه يقع إلى جنب (قبة السنيق) و(قبة نحصين) وهما راهبان عاشا في هاتين القبتين خارج مدينة الحيرة، وإلى ذلك أشار الشاعر الثرواني بقوله[3]:

ديـرُ الحريـقِ وقُبَّـةُ السنّيقِ ... مغنىً لكـلِّ مُـدامةٍ و فُسوقِ

وطنٌ لِفُرقتِهِ شرِقْتُ بدمعتي ... ولِرِحْلَتي عنهُ غَصَصْتُ بِريقي

وقد حدد الشابشتي موضع (السنيق) على طريق الحاج[4]، وعلى ذلك يكون دير الحريق في ظاهر الحيرة وليس في داخلها. وتعود تسميته بالحريق إلى إحراق قومٍ في موضعه، وثم دُفِنَ فيه قومٌ ينتسبون إلى المُحترِقين. وفيه يقول الشاعر الثرواني[5]:

ديـر الحريـق ، فبيعـةُ المزعـوقِ ... بـينَ الغديـرِ ، فقبّـةُ السنّيقِ

أشـهى إلـيَّ من الصراةِ ودورها ... عندَ الصباحِ ، ومن رحى البطريقِ

فاغـدوا نُباكِرُمن ذخائرِ عتبةِ الـ ... خمّـارِ مـن صـافي الدِنـانِ رحيـقِ

يَاصاحِ واجتنبِ الملامَ ، أما ترى ... سَمِجاً ملامَكَ لي وأنتَ صديقي؟

---

١ الطبري : التاريخ ٤١/٤.

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٥٠٥/٢ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ٥٠٧/٢ . ينظر البستاني : دائرة المعارف الإسلامية ١٩٧/٦.

(٣) العمري : مسالك الابصار ٣١٥/١.

(٤) الشابشتي : الديارات ص٢٤١.

(٥) ياقوت : معجم البلدان ٥٠٥/٢.

وأشار إلى ذكرياته في هذا الدير وقد تركت في نفسه أثراً عميقاً بقوله :

خرجنا من شعانين النصارى وشيّعنا صليبَ الجاثليقِ
فلم أرَ منظراً أحلى بعيني من المُتنقّباتِ على الطريقِ
حملنَ الخوصَ والزيتونَ حتى بلغنَ بهِ إلى دَيرِ الحريقِ

١٥- دَير حنظلة

نُسِبَ هذا الدير لحنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربي بن نماره بن لخم، وهو من ديارات بني علقمة في الحيرة. وقد وُجِدَ في صدر الدير مكتوب بالرصاص في ساجٍ محفور: بنى هذا الهيكل المقدّس، محبّةً لولاية الحق والأمانة، حنظلة بن عبد المسيح ليكونَ مع بقاء الدنيا تقديسهُ. وكما يُذكرُ أولياؤهُ بالعِصمةِ يكونُ ذِكْرُ الخاطئِ حنظلة[1]. وقد أشار إليه الشاعر بقوله[2] :

بساحةٍ في الديرِ ، ديرِ حنظله عليهِ أذيالُ الشُرورِ مُسبَله
أحييتُ فيهِ ليلةً مُقتَبِله وكأسُنا بينَ النَدامى مُعمَله
والراحُ فيها مثلُ نارٍ مُشعَله وكُلُّنا مُنتَقِدٌ ما خوَّله
فما يزالُ عاصياً مَنْ عَذَلَه مُبادِراً قبلَ تلاقي أجَلَه

وقد ذكر هذا الدير أحد الشعراء بقوله :

فلا زالتْ كؤوسُكَ مُعمَلاتٌ تُشكّي منكَ أتعاباً وكَدّا
تُغَنّي كلما يلقاكَ كأسٌ ألا يا دَيرَ حنظلَةَ المُفدّى

(١) البكري : معجم ما استعجم ٢/٥٧٨.
(٢) ن.م. ، ياقوت : معجم البلدان ٢/٥٠٧.

ومن المحتمل أن (دير حنظلة) يقع في ظاهر الحيرة وليس في داخلها طالما أنه كان مقصداً للشعراء ولاسيما الكوفيين منهم لقضاء وطراً من اللهو والطرب والمتعة كما في بعض الأديرة الأخرى .

١٦- دَيـر حنّـة

يقع دير حنّة بظاهر الحيرة أو الكوفة[١] ، وقد حدد الشاعر الثرواني موقعه في منطقة تضم عدداً من الأديرة والقصور بقوله[٢] :

يا دير حنّـةَ عند القائم الساقي　　　إلى الخورنقِ من قصر ابن برّاق

ليس السلوُّ وإنْ أصبحتُ ممتنعاً　　　من بُغيتي فيكَ من شكلي وأخلاقي

والبيتان المذكوران يحددان موقع (دير حنة) من قصر الخورنق ودير ابن براق الذي كانت تقابله منارة عالية كالمرقب يقال لها (القائم) فذكره البغدادي بقوله : " وأظنه الذي يقال له قائم خصان "[٣] ، وهذا القائم لبني أوس بن عمرو بن عامر[٤] ، وقد قال فيه بكر بن خارجة[٥] :

ألا سُقيَ الخورنقُ من محلٍّ　　　إلى الخورنقِ من قصر ابن برّاق

أقمتُ بديرِ حنّتهِ زماناً　　　من بُغيتي فيكَ من شكلي وأخلاقي

ألا سُقيَ الخورنقُ من محلٍّ　　　ظريف الروضِ معشوقٍ أنيقِ

أقمتُ بديرِ حنّتهِ زماناً　　　بسكرٍ في الصبوح وفي الغُبوقِ

---

(١) ياقوت : معجم البلدان٢/٥٠٧ ، المنذري : التكملة٣/٢٤٦ ، ينظر رفائيل بابو إسحاق : تاريخ نصارى بغداد ص٨٨- ٩٦ ، البراقي : تاريخ الكوفة ص١٣٩.

(٢) البكري : معجم ما استعجم٢/٥٧٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٢/٥٠٧.

(٣) البغدادي : مراصد الاطلاع٢/٥٥٨.

(٤) ياقوت : معجم البلدان ٢/٥٠٧.

(٥) العمري : مسالك الابصار ١/٣١٢.

ومنّـا لابـسٌ إكليـلَ زهـرٍ ومُختَضِبُ السوالفِ بالخلـوقِ
كـأنَّ رياضَـهُ حُسناً وقـوراً سـحائبُ ذُهّبتْ بسنا البُـروقِ
وأن تقـاطُرَ الأشـجارِ فيـهِ إذا غسقَ الظلامُ ، قِطارُ نـوقِ
ومـا قـد شِيئتَ مـن دُرِّ الأقـاحي هنـاكَ ومـن يواقيـتِ الشقيق

وقد ارتبط (دير حنّة) بتاريخ المناذرة في الحيرة، إذ أنه كان لقوم من قبيلة تنوخ يقال لهم بنو ساطع، وكان فتيان الحيرة يألفونه ويشربون فيه[1]. ويبدو أن في ظاهر الحيرة ديراً آخر يُدعى بدير حنة يقع عند (الأكيراح) وهي بيوت الرهبان، وقد أشار إليه القطامي بقوله: (أما ترى ما غشيَ الأكيراحا)[2]. وكان مقصداً للكوفيين، وقد أنشد فيه شعراؤهم، وكان أحمد بن عمر الكوفي يتردد عليه، وأنشد مرةً وهو في طريق عودته منه لأهله بعد أن غلب عليه الشراب[3]:

تطـاوَلَ ليلُـكَ بالزاويـةْ وكـانَ المبيـتُ بهـا عافيـةْ
ومـن تحـتِ رأسـكَ آجـرّةٌ وجنبُـكَ مُلقـىً علـى باريـةْ
وذلـكَ خيرٌ مـن الإنصراف فتحكُـمُ فيـكَ بنـو الزانيـةْ
وتُصبحُ إمـا رهيـنَ السجونِ وإمـا قتـيلاً علـى ساقيـةْ

ويبدو أن أبا نؤاس كان من روّاد (دير حنّة)، فقد وصفه وصفاً دقيقاً بقوله[4]:

لا تحفلـنَّ بقـولِ الزاجـرِ اللاحـي وأشربْ على الوردِ من مشمولةِ الراحِ
كانـتْ إذا مُزِجَـتْ والليـلُ مُعتكِـرٌ أغنـاكَ لألاؤها عن ضوءِ مِصباحِ
مـا زلـتُ أسقي حبيبي ثـم ألثِمُـهُ والليلُ ملتَحِفٌ في ثـوبِ أمساحِ

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٧٨.

(٢) الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة ٣/١٠٢.

(٣) العمري: مسالك الابصار ١/٣١٢.

(٤) أبو نؤاس: الديوان ص١٠٨، الرقيق النديم: قطب السرور في أوصاف الخمور ص٥٥٩.

حتى تغنّى وقد مالتْ سوالِفُهُ   يا دير حَنّةَ من ذاتِ الأكيراحِ

وقال أيضاً[1]:

يا ديرَ حنّةَ من ذاتِ الأكيراحِ   مَنْ يصحُ عنكَ فإني لستُ بالصاحي
رأيتُ فيهِ ظباءً لا قرونَ لها   يلعَبْنَ فينا بألبابٍ و أرواحِ
يعتادهُ كلُّ محفوفٍ ، مفارقُهُ   من الدّهانِ، عليهِ سحقُ أمساحِ
في عصبةٍ لم يدَعْ منهم تخوّفُهم   وقوعَ ما حذروهُ غير أشباحِ
لا يدلفونَ إلى ماءٍ بآنيةٍ   إلا اغترافاً من الغدرانِ بالراحِ

عند الأكيراح، ويقال أنه بُنيَ حينَ بُنيتْ الحيرة. وقد وصفه بالقول: وكان من أنزهِ الأديرة لكثرة بساتينه وتدفق مياهه. وقد حكى جحظة عن بعض أهل الحيرة: أنه اجتاز بنا عمر بن فرج الرخجي منصرفاً من الحج فتلقّيناه وأعظمناه وسرنا معه. فلما اجتاز دير حنة، سألنا عنه فعرّفناه له فقال: مَنْ ذا الذي يقول: (يا دير حنة من ذات الأكيراح)؟ فقال له الحسين بن هشام الحيري: هذا لأبي نؤاس، أفتُحب أن أنشدَكَ لشاعرنا الثرواني شيئاً يقرب من هذا المعنى في هذا الدير؟ قال قل. فأنشدهُ[2]:

وبالحيرةِ لي يومٌ   ويومٌ بالأكيراحِ
إذا عَزَّ بنا ماءٌ   مزجْنا الراحَ بالراحِ

أما دير حنّة الصغير، فإنه يقع بالقرب من الكبير، وفيه قال بكر بن خارجة:

على الريحانِ والراحِ   وأيامِ الأكيراحِ

(١) ن.م. : ص ٢٩٧ ، ياقوت : معجم البلدان ١/ ٢٤٢.

(٢) العمري : مسالك الابصار ١/ ٣٢٠.

وقد أشرنا إلى أن (دير حنة) على ما يبدو هما ديران، أحدهما (حنّة الكبير) والآخر (حنّة الصغير). فدير حنة الكبير يقع عند الأكيراح وفيه قال جحظة[1]:

ألا سُقيَ الخورنقُ من محلٍّ ... ظريفِ الروضِ معشوقٍ أنيقِ

وذكرَ الأستاذ الطريحي: أن دير حنة هو (الحنّانة) المعروفة في مدينة النجف الأشرف، وقد تطورت لفظة (حنة) إلى (حنانة)[2]. ونحن لا نتفق مع هذا الرأي، فلفظ الحنانة — وفق رأينا — هو تصحيف من لفظ (الجبّانة) وهي المقبرة المعروفة بالثوية، أما دير حنة فهو يقع بالقرب من الخورنق والقائم ويطل على منطقة بحر النجف وقد اقترن بهما في كثير من الشواهد الشعرية، وهذه المنطقة بعيدة عن الحنانة ومقبرة الثوية.

١٧- دَيـر الزرنـوق

أشار المؤرخ الشابشتي إلى (دير الزرنوق) واعتبره دير (طيزناباذ) ويقع في منطقة النجف بين الكوفة والقادسية وعلى وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل[3].

١٨- دَيـر سرجـس

يقع دير (سرجس) في منطقة (طيزناباذ) بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق[4]، على نحو تسعة كيلومترات شمال شرقي النجف[5]. ويبدو أنه على مقربة من دير (الزرنوق) ويُنسب دير سرجس إلى راهبين بنجران وفيهما قال الشاعر:

أيا راهِبَي نجرانَ ما فعلتْ هندُ ... أقامتْ على عهدي، فإني لها عهدُ

إذا بَعُدَ المُشتاقُ رثّتْ حبالُهُ ... وما كلُّ مُشتاقٍ يُغيّرُهُ البُعدُ

---

(١) السقاف: الأوراق ص١٤٥- ص١٤٩.

(٢) الطريحي: الديارات والأمكنة ص١٠٠.

(٣) الشابشتي: الديارات ص٣٣٩.

(٤) ن.م.: ص٢٣٣.

(٥) سركيس: هامش كتاب (الديارات) ص٢٣٣.

ووصف ياقوت الحموي (دير سرجس) بقوله: إن هذا الدير كان محفوفاً بالكروم والأشجار والحانات، وقد خُرِّبَ ولم يبقَ منه إلا خرائب على ظهر الطريق يُسمّيها الناس (قباب أبي نؤاس). وقد أشار إليها الحسين بن الضحّاك بقوله[(١)]:

أخويَ حيٌّ على الصبوحِ صباحا ... هبّا، ولا بعدَ النديم صباحا

مهما أقامَ على الصبوحِ مُساعدٌ ... وعلى الغبوقِ فإنْ أُريدَ براحا

عودا لِعادتنا صبيحةَ أمسنا ... فالعَودُ أحمدُ مُغتدىً ومراحا

هذا الشميطُ كأنهُ متحيّرٌ ... في الأفقِ سدَّ طريقَهُ فألاحا

هلْ تعذران بديرِ سرجسَ صاحِياً ... بالصحوِ، أو تَرَيان ذاكَ جُناحا

إني أُعيذُكما بِعِشرةِ بيننا ... أن تشرَبا بقُرى الفراتِ قراحا

عجّتْ قوافِزُنا وقُدّسَ قِسُّنا ... هزجاً، وأصبحَ ذا الدجاج صياحا

للجاشريةِ[(٢)]، فضلُها فتعجّلا ... إنْ كنتما تَرَيان ذاكَ ملاحا

يا رُبَّ ملتمسِ الجنونِ بنومةٍ ... نبّهتـه بالراحِ حينَ أراحا

فكأنَّ ريّا الكأسِ حينَ نَدبتُهُ ... للكأسِ أنهَضَ، في حشاهُ، جَناحا

فأجابَ يعثرُ في فضولِ ردائهِ ... عجلانَ، يخلطُ بالعثارِ مراحا

مازالَ يضحكُ بي، ويُضحِكُني بهِ ... ما يستفيقُ دُعابةً ومِزاحا

فهتكتُ سِرَّ مُجونِهِ، بتهتّكي ... في كلِّ ملهيةٍ، وبحتُ وباحا

وكان أبو نؤاس قد آثر الإقامة في موضع (طيزناباذ)، وربما كان قد قصد (دير سرجس) لإحتوائه على عدد من الجواري الحِسان. فهو بين موضعين اشتهرا بالأُنس والطرب، وقد وصفهما وصفاً دقيقاً بقوله[(٣)]:

فتكتني طيزناباذُ، وقد كنتُ تقيّا

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥١٤/٢.

(٢) الجاشرية: نوع من الشراب، ينظر الزبيدي: تاج العروس ١٠١/٣.

(٣) أبو نؤاس: الديوان ص ١٤١.

إذْ تركتُ الماءَ فيها وشربتُ الخسرويّا

أرضُ كرْمٍ تجلبُ الدهرَ شراباً سابريّا

وغزالٌ زانَ بالقامةِ رِدفاً بربريّا

قادهُ إبليسُ طوعاً بعدما كانَ عَصيّا

فسقيناهُ ، على الوردِ شراباً ذهبيّا

وكشفنا عن بياضِ الردفِ ثوباً قصبيا

فوجدنا خلفَهُ دعصاً ، من الثلجِ نقيّا

١٩- دَيـر السلسلة

ورَدَ ذِكر (دير السلسلة) في أحداث عام ١٧هـ مع ديرَي الحرقة وأم عمرو[1]. وتقع هذه الأديرة الثلاثة في ظاهر الكوفة بدلالة أن (دير الحرقة) يقع عند الخندق وهو بداية منطقة النجف المعروفة باسم (ظهر الكوفة).

٢٠- دَيـر السّـوا

يقع (دير السّوا) في ظاهر الحيرة، ومعناه دير العدل، وقد كان الناس يتحالفون عنده ويتناصفون. وهو منسوب إلى رجل من قبيلة أياد، وقيل إلى رجل من بني حذافة، وقيل إلى امرأة تُدعى (السوا). وهناك رأي يقول: إنه نسبةٌ لأرض (السوا) وقد ذكره أبو داود الأيادي بقوله[2]:

بل تأمّلْ ، وأنتَ أبصرُ مني ... قصْدَ دير السوا بعينٍ جليّةْ

لِمَنْ الظعنُ بالضحى وارداتٌ ... جدولَ الماءِ ثم رِحْنَ عشيّةْ

مُظهِراتٌ رقماً تهالُ لهُ العيـ ... ـنُ وعقلاً وعُجمَةً فارسيةْ

---

(١) الطبري : التاريخ ٤١/٤.

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٥١٧/٢- ٥١٨.

٢١- دَيـر الشـاه

يقع دير الشاه بظاهر الكوفة على رأس فرسخ، أو ميل، من النخيلة[١]. ولم تُشِر المصادر إلى نصوص أخرى لدير الشاه.

٢٢- دَيـر عبد المسيح أو الجرعة

يقع (دير عبد المسيح) في ظهر الحيرة في موضع يقال له (الجرعة) وقد بناه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني[٢]. وقد بقي عبد المسيح على قيد الحياة معاصراً الفترات الأولى للإسلام حيث التقاه خالد بن الوليد عام ١٢هـ عند تقدّمه لتحرير الحيرة[٣]. وكان خالد بن الوليد قد نزل بين النجف والحيرة[٤]، وأشارت بعض النصوص إلى أن أحد مشايخ الحيرة قد خرج لظهرها يختطّ ديراً. فلما احتفر الأساس، أصاب كهيئة البيت فدخله، فإذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة جاء فيها (أنا عبد المسيح بن بقيلة).

وقال ياقوت الحموي: إن هذا الدير خَرُبَ بعد مدة، فظهر فيه أَزَجٌ معقودٌ من حجارة، فظن الناس أنه كنز ففتحوه، فإذا فيه سرير رخام عليه رجل ميت وعند رأسه ذلك اللوح المكتوب[٥]. ويبدو أن عبد المسيح بن عمرو كان من العُباد الأتقياء، ولما أتمَّ بناء الدير، قال[٦]:

كـم تجرَّعـتُ بـدير الجَرَعـهْ ... غُصَصاً كبدي بها مُنصَدِعه

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥١٨/٢.

(٢) ن.م. : ٥٢١/٢، البغدادي: مراصد الاطلاع ٥٦٨/٢.

(٣) يوسف رزق الله: الحيرة ص٢٦٤.

(٤) ن.م..

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٥٠٣/٢.

(٦) ن.م. : ٥٠٣/٢.

من بدورٍ فوقَ أغصانٍ على كُثُبٍ زُرْنَ احتساباً بِيَعه

وكُتِبَ على حائط الدير بيتان لم يُعرف قائلُهما[1]:

رأيتُ الدهرَ للإنسانِ ضِدّا ولا ينجى من الدهرِ الخلودُ
ولا تنجى من الآجالِ أرضٌ يحِلُّ بها ولا قصرٌ مَشيدُ

وكذلك هذان البيتان:

هذي منازلُ أقوامٍ عهدتهُمُ في خَفْضِ عيشٍ خضيبٍ ما لهُ خطرُ
دارتْ عليهم صروفُ الدهرِ فانتقلوا إلى القُبورِ فلا عينٌ ولا أثرُ

وأشار لقيط بن يعمر الأيادي إلى دير الجرعة بقوله:

تأسَّتْ فؤادي بذاتِ الجزعِ خُرعُبَةٌ مَرَّتْ تُريدُ بذاتِ الجُرْعةِ البِيَعا

والبِيَع في هذا البيت جمع بيعة وهو مكان العبادة والإنقطاع لله تعالى.

٢٣- دَير العَذارى

يقع (دير العذارى) بظاهر الحيرة، وهو من الأديرة المخصصة للنساء الرواهب والجواري المتبتّلات، تُحيطه أسوار عالية وتُحفّه البساتين الجميلة المثمرة كدير مارت مريم، ودير هند الكبرى، ودير هند الصغرى، ودير حنّة ودير العذارى[2].

٢٤- دَير علقمة

يقع (دير علقمة) بالحيرة أو في ظاهرها، وقد بناه علقمة بن عدي اللخمي. وأشار

---

(١) العمري: مسالك الأبصار ١/٣١٤.

(٢) رفائيل بابو اسحاق: أحوال نصارى بغداد ص٩٦.

إليه عدي بن زيد العبادي بقوله[1]:

نادمتُ في الديرِ بني علقما	عاطيتُهم مشمولةً عَنْدَما
كأنَّ ريحَ المِسكِ في كأسِها	إذا مزجناها بماءِ السما
علقَمُ ، ما بالُكَ لم تأتِنا	أما اشتهيتَ القهوةَ العلقما
مَنْ سرَّهُ العيشُ ولذّاتُهُ	فليجعلَ الراحَ لهُ سُلّما
فأشربْ على الديرِ ولذّاتِهِ	إذا أردتَ اليومَ أن تَنعُما

٢٥- دَير عون

حدد المؤرخ الشابشتي (دير عون) مما يلي النجف[2]. ولم تشر المصادر إلى الأحداث التاريخية التي وقعت في هذا الدير أو إشارة عند الشعراء .

٢٦- قُبّة الشتيق أو السنّيق

تُعد هذه القبة من الأبنية القديمة التي تقع في طريق الحاج ، وكما يقال لها (الشتيق) وقيل (السنّيق) وبإزائها قباب أخرى يقال لها (السكورة) أو (الشكورة) وهي جميعها للنصارى[3]. وذكر الأستاذ كوركيس عوّاد: (إنْ كان اللفظ السكورة، بالسين حسب رواية الشابشتي، جاز لنا رجعه إلى أصلٍ سرياني "شكورا" بمعنى الزهر والورد). ويرجح لفظ الشتيق "بالشين"، وعندنا أنه الأصح، والشتيق لفظة سريانية (شتيقا) بمعنى الساكن والصامت. ولا يُستبعد أن هذه القبة كانت منسكاً لراهب إنقطع عن الناس ولازم

(١) عدي بن زيد: الديوان ص١٦٦ ، ياقوت: معجم البلدان ٥٢٤/٢ ، العمري: مسالك الأبصار ٣٢٧/١ .

(٢) الشابشتي: الديارات ص٢٤٠.

(٣) ن.م. : ص٢٤١ ، العمري : مسالك الابصار ٣٢٨/١.

السكوت فعُرِفتْ به من هذه الجهة، وفي الديارات من كان أصحابها يلازمون الصمت والسكون حتى عرفوا بالسكوتيين[1].

وكان النصارى في (عيد الشعانين) يخرجون من السكورة إلى قبة الشتيق في أحسن زي، وعليهم الصُلبان، وبأيديهم المجامر والقسوس والشمامة، على نغم واحد، متفق في الألحان إلى أن يقضوا بغيتهم ثم يعودون إلى هيئتهم[2]. وذكر السيد محسن الأمين: أن الناس كانوا يقصدون (قبة الشتيق) للنزهة، وهي مما يلي النجف وقبة عضين مما يلي الكوفة[3]. وإذا خرج النصارى إلى هذه البقعة في المناسبات، يتبعهم خلق كثير من متطرّبي المسلمين وأهل البطالة إلى أن يبلغوا قبة الشتيق، ثم يعودون بمثل تلك الحال، فهو منظر مليح[4]. وقد أشار بعض الشعراء إلى قبة الشتيق وغيرها من القباب في منطقة النجف والتي كان يقصدها النصارى. وإليها يُشير أحد هؤلاء الشعراء بقوله[5]:

والنصارى مشدّدين الزنانيـ ـرَ عليهنّ كلَّ حُلـيٍ وثيـقِ
يتمشينَ من قباب الشعانيـ ـنِ إلى صخرةٍ ببابِ الشتيقِ
يا خليلي فلا تُعنّفني يوماً إنْ ترَ اللهوَ فيهِ بالتحقيقِ

وقد أنشد الشاعر الكوفي بكر بن خارجة في (قبة الشتيق) شِعراً على عادته في الأديرة الأخرى عندما يتطرّح في حاناتها، فقال[6]:

يا خليلَيّ عرّجا بي إلى الحيـ ـرةِ كم كم تُراقبان النجوما
واسقياني، في بيتِ بَنْجومَ، راحاً قهـوةً لا تحاكهـا بنجومـا

---

(١) كوركيس عواد: هامش كتاب(الديارات) ص٢٤١.

(٢) العمري: مسالك الابصار ٣٢٨/١.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٣٠٤/٣٥.

(٤) الشابشتي: الديارات ص٢٤١.

(٥) ن.م.: ص٢٤١.

(٦) ن.م.: ص٢٤٢.

حانـةٌ حـشوهـا ضـبـاءٌ مِـلاحٌ هيّجـوا بالـدلالِ قلبـاً سقيمـا
وإذا مـا سقيتمانـي شـرابـاً خندريـساً معتّقـاً مختومـا
فاقـصدا قبّـةَ الـشتيقِ وظبيـاً سكنَ الديرَ، قد سباني ، رخيما

وذكر امرؤ القيس (قبّة الشتيق) بالسين بقوله[1] :

وسنٍّ كسنّيقِ السناءِ وسنّمٌ ذعرت بمدلاجِ الهجيرِ نهوضُ

وأشار إليها الشاعر الثرواني بقوله[2] :

ديـر الحريـقِ فبيعـة المزعـوقِ بـينَ الغديـرِ ، فقُبّـة الـسنّيقِ
أشهى إلـيَّ مـن الصراةِ ودورِهـا عند الصباحِ ومن رحى البطريقِ

وكان سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكر بن أعين، المتوفى عام٢٥٠هـ، قد ابتاع الأرض التي فيها (قبة الشتيق) وعمل على استنباط عين الماء فيها وساقه في القنيّ إلى مدينة النجف الأشرف[3].

٢٧- دَيـر قـرة

يقع دير قرة بإزاء دير الجماجم، وهو يُنسب إلى رجل من قبيلة لخم يُدعى قرى بن حذافة بن زهر بن أياد، ويعود إلى عهد المنذر بن ماء السماء[4]. وذكر الأستاذ الدكتور صالح العلي: أن هذا الدير يقع شمالي مدينة الكوفة وليس في جنوبها[5]. وقد وقعت عند (دير قرة) بعض الأحداث في العصور الإسلامية. ففي عام ١٤هـ، لحق الفُرس بدير

---

(١) السندوبي: شرح ديوان امرئ القيس ص١٨١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٠٥.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٣٥/٣٠٤- ٣٠٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٢ ، ينظر يوسف رزق الله: الحيرة ص٤٥، الجنابي: تخطيط الكوفة ص٢١

(٥) العلي: (منطقة الكوفة) بحث في مجلة سومر المجلد٢١ لسنة١٩٦٥ ص٢٤١.

قرة وما وراءه، ولما تقدّم سعد بن أبي وقاص نحوهم، استطاع النزول فيه، وقد لحقت القوات الإسلامية بقيادة عياض بن غنم التي قُدرت بألف مقاتل بالجيش الإسلامي[1].

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي، أثناء صراعه مع عبد الرحمن بن الأشعث، قد نزل بدير قرة، بينما نزل ابن الأشعث بدير الجماجم، ولما علم الحجاج بذلك قال: " تكثر فيه جماجمُهم "[2]. وقد ورد ذِكر (دير قرة) في شعر الشاعر الحيري عدي بن زيد العبادي بقوله[3]:

أبلـغْ خليلـي عبـدَ هنـدٍ فـلا ... زِلتَ قريباً من سواد الخصوصْ
مـوازيَ (القـرَّةَ) أو دونهـا ... غيرَ بعيدٍ عن عمير اللصوص
تُجنـى لـكَ الكمـا ربيعيّـةً ... بالخبّ تندى في أصول القصيص

٢٨- قَلاّيـة القِـس

تُشابه بناية (قلاية القس) أديرة منطقة النجف الواقعة في ظاهر الحيرة، وقد أشارت بعض المصادر إلى أن هذه البناية تقع في أعلى الحيرة[4]، وكان ينزلها قس من ملامح النصارى قد تنسّك في أول أمره ثم صار فاتكاً مشتهراً بالمجون والخلاعة[5]. وقد أشار الشاعر الثرواني إلى (قلاية القس) بقوله[6]:

خليلَـيَّ مـن تيـمٍ وعِجـلٍ هُديتُمـا ... أضيفا بشربِ الكأسِ يومي إلى أمسي
وإنْ أنتمـا حُيّيتمـا في تحيّـةٍ ... فلا تعدوا ريحانَ قلاّيـةِ القسِّ
إذا مـا بـهِ حييتمـاني فـأدخِلوا ... حميدين دوني بالخلوقِ وبالوِرسِ

---

(١) الطبري: التاريخ ٥٧٧/٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان٢/٥٢٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٤١/٩.

(٣) عدي بن زيد: الديوان ص٦٨.

(٤) البكري: معجم ما استعجم٣/١٠٩٢، ياقوت: معجم البلدان٤/٣٨٦، البغدادي: مراصد الاطلاع٣/١١٥، العمري: مسالك الابصار ٣١٨/١.

(٥) البغدادي: مراصد الاطلاع ١١٥/٣.

(٦) البكري: معجم ما استعجم٣/١٠٩٢، ياقوت: معجم البلدان ٣٨٦/٤.

وإنْ قلتُها، لابدَّ من شربِ دائرٍ ولم تعذراني في مطالٍ ولا حبسِ
فمِن قهوةٍ حيريةٍ راهبيةٍ عتيقةِ خَمسٍ، أو تزيدُ على خمسِ
تجرُّ على قَرحِ المزاجِ إزارها وتختالُ منهُ في مصبَّغةِ العُرسِ

وقد وصف أحد الشعراء تحول القس النازل في هذه القلاّية من حياة النُسك إلى حياة المجون بقوله[1]:

إنَّ بالحيرةِ قِسٌّ قد مَجَن فتنَ الرهبانَ فيها، وافتتنْ
هجرَ الإنجيلَ حُبّاً للصِبا ورأى الدنيا مَتاعاً فركنْ

ووصف أحد الشعراء (قلاّية القس) وجمال أجوائها الطبيعية بقوله[2]:

قلاّيةَ القِسِ مالي عنكِ مصطبَرُ ومن إلى مَنْ لحاهُ فيهِ يعتذرُ
فكم لديكِ نسيمٌ ذيلهُ عَبِقٌ وكم لديكِ هواءٌ جيبُهُ عَطِرُ
وتُربةٌ وغِناءٌ، ذي يزولُ بها سقمُ السقيمِ وذا يُجلى بهِ البصرُ
وماءُ حَزْنٍ بكفِّ الريحِ، تصقلهُ وكالمرايا تلي الأوشالُ والغدرُ

وذهب أحد الباحثين إلى القول: إن أصل لفظ (القلاّية) يعود إلى (الغلاية) وهي كالصومعة يتعبّد بها الرهبان، وهي من الألفاظ المعربة من أصل يوناني هو (Kelliyon) ومعناه غرفة الراهب أو الناسك، ومن هذا الأصل انتقلت إلى السريانية فصارت (قليتا)[3]. وقد عدّد الخفاجي ألفاظ معابد النصارى ومساكن الرهبان منها: دير، قلية،

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ١٠٩٢/٣، ياقوت: معجم البلدان ٣٨٦/٤.

(٢) العمري: مسالك الابصار ٣١٨/١.

(٣) الحديثي: نتائج تنقيبات منطقة الحيرة ص٦٥- ص٦٦.

وصومعة. أما القلاّية وجمعها قلالي فهي بناء مرتفع كالمنار وتكون لراهبٍ ينفرد، وقد يكون لها بناء ظاهر[1]

٢٩- دَير مارت مريم

يقع (دير مارت مريم) بنواحي الحيرة بين قصرَي الخورنق والسدير، وبين قصر أبي الخصيب المشرف على النجف، وفيه أنشد الشاعر الثرواني[2]:

بمــارتَ مــريمَ الكبــرى ... وظِــلِّ فِنــائها فقِــفِ

فقـصرِ أبـي الخـصيبِ المُشـ ... ـرفِ المـوفي علـى النجـفِ

وكان في دير مارت مريم قس يقال له يحيى، وله ابنٌ يقال له يوشع يألفه الفتيان الظرفاء ويشربون عنده على قراءة النصارى وضرب النواقيس. وقد وصف الشاعر بكر بن خارجة حياة هذا الدير بقوله:

بتنــا بمــارتَ مريــمِ ... سُقيــاً لمــارتَ مريــمِ

ولِقِــسّنا يحيــى المهيــنمِ ... بعــدَ نــومِ النُــوَّمِ

وليوشــعٍ ولخمــره ال ... حمــراءِ مثــلِ العنــدَمِ

ولفتيــةٍ حفّــوا بــهِ ... يعــصونَ لــومَ اللــوَّمِ

يــسقيهمُ ظــبيٌ أغَــنُّ ... لطيــفُ خلــقِ المِعــصمِ

يرمــي بعينيــهِ القلــوبَ ... كمثــلِ رمــيِ الأســهمِ

وقال أيضاً:

---

(١) الخفاجي: شفاء الغليل ص١٨٩.

(٢) البكري: معجم من استعجم ٢/٥٩٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٥٣١، البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/٥٧٤.

بمـارتَ مريـمِ وبـدَيرِ زكّـي ومرتومـا ودَيـرِ الجاثليـقِ
وبالإنجيـلِ يتـلوهُ شُـيوخٌ مـن القسّانِ في البيـتِ العتيـقِ
وبالقُـربانِ والـصُلبانِ، إلاّ رثيـتَ لقلـبيَ الـدَنِفِ المَشوقِ
أجِرْ قلبي المُعنّـى من هموم وأرشـدني إلى وجـهِ الطريـقِ
فقد ضاقتْ عليَّ وجوهُ أمري وأنـتَ المُستَجارُ مـن المَـضيقِ

وبقي دير (مارت مريم) حتى العصر العباسي الثاني، وقد زاره الخليفة الواثق (ت٢٣٢هـ) وأنشد فيه أبو إسحاق الموصلي بقوله[١]:

نِعْـمَ المحل لمن يسعى للذتـهِ ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهـرِ معمورُ
ظِلٌ خليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أسنٍ وقاصراتٌ كأمثال الدُمى حورُ

وجاءت إشارة أبي إسحاق الموصلي إلى (الظهر) الذي عليه (دير مارت مريم) وكان إلى عصره عامراً، وقد وصفه بالقول: (فرأيتُ دير مارت مريم فأعجبني موقعه وحسن بنائه). ونال الدير إعجاب الواثق أيضاً فقال: (لا يُصطَبح غداً إلا فيه) وأمر أن يُعدَّ فيه ما يصلح من الليل، وقد باكروه، ومن ثم أمر الواثق بمال ففرقه على أهل هذا الدير[٢]. وكان الشاعر أبو نؤاس من روّاده، وقد وصفه وصفاً دقيقاً، وأشار إلى حياة العبادة فيه من جانب، وإلى حياة اللهو والمتعة من جانب آخر، فهما كانا مجتمعين فيه، وقد أنشد قائلاً[٣]:

بعموريـةَ الديـرِ العتيـقِ بطرينيهـا بالجاثليـقِ

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٣١.

(٢) يوسف رزق الله: الحيرة ص٤٦، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/١٧، سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص٩٧

(٣) رفائيل بابو اسحاق: أحوال نصارى بغداد ص٦٧- ص٦٨.

بـشمعونِ بيوحنّـا بعيـسى | بماسـرجيسَ بـالقِسِ الـشفيقِ
بِميلادِ المـسيح بيـوم دِغٍ | بباعـوثا بتأديـةِ الحقـوقِ
بـأشمَوَي وسـبعِ قـدّمَتْهم | وما حادوا جميعاً عن طريقِ
بمارت مريمٍ وبيوم فصحٍ | وبالقُربـانِ والخمرِ العتيـقِ
وبالـصُلبانِ ترفعهـا رمـاحٌ | تـلألأ حينَ تـومِضُ بالبـروقِ
بحجّـكَ قاصـداً ماسرجسانٍ | بـدير النوبهـارِ فديـرِ فيـقِ
بهيكـلِ بيـعة اللهِ المُفـدّى | وقِـسّانٍ أتـوهُ مـن سـحيقِ
وبالنـاقوسِ في البيَـعِ اللـواتي | تُقامُ لها الصلاةُ لدى الشروقِ
بمـريمَ بالمـسيحِ وكـلِّ حَـبرٍ | حـواريٍّ علـى ديـنٍ وثيـقِ
برهبـانِ الـصوامعِ في ذراهـا | أقـاموا ثـم في جهـدٍ وضيـقِ
بإنجيـلِ الـشعانينِ المُبـدّى | وشمعلةِ النصارى فـي الطريـقِ
وبالصُلُبِ العظيمةِ حينَ تبدو | بالزنّـارِ في الخـصرِ الدقيـقِ

وقد تضمّنتْ هذه الأبيات قساوسة الدير والعاملين فيه وبعض عادات وتقاليد المسيحيين. فقد كانت كلمة (دغا) بمعنى الظهور، وإن كلمة (الباعوثا أو الباعوث) تعني الإبتهال أو التضرع أو الإلتماس. ويبدو أن الشاعر قد اطّلع على هذه التقاليد بنفسه وأشار إلى أعياد المسيحية وما يشابه دير مارت مريم من الأديرة الواقعة في بلاد الشام وغيرها وما يسكن الأديرة من رهبان وراهبات وفتيانٍ وفتيات.

٣٠- دَيـر مـارفـاثيـون

يقع دير (مارفاثيون) في أسفل النجف، ودير ابن مزعوق في أعلاها بحذاء قصر عبد المسيح[١]. وإليه أشار الشاعر الثرواني بقوله[٢]:

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥٣١/٢، البغدادي: مراصد الاطلاع ٥٧٤/٢.

(٢) العمري: مسالك الابصار ٣١٧/١.

تُعيرُ بفضلِ عينِكَ لي بوصلٍ ... وفِعلُكَ لي مُقِرٌّ بالجحودِ
تشكّكُني، وأعلمُ أن هذا ... هوىً بين التعطّفِ والصدودِ

وأشار إلى ديرَي (مارفاثيون) و(ابن مزعوق) بقوله[1] :

قلتُ له والنجومُ طالعةٌ ... في ليلةِ الفِصحِ أوّلِ السَحَرِ
هل لكَ في (مارفاثيونَ) وفي ... دير ابنِ مزعوقَ غير مختصرِ
يفيضُ هذا النسيمُ من طرف ... الشامِ ودرَّ الندى على الشجرِ

ووصف حياة اللهو والأنس والطرب في دير مارفاثيون بقوله :

أتاكَ على الدخولِ لمهرجانٍ ... تُشيّعه المعازِفُ و القيانُ
وزُفّتْ نحوكَ الصهباءُ صِرفاً ... تسير بها وتحملها الدِنانُ
لهذا اليومِ فضلٌ مُستبينٌ ... على الأيامِ ، تعرفهُ، وشانُ

٣١- دَير هند الصُغرى

يقع دير (هند الصغرى) في ظاهر الحيرة[2] وقيل: يقع ما بين الحيرة والكوفة أو ظاهرها[3] وقيل أيضاً: على طف النجف. وقد حدد البغدادي موقعه: بأنه يقارب خطة بني عبد الله بن دارم مما يلي خندق الكوفة[4]. وقد أنشأت هند بنت النعمان بن المنذر هذا الدير بعد أن ترهّبت ، وسكنته دهراً طويلاً ثم عميت[5]. وكانت هند تُدعى بالحرقة ،

---

(١) الشابشتي: الديارات ص٢٣٠- ص٢٣١.

(٢) ن.م. ص٢٤٤ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ٢/٥٧٩.

(٣) ن.م.

(٤) البغدادي: خزانة الأدب ١٨٢/٣ ، ينظر الزركلي: الأعلام ١٠٦/٩.

(٥) الشابشتي: الديارات ص٢٤٤ ، البغدادي: خزانة الأدب ١٨٢/٢.

وقد نسب إليها (دير الحرقة)[1]. ويبدو أن هنداً قد اعتنت بديرها غاية الأعتناء، حتى عُدَّ من أعظم الأديرة وأعمرها في منطقة النجف، وأضفى موقعه النَزِه جمالية أخرى عليه[2].

وبيّنَ المؤرخ هشام الكلبي سبب بناء هذا الدير بقوله: بعد أن غضب كسرى على النعمان بن المنذر وحبسه، أعطت ابنته هند عهداً لله إنْ رُدَّ إلى مُلكه أن تبني ديراً وتسكنه حتى تموت. فلما أخلى كسرى سبيلَ النعمان، وفّتْ هند بعهدها وبنتْ هذا الدير وأقامت به إلى أن ماتت ودُفِنت فيه[3].

وذهبت بعض المصادر إلى القول: أن النعمان بن المنذر هو الذي بنى هذا الدير لابنته لكي تتعبّد فيه. فلما فرغ منه، خرجت من قصر أبيها فأقامت سنة تنزل المضارب في نزهٍ وصيد، والمسافة بين قصر أبيها وبين الدير نحو فرسخ واحد. وحُكي أن النعمان كان يصلي ويتقرب إلى الله فيه، وأنه علق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة وكانت أدهانها في أعياده من زئبق وبان وما شاكلهما من الأدهان، ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر شيئاً يجلُّ عن الوصف[4].

وقد أصبح دير (هند الصغرى) مدفناً لأسرة النعمان بن المنذر، كما دُفن فيه عدد من الشخصيات من أُمراء وبطاركة[5]. وأشار بعض مؤرخي النصرانية المحدثين إلى أن الشاعر الحيري عدي بن زيد العبادي قد خطب هنداً ابنة النعمان بن المنذر فأجابه النعمان وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام، وكانت مع عدي بن زيد حتى أن قتله النعمان. وعند ذلك ترهَّبتْ هند وحبست نفسها في هذا الدير[6]. واحتل دير هند

---

(١) الطبري: التاريخ ٤/٤١، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٢) الشابشتي: الديارات ص٢٤٤، ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٤١.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٤١.

(٤) العمري: مسالك الابصار ١/٣٢١.

(٥) الطريحي: الديارات والأمكنة ص١٤٨.

(٦) شيخو: شعراء النصرانية قبل الإسلام ق٤/٢٦٦، بابو اسحاق: أحوال نصارى بغداد ص٩٣.

الصغرى موقعاً في أحداث التاريخ الإسلامي إذ بقيَ شاخصاً إلى العصر العباسي الثاني، ففي عام ١٢هـ، دخل خالد بن الوليد دير هند بعد تحريره لمدينة الحيرة والتقى بهند وقال لها: أسلمي حتى أُزوّجكِ رجلاً شريفاً من المسلمين. فقالت: أما الدين فلا رغبة لي عن ديني ولا أبغي به بديلاً، وأما التزويج فلو كانت فيَّ بقية لما رغبت فيه فكيف وأنا عجوز هامة اليوم أو غد. ثم قال لها: سليني حاجة. قالت: هؤلاء النصارى الذين في أيديكم تحفظونهم. قال: هذا فرض علينا وقد أوصانا به نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم قالت: مالي حاجة غير هذه، أنا ساكنة في دير بنيته ملاصق هذه الأعظُم البالية من أهلي حتى ألحقَ بهم. وبعد أن أتمّت هند حديثها، أمر لها خالد بن الوليد بمعونة وكسوة. فقالت: ما لي بشئ من هذا حاجة. لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوّت بما يخرج منها ويمسك الرمق، وقد اعتددت بقولك فعلاً وبعرضك نقداً. فاسمع دُعاءً أدعو لك به كنا ندعو به لأملاكنا: شكرتْ لك يدٌ افتقرتْ بعد غِنى ولا وصلتكَ يدٌ استغنتْ بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا أزالَ عن كريمٍ نعمةً إلا وجعلك سبباً لردّها إليه[1]. ثم قال لها خالد: إخبريني بشيء أدركتِ، فقالت: ما طلعتْ الشمس بين الخورنق والسدير إلا على ما هو تحت حُكمِنا، فما أمسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا. ثم أنشأت تقول[2]:

صانَ لي ذِمّتي وأكرَمَ وجهي　　　إنما يُكرِمُ الكريمَ الكريمُ

ويبدو أن (دير هند الصغرى) أصبح مقصد الولاة والقادة وأن هنداً قد أطال الله عمرها بحيث أنها إلتقتْ بشخصيات لها مواقع في الدولة العربية الإسلامية. فأثناء مروره بالحيرة، نظر زياد بن أبيه إلى دير. فقال لخادمه: لمن هذا؟ فقال له: هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر. فقال: ميلوا بنا السير. فوقف على باب الدير وسمع هنداً من وراء

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٥٤١/٢ - ٥٤٢، البكري: معجم ما استعجم ٦٠٤/٢، الرقيق النديم: قطب السرور ص٦.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٥٤٢/٢.

الباب والخادم يقول: كلّمي الأمير. فقالت: أأوجِزُ أم أُطيل؟ قال: بل أوجِزي. قالت: كنا أهلَ بيت طلعت الشمسُ علينا وما على الأرض أحد أعز منا وما غربت تلك الشمس حتى رحمَنا عدوُّنا. فأمرَ لها زياد وساقاً من شعير، وقد شكرَته بالقول: أطعمتكَ يدٌ شبعاءٌ جاعتْ ولا أطعمتكَ يدٌ جوعاء شبعتْ. ولما سمع زياد بن أبيه كلامها، سرَّ غاية السرور، وأشار إلى ذلك الشاعر[1]:

سَل الخيرَ أهل الخيرِ قُدماً ولا تسلْ فتىً ذاقَ طعمَ الخيرِ منذْ قريبِ

وأشار الجاحظ إلى أن فروة بن إياس بن قبيصة قد انتهى إلى دير حرقة بنت النعمان، فوجدها تبكي. فقال لها: ما يُبكيكِ؟ قالتْ: ما من دار امتلأتْ سروراً إلا امتلأتْ بعد ذلك ثبوراً، ثم قالت[2]:

فبينا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سوقةٌ نتصنَّفُ

وعلى مقربة من دير هند يقع منزل معن بن زائدة الشيباني، وقد أشار إليه بقوله:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً لدى دير هندٍ والحبيبُ قريبُ
فتُقضى لبانماتٌ وتُلقى أحبّةٌ ويورقُ غصنٌ للسرورِ رطيبُ

وقال أيضاً:

لئنْ طالَ في بغدادَ ليلي فربما يُرى بجنوبِ الديرِ وهو قصيرُ

وقد أشارت بعض المصادر إلى أنه في عام ١٧هـ مرَّ سعد بن أبي وقاص على أرض الكوفة فوجد ثلاثة أديرة هي: دير حرقة بنت النعمان، ودير أم عمرو، ودير السلسلة[3]. ويبدو أن هذا التجوال جاء بعد أن أتمَّ سعد فتح العراق. فدخل (دير هند)

---

(١) البيهقي: المحاسن والمساوئ ٢/٥٨.

(٢) الجاحظ: المحاسن والأضداد ص١٣٣

(٣) الطبري: التاريخ ٤/٤١، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٧٥.

فخرجت إليه، وأكرمها وعرض عليها نفسه في حوائجها، فقالت: سأُحييكَ بتحية كانت أملاكُنا تُحيي بها (مسّتكَ يدٌ نالها فقر بعد غِنى ولا مسّتكَ يدٌ نالها غنى بعد فقر، ولا جعل الله لك من لئيمٍ حاجة ولا نزعَ الله عن كريمٍ نعمةً إلا جعلكَ سبباً لردّها إليه)[1].

وأثناء عمليات الفتوح لأرض السواد، سار جرير بن عبد الله البجلي بالناس حتى وافى الثعلبية وضمَّ إليه المثنى بن حارثة الشيباني فيمن كان معها، وسار نحو الحيرة فعسكر بدير هند، ثم بثَّ الخيل في أرض السواد[2]. وأن (الثعلبية) المشار إليها هي من منازل طريق مكة من الكوفة وهي نسبةً إلى ثعلبة بن عمرو وقيل إلى غيره مَنْ اسمه (ثعلبة) وبها عيون ماء[3].

وركب إلى دير هند بنت النعمان، المغيرة بن شعبة أثناء ولايته لمدينة الكوفة[4]. فاستأذن عليها، فقالت له: مَنْ أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة الثقفي[5]. وفي رواية أُخرى قال لها: أمير هذه المدرة بالباب، فقالتْ له: أمِنْ وِلْد جبلة بن الأيهم أنت؟ قال: لا، قالت: فمَنْ أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة. أنت عامل الكوفة؟ قال: نعم، قالت: فما حاجتُكَ؟ قال: جئتُكِ خاطباً. قالت: لو جئتني لجَمالٍ أو مالٍ لأجبناك، ما بي رغبةٌ لجمال ولا كثرةٌ بمال ولكنكَ أردتَ أن تنشرَ في محافل العرب فتقول: تزوّجتُ بنت النعمان بن المنذر، وإلا فأيُّ خيرٍ في اجتماعِ أعورٍ وعمياء؟! ولما انصرف المغيرة بن شعبة من عندها أنشد قائلاً[6]:

أدركتُ ما منّيتُ نفسي خالياً ... للهِ درُّكِ! يا ابنةَ النعمانِ

---

(١) الشابشتي: الديارات ص٢٤٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص١١٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢/٧٨.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٣/٣٣، الصنعاني: نسمة السحر ٢/ ورقة ٢١١.

(٥) الأبشيهي: المستطرف ٢/٢٢١.

(٦) البكري: معجم ما استعجم ٢/٦٠٥- ٦٠٦، الأصفهاني: الأغاني ١٦/٩٤، (طبعة دار الكتب العلمية).

فلقد رددتِ على المغيرةِ ذهنَهُ ... إنَّ الملوكَ ذكيَّةُ الأذهانِ

يا هندُ إنكِ قد صدقتِ فأمسكي ... والصدقُ خيرُ مقالةِ الإنسانِ

إني، كحِلفِكِ بالصليبِ، مُصدِّقٌ ... والصُلبُ أصدقُ حِلفَةِ الرهبانِ

وفي دير هند قال الشاعر أبو حيان عبد الله بن أيوب التميمي[1] :

يا ديرَ هندٍ لقد أصبحتَ لي أنساً ... ولم تكنْ قبلُ لي يا دير مِئناسا

سقياً لذلك ديراً كنتُ آلفُهُ ... فيهِ أُعاشِرُ رهباناً وشمّاسا

وفي عام ٧٤هـ ، قدم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مدينة الكوفة ، وقيل له : إن بين الحيرة والكوفة ديراً لهند بنت النعمان ، وهي فيه ، فانظر إليها فإنها بقيّة. فركب وركب الناس معه حتى أتى الدير فقيل لها : هذا الأمير الحجاج بالباب. فأُطلِعَتْ من ناحية الدير فقال لها : يا هند ما أعجب ما رأيتِ ؟ قالت : خروج مثلي إلى مثلك ، فلا تغتر يا حجاج بالدنيا ، فإذا أصبحنا ونحن كما قال النابغة :

رأيتكَ من تعقد له حبلَ ذمَّةٍ ... من الناس يأمن سرحهُ حيثُ أربعا

ولم نُمسِ إلا ونحن أذلّ الناس ، وقلّ إناء امتلأ إلا انكفأ. فانصرف الحجاج مُغضباً وبعث إليها مَنْ يُخرجها من الدير ويستأديها الخراج. فأُخرِجَتْ مع ثلاث جوارٍ من أهلها ، فأنشدتْ إحداهن :

خارجاتٍ يُسقنَ من ديرِ هندٍ ... مذعنات بذلّةٍ وهوانِ

ليتَ شِعري أأولُ الحشرِ هذا ... أم محا الدهرُ غيرةَ الفتيانِ

ولّما سمع أحد فتيان الكوفة هذين البيتين ، شدَّ على فرسه فاستنقذهن من شرطة الحجاج ، وتغيب ذلك الفتى. فبلغ الحجاج شِعرُها وفِعْلُ الفتى فقال : إنْ أتانا فهو آمن

---

(١) البكري : معجم ما استعجم ٢/٦٠٦.

وإنْ ظفرنا بـه قتلناه. فأتى الفتى ووقف أمام الحجاج، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الغيرة، فوصله وخلاّه[1].

وبقيَ دير (هند الصغرى) يساير الأحداث التاريخية حتى عام ٣١٥هـ إذ هجم أبو طاهر القرمطي في هذه السنة على مدينة الكوفة. فلما قرب منها، هرب عمالُها، فتقدّمت طلائع القرمطي بعد أن نزلت أرض النجف، ونزل هو بدير هند بحضرة خندق الكوفة[2]. وقد حظيَ (دير هند) بمكانة متميزة في الشعر العربي، ولكن ليست هناك إشارة صريحة إلى أن المقصود بدير هند الكبرى أم الصغرى، إلا أن من سياق بعض النصوص يُحتَمل أن المقصود هو (دير هند الصغرى) وذلك لكونه قريباً من الكوفة ومجاوراً لخندقها . فقد ذكره الشريف الرضي قائلاً[3]:

ولقد رأيتُ بديرِ هندٍ منزِلاً ... ألِماً من الضرّاءِ والحدثانِ

وقد أنشد الشريف الرضي قصيدة عام ٣٩٢هـ في مدينة النجف الأشرف عند زيارته لمرقد جده أمير المؤمنين علي عليه السلام وصف فيها الحيرة وأديرتها ومنازل النعمان بن المنذر وما حلَّ بها من دمار وخراب، فقال[4]:

أغضى كمستمعِ الهوانِ تغيّبتْ ... أنصارُهُ وخلا من الأعوانِ
بالي المعالمِ أطرقتْ شُرُفاتُه ... إطراقَ مُنجَذبِ القرينةِ عاني
أمَقاصِرَ الغِزلانِ غيّرك البِلى ... حتى غدوتِ مَرابِضَ الغزلانِ
وملاعب الأُنس الجميع طوى الردى ... منهم، فصرتِ ملاعبَ الجِنانِ
من كان دارِ تستظل رواقها ... أدماء غانيةٍ عن الجيرانِ

---

(١) الشابشتي : الديارات ص ٢٤٤.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٦/٢٠٨.

(٣) الشريف الرضي : الديوان ٥/٤٦٩.

(٤) ن.م. ، الشجري: الأمالي ٢/٤٦٩ ، المقري: نفح الطيب ١/٥٠٢.

وأشارت مصادر التاريخ أيضاً إلى دير هند ولم تحدد هويته ولكن على ما يبدو أنه دير (هند الصغرى). ففي أحداث عام ١٤هـ، اجتمع المسلمون بدير هند وقد هلك شيرويه وملكت بوران بنت أبرويز إلى أن يبلغ يزدجرد بن شهريار، فبعث الفُرس إليهم مهران بن مهربنداد الهمداني في اثني عشر ألفاً. فالتقّوا على المسلمين فيما تقول بجيلة جرير بن عبد الله وفيما تقول ربيعة المثنى بن حارثة[١]. وفي أحداث عام ١٧هـ، ذكر أبو محمد موسى بن إسحاق بن طلحة: كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر[٢]. وهذا النص يؤكد أن المقصود هنا (دير هند الصغرى) لأن المسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة، طالما أن الدير ذو سور عال وبناء مرتفع.

ومما يعزز هذا الرأي أنه في عام ٦٦هـ، نزل المختار بن أبي عبيد الثقفي (دير هند) وخرج أبو عثمان النهدي وهو ينادي: (يالثارات الحسين، ألا أن أمير آل محمد قد خرج، فنزل دير هند وبعثني إليكم داعياً فاخرجوا رحمكم الله)[٣]. وأضاف المؤرخ الطبري إلى قول النهدي (يالثارات الحسين، يا منصور أمت، أيها الحي المهتدون، ألا أن أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند)[٤]. وكان المختار الثقفي قد عسكر مع أصحابه في ظهر دير هند مما يلي بستان زائد في السبخة[٥].

وفي عام ١٠٥هـ، دخل الشعبي على الحجاج بن يوسف الثقفي وقال له: كنا مع المغيرة بن شعبة في ظهر الكوفة، فقيل له: هذا دير هند فقال: لو دخلناه. فدخلنا فإذا هند وأُختها جالستان وعليهما ثياب صوف سود[٦]. وكنا قد ذكرنا سابقاً أن الحجاج

---

(١) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٣٥٨.

(٢) الطبري: التاريخ ٤/٤٧.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ورقة ٢٣ ب.

(٤) الطبري: التاريخ ٦/٢٧.

(٥) ن.م.: ٦/٢٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢١٩.

(٦) اليافعي: مرآة الجنان ١/٢١٨.

دخل (دير هند الصغرى) وكانت له محاورة مع هند، وهذا النص يرجح كون الدير هو (دير هند الصغرى). وفي عام ١٢٧هـ، قام الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي بحركة في مدينة الكوفة. ولما بلغ خبره عبد الله بن عمر الذي كان في الحيرة، أرسل أخاه عاصماً فأتاهم وهم بدير هند، فغلب بعد ذلك الضحاك على الكوفة[١].

٣٢- دير هند الكبرى

يقع دير (هند الكبرى) بظاهر الحيرة على طرف النجف أو طفّها[٢]. وأُطلق على هذا الدير لفظ (الأقدم)[٣]. وقد بنته هند الكبرى وهي أم عمرو بن هند، وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء، وكانت كِندية الأصل[٤] وتسمى هند بنت الحارث بن عمر بن حجر(آكل المرار) الكندية وعمّة امرئ القيس، الشاعر المشهور. وقد وجِدَ في صدر هذا الدير: (بنَتْ هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنتُ الأملاك وأم الملك عمرو بن المنذر، أمَةُ المسيح وأُمُّ عبده، في زمن ملك الأملاك خسرو أنو شروان، وفي زمن أمزاييم الأسقف. فالإله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها الدهر الداهر)[٥]. وكانت هند الكبرى قد ترهّبتْ في هذا الدير[٦].

وبقيّ دير (هند الكبرى) حتى العصر العباسي الأول، وبعد ذلك لم نجد له في الأحداث ذِكرا. وقد أشار إليه محمد بن عبد الله بن عبد بن مالك الخزاعي بقوله: دخلتُ مع يحيى بن خالد دير هند الأول، ولما خرجنا مع الرشيد إلى الحيرة وقد قصدها ليتنزّه بها ويرى آثار المنذر. فرأى قبر أبيها النعمان وقبرها إلى جانبه، ثم خرج إلى دير هند

---

(١) الطبري: التاريخ ٣٢٠/٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٥/٥.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٥٤٢/٢، المشترك وضعاً ص١٩٢، البغدادي: مراصد الاطلاع ٥٧٩/٢.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٦٠٦/٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٢.

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٦٠٦/٢، ياقوت: معجم البلدان ٥٤٢/٢.

(٦) ياقوت: المشترك وضعاً ص١٩٢.

الآخر وهو على (طف النجف) فرأى في جانب حائطه كتابة. فأمر بسلّم فأحضِر، وأمر بعض أصحابه أن يرقى إليها فإذا هي أبيات من الشِعر جاء فيها[1]:

إنَّ بـني المنـذرِ عـامَ انقـضوا	بحيـثُ سـادَ البيعـةَ الراهِـبُ
تـنفحُ بالمِـسكِ دفاريهـم	وعنبـرٍ بقطبـةُ القاطـبُ
والقـزُّ والكتـانُ أثـوابهم	لم يجبْ الصوفَ اهم جائبُ
والعِـزُ والمُلـكُ لهـم راهِـنٌ	وقهـوةٌ ناجودُهـا سـاكبُ
أضـحوا ومـا يرجـوهمُ طالـبٌ	خـيراً ولا يرهبهـمُ راهـبُ
كـأنهم كـانوا بهـا لعبـةٌ	سـارَ إلـى أيـن بهـا الراكـبُ
فأصبحوا في طبقـاتِ الثـرى	بعـدَ نعـيمٍ لهـمُ راتِـبُ
شـرُ البقايـا مـن بقـى منهمُ	كـلٌّ وذلٌّ جـده خائـبُ

وبعد أن قُرأتْ هذه الأبيات، بكى يحيى بن خالد حتى جرتْ دموعه على لحيته وقال: نعم هذا سبيل الدنيا وأهلها. ويفيدنا هذا النص أنّ يحيى البرمكي قد زار ديرَي هند الكبرى وهند الصغرى مع هارون الرشيد. وفي النص تحديد جغرافي دقيق لموقعهما. ويبدو أن دير هند الكبرى قد بقيَ قائماً على طريق النجف ـ الحيرة حيث أشار إلى أطلاله أو بقاياه الشاعر النجفي عباس بن عبد السادة الأعسم (ت١٣١٣هـ) بقوله[2]:

ديـرَ هنـدٍ سقاكَ أوطفُ غيـثٍ	لـم يـزلْ برقُـهُ بقـبضٍ وبسطِ
قد شممنا من تُربِ أرضِكَ طيباً	عبقـاً مـن مَجَـرُ بـردٍ ومـرطِ
طالمـا كنـتَ للظبـاءِ كناسـاً	ولبيضِ الحِسانِ أنفَسَ سمطِ
فمِـنَ الحـقِّ أن يحييـكَ دمـعٌ	دائمـاً، لا وفـاءُ قسطٍ بقسطِ

(١) البكري: معجم ما استعجم ٦٠٦/٢، ياقوت: معجم البلدان ٥٤٢/٢ العمري: مسالك الابصار ٣٢٨/١.

(٢) الأعسم: الديوان / ورقة ٩١- ٩٢، الأمين: أعيان الشيعة ٢٤/٣٧.

إنَّ حقَّ الهوى على كلِّ صبٍّ أن تُبكّي عيونَهُ كلُ خطٍّ

فلقد كان للهوى فيك نادٍ فيه أهلُ الهوى تنالُ وتُعطي

فَلَكم أُوثِقَتْ به من عهودٍ لحقوقِ الهوى بحلٍ وربطِ

ولَكَم فيكَ أُرسِلَتْ لاحِظاتٌ وبألحاظها تُصيبُ وتُخطي

يا رعى الله سالفات ليالٍ بكَ مرتْ تزهو بخدٍ وقرطِ

وقد استوحى الشاعر الأعسم في هذه الأبيات من حياة اللهو والمرح التي اعتاد سكان الحيرة والكوفة قضاءها في هذا الدير في عصر ما قبل الإسلام وما بعده من العصور .

ثالثاً : الجبّانات والمقابر وأماكن الدفن

كانت منطقة النجف، التي هي ظهرا الحيرة والكوفة، مقبرة تاريخية تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، وقد دُفِنَ فيها الأنبياء والصالحين، كما دفن فيها ملوك الحيرة وقادتها . وقد روي أن النعمان بن المنذر خرج ذات يوم إلى ظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد العبادي، فوقفا على مقابر. فقال عدي: أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال: لا ، قال: إنها تقول[1] :

أيها الركب المجنون	على الأرضِ مُجِدّون
مثل ما أنتم جينا	وكما نحن تكونون

وأشارت بعض النصوص إلى أنه أنشد قائلاً :

مَنْ رآنا فليحدّث نفسهُ	أنه موفٍ على قرنِ الزوالْ
وصروفُ الدهرِ لا تُبقي لها	ولما تأتي به صُمُّ الجبالْ
رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا	يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالْ
والأباريقُ عليها فِدمٌ	وجياد الخيلِ تردى في الجلالْ
عمّروا الدهرَ بعيشٍ حسنٍ	آمِنٌ درّهُمُ ، غيرُ عجالْ
ثم أضحوا عصفَ الدهرُ بهم	وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالْ

وفي حديثٍ عن عمرو بن حريث: قالت اليهود أعداء الله يبعث منا من هذا المكان (يعني ظهر الكوفة) سبعون ألفاً يدخلون الجنة لا حساب عليهم. قال عمرو بن حريث: كذبوا واللهِ إنا نرجو أن نكون نحن هم[2]. ومرَّ الإمام علي عليه السلام، أثناء خلافته، بقبور سبعة أو ثمانية في ظهر الكوفة فسأل عنها، فقال له قدامة بن عجلان الأزدي: يا

---

(١) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص٩٥ ، البيهقي: المحاسن والمساوئ٢/١٧- ١٨.

(٢) القرطبي: بهجة المجالس ق٢/٣٤٠ ، ينظر الهاشمي: عدي بن زيد العبادي ص٥٨.

أمير المؤمنين إنَّ خبّابَ بن الأرتّ توفي بعد مخرجك، فأوصى أن يُدفن في هذا الظهر، وكان الناس إلى جنبه[1]. وبعد أن دُفن الإمام علي عليه السلام في الغري من أرض النجف، ترك الكثير من الناس الدفن في الجبانات، وهي مقابر كانت تُعرف بأسماء قبائل الكوفة[2] وفضلوا الدفن بجوار أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثم نشأت مقبرة النجف الكبرى المعروفة بوادي السلام. وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى مقبرة النجف بقوله: (نحن نقول بظهر الكوفة قبر ما يلوذ به ذو عاهة إلا شفاه الله)[3].

وقال: يُحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرّة الشمس والقمر يدخلون الجنة بغير حساب[4]. وأشار أبو عبيدة إلى مقبرة (بني جفران) في أرض النجف بقوله: إن الفرزدق عبث بأبي الحسناء، وكان مكاري بغال ينزل في مقبرة بني جفران يكري إلى الكوفة أيام كانت الطريق على الظهر[5] وأشار ابن الجوزي إلى مقبرة الحسن بن أبي البيش (ت٤٢٠هـ) الواقعة في ظاهر الكوفة وفي طريق الحج، وكان هذا من الزهاد المتعبدين[6]. وكنا قد أشرنا إلى أن بعض أديرة الحيرة قد أُعِدتْ للدفن، وأن المقابر الشهيرة في منطقة النجف هي:

١- الغري أو الغريّان

إن لفظة (الغري) في اللغة العربية معناها: الحَسن من كل شيء، فالرجل إذا كان حسن الوجه فهو غري، والبناء إذا كان حسن التصميم فهو غري[7]. وفي هذا المعنى

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٥٣٠.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص٧١ (الطبعة المحققة).

(٣) ابن طاووس: فرحة الغري ص٧٥، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٩٥/١٠.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص١٢٧، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٩٦/٣، المجلسي: بحار الأنوار ٢٥١/١٠٠.

(٥) الجاحظ: كتاب القول في البغال ص١١١.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم ٤٦/٨.

(٧) ابن منظور: لسان العرب ١٢٢/١٥.

أنشد ابن بري للأعشى :

وتبسمُ عن مها شبحٍ غريٍّ ... إذا تُعطي المُقبَّلَ يستزيدُ

وقال ياقوت الحموي : وإنما سمي الغريّان بهذا الاسم لحسنهما في ذلك الزمان[1] أما الغرّاء فهو ما غريت به شيئاً ما دام لوناً واحداً[2]. وقد جاء في كتب التاريخ واللغة : إن الغري هو المكان الحسن المطلي بالغراء، وهو صبغ أحمر كأنه يغرى به (كأنما جبينه غريٌّ) ولعل اللون الأحمر هو تلك الدماء التي تطلى بها الغريان في أرض النجف قبل الإسلام، حتى قيل: إن الغري كان يطلى بدم أو يُذبحُ عليه[3]. وإلى هذا المعنى أشار ثعلب بقوله:

كغري احسدت رأسه ... وفرع بين رئاسٍ وحامٍ

وذكر ابن الإعرابي أن (الغري) موضع حيث أنشد:

أغركَ يا موصولُ منها شمالة ... ويقلّ بأكناف الغري توانُ

وقد ذهب آخرون إلى أنه (نُصب، أو صومعة، أو بناء) . وكشف ياقوت الحموي عن حقيقة الغري والغريين بقوله (الغريان تشبه الغري، وهو المطلي بالغراء، والغري الحسن من كل شيء، يقال لرجلٍ غري الوجه إذا كان حسناً مليحاً، فيجوز أن يكون الغري مأخوذاً من كل واحد من هذين، والغري ما كان يُذبحُ عليه العتائر[4] (والعتائر هنا الأغنام التي تُذبح أمام الأصنام) . ومضى ياقوت في حديثه قائلاً : (والغريان طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[5]. وقد اقترب ابن الفقيه من هذا المعنى بقوله : (والغري في اللغة ما يبس عليه

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ١٩٧/٤.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ١٢٢/١٥.

(٣) ن.م. ، الزبيدي : تاج العروس ٢٦٥/١٠ ، ينظر إبراهيم مصطفى وجماعته : المعجمالوسيط ٦٥٨/٢ ، النقدي : الغزوات والفضائل والمناقب والمعجزات ص١٩٦.

(٤) ابن منظور : لسان العرب٥٣٧/٤ ، الزبيدي : تاج العروس ٣٨٠/٣

(٥) ياقوت : معجم البلدان ١٩٦/٤.

الدم من صنم وغيره)[1]. وقد عقّب الأستاذ الدكتور مصطفى جواد على ما ذكره ياقوت الحموي بقوله: (إن التربة بمعنى القبر المبني عليه قبة هي لفظ "طربال" القديم الذي سميَ به الغريان بالنجف)[2]. والطربال جمع (طرابيل) وهو كل بناء عالٍ كالمنارة ونحوها[3].

ومن جميع ما ورد في معنى (الغري) لغة واصطلاحاً فإنه يبدو لنا أن الغريين قبران كان عليهما هيكل جميل البناء، يأوي إليه العُبّاد والناسكون والمنقطعون عن ملذات الحياة في الفترة التي سبقت الإسلام. وقد انتسب أبناء مدينة النجف الأشرف إلى (الغري) فقالوا في النسبة إليه (الغروي). وقد ورد في كتب اللغة أن الغروي منسوب إلى الغري الذي بالكوفة[4]. ولعل المقصود هنا منطقة (ظهر الكوفة) التي منها مدينة النجف الحاضرة، ولكن من الصعب تحديد الموقع الجغرافي للغري أو الغريين طالما أن الدهر قد طمس معالمهما من الوجود، وإن المصادر تكتفي بالقول: إنهما يقعان في ظهر الكوفة أو ظاهرها[5]، كما قيل: في ظهر الحيرة أو ظاهرها[6] وقيل أيضاً: إنهما بظهر نجف الكوفة[7]. والظهر هنا هو ما ارتفع عن مستوى أرضَي الحيرة والكوفة إذْ القاصد لمدينة النجف من جهتي هاتين المدينتين يشعر بالصعود أو الأرتفاع كلما تقدّم نحو مدينة النجف حتى يصل إلى المرقد الشريف الذي يشكل قمّة المُرتَفَع.

ومن هذا نفهم أن (الغري) الذي موقعه بظهرَي الحيرة أو الكوفة، كان كالمسنّاة لمنع سيل الماء من أن يعلو الكوفة ومقابرها، وبالقرب من هذا الموضع قبر الإمام علي

---

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٨١.

(٢) مصطفى جواد: في التراث العربي ١/٢٩٠.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ٢/٥٥٩.

(٤) الزبيدي: تاج العروس ١٠/٢٦٥.

(٥) ياقوت: معجم البلدان٦/٥٨٢، البغدادي: مراصد الإطلاع ٢/٩٩١، النويري: نهاية الأرب ١/٣٨٧

(٦) الأصفهاني: الأغاني ١٩/٨٦.

(٧) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٢٥٩.

عليه السلام[1]. وإن المصادر قد أشارت إلى أن علياً عليه السلام قد دُفِنَ بالغري بين الذكوات البيض[2]. والذكوات هذه عبارة عن تلال في النجف قد أحاطت بقبر أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت تتوقّد عند شروق الشمس بسبب بياضها، وقد أشار إليها أحد أصحاب الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام بقوله: حتى أتينا الغريين، وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً[3].

وقد حدد السيد ابن طاووس موضع قبر الإمام علي عليه السلام من الغريين والذكوات البيض في كتابه (فرحة الغري)[4]. وأشار صفوان الجمّال رحمه الله إلى موقع الذكوات البيض من الغري بقوله: كنت أنا وعامر وعبد الله بن جذامة الأزدي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال له عامر: جُعِلتُ فِداك، إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين دُفن بالرحبة. فقال الإمام الصادق عليه السلام: لا. فقال عامر: فأينَ دُفن؟ فأجابه: إنه لما توفي عليه السلام، احتمله الحسن عليه السلام فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف يسرة عن الغري، يمنة عن الحيرة، فدفنه بين الذكوات البيض[5].

ويتضح لنا من كل ما تقدم أن كُلاً من (الغري) و(الذكوات البيض) و(المرقد الشريف) تقع في منطقة واحدة من أرض النجف، وهذا خلاف ما ورد في بعض المصادر من إن محل الغريين في وادي السلام، خلف مقام الإمام المهدي عليه السلام[6]، في الوقت الذي أجمعت الدلائل على أن موقع الغري أو الغريين هو في مكان مرتفع من الأرض بين ربوات وتلال. وإلى ذلك أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢٨٢/٦.

(٢) ابن طاووس: فرحة الغري ص٣٨.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٢٤٥/١٠٠.

(٤) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٩.

(٥) الكليني: الكافي ٤٥٦/١.

(٦) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١٠/١.

أرجوزته قائلاً[1]:

وسميَ الغريُ باسم القائم	كان هناكَ في زمانٍ قادمِ
أو قائمينِ ولذا يُثنّى	لفظُ الغريِّ باعتبارِ المعنى
وسميَ المشهدُ حيثُ القاصدُ	يشهدُ ما ليسَ له مُشاهِدُ
أو حيثُ حلَّ تُربهُ الشهيدُ	وامتاز فيهِ السيدُ العميدُ
ووادي السلامِ حيثُ الوادي	بجنبهِ لحزبهِ كالنادي
والذكواتُ البيضُ والذي أرى	تصحيفه من ربواتٍ فجرى
وظهرُ كوفانَ وخلف الخندقِ	فتلك سبعةٌ له أو ترتقي

ويعود تاريخ (الغري أو الغريين) إلى عهد دولة المناذرة اللخميين ملوك الحيرة، وقد تضاربت الآراء عن حقيقة صاحبهما. فبعض المصادر تقول: إن المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء هو صاحب الغريين[2] وقد بناهما كالصومعتين بظهر الكوفة بسبب قتله لنديمه (خالد بن المضلل) وقيل: ابن نضلة، وعمرو بن مسعود الأسديين، وكانا قد أغضباه في جلسة شراب فأمر بقتلهما، ثم وضعهما في تابوتين ودفنهما في ظاهر الحيرة أو الكوفة. ولما أفاق المنذر من نشوة سُكره، سأل عنهما فأُخبر بمقتلهما، فندِم على فِعلته وأمر ببناء الغريين عليهما وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين، وقد سميَ أحدُهما (يوم النعيم) وسميَ الآخر (يوم البؤس). وكان المنذر يضع سريره بينهما، فإذا طلع أحد عليه في يوم نعيمه، يأمر له بمائة من إبل الملوك، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يأمر به فيُذبح ويُغري بدمه الغريين[3]. كما أمر أن تُذبح حيوانات الصيد ويطلي بدمائها ذينك القبرين[4].

---

(١) السماوي: عنوان الشرف ص٣- ص٤.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٧٩، القزويني: آثار البلاد ص٤٢٦.

(٣) القالي: الأمالي ١٩٥/٣، ابن قتيبة: المعارف ص٦٤٩، البراقي: اليتيمة الغروية ورقة٩٤.

(٤) الشرقي: الأحلام ص٥٢.

وقد أشارت بعض النصوص إلى (غري النعمان) وهو نسبة للنعمان بن المنذر، حيث حُدد مرقد الإمام علي عليه السلام بناحية نجف الحيرة إلى جانب غري النعمان[1].

وكان عبيد بن الأبرص قد طلع في يوم البؤس فقال له المنذر: ألا كان الذبيح غيرك يا عبيد! فقال عبيد: أتتكَ بحائنٍ رجلاه، وقال[2]:

إذا اجتابها الخرّيتُ قالَ لنفسهِ　　　أتاكَ برجْلَي حائنٍ كلُّ حائنِ

ولما قُدِّمَ عبيد إلى الذبح، قال له بعضُ الحاضرين: ما أشد جزعك للموت! فأجاب[3]:

فلا غروَ من عيشةٍ نافِده　　　وهل غيرها ميتةٍ واجِده

مَنْ مُبلِغٍ بنيَّ وأعمامهم　　　بأنَّ المنايا هي الراصده

لها حدّةٌ فنفوس العبادِ　　　إليها، وإنْ كُرِهَتْ، قاصده

فلا تجزعوا لِحِمامٍ دنا　　　فللموتِ ما تلِدُ الوالِده

وذكرَ أبو الفرج الأصفهاني أن المنذر بن ماء السماء قد قتل الشاعر عدي بن زيد العبادي في يوم بؤسه[4]. وكان قد مرَّ في مثل هذا اليوم رجل من قبيلة طي اسمه (حنظلة) فقال: أبيتُ اللعن إني أتيتكَ زائراً ولأهلي من بحركَ مائرا، فلا تجعل حيرتهم ما تورد عليهم من قتل. قال: لابدَّ من قتلك فسلْ حاجتَكَ تُقْضَ. قال: تؤجّلني سنة أرجع فيها إلى أهلي ثم أعود إليك. قال: مَنْ يكفلك؟ فنظر في وجوه جلسائه فعرف شريك بن عمرو بن شراحيل فقال:

---

(١) المجلسي: المزار ص٨٥.

(٢) النويري: بلوغ الأرب ١/١٢٧- ١٢٨، الزمخشري: المستقصي ١/٣٨، البغدادي: خزانة الأدب ٢/١٨٨

(٣) البغدادي: خزانة الأدب ٤/١٦٥.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ١٩/٨٨.

يا شريك بن عمير ... هل من الموت محالةْ

يا شريك بن عمير ... يا أخا مَنْ لا أخا له

إنَّ شيبانَ قبيلٌ ... أكرمُ الناسِ رجاله

وأبو الخيراتِ عمرو ... وشراحيلُ الحماله

رقباكَ اليوم في المجـ ... ـدِ وفي حسن المقاله

فوثب شريك بن عمرو وقال: أبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه إن لم يعد إلى أهله. فأطلقه المنذر، فلما كان من القابل، قعد المنذر في مجلسه في يوم بؤسه ينتظر حنظلة فأبطأ عليهم. فقُدِّمَ شريك ليُقتل، فلم يشعروا إلا وراكب قد طلع فإذا هو حنظلة وقد تحنّط وتكفّن ومعه نادبتُه تندبه. فعجب المنذر وقال: ما حملك على قتل نفسك؟ فقال: إنَّ لي ديناً يمنعني من الغدر. قال: وما دينك؟ قال: النصرانية. وعند ذلك اعتنق المنذر الديانة المسيحية وتنصّر أهل الحيرة، ورفع عن الناس يوم البؤس[1].

وقد رثى عدد من الشعراء قتيلي المنذر بن ماء السماء اللذين بسببهما بنى (الغريين)، وكان الشعراء الأسديين في مقدّمة الراثين لهما. وقد أنشدت هند بنت معبد ترثي عمها نضلة وزميله بالقول[2]:

ألا بكرَ الناعي بخيرِ بني أسدْ ... لعمرو بن مسعودٍ وبالسيد الصمَدْ

وأنشد أحد شعراء قبيلة أسد في رثاء القتيلين قائلاً[3]:

يا قبرُ بينَ بيوتِ آلِ محرّقٍ ... جادتْ عليكَ رواعدٌ وبروقُ

أما البكاءُ فقلَّ عنكَ كثيرُهُ ... ولئن بكيتُ فللبكاءِ خليقُ

---

(١) الأمين: الرحلة العراقية الإيرانية ص٥٣- ٥٤، البراقي: اليتيمة الغروية ورقة٩٥- ٩٦.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٢٢١.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٩/٨٦.

وأشارت بعض المصادر إلى أن صاحب الغريين هو النعمان بن المنذر المكنّى بأبي قابوس[1]. وقد خلطت مصادر أخرى بين المنذر بن ماء السماء والنعمان بن المنذر في نسبة يومَي النعيم والبؤس، وأشارت هذه المصادر إلى القول: "وسميا غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم بؤسه"[2]. وذكرَ المؤرخ النويري: أن النعمان بن المنذر بن ماء السماء قد بنى الغريين على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه فماتتا، فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغريين، وهما كالأسطوانتين[3].

ويبدو أن النويري لم يكن واثقاً من خبره هذا، فأورد خبراً جاء فيه: أن المنذر قد غزى الحارث بن أبي شمر الغساني، وكانت بينهما وقعة على (عين أباغ) وهي من أيام العرب المشهورة، فقُتِل للحارث ولدان، وقُتِلَ المنذر وانهزمت جيوشه. فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عِدلين على بعير وجعل المنذر فوقهما، وقال: (ما العلاوة بدون العِدلين) فذهبَ مثلاً. ثم رجع إلى مدينة الحيرة فانتهبها وحرقها، ودفن ابنيه وبنى الغريين عليهما[4]. وإنَّ (عين أباغ) التي وردت في هذا النص تقع فيها منازل أياد بن نزار، وأن أباغ هذا من العمالقة نزل ذلك الماء فنُسب إليه[5].

ومن الملاحظ أن رواية النويري يحيطها الضعف وإنما سبقه إلى ذلك المؤرخ المسعودي إذ أنه أورد قصة طويلة يغلب عليها الخيال، بيّنَ فيها سبب بناء الغريين ولكن دون أن يذكر بانيهما سوى قوله: إن أحد ملوك الحيرة قتل نديميه في حالة لهوٍ وسُكر، ثم حلف أن لا يشرب بعدهما، ثم بنى على قبريهما قبة تسمى (الغريين)، وسنَّ سُنة أن لا يمر أحد بالغريين من الملك فما دونه إلا أن يسجد لهما. فأصبح أمره هذا سُنةً

(١) ابن قتيبة: المعارف ص٦٤٩، النويري: نهاية الأرب ١/٣٨٧.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٦٨، ابن منظور: لسان العرب ١٥/١٢٢، الزبيدي: تاج العروس ١/٢٦٤.

(٣) النويري: نهاية الأرب ١/٣٨٧.

(٤) ن.م. ١/٣٨٧.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٤/١٧٥.

وفريضة، وكل مَنْ لا يمتثل أمره يكون مصيره القتل بعد أن يحكم له بخصلتين يُجابُ إليهما كائناً ما كانتا[1].

وقد التقى ياقوت الحموي مع المسعودي في أُسطورته لبناء الغريين ولكنه اختلف معه في سبب بنائه لهما إذ أنه ذكر أن المنذر قد بنى الغريين اللذين بناهما صاحب مصر وجعل عليهما حرساً، فكلُّ مَنْ لم يُصلِّ لهما قُتِل، إلا أن يخبره بخصلتين ليس فيهما النجاة من القتل. ويعطيه ما يتمنّى في الحال ثم يقتله فغبر بذلك دهراً[2]. وعاد ياقوت الحموي إلى القول (ويغلب على ظني أن المنذر لما صنع الغريين بظاهر الكوفة، سنَّ تلك السُنة، ولم يشترط قضاء الحوائج الثلاث التي كان يشترطها ملك مصر)[3]. ولم يوضح ياقوت اسم الملك المصري والفترة الزمنية التي كان يحكم فيها، وأن المصادر لم تشر إلى ذلك مطلقاً.

لقد غلب على النصوص المتقدمة الاختلاف الواضح في تشخيص الأفراد والمواقع، مما جعلنا نميل إلى التشكيك في صحتها لأن الخيال يغلب على بعض جوانبها. ويقول الأستاذ الدكتور جواد علي: إن في هذه النصوص شيئاً من أثر الصنعة والتكلّف[4]. والراجح أن الغريين كانا قبرين في أرض النجف قبل الإسلام وقد جرت العادة على غريهما بالدماء حتى أصبحت تلك العادة تشكل ظاهرة اجتماعية بارزة، دفعت الناس إلى التساؤلِ عن أسبابها الأمر الذي جعلهم يفسرونها تفسيرات عديدة ولم يحاول المؤرخون واللغويون والجغرافيون وغيرهم من الباحثين تحقيق صحتها، بل اكتفوا بسردها على النحو الذي ذكرناه. وللأستاذ جواد علي رأي جاء فيه: (ولكننا نستطيع أن نقول إن الغري أو الغريين من المواضع التي لها صلة بعبادة الأوثان، ومن الجائز أنهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرابين في المواسم الدينية وفي الأعياد. وقد

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٣/٣٣٠.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/١٩٧.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٤/١٩٨.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٣/٢٣٨.

عرفت مثل هذه العبادات عند شعوب أخرى، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلى بها. وما الغريان إلا نصبان من هذه الأنصاب) وقد بقيا قائمين حتى أوائل العهد العباسي إذ أقدم أبو جعفر المنصور على تهديم أحدهما[1]، ولكن يبقى التساؤل قائماً وهو لماذا هدم أحدهما ولم يهدم الآخر؟ وهل أن المنصور هدمه لسبب ديني إذ رأى الناس يقصدونه وفق التسلسل الزمني لعادة الإغراء بالدماء وجعله من باب عبادة الأوثان، أم أنه كان مائلاً أو على وشك الإنهدام فأقدم على إزالته؟ ولعل السبب الأخير هو الأقرب إلى الصواب لأن في هذه المنطقة أديرة كثيرة وأماكن عبادة منتشرة وهي في واقعها غير إسلامية، بقيت معتَقَداً للناس ويؤدون فيها طقوسهم الدينية وعاداتهم الإجتماعية. ولم تحدثُنا المصادر عن اختفاء (الغري) الآخر من المنطقة، ولكن لفظ (الغري أو الغريين) بقيَ يرافق الأحداث التاريخية منذ عهد الخلافة الراشدية، وقد ارتبط بدفن الإمام علي عليه السلام في أرض النجف. كما أن اللفظ قد ورد في الشعر العربي منذ عصر ما قبل الإسلام والعصور التالية. فقد أشار الشاعر خطام المجاشعي عند مقتل مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش بقوله[2]:

أهلْ عرفتَ الدارَ بالغريين ... لم يبقَ من أيٍّ بها يحلّين

غير خطامٍ ورمادِ كِنفين ... وصالياتٍ وكما يؤثفين

ونزل الشاعر الفرزدق في أرض الغريين، فعراه بأعلى ناره ذئب فأبصره مُقصياً يصيء، ومع الفرزدق مسلوخة فرمى بها إليه فأكلها، فرمى له بما بقي فأكله. فلما شبع ولّى عنه، فأنشد الفرزدق قائلاً[3]:

وليلةَ بتنا بالغريينِ ضافَنا ... على الزادِ ممشوقُ الذراعينِ أطلسُ

---

(١) النويري: نهاية الأرب ١/ ٣٨٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ١٥/ ١٢٢.

(٣) الفرزدق: الديوان ١/ ٣٨٧.

تلمَّسَنا حتى أتانا ولم يزل لدن فطَمتْهُ أُمُّهُ، يتَلمّسُ
ولو أنه إذ جاءَنا كانَ دانياً لألبستُهُ لو أنهُ يَتلبَّسُ
ولكن تنحّى جنبَه بعدما دنا فكانَ كقيدِ الرمحِ ، بل هو أنفَسُ
فقاسَمْتُهُ نصفين بيني وبينه بقيّةَ زادي ، والركايبُ نُعَّسُ

وأشار الفرزدق إلى (الغريين) عندما تتبّعه زياد بن أبيه والي البصرة والكوفة من قِبَل معاوية بن أبي سفيان عام ٥٠هـ، ولما التجأ إلى عيسى بن حضيلة، أحسَّ بالخطر. فترك داره وأنشد قائلاً[1]:

كفاني بها البهزي حجلان مَن أبى من الناسِ والجاني تُخافُ جرائمُهْ
إذا أنتَ جاوزتَ الغريين سالماً وأعرض من فلج ورأي مخارمه

وبقي زياد بن أبيه يتتبع شيعة الإمام علي عليه السلام وأصحابه . وفي عام ٥١هـ ، اعتقل حجر بن عدي وجماعته وسيّرهم إلى الشام، ولما انتهوا بهم إلى (الغريين) لحقهم شريح بن هانئ ومعه كتاب. فقال لكثير بن شهاب الحارثي: أبلغ كتابي هذا إلى أمير المؤمنين (يقصد به معاوية). قال: وما فيه؟ قال: لا تسألني عن كتاب لا أدري ما فيه، وعسى ألاّ يوافقه. فأتى به وائل بن حجر فقبله منه[2]. وفي عام ٨٢هـ التقى عبد الرحمن بن الأشعث ومن معه من القرّاء بجيش الحجاج بن يوسف الثقفي، فأنشد في هذه المعركة الطفيل بن عامر بن وائلة قصيدة ورد فيها ذِكر الغريين ولعل المسير كان عبر منطقتهما قبيل لقاء الطرفين، منها[3]:

ألا طرَقتْنا، بالغريين بعدما كللنا على شحط المزار، جَنوبُ

(١) ن.م. : ٢/٢٠٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٥/٢٤٤- ٢٤٥ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ٣/٤٨٣.

(٣) الطبري: التاريخ ٦/٣٤٣.

أتـوكَ يقـودون المنايـا ، وإنمـا هوتهـا ، بأولانـا إليك ، ذنـوبُ
ولاخير في الدنيا لمن لم يكن لـه من الله ، في دار القريـب ، نـصيبُ
ألا أبـغ الحجـاجَ أن قـد يُظلـهُ عـذابٌ بأيـدي المؤمنيـن حـصيبُ

وقد مرَّ معن بن زائدة بالغريين وقد تهدّم أحدُهما ومال الآخر نحو الإنهدام. فذكر ياقوت الحموي : (قرأت على ظهر كتاب شرح سيبويه للمبرد بخط الأديب عثمان بن عمر الصقلي النحوي الخزرجي ما صورته : وجدت بخط أبي بكر السراج رحمه الله على ظهر جزء من أجزاء كتاب سيبويه : أخبرني أبو عبد الله اليزيدي قال حدّثني ثعلب قال : مرَّ معن بن زائدة بالغريين فرأى أحدَهما وقد شعث وهدم فأنشأ يقول[1] :

لو كان شيءٌ لـه أن لا يبيـد على طـولِ الزمـانِ ، لما بـاد الغريّـانِ
ففـرّقَ الدهـرُ والأيـامُ بينهمـا وكـل إلـفٍ إلى بـينٍ وهجـرانِ

وقد سُميَ الغري الذي مال نحو الإنهدام بالقائم المائل أو القائم المنحني[2]. وإذا كان أحد الغريين قد أزيل من الوجود في العصر الأموي ، فإن الغري الآخر قد تهدّم في العصر العباسي. فذكر النويري : أن أبا جعفر المنصور أمر بهدم أحد الغريين لكنز توهّمَ أنه تحتهما فلم يجد شيئاً[3]. وبعد أن أُزيل الغريّان من الوجود بقيت المنطقة تُدعى (أرض الغري) وقد اكتسبت قدسيةً بعد أن ثوى فيها جسد أمير المؤمنين عليه السلام حيث أشار إلى ذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عند قدومه إلى أرض النجف في عصر أبي العباس السفاح بقوله : (إني لما كنت عند أبي العباس السفاح ، كنت آتي قبر

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤/ ٢٠٠ ، القزويني : آثار البلاد ص٤٢٨.

(٢) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ١/ ١١.

(٣) النويري : نهاية الأرب ١/ ٣٨٧.

أمير المؤمنين ليلاً وهو بناحية النجف إلى جانب (غري النعمان) فأُصلّي عنده صَلاة الليل وانصرف قبل الفجر)[1].

ويبدو أن مصطلح (المشهد) أخذ يحل تدريجياً محل مصطلح (الغري) بعد أن أخذت العمارة طريقها إلى المرقد العلوي الشريف، وقد أخذ الناس يترددون على المرقد الطاهر للزيارة والدفن حوله بحريةٍ وأمان. فذكر المؤرخ أبو الفدا: (وقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه بالقرب من الكوفة عليه مشهد جليل يقصده الناس من أقطار الأرض)[2]. فالمشهد كما جاء في مصادر اللغة: مجمع الخلق ومحفلهم، وكل مكان يشهده البشر وتحتشد به فهو مشهد[3] وبما أن مشهد الإمام علي عليه السلام أصبح محطّ الأنظار ومقصد المسلمين من أرجاء المعمورة، جُعِل لفظ (المشهد) يُلازم لفظ (النجف) وأصبحت النسبة إلى السكان المجاورين للمرقد الشريف (مشهدي أو نجفي) فقد أشارت المصادر إلى مدفن الأعيان والقادة والأمراء في (مشهد أمير المؤمنين)[4].

وأشارت بعض المصادر إلى مصطلح المشهد للدلالة على مرقدَي الإمامين علي والحسين عليهما السلام. إذ يُقال لهما (المشهدان)[5] ولكن إختصاصه بأرض النجف كان أكثر شهرةً واستعمالاً، ولذا قيل (المشهد الغروي)[6] للدلالة على مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في أرض (الغري). وقد وردت هذه اللفظة في أبياتٍ لأبي إسحاق الصابي في معرض مدحه الأمير عضد الدولة البويهي (ت٣٧٢هـ) بقوله:

توجّهتَ نحو المشهدِ العَلَمِ الفردِ ... على اليُمْنِ والتوفيقِ والطائرِ السعدِ

---

(١) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٣٧.

(٢) أبو الفدا: تقويم البلدان ص٣١٠.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٢٤١، ينظر المعجم الوسيط ٢/٥٠٠.

(٤) الطوسي: الرجال ص٤٨٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/٢٤٨، ٢٤١، ٦١، ١٨، ١٠/ ٥٨ العياشي: التاريخ ص ٣١٠.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٩/٢٠٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/٢٤٠.

(٦) البحراني: لؤلؤة البحرين ص٢٠١، العزاوي: تاريخ العراق بين الاحتلالين ٣/١٤٤.

تــزورُ أمـيـرَ المؤمنيــن فيــا لــهُ مُبارك مـن مجدٍ مُنيخ على مجدِ

وأنشد السيد علي خان صاحب كتاب (السلافة) في المرقد العلوي الشريف قائلاً:

يا صاح هذا المشهدُ الأقدَسُ قرّتْ بهِ الأعينُ والأنفُسُ

وعلى الرغم من شيوع لفظَي (المشهد والنجف)، فإن لفظ (الغري) بقي يُذكرُ في الشعر والأدب، وقد تُدمَج هذه الألفاظ للتعبير عن مدينة النجف الأشرف كقول السيد جعفر الحلّي (ت١٣١٥هـ): (غريِ العراق النجف الأشرف)[١].

٢- الثويـة والجبّـانة

الثوية: مؤنث ثوي، وجمعها ثوايا، والثوي: هو المقيم المستقر[٢] وإذا قيل ثوى بالمكان أي نزل فيه، وبه سُميَ المنزل (مثوى) ويعني الموضع الذي يُقام فيه، وجمعه (مثاوي)[٣] وأصله من الثواء وهو طول الإقامة، وأُم المثوى هي ربّة البيت[٤]. ويقال ثوى بالمكان ثواء أي أقام به[٥]، وورد في القرآن الكريم لفظ (مثوى، مثواي، مثواكم، وثاويا)[٦] وكلها تعني المنزل أو السكن كما تعني المُقام والموضع والمأوى كقوله تعالى (**النار مثواكم**) أي النار ذات إقامتكم فيها خالدين[٧] وإن نار جهنم مثواكم الذي تثوون

---

(١) حرز الدين: معارف الرجال ١/ ١٧٤.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ١/ ١٠٣.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٤/ ١٢٥، الثعالبي: ثمار القلوب ص٢٠٠.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان ١٤/ ٥١٩.

(٥) ن.م. ١٢/ ٢٢١.

(٦) آل عمران ١٥١، المؤمن ٧٦، الأنعام ١٢٨، يوسف ٢٣، ٢١، الزمر٣٢، فصلت ٢٤، محمد ١٩، ١٢، العنكبوت ١٨

(٧) ابن منظور: لسان العرب ١٤/ ١٢٦

فيه ، وإذا قيل: ثوى فلان أقام فيه[1] ، وفي قوله تعالى (**اكرمي مثواه**)[2]. وقال محمد بن إسحاق (اكرمي مثواه، أي اكرمي موضع مقامه، وذلك حيث يثوي ويقيم فيه)[3]. وقال الشيخ فخر الدين الطريحي: (أي اجعلي مقامه عندنا كريماً حسناً)[4] والمقصود هنا مقام النبي يوسف عليه السلام وموضع نزوله، هيئي له موضعاً كريماً شريفاً[5]. وأكدت بعض الآيات الكريمة على معنى الإقامة كقوله تعالى: (**والنار مثواكم خالدين**)[6]، وقد أشار الشاعر إلى ذلك بقوله[7]:

لقد كان في حولٍ ثواء ثويّةٍ   تقضّى لبانـاتٌ ويسأمُ سائمُ

وقد أوضحت الآية الكريمة المتقدمة أن المقام والمثوى مخلّد مؤبّد وهو قوله: (**خالدين فيها**)[8]، كما ورد في قوله تعالى: (**النار مثوى لهم**)، ومعنى ذلك أن نار جهنم مسكن ومأوى، إليها يصيرون من بعد الممات[9]. ومنه قوله تعالى: (**أليس في جهنم مثوى للكافرين**)[10] أي أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله وامتنع عن تصديق الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم[11]. ومنه قول الشاعر[12]:

طال الثواءُ على ربعٍ بموؤدِ   أودى لكلِ جديدٍ حسرةَ المودِ

---

(١) الطبري: جامع البيان٢/ ٣٤ .

(٢) يوسف: ٢١

(٣) الطبري: جامع البيان ١٢/ ١٧٥.

(٤) الطريحي: مجمع البحرين ١/ ٧٨.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان١٢/ ٢٢١.

(٦) الانعام: ١٢٨.

(٧) الطوسي: التبيان ٨/ ٢٩٦.

(٨) الفخر الرازي: التفسير الكبير١٣/ ١٩٢.

(٩) الطبري: جامع البيان٤/ ١٢١.

(١٠) سورتا: الزمر٣٢، العنكبوت ٢٨.

(١١) الطبري: جامع البيان٢٤/ ٢.

(١٢) الطوسي: التبيان٢٤/ ٢٦، الطبرسي: مجمع البيان٢٤/ ٤٩٨.

وورد في معنى قوله تعالى: (إن الله يعلم منقلبكم ومثواكم)[1] رأيان، أولهما: مثواكم أي مقامكم في الأرض أو مثواكم في القبور، وثانيهما: مثواكم أي مضجعكم بالليل أو في نومكم[2]. وورد في الدعاء (اللهم عظّم مثواي) أي منزلي ومقامي. ومنه (واجعلني مع محمد وآله في كل مثوى ومنقلب)[3].

وإلى ذلك أشار الشاعر الحارث بن حلّزة بقوله:

آذنتنا ببينها أسماءُ   رُبَّ ثاوٍ يملُّ منهُ الثُواءُ

وأوضح التبريزي (ت٥٠٢هـ) هذا البيت بقوله: أن الثاوي هو المقيم، والثواء: الإقامة[4]. وإن ما ورد من اشتقاقات لغوية لمصطلح(الثوية) فإن لها معنيين هما: الإقامة المؤقتة أو المحدودة والإقامة الدائمة أو الأبدية. ففي المعنى الأول ذكر أبو قيس صرحة بن أنس الراهب في معرض حديثه عن النبي الأكرم عليه أفضل الصَلاة والسلام بقوله[5]:

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَةٍ   يذكّرُ لو يلقى صديقاً مؤاتيا

وقال عنترة بن شدّاد في أحداث (داحس والغبراء)[6]:

طال الثواءُ على رسومِ المنزلِ   بين اللكيكِ وبينَ ذاتِ الحومَلِ

فوقفتُ في عرصاتها متحيّراً   أسلُ الديارَ كنعلِ من لم ينحلِ

وقال أكثم بن صيفي[7]:

ثوينا بالقطاقطِ ما ثوينا   وبالعبرينِ حولاً لا نريمُ

---

(١) محمد: ١٠.

(٢) الطوسي: التبيان٢٦/٣٠٠، الطبرسي: مجمع البيان ٢٦/١٠٣.

(٣) الطريحي: مجمع البحرين ١/٧٩.

(٤) التبريزي: شرح القصائد العشر ص٢٥١- ٢٥٢.

(٥) شيخو: شعراء النصرانية ص٩.

(٦) عنترة بن شداد: الديوان ص٩٧ ، ينظر شيخو: شعراء النصرانية ص٩٧٥.

(٧) السجستاني: المعمرون والوصايا ص٢٢.

وقال النابغة الذبياني[1] :

ألا طالَ التنظّـــرُ والثواءُ   وجاءَ الصيفُ وانكشفَ الغِطاءُ

وقد تكون الإقامة طويلة ، ولكنها تحتفظ بصفة المحدود بزمن معيّن كما قال الأعشى[2] :

أثوى وقَصَّرَ ليلتي ليُزَوِّدا   فمَضَتْ ، وأخلَفَ من قتيلةِ موعِدا ؟

ولكن أرض النجف قد خُصَّتْ بثويتين أبديتين دائمتين هما (ثوية الحيرة) قبل الإسلام و(ثوية الكوفة) في الإسلام ، وأخيراً وادي النجف وهو وادي السلام للمسلمين جميعاً. وكانت (ثوية الحيرة) سجناً للنعمان بن المنذر يحبس بها من أراد قتله ، ويُقال لمن حبسه بها ثوى ، أي أقام ، فسُمّيتْ الثوية بذلك[3].

أما (ثوية الكوفة) فقد كانت مقبرة لأهل الكوفة ، ومن هنا أصبحت الثوية ترادف ثواء الميت في ملحودة قبره. وإلى ذلك أشار البراق أبو نصر بن روحان بن أسد عند رثاء أخيه ظليل بن روحان بقوله[4] :

عـــينٌ تجـــودُ وقلـــبٌ والِـــهٌ كَمِـــدُ   لما ثوى في الثرى الضرغامةُ الأسدُ

غابَ الكرى وتقضّى النومُ وانصرَمتْ   حبلُ التواصلِ لَمّا أن دنى السُهُدُ

وقال النابغة الذبياني :

لَثويتَ في قِدٍّ هناكَ موثَقاً   في القبرِ أو لَثويتَ غيرَ مُوَسَّدِ

وقال حاتم الطائي[5] :

وإني وإنْ طالَ الثواءُ لَميّتٌ   ويُطعمُني مأوى مبيتٍ مُسَقّفُ

---

(١) شيخو : شعراء النصرانية ص١٢ ، ص١٤٠.

(٢) الأعشى : الديوان ص٢٢٧ ، الطبري : جامع البيان٢/٨١ ، الطوسي : التبيان٢/١٥٦.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٢/٨٧.

(٤) شيخو : شعراء النصرانية ص١٤٤.

(٥) حاتم الطائي : الديوان ص٧١.

وأشار الشاعر النجفي السيد محمد سعيد الحبّوبي إلى مقبرة (وادي السلام) حيث مثوى المسلمين، بقوله[1]:

إنْ ثوى جسمي فَحلَّ النجفا ... ففؤادي عنكُمُ لم يَضعَنِ

أينَ مَنْ حلّوا بجمعِ والصفا ... من مُقيمٍ بالغريِّ الأيمنِ

فالثواء في كل ما ورد في الشِعر، قديمه وحديثه، يعني الإقامة في القبر أو في السجن إلى حين الوفاة، كما ذكرَ ابن كبير الهذلي:

تغدو فتتركُ في المزاحفِ مَنْ ثوى ... ونمرّ في العرقاتِ من لم نقتلِ

وقد قيل للمقتول: قد ثوى أي أقام في قبره ومنه قول الشاعر: (حتى ظنني القوم ثاويا) وإن كل ما ورد فهو ينطبق على لفظ (الثوية) في النجف، حيث ورد فيها لفظان، الأول منهما بالتصغير بضم الثاء وفتح الياء، والثاني بفتح الثاء وكسر الياء. وقد أخذ البكري باللفظ الأول بقوله: إن فتح الثاء أثبتُ بالرواية، وقد وافقه آخرون[2]. وكانت ثوية الحيرة عبارة عن خُريبة تقع إلى جانب الحيرة، وكانت سجناً للنعمان بن المنذر يحبس بها مَنْ أراد قتله[3]. وحدد موقعها الجغرافي البكري بقوله: إنه موضع من وراء الحيرة، قريب من الكوفة، كان سجناً بناه (تُبَّع) وإذا حبس فيه إنساناً ثوى فيه، وقد ذكره الشاعر عدي بن زيد العبادي بقوله[4]:

وثِبْنَ لدى الثويةِ مُلجَماتٍ ... وصبّحْنَ العبادَ وهُنَّ شيبُ

فالثوية بالاتفاق كانت سجناً مؤبداً لمن يعتقل فيه ويبقى إلى حين وفاته وإنْ اختلف المؤرخون في بانيه، وهو في الوقت نفسه مقبرة لنزلائه. أما ثوية الكوفة فهي تقع

---

(١) الحبوبي: الديوان ص٧١.

(٢) البكري: معجم ما استعجم١/ ٣٥١، الجاحظ: البيان والتبيين١/ ١٨٠، البغدادي: مراصد الاطلاع ١٣٩/١٤

(٣) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٢، القمي: سفينة البحار ١/ ١٣٩.

(٤) عدي بن زيد العبادي: الديوان ص١١٤، ينظر ماسنيون: الرحلة١/ ٣٤.

في ظاهر مدينة الكوفة[1] أو قريباً منها. وقال الزمخشري: إنها موضع إلى جانب الكوفة كان أهل البدو يأتونه أيام الربيع[2]. وقد وَهِمَ بعضُهم في تحديد موقع الثوية في داخل الكوفة[3]، إذْ أن الثوية في الواقع تقع بعد (خندق الكوفة) باتجاه مدينة النجف الأشرف التي هي ظهر الكوفة أو ظاهرها.

وبما أن الثوية هي بالأساس مقبرة الكوفة، فقد قُسِّمَتْ وفق قبائلها المعروفة، وتنتهي (ثوية الكوفة) بأرض الغري أو الغريين. وإن كُلاً من الثوية والغري يشكلان (ظهر الكوفة). فالجزء الأول من الظهر، وهو الملاصق لمدينة الكوفة أو ما يقع بعد خندقها، يُدعى بالثوية . أما الجزء الآخر، الذي يُشكّل الآن مدينة النجف، فيُدعى بالغري . وقد اختلط الأمر على كثير من المؤرخين فدمجوا المنطقتين أو وضعوا الواحدة مكان الأخرى. فالثوية تمتد امتداداً طولياً ابتداءاً من شرق مدينة النجف وتنتهي بالحيرة الواقعة في الجنوب الشرقي من النجف من جهة، وإلى منطقة (الخندق) بالنسبة لمدينة الكوفة، فهي (جبّانة) أو مقبرة لمنطقتَي الحيرة والكوفة. وهي وفق هذا التحديد تكون منطقة واحدة تقع في طرف الصحراء. فالموضع القريب لكل من الكوفة والحيرة عُرِف باسمها ولذا قيل: ثوية الحيرة أو ثوية الكوفة[4].

وقد احتضنت مدينة النجف الأشرف منطقتَي (الثوية والغري) في الوقت الحاضر، وتضم منطقة (الحنانة) التي هي في واقعها (الجبّانة) الكبرى للكوفيين والتي دُفِنَ فيها جماعة من الصحابة والتابعين كخباب بن الأرت والمغيرة بن شعبة وكميل بن زياد النخعي وآخرون غيرهم . وقد ورد في كتب اللغة أن الجبانة أو الجبّان يُقصد بها المقبرة أو

---

(١) ابن قتيبة: كتاب المعاني الكبير ١٠٥٩/٢ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان٢/٥٠٦.

(٢) الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص٣٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان٢/٨٧ ، الطريحي: معجم البحرين١/٩٧ ، البغدادي: مراصد الاطلاع١/٣٠٢ ، ابن منظور: لسان العرب١٤/١٢٦.

(٤) الضبي: أمثال العرب ص١٢٤.

الصحراء[1]. والذي جعلنا نميل إلى الرأي القائل أن الحنانة في النجف اليوم هي تصحيف من الجبانة، حقيقتان: فأولاً، لموقعها في الصحراء، وثانياً لكونها مقبرة.

وقد ذهب ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله (الجبانة، بالفتح ثم التشديد، والجبان في الأصل الصحراء. وأهل الكوفة يسمّون المقابر جبّانة كما يسميها أهل البصرة المقبرة. وبالكوفة مَحالّ تُسمى بهذا الاسم وتُضاف إلى القبائل منها جبانة كندة مشهورة وجبانة السبيع وجبانة ميمون وجبانة عزرم وجبانة سالم وغير هذه وجميعها بالكوفة)[2].

وقد ورد لفظ (الثوية) في الشعر العربي وبخاصة في شعر الكوفيين. فأنشد الشاعر مروان بن خزام الأسدي (بعد أن سقى عقالاً الكاهلي خمراً في عس وحلب عليه شيئاً من اللبن فارتفعت رغوته، فشربه عقالٌ على أنه لبن، ولم يكن صاحب شراب فسكر، ولم يُفِق إلا بعد ثلاثة أيام) قائلاً[3]:

سـقينا عقـالاً بالثويـةِ شـربةً ... فمالـتْ بلـبِّ الكـاهليِّ عِقـالِ

فقلـتُ اصـطحبْها ياعقـالُ فإنمـا ... هيَ الخمرُ فينا، ما لها بخيـالِ

رميـتُ بأسـمِ الخـلِّ حبّـةَ قلبـهِ ... فلـم ينـتعشْ منهـا ثـلاثَ ليـالِ

وأنشد النعمان بن بشير الأنصاري قائلاً[4]:

بينَ الثويةِ والجسرين يقدمُها ... حمّالُ ألويةٍ طلاّعُ أنجادِ

وللسيد الحميّري إسماعيل بن محمد بن يزيد أبيات أشار فيها إلى الثوية منها[5]:

أتعرفُ رسماً بالثويينِ قد دثرْ ... تحفُّ به هضبُ السحائبِ والمطرْ

---

(1) الرازي: مختار الصحاح ٩٢، الزاوي: ترتيب القاموس ١/٤٤٢.

(2) ياقوت: معجم البلدان ٢/٩٩- ١٠٠.

(3) الجاحظ: الحيوان١/١٠٥، الآمدي: المؤتلف والمختلف ص١٥٥، المرزباني: معجم الشعراء ص٢٧٤، ابن سيدة: المخصص ١٨/١٩٠.

(4) الجبوري: شعر النعمان بن بشير ص١٤٢.

(5) السيد الحميري: الديوان ص٢٥٣.

منازلُ قد كانت، تكون بجوّها هضيمَ الحشا ريّاً ويُسحركَ النظرْ

وأنشد الشاعر الكبير أبو الطيّب المتنبي قصيدة عند وداعه للسلطان عضد الدولة البويهي ذكرَ فيها (الثوية) منها هذا البيت:

وكم دونَ الثوية من حزينٍ يقولُ لهُ قدومي ذا بِذاكا

وذكرَ الأستاذ اليازجي عند شرحه لبيت المتنبي: كم دون هذا المكان (يعني الثوية) من شخصٍ حزين لفراقي إذا قدِمتُ عليهِ سرَّ بي فيقول قُدومي له: هذا السرور بذاك الحزن[1]. ولأبي الطيب المتنبي إشارة أخرى لموضع الثوية بقوله[2]:

وليلٍ توسَّدنا الثويةَ تحتَهُ كأنَّ ثراها عنبرٌ في المَفارقِ

بلاد إذا زارَ الحسانُ بغيرها حصى تُربها ثقّبنهُ للمخانقِ

وإذا كان أبو الطيب المتنبي قد تغنّى بالثوية وهو ابن الكوفة وقد عاش في ربوعها، فإن ابن خفاجة قد سار بنفس الإتجاه وأرسل إلى الأمير أبي طاهر يقول:

ولا ليلُ إلا بالثويةِ أقمَرٌ تنفّسَ فيهِ السكرُ عن نفحةِ الشكرِ

وقد ربط الشاعر أبو العلاء المعري بين (الثوية) التي هي في أرض النجف وبين (ثدي) التي هي في بلاد الشام في قصيدة مدح فيها أبا الفضائل سيف الدولة بقوله[3]:

يُذكّرُكَ الثويةَ من ثُديٍ ضَلالٌ ما أردتَ بهِ ضَلالا

وفي قصيدة الأرجاني في مدح عزيز الدين عماد الإسلام أبي نصر أحمد بن حامد بن محمد ورد لفظ (الثوية) بقوله[4]:

وهانَ على من بالثويةِ دارُهُ مبيتي بزوراء العراقِ مُتيّما

وقال الأخطل[1]:

---

(١) اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ٢/ ٤٩٤.

(٢) الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٢٦٥.

(٣) ابن خفاجة: الديوان ص٢٥.

(٤) الأرجاني: الديوان ٣/ ١٢١٨.

حتى تكون لهم بالطفِ ملحمةٌ وبالثويةِ لم ينبضْ بها وترُ

وأراد أن يقول: تكون تلك أشد من أن يكون بها إنباض الوتر وإنما هو جِلادٌ بالسيوف وطعان بالرماح. وقد ارتبطت الثوية بأحداث الحيرة والكوفة وأصبح لها في هاتين المدينتين موقع كبير. فذكرَ الضبي: أن رجلاً من قبيلة طي يُقال له جابر بن رالان، ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة، وكان للمنذر بن ماء السماء يوم في السنة يركب فيه فلا يلقى فيه أحداً إلا قتله فلقي في ذلك اليوم ابن رالان وصاحبيه. فأخذتهم الخيل بالثوية وأُتيَ بهم إلى المنذر فقال لهم: اقترعوا فأيكم يقرع خلّيت عنه وأخذت الباقين. فاقترعوا فقرعهم جابر، فخلّى سبيلَه وقتل صاحبيه. فلما رآهما ابن رالان يُقادان ليُقتلا قال: من عزيز، فأرسلها مَثلاً. وقال جابر في ذلك[٢]:

يا صاحِ حيي الرانيَ المُترّيا واقرأ عليهِ تحيةً، أن يذهبا
يا صاحِ ألمم، انها إنسيّةٌ تُبدي بناناً، كالسيورِ مُخضّبا
ولقد لقيتُ على الثويةِ آمناً يَسقي الخميسَ بها وسيقاً أحدبا
كَرهاً أُقارعُ صاحبَيَ ومن يفُزْ منّا يكنْ لأخيهِ بدءاً مُرهِبا
للهِ درّي يومَ أتركُ طائعاً أحداً لأبعد منهما أو أقربا

وقد أشارت الشاعرة الأسدية هند بنت معبد إلى (الثوية) في رثائها لخالد بن المضلل وعمرو بن مسعود اللذين قُتلا بأمرٍ من المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء بقولها[٣]:

ألا بكرَ الناعي بخيرِ بني سعد بعمرو بن مسعودٍ وبالسيد الصمد

---

(١) الأخطل: الديوان ص١٠٣، ابن قتيبة: كتاب المعاني الكبير ١٠٥٩/٢

(٢) الضبي: أمثال العرب ص١٢٣- ١٢٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ١٨٠/١، ابن سيدة: المخصص ٣١٠/١٢؛ ١٥٢/١٧.

فمـن كـان يعيـا بـالجواب، فإنـه أبو معقلٍ ، لا حجر عنه ولا صدد

أثـاروا بـصحراءِ الثويـةِ قبـره وما كنتُ أخشى إنْ تناءى به البلد

وأرّخَ الشاعر الحيري عدي بن زيد العبادي هجوم الغساسنة على مدينة الحيرة وإحراقها في الوقت الذي كان النعمان بن المنذر قد غادرها إلى البحرين فقال[1]

سما صـقرٌ فأشـعلَ جانبيهـا وألهـاكَ المُروّحُ والغـريبُ

وثِبْنَ لـدى الثويـةِ مُلجَمـاتٍ وصبّحنَ العبادَ وهُنَّ شيـبُ

ألا تلـكَ الغنيمـةُ لا أفـالٌ تُرجّيهـا مُسَوَّمَةٌ ، ونيـبُ

تُرجّيهـا وقـد صـابتْ بِقَـرٍّ كما ترجو أصاغِرَهـا عتيـبُ

وقال أيضاً :

ويـحٌ لـدارٍ حللنـا بهـا بـينَ الثويـةِ والمردمـه

بريـة غرسـت في الـسوادِ كغرسِ المضيفةِ في اللهزمه

لـسانٌ لعربـةَ ذو وَلْغَـةٍ تولـعُ في الريـفِ بالهندمـه

وكان الشاعر قد ربط بين مواضع معروفة في منطقة النجف وهي: الثوية، اللسان، والريف، وإن الثوية تواجه الصحراء ومنها جاء لفظ (اللسان). وإلى ذلك أشار ابن قتيبة بقوله: " أدلع البر لسانه في الريف، مما يلي الفرات منه فهو الملطاط، وما يلي البطن فهو النجاف"[2]. وذكرَ المؤرخ الطبري: أن القائد العربي زهرة بن الحوية تقدم نحو (اللسان) حيث كانت هناك قوة فارسية عليها (نخيرجان)[3].

---

(١) عدي بن زيد العبادي: الديوان ص١١٤- ١١٥.

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص٢٦٥.

(٣) الطبري : التاريخ ٣/٦١٩.

ومن خلال ما ورد في النصوص التاريخية، يبدو لنا أن (الثوية) كانت في عصر ما قبل الإسلام تشكل مساحة شاسعة من الأرض ما بين الحيرة والكوفة إلى ظهريهما، وتؤلف المنطقة (طرف البر) وقد سكن في هذه الصحراء عدد من القبائل العربية ومنها قبيلة طي. فقد طلب المنذر بن ماء السماء، الحارث بن عمرو وهو في الأنبار، فخرج هارباً في صحابته وماله، فمرَّ بالثوية. فتتبّعه المنذر بالخيل من تغلب وأياد وبهراء، فلحق بأرض كلب ونجا[1].

وذكرَ أبو الفرج الأصفهاني: أن عمرو بن المنذر كان قد عاهد بعض أحياء طي على أن لا يُنازعوا ولا يُفاخِروا ولا يغزوا، ولكن هذا حينما غزا اليمامة ورجع منفضاً فمر بطي. فقال له زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم الحنظلي: أبيت اللعن أصِبْ في هذا الحي شيئاً. قال له: ويلك، أنَّ لهم عقداً. قال: وإنْ كان، فلم يزل به حتى أصاب نِسوة وأذواداً. فقال قيس بن جروة[2]:

ألا حيي قبلَ البينِ مَنْ أنتَ عاشِقُهْ	ومَنْ أنتَ مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومَنْ ليسَ تأتي دارَهُ غيرُ قينَةٍ	ومَنْ أنتَ تبكي كلَّ يومٍ تُفارِقُه
وتعدو بصحراءِ الثويةِ ناقتي	كعدوِ نحوصٍ قد أنْحَنَ نواهقُه

وقد أصبحت لمنطقة (الثوية) في التاريخ الإسلامي مساحة في أحداثه لا تقل عن مقبرة أو جبّانة الكوفيين شهرةً وأهميةً. وقد احتلّتْ قبيلتا ثقيف وقريش جزءاً منها[3]. وأكدت المصادر التاريخية أن المغيرة بن شُعبة المتوفى عام ٥٠هـ قد دُفِن في الثوية[4].

ولكن الخطيب البغدادي قد خلط بين الثوية والغري، ولعل مرجع وهمه يعود إلى وقوع المنطقتين في ظهر الكوفة ومجاورة إحداهما للأخرى. ولكن الثوية هي أقرب إلى

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ١/٤٣٥، ينظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٣/٣٣٩.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٢٢/١٨٧ (الطبعة المحققة).

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب١٤/١٢٧، البراقي: تاريخ الكوفة ص١٢٤.

الكوفة من الغري، ومن ثم لا أهمية لما ذكره الخطيب البغدادي من أن أبا جعفر الحضرمي كان يُنكر أن يكون القبر الواقع في ظهر الكوفة هو قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يقول: لو علمتْ الرافضة قبرَ مَنْ هذا لرجمته بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شُعبة[1].

وكان الخطيب البغدادي متناقضاً في روايته، فذكرَ في كتابه (تاريخ بغداد) ما نصه: (حدثني أبو حسان الزيادي قال سنة خمسين فيها مات المغيرة بن شعبة في شعبان ودفن بالكوفة بموضع يقال له الثوية)[2]. وهذا النص يؤكد مدفن المغيرة في الثوية طالما أن فيها مقابر لثقيف التي ينتمي إليها. وذكرَ الخطيب نصاً آخر لدفن الإمام في عدة مواضع ومنها (الثوية) بقوله: دُفن بالكوفة عند قصر الإمارة أو في موضع القصر، أو في الجهة التي تُنسب إليه، أو في البقيع مع فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو أن الإمام الحسن قد حمله ودفنه بالثوية[3].

ولم يرجح الخطيب البغدادي واحدة من هذه الروايات، بينما تؤكد المصادر على أن الإمام علياً عليه السلام قد دُفن بأرض (الغري) خارج منطقة (الثوية) التي دفن فيها المغيرة بن شعبة وغيره من الصحابة والتابعين الذين عاشوا في الكوفة وتوفوا فيها، وإن روايات الأئمة من آل البيت عليهم السلام تُجمع على تحديد مرقد أمير المؤمنين عليه السلام بالغري.

فروى السيد ابن طاووس (ت٦٩٣هـ) عن زيد بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام، وهو بالحيرة، أما تريد ما وعدتُكَ؟ قال: قلتُ بلى (وهو يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام) قال: فركب وركب إسماعيل معه، وركبتُ

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣٨/١.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد١٩٣/١.

(٣) ن.م.: ١٣٨/١.

معهم حتى إذا جاز الثوية فكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض، ونزل إسماعيل ونزلت معهم، فصلّى وصلّى إسماعيل وصلّيت[1].

وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يؤكد على أن قبر الإمام علي عليه السلام خارج منطقة (الثوية) كقوله: إذا خرجتم فجزتم الثوية والقائم وصرتم على غلوة أو غلوتين، رأيتم ذكواتٍ بيضاً بينهما قبر جرفه السيل، فذاك قبر أمير المؤمنين[2]. وإن هذا التحديد لموقع القبر الشريف في غاية الدقة لأن المرء إذا اجتاز الثوية – وهي الجبّانة المعروفة والتي تسمى اليوم بالحنّانة – فقد وصل إلى حدود منطقة (الغري) من أرض النجف، إذْ أن الأرض تأخذ بالإرتفاع التدريجي وصولاً إلى القبر الشريف الذي هو بين الغري والذكوات البيض. وإلى هذا أشار صفوان الجمّال (رحمه الله) بقوله: خرجت مع الإمام الصادق عليه السلام من المدينة أُريد الكوفة. فلما جزنا باب الحيرة قال: يا صفوان، قلت: لبيك يا ابن رسول الله، قال: تُخرِج المطايا إلى القائم، وجِدْ الطريق إلى الغري. قال صفوان: فلما صرنا إلى قائم الغري، أخرج رشاء معه دقيقاً قد عمل من الكنبار مغرّياً خطىً كثيرة[3].

وقد ذهبَ المحدثون والمؤرخون إلى أن المرقد الشريف هو في الغري خارج حدود (الثوية). وإلى هذا الرأي ذهبَ الشيخ ابن قولويه (ت ٣٦٨هـ) بقوله: إن قبر أمير المؤمنين عليه السلام هو فوق الثوية قليلاً[4]. وذكرَ ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ): "أن أبا الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي المقرئ المتوفى عام ٥١٠هـ قال: مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحدٍ منهم معروفاً إلا قبر أمير المؤمنين، وهذا القبر الذي يزوره الناس الآن، وجاء جعفر بن محمد عليه السلام وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام فزاراه، ولم يكن إذّاك قبراً ظاهراً، وإنما كان به سرح عضاه، حتى جاء محمد بن زيد

---

(١) ابن طاووس: فرحة الغري ص٥٢.

(٢) ن.م.: ص٨٣.

(٣) ن.م. ص٧٦، المجلسي: بحار الأنوار ٢٣٥/١٠٠.

(٤) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٣٥.

الداعي صاحب الديلم فأظهر القبة. وسألتُ بعض من أثق بهم من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عمّا ذكره الخطيب في تاريخه من أن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة. فقالوا: غلطوا في ذلك. فقبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما، وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا"[1].

وذكرَ سبط بن الجوزي، في معرض ردّه على الخطيب البغدادي، قوله: "وهذا من أغلاط (أبو نعيم) فإن المغيرة بن شعبة لم يُعرَفْ له قبر، وقيل إنه مات بالشام"[2].

ونحن إذْ نوافق على هذا القول في قسمه الأول، فإننا نُعارضه في قسمه الثاني إذ أن من المؤكد أن المغيرة بن شعبة قد دفن في أرض (الثوية) دون غيرها.

وكان الإمام علي عليه السلام، ببُعد نظره وثقب بصيرته، قد حدد موضع قبره من أرض الغري بعيداً عن الثوية خشية امتداد أيدي العابثين إلى موضع قبره الشريف. فقد أوصى بإخفاء معالم القبر، وإن هذا مما جعل الناس في حيرة إذ لم يدُر بخلد أحد أنه يُدفن في الغري، تلك البقعة الصحراوية الجرداء، ويبتعد عن (الثوية) التي هي جبّانة الكوفة الكبرى. ويقيَ لا يعلم بموضع القبر الشريف إلا الأئمة من أبنائه عليهم السلام والنخبة الخاصة من محبيهم وشيعتهم طيلة العصر الأموي وجزء من العصر العباسي.

لقد أشار إلى تلك الحقيقة ابن أبي الحديد بقوله: ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان فدفنوه على النجف بالموضع المعروف بالغري بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك وعهد كان عهده إليهم، وعمي موضع القبر على الناس[3].

ونقل الشيخ القمي، عن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس والشهيد الأول،

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٢/٦٤.

(٢) سبط بن الجوزي: تذكرة الخواص ص١٨٧.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/٣٦٤.

رواياتٍ كثيرةً حول موضع القبر الشريف منها: إذا نزلتَ الثوية (التي هي الآن بقرب الحنانة على يسار الطريق لمن يقصد الكوفة من المشهد) فصلِّ عندها ركعتين لما روي أن جماعة من خواص مولانا أمير المؤمنين عليه السلام دفنوا هناك[1].

ويقي من هذه القبور في الوقت الحاضر قبر كميل بن زياد النخعي رضوان الله عليه وموضع مسجد (الحنّانة) إذ ذهبت بعض الروايات إلى أن جثمان أمير المؤمنين عليه السلام قد مرَّ بموضع الحنانة مما أوقع بعض المؤرخين في وَهْم بأنه، عليه السلام، قد دفن هناك. وإلى هذا الرأي أشار المستشرق الفرنسي (ماسنيون) بالقول: هذا هو الموضع الذي فيه جثمان علي[2].

ومن المحتمل أن الحنانة، قبيل أن تتحول إلى مسجد، كانت مقبرة من مقابر الثوية أو دير من أديرة الحيرة. وكان هذا الموضع شاخصاً في المنطقة، فقد وُضِعَ فيه رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أبنائه وأصحابه قبيل دخول السبايا من آل البيت عليهم السلام مدينة الكوفة. وقد روى محمد بن أبي عمير عن المفضل بن عمرو أنه قال: جاز الإمام الصادق عليه السلام القائم المائل في طريق الغري، فصلّى ركعتين، فقيل له ما هذه الصّلاة؟ فقال: هذا موضع رأس جدّي الحسين بن علي عليه السلام، وضعوه هنا لما توجهوا من كربلاء، ثم حملوه إلى عبيد الله بن زياد[3].

ونؤكد رأينا أن (الحنانة) هي تصحيف (الجبانة) بدلالة ما ذكره ابن طاووس: إن الإمام الصادق عليه السلام أوصى المفضل بن عمرو أن يصلي في (الجبانة) ركعتين لأنها موضع رأس الحسين عليه السلام، كما ورد في النص نفسه لفظ (الحنانة)[4]. وهذا مما يؤكد التصحيف لورود اللفظين في الرواية الواحدة. وذكرَ ابن طاووس أيضاً: إن جماعة

---

(١) القمي: سفينة البحار ١/١٣٩.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص٦.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٨٢.

(٤) ابن طاووس: مصباح الزائر ص٦١.

جثمان أمير المؤمنين عليه السلام قد نقلوه من الكوفة، وقد مرَّ مُشيّعوه بالجبانة في طريقهم إلى الغري[1].

وأصبح من الثابت تاريخياً أن المغيرة بن شعبة قد دُفن في (الثوية) وكذلك دُفن فيها أبو موسى الأشعري[2]. وذكر الحاكم النيسابوري أن المغيرة مات بالكوفة سنة خمسين للهجرة أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان[3]. وأشار ابن أبي الحديد إلى موضع قبره بقوله: سألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الاقساسي رحمه الله عن ذلك فقال: صدق من أخبرك، ونحن وأهلها كافة – يقصد أهل الكوفة – نعرف مقابر ثقيف بالثوية وهي إلى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها، إلا أنها لا تعرف قد ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها واختلط بعضها ببعض[4].

وذكرَ أبو الفرج الأصفهاني: أنه كان بين المغيرة بن شعبة ومصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع دعا مصقلة أن يغادر مدينة الكوفة ولا يُقيم ببلدة فيها المغيرة. فخرج إلى بني شيبان إلى أن توفى المغيرة، فعاد إلى الكوفة وسأل عن مقابر ثقيف فأرشدوه. وقد ظن الناس أنه سوف يرجم قبر المغيرة بن شعبة بالحجارة، ولكنه وقف على قبره وقال له: والله لقد كنتَ، ما علمتُ، نافعاً لصديقك ضابراً لعدوِّك، وما مثلك إلا كما قال المهلهل في أخيه كُليب:

إنَّ تحتَ الأحجارِ حزماً وعزماً	وخصيماً ألدَّ ذا مغلاقِ
حيّـةً في الوجارِ أبـدَ لا يـنـ	فعُ منه السليمَ نفثُ الراقي

---

(١) ابن طاووس: فرحة الغري ص٧٤.

(٢) البغدادي: مراصد الاطلاع ١/ ٣٢

(٣) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين٣/٤٤٨.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة٢/٤٦.

ووقف حارثة بن بدر الغداني على قبر زياد بن أبيه في الثوية، وعلى مقربة من قبرَي المغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري وأنشد قائلا[1]:

أبا المغيرةِ، والدنيا مغيّرةٌ	ومَنْ تغيّرهُ الدنيا لَمغرورُ
قد كان عندك للمعروفِ معرفةٌ	وكان عندك للنكراءِ تنكيرُ
وكنتَ تؤتى فتؤتي الخيرَ من سِعَةٍ	إنْ كانَ قبرُكَ أمسى وهو مهجورُ
صلّى الإلهُ على قبرٍ، بمَحْنيَةٍ	دونَ الثويةِ يسعى فوقها المورُ

وذكرَ الطبري: أنه لما حضرت زياداً الوفاة، قال له ابنه: يا أبتِ قد هيّأتُ لك ستين ثوباً أُكفّنُكَ فيها، فقال: يا بُنيَ قد دنا من أبيكَ لِباسٌ خير من لباسهِ هذا وسلب سريع، ولما مات دُفن بالثويةِ إلى جانب الكوفة[2] وذلك في عام ٥٣هـ، ودفن بالقرب منه عام ٦٧هـ الأحنف بن قيس[3]. ودُفن عدد من الصحابة والتابعين في الثوية.

وأشار إلى ذلك ابن خلكان بقوله: إنّ في الثوية قبورَ جماعةٍ من الصحابة وغيرهم[4]، وإن بعضهم كانوا من خواص أمير المؤمنين عليه السلام[5]. وذكرَ بعض الباحثين أن جماعة من أصحاب الإمام علي عليه السلام قد دُفنوا في مسجد الحنّانة[6].

ويبدو أن خبّاب بن الأرت قد دفن في الثوية وإنْ أشارت المصادر إلى أنه دُفن في (ظهر الكوفة) وذلك عام ٣٧هـ. فقد روى الطبري عن قدامة بن العجلان الأزدي أنه قال للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك إلى صفين، فأوصى أن يُدفنَ في الظهر، وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وأفنيتهم، فدُفن

---

(١) الجاحظ: الحيوان٧/١٥٩، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة٢/٤٦.

(٢) الطبري: التاريخ٥/٢٩٠.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص٤٢٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان٢/٥٠٤.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان٥/٥٠٦.

(٥) البراقي: تاريخ الكوفة ص٦٨.

(٦) القزويني: فلك النجاة ص٣٣٦، البراقي: البقعة البهية/ ورقة٢٦٠.

بالظهر رحمه الله، ودفن الناس إلى جنبه[1]. وأشارت مصادر أُخرى أن خباباً مات بعد منصرف الإمام علي عليه السلام من صفّين وقد صلّى عليه الإمام ودفنه بظهر الكوفة[2].

ونحن نميل إلى الرأي القائل أن خباباً قد دُفن في الثوية التي هي جزء من ظهر الكوفة مع من دفن فيها من الصحابة والتابعين، ومن دفن فيها بعده من أمثال قرظة بن كعب وسهل بن حنيف وعبد الله بن أبي أوفى وصعصعة بن صوحان وكميل بن زياد النخعي وغيرهم، ولم يبق من قبور هؤلاء في الوقت الحاضر سوى قبر كميل بن زياد النخعي[3]، وقد استطاع أحد المتصوفة من إبراز قبره وبناء قبة عليه[4]. ثم أُجريتْ على القبر توسعات كثيرة حتى أصبح من مساجد النجف العامرة في منطقة الحنانة. ومن الجدير بالذِكر أن كميل بن زياد النخعي قد قُتل عام ٨٢هـ بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي وفي عهد عبد الملك بن مروان[5].

وقد ورد ذِكرُ الحنانة في خطبةٍ لعبد الملك والتي استشهد فيها بقول أعشى همدان بقوله[6]:

فوجَّهه نحوَ الثويةِ سائراً إلى ابنِ زيادٍ في الجموعِ الكتائبُ

وقد جاءت خطبة عبد الملك بن مروان بعد مقتل زعماء التوابين عام ٦٤هـ. ولم نجد للثوية إشارة في العصر العباسي وما بعده.

(١) الطبري: التاريخ٥/٦١، أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ١/١٤٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى٣/٦، ١٦٧/١٤، ابن عبد البر: الإستيعاب٦/٤٢٤، الحسيني: الدرجات الرفيعة ص٤٠٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧، ابن عبد البر: الإستيعاب ٢/٦٦٢، ابن حجر: الإصابة ٢/٢٧٩-٢٨٠، ٣/٣١٨، أبو علي: منتهى المقال ص١٩٥، حرز الدين: مراقد المعارف١/٤٠٧

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٤٧.

(٥) ابن حجر: الإصابة٣/٣١٨.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ٤/١٨٨.

٣- بانقيا : الأرض والمقبرة

حدّد المؤرخون والجغرافيون موقع (بانقيا) من أرض النجف. فقال بعضهم إنها ناحية من نواحي الكوفة[١]. وقال آخرون: هي أرض النجف دون الكوفة، وإليها أشار الأعشى بقوله[٢]:

فما نيلُ مصرٍ إذْ تسامى عُبابُهُ   ولا بحرُ بانقيا إذا راحَ مُفعما

وتعود تسمية المنطقة بأسم (بانقيا) إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام قد اشترى هذه المنطقة بمائة نعجة، وإن لفظ (با) في اللغة النبطية يعني مائة ولفظ (نقيا) يعني شاة[٣]. وقيل أن الغنم باللغة النبطية يقال لها نقيا، وورد أيضاً أن (بانقيا) تعني النعاج باللغة النبطية[٤]. وهذه النصوص لها دلالة على أن أرض بانقيا كانت مهبط الأنبياء وموطن الصالحين، فقد نزل بها إبراهيم الخليل ولوط عليهما السلام وهما يريدان بيت المقدس مهاجرين. وقد كانت هذه الأرض تزلزل كل ليلة، فلما باتَ بها الخليل ولوط لم يحدث فيها أيُّ شيء، فتعجب سكان المنطقة من ذلك، فقال صاحب المنزل الذي فيه إبراهيم الخليل عليه السلام: ما رفع عنكم إلا شيخ قد بات عندي وكان يصلّي ليله ويبكي. فاجتمعوا إليه وسألوه المُقام عندهم على أن يجمعوا له من أموالهم فيكون أكثرهم مالاً فقال: لم أُؤمَرْ بذلك وإنما أُمِرتُ بالهجرة. فخرج حتى أتى النجف، فلما رآه رجع أدراجه وسأل: لمن تلك الأرض؟ فقالوا: هي لنا، قال: فتبيعوها؟ قالوا: هي لك، فوالله ما تنبت شيئاً، قال: لا أُحب إلا أن يكون الشراء، فدفع إليهم غنيمات كنَّ معه[٥].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣١.

(٢) الأعشى: الديوان ص٢٩٧ ، البكري: معجم ما استعجم١/٢٢٢ ، الحميري: الروض المعطار ص٧٦.

(٣) بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٥٤.

(٤) الصدوق: علل الشرائع٢/٥٨٥ ، ياقوت: معجم البلدان١/٣٣١، البكري: معجم ما استعجم ١/٢٢٢ ، الحميري: الروض المعطار ص٧٦، المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٢٧

(٥) ياقوت: معجم البلدان١/٣٣١ ، البكري: معجم ما استعجم١/٢٢٣ ، الحميري: الروض المعطار ص٧٦ ، العلوي: كتاب فضل الكوفة/ ورقة٢٨٤ ب .

ولأهمية أرض النجف الدينية والروحية، أصرَّ إبراهيم الخليل عليه السلام على شرائها رغم قفرها. ومما يؤيد ذلك، ما رُويَ عن الإمام علي عليه السلام قوله: إن إبراهيم الخليل اشترى هذه الأرض بسبع نعاج وأربعة أحمرة[1]. وإلى حديث الإمام هذا، أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في أُرجوزته[2]:

وكان إبراهيمُ قد شراهُ   من أهل بانقيا كما يراهُ

وورد في بعض النصوص أنه يُحشر من وِلد إبراهيم الخليل عليه السلام في هذا الموضع سبعون ألف شهيد وإنهم يدخلون الجنة بغير حساب ويشفع الرجلُ منهم لكذا من الناس[3]. ومما يبدو أن أرض النجف ومنها موضع (بانقيا) تشكل منطقة واحدة، ولذا أقدم إبراهيم الخليل على شرائها. وتُشير النصوص إلى أن (بانقيا) كانت مقبرة في عصر ما قبل الإسلام، وقد اتخذها يهود المنطقة مقبرة ينقلون إليها موتاهم[4].

وأصبحت منطقة (بانقيا) ضمن العمليات العسكرية في عهد الخلافة الراشدية، فذكرها ابن الفقيه بالقول: (فمن فتوحنا الحيرة وبانقيا)[5]. وذكرَ المؤرخ اليعقوبي أن الخليفة أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يسير إلى العراق، فسار ومعه المثنى بن حارثة الشيباني، حتى صار إلى مدينة بانقيا فافتتحها وسبى من فيها[6]. ولكن بعض المصادر قد أشارت إلى أن أهل بانقيا صالحوا خالد بن الوليد على ألف درهم وطيلسان في السنة[7].

وقال الطبري: لما صالح أهل الحيرة خالداً، خرج صلوبا بن نسطونا صاحب (قس الخاطف) حتى دخل على خالد وصالحه على بانقيا وباروسما وضمن له ما عليها وعلى

---

(١) الصدوق: علل الشرائع ٢/٥٨٥، المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٢٧، البراقي: اليتيمة الغروية/ ورقة ٦١.

(٢) السماوي: عنوان الشرف ص٤.

(٣) الصدوق: علل الشرائع ٢/٥٨٥، المجلسي: البحار ١٠٠/٢٢٧، الطبرسي: درر الأخبار ٢/١٨٣، القمي: سفينة البحار ١/١٠٧.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ١/٢٢٣، ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣١.

(٥) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٦٥.

(٦) اليعقوبي: التاريخ ١/١٢٠.

(٧) الطبري: التاريخ ٣/٣٤٦، ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣٢.

أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً[1]. وذكرَ قدامة بن جعفر: أن خالد بن الوليد بعث بشير بن سعد الأنصاري إلى منطقة (بانقيا) فلقيته خيل الفُرس وعليها (فرجنداذ) فرشقوا من معه بالسهام وحمل عليهم فهزمهم وقتل فرجنداذ، ثم انصرف بشير الأنصاري وبه جراحة ومات في مدينة عين التمر.

ثم بعث جرير بن عبد الله البجلي، فخرج إليه (بصبهري بن صلوبا) وكان صاحب بانقيا، وتم الصلح على ألف درهم وطيلسان[2]. وذكرَ الفقيه أبو يوسف: أن خالد بن الوليد سار إلى بانقيا بعد أن صالحه أهل الحيرة ورفع الحصار عن قصورها.

وكانت في بانقيا مسلحة لكسرى في حصن. وبعد حصار المنطقة، تم لخالد افتتاح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى النساء والذراري وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح وأحرق الحصن وهدمه. فلما رأى أهل القرية ذلك، طلبوا منه الصلح على أداء الجزية، فكان من ولي الصلح عنهم هانئ بن جابر الطائي، فصالحه عنهم على ثمانين ألف درهم. وبعد ذلك، نزل بانقيا وافتتحها وكان فيها أساورة لكسرى ثم عاد خالد إلى النجف ومنها سار إلى عين التمر[3]. وفي حصار بانقيا، أنشد ضرار بن الأزور قائلاً[4]:

أرقتُ ببانقيا ولم يلقَ مثلما   لقيتُ ببانقيا من الحربِ بارقُ

ويبدو أن عملية فتح بانقيا قد تمت على الصلح وأخذ الجزية من أهلها، ثم كتب خالد بن الوليد كتابَ أمانٍ للناس. وشهد على هذا الكتاب كل من: هشام بن الوليد، جرير بن عبد الله، وسعيد بن عمرو وذلك عام ١٨هـ[5]. وقد شمل الصلح مناطق

---

(١) ن.م.: ٣٤٧/٣.

(٢) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٣٥٦.

(٣) أبو يوسف: الخراج ص١٤٥.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٣٣٢/١.

(٥) ن.م.، ينظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٦/٦٥٠.

(باروسما) و (بانقيا)[1]، وأصبح سكان هذه المناطق في ذمّة المسلمين[2]. وروي أن عبد الله بن مغفل كان يقول: لا تشترينَّ من أرض السواد إلا من أهل الحيرة وأهل بانقيا وأهل أليس، وهذا يعني أن أرض السواد قد أفتتحت عنوة[3].

وأشار الفقيه أبو عبيد إلى مصالحة أهل بانقيا للعرب المسلمين بقوله: فأما أهل الحيرة، فإن خالد بن الوليد كان قد صالحهم في عهد أبي بكر، وأما أهل بانقيا وأليس فإنهم دلوا أبا عبيد الثقفي وجرير بن عبد الله البجلي على مخاضة حتى عبروا إلى فارس، فلذلك كان صلحهم وأمانهم. كان كتاب الصلح قد نص على حقن الدماء وعلى إعطاء الجزية[4].

وبقيت منطقة (بانقيا) على ولائها للمسلمين بعد رحيل خالد بن الوليد عن العراق، وانتفاض بعض مناطق السواد على المسلمين، ما جعل الخليفة عمر بن الخطاب يندب الناس لقتال الفرس، وقد أُعطيت القيادة لأبي عبيد بن مسعود الثقفي. فتقدم هذا القائد نحو بانقيا، وكان أهلها قد أعانوه على عقد الجسر[5]. وأكد سعد بن أبي وقاص على ولاء أهل بانقيا وبسما وأليس للمسلمين[6].

وفي عهد الإمام علي عليه السلام بقيت بانقيا تحت حكمه ورعايته، وقد استعمل عليها رجلاً من ثقيف وأوصاه بالقول: أنظر خراجك فجد فيه ولا تترك فيه درهماً، فإذا أردتَ أن تتوجه إلى عملك فمرَّ بي[7]. ويبدو أن في منطقة بانقيا جماعة من اليهود،

---

(١) الطبري: التاريخ٣/٣٤٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ٢/٣٨٤.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٥.

(٣) ن.م. : ١/١٤، البكري: معجم ما استعجم١/٢٢٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣٢.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥٢.

(٦) أحمد عادل كمال: القادسية ص٢١٣.

(٧) الصدوق: من لا يحضره الفقيه٤/٩٨.

فاتخذوا منها مقبرة أيضاً . وقد أراد الإمام علي عليه السلام نفي شريح القاضي إليها عقوبة له بعد أن قضى بمسألة قد نقم عليه أمرها فقال له : والله لأنفينّك إلى بانقيا شهرين تقضي بين اليهود[1]. وقد نفذ المختار بن أبي عبيد الثقفي رأي الإمام عليه السلام عند إعلان ثورته وأصدر حكمه ليقضي بين اليهود ثم سيّره بعد ذلك إليها وبقي فيها شهرين[2].

وقد ساعد موقع (بانقيا) على بحر النجف وإحاطته بالقصور والأديرة على احتضان الثوار في العهد الأموي، لتطلعه على البادية مما يساعدهم على الفرار إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك.

وكان زعيم التوابين المسيب بن نجبة الفزاري قد جمع أصحابه في حروراء ثم قصد بانقيا. فسأل الناس : ما تسمون هذه الأرض ؟ فقالوا : بانقيا[3]. وقد التجأ الشاعر الفرزدق إلى بانقيا هرباً من عبيد الله بن زياد، ولما وصل إلى بعض القصور، نزل بها[4]. وفي عام ٥٨هـ، انتفض الخوارج بقيادة حيان بن ظبيان السلمي واتخذوا من منطقة (بانقيا) معسكراً لهم. وفي عام ٧٦هـ، اتخذها شبيب الخارجي قاعدة لجماعته عندما أعلن الثورة في عهد عبد الملك بن مروان[5].

وأشار بعض الشعراء إلى موضع (بانقيا) وأهميته في المنطقة الواقعة بين النجف والحيرة، كما أشار إلى ذلك الأعشى بن قيس بن ميمون بقوله[6] :

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤/٩٨.

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤/٩٨.

(٣) الطوسي : أختيار معرفة الرجال ص٢٠.

(٤) الطبري : التاريخ ٥/٢٤٦.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣/٥١٥ ، ٤/٣٩٧.

(٦) الأعشى : الديوان ص١٧٩ ، ينظر البكري : معجم ما استعجم ١/٢٢٢ ، شيخو : شعراء النصرانية قبل الإسلام ق٣/٣٩١.

قد طفتُ ما بينَ بانقيا إلى عدَنٍ   وطال في العجم ترحالي وتسياري

وقال الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي[1]:

فقد أراني ببانقياءَ مُتَّكأً   يسعى وليدان بالحيتانِ والرُغُفِ

(1) بشر بن أبي خازم الأسدي: الديوان ص١٥٩.

رابعاً: بحر النجف والعيون والينابيع

تشكل منطقة بحر النجف والعيون والينابيع الواقعة في دائرته مساحة واسعة من الأرض. كما يقال لها (طف الغريض)[1]، وورد في (معجم البلدان): إن كل من ورد الماء باكراً فهو غارض، والماء غريض، والغريض موضع[2]. وكان يطلق على المنطقة الواقعة على ساحل بحر النجف إسم (طف النجف)، والطف هو (ساحل البطيحة)[3]، والبطيحة والبطحاء واحد وجمعها بطائح، إذْ أن المياه تبطّحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض[4]. ولذلك أخذت منطقة بحر النجف وحوضها امتداداً نحو البادية حيث احتضنت مجموعة كبيرة من العيون والينابيع، ولذا سوف تأخذ هذه الدراسة مسارين هما: بحر النجف، ثم العيون والينابيع وعلى النحو الآتي:

١- بحر النجف

عرف بحر النجف في العصور التاريخية القديمة بأسماء آرامية وسريانية وعبرية وغيرها مما له دلالة على قِدَم البحر وتسميته. فوردَ لفظ (فرثا) في اللغة الآرامية ويعني البثقة[5]. وورد لفظ (حاشير) في اللغة العبرية ومعناه مجموع المياه، وقد التقى هذا اللفظ بلفظ (الحشر) في اللغة العربية ومعناه الجمع من أصل واحد[6]، أي أن بعض الأنهار كانت تصل إلى الحيرة ومنها: نهر الحيرة، ونهر يوسف، ونهر كافر، وتتجمع هذه الأنهار في مجتمع الأنهار وتصب في بحر النجف الذي كان مليئاً بالماء وتصل إليه السفن

---

(١) عبد المحسن شلاش: (ما احتفظت به الذاكرة) بحث في جريدة الراعي النجفية العدد التاسع لسنة١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ص١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٠٠.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٦/٢٥٩.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ١/٤٥٠.

(٥) يوسف رزق الله: الحيرة ص١١.

(٦) الجنابي: تخطيط الكوفة ص٣٣، بول: دائرة المعارف الإسلامية(مادة الحيرة) ٨/١٦١.

البحرية[1]. وقد أشار المسعودي بقوله: (أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون، فلما انقطع الماء عن مصبّه في ذلك الموضع، انتقل البحر براً فصار بين الحيرة والبحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة، ومن وراء النجف وأشرف عليه)[2].

وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون على تلك الصفحة العريضة من الأرض والتي تغمرها المياه أسماء كثيرة منها: (بحر النجف، وهور النجف، وبحيرة النجف، ومستنقع النجف، ومنخفض النجف) لأن المُشاهِد إذا وقف على مرتفع النجف أو على كتف البحر، يُبصر امتداداً مائياً واسعاً لم يُشاهده في أحواض الأنهار ومناطق السهول.

لذلك، جاء لفظ (البحر) من باب التفخيم والتعظيم لتلك الصفحة المائية العريضة. ولابد من الوصول إلى حقيقة ورود السفن من الصين إلى بحر النجف كما أشارت بعض المصادر إلى ذلك، فإن المحاورة التي جرت بين خالد بن الوليد وعبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني عام ١٢هـ أكد فيها ابن بقيلة بأن سفن الصين كانت تمخر عباب البحر من وراء النجف[3]. فقد سأله خالد بن الوليد: فما أدركت؟ فقال: أدركتُ سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين، وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك[4]. وقال أيضاً: أدركت سفن البحر ترفأ في هذا الجرف، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع قلتها على رأسها لا تُزوّد إلا رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام، ثم أصبحت خراباً يباباً، وذلك دأب الله في العباد والبلاد[5]. وقد ورد لفظ البحر في أحداث عام ١٥هـ عند تحديد سعد بن أبي وقاص لمعركة القادسية بقوله: (إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين. فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحضوض، يطلع بمن سلكه

---

(١) العلي: مختصر تاريخ العرب ٧١/١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ١٠٣/١.

(٣) ن.م.: ١٠٤/١.

(٤) الشابشتي: الديارات ص٢٤٠، الحميري: الروض المعطار ص٢٠٩، ص٥٧٥.

(٥) الشريف المرتضى: الأمالي ٢٦١/١، الطوسي: الغيبة ص٨٢.

على ما بين الخورنق والحيرة، وأن عن يسار القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم)[1].

وأشارت بعض المصادر إلى صلة بحر النجف بالخليج العربي[2]. وقد سلك هذا الطريق اليونانيون والفُرس والعرب في العصور المختلفة، وكانت السفن التجارية تغادر بحر النجف وهي محملة بالحديد والنحاس والقصدير من منتجات العراق وسوريا وبلاد الروم واليونان، وتعود من الهند والصين وسريلانكا وشرق إفريقيا محملة بالحرير والإستبرق والقرنفل والفلفل والزعفران والصمغ والصدف والعاج والدر والمرجان وغيرها من السلع[3]. وذكرت بعض المصادر أن الحيرة من ظهر البرية كانت على مرفأ سفن البحر من الهند والصين وغيرها[4].

ولكن يبدو لنا أن بحر النجف كان يتصل بالخليج ومن ثم بالعالم الخارجي عن طريق الأهوار والبطائح ونهر الفرات. فالسفن المذكورة في النصوص المتقدمة تأتي من البصرة إلى النجف عبر هذه الطرق المائية. وإلى ذلك يذهب الأستاذ الدكتور مصطفى جواد بقوله: إن بحر النجف ترفده الأودية التي تأتي من النجا والغربية من صحراء السماوة القديمة، ومن شمالي جزيرة العرب، فيكوّن بطائحَ واسعة تُرى وكأنها البحر. وكان من بقاياه بحر الشنّافية وبحر النجف ولا يبعد إتصال هذه البطائح بالخليج العربي[5].

ومما يدعم هذا الرأي، أن مدينة النجف الحالية تتصل بمدينتَي الشنّافية والسماوة عن طريق البحر يوم كان عامراً، وتتصل بهما عن طريق الصحراء بعد جفافه. وقد ذكرَ

---

(١) الطبري: التاريخ ٤٩٢/٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان٣٢٨/٢، أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٩٩، القلقشندي: صبح الأعشى ٣٣٣/٤، الزبيدي: تاج العروس ١٦٥/٣.

(٣) يوسف رزق الله: الحيرة ص٩١- ص٩٢، أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٩٦.

(٤) البكري: معجم ما استعجم٤٧٩/٢، الحميري: الروض المعطار ص٥٧٥.

(٥) مصطفى جواد: (النجف قديماً) بحث في موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ١٥/١- ١٦.

(المستر بارلو) في عام ١٨٨٩م قائلاً: إن أكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف يسلكون طريق الفرات فالعطشان فالشنافية، وإن سفن كثيرة ذات حمولة خمسين طناً تمرُّ من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف[١]. وإن هذا النص الحديث الذي أرّخ لبحر النجف في القرن التاسع عشر الميلادي يؤيد ما ذهبنا إليه من أن بحر النجف يتصل بالخليج العربي عن طريق نهر الفرات وبطائحه.

وقد سلك هذا الطريق (السير وليم كوكس) و (الكولونيل رمزي) المقيم البريطاني في بغداد و (المستر وان آيس) عضو البعثة التبشيرية في البصرة، وقد ركبوا زورقاً صغيراً ووصلوا به إلى مدينة الشنافية[٢]. وكان هذا في مطلع القرن العشرين، أي قبيل جفاف البحر بمدة يسيرة. وقد ذكرَ الرحالة الجيكوسلوفاكي (الواموسيل): أن جفاف بحر النجف يعود إلى عام ١٩١٥م، إذ أنه وقف على بناء السدة التي قطعت المياه عن المنطقة، وعلى أثر ذلك جف البحر وتحول إلى أراضٍ خصبة[٣]. وإن هذه النصوص على اختلاف أبعادها التاريخية تشير إلى أن بحر النجف ليس بحراً وفق المصطلح العلمي الدقيق وإنما هو أقرب إلى الهور ذي المساحة المائية الواسعة، الذي يتصل بالفرات عن طريق مدينة الشنافية التي هي الأخرى قد التحق بها لفظ البحر ولفظ الهور. فقد ذكرَ بعض الجغرافيين المحدثين أن منطقة بحر النجف في العهد الساساني يُطلق عليها لفظ (أهوار رومية) وذلك في عهد الإسكندر الأكبر[٤]. وإن تسمية الأهوار قد أُطلقت على المنطقة التي اتسعت فيها رقعة المياه إلى درجة اتصالها بأهوار الشنافية الواقعة في غرب نهر الفرات[٥].

---

(١) فؤاد جميل: هامش كتاب (في بلاد وادي الرافدين) ص٦٢.

(٢) وليم كوكس: بين عدن والأردن ٣٦/١.

(٣) الواموسيل: الفرات الأوسط ص١٥٩.

(٤) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٨٣.

(٥) الخلف: محاضرات في جغرافية العراق ص٢٨، السعدي: جغرافية العراق الحديث ص٤٠.

واعتقد الأستاذ (فوتي Voute) أن نهر الفرات كان متصلاً ببحيرة الحبانية وهور أبي دبس، وبوادي جاف غربي كربلاء، وكذلك بهور النجف[1]. وذكرَ ولكوكس: أن نهر الفرات البابلي أصبح مجرىً صغيراً لا أهمية كبيرة له، وصارت معظم مياهه تنحدر إلى أهوار النجف[2]. وأطلقت بعض المصادر لفظ (بحيرة) بدلاً من (بحر)[3]، وهذا اللفظ يُطلق عادة على بقعة ضيقة وقد أُريد بها استبعاد لفظ البحر في مفهومه العالمي. وإلى ذلك أشار الرحالة البرتغالي تكسيرا (Teixeira) عام ١٦٠٤م بقوله: (بانت لهم من بعيد بحيرة واسعة الأرجاء متكونة من مياه الفرات في وسط البادية، ولا يخفى أنه بحر النجف على حدِّ تعبير الناس في يومنا هذا)[4].

لقد اخترق تكسيرا بحر النجف عن طريق البادية ووصفه في كتابه المطبوع في لندن عام ١٩٠٢م. وإن الكثير من المستشرقين اتفقوا على إطلاق لفظ(بحيرة) بدلاً من لفظ (بحر) على بحر النجف، ففي السادس والعشرين من شهر حزيران عام ١٦٢٥م، زار مدينة النجف الأشرف الرحالة البرتغالي (ديلافاك) وأشار إلى بحر النجف على أنه بحيرة كلدانية[5]. وعند الحديث عن مدينة الحيرة يقال أنها كانت تقع على بحر النجف أو بحيرة النجف[6]. وذهب بعضهم إلى القول إن اسم (الحيرة) مشتق من الفعل (حارَ) أي تردد، وهو الماء الذي كان يجري بالنظر إلى ركود مياه بحر النجف[7]. وقد وصف الشيخ علي الشرقي منطقة بحر النجف بالقول: (وتطل من جهتَي الغرب والجنوب على وادٍ أفيح، ربما دلّتْ آثاره الجيولوجية على بحر أو بحيرة في التاريخ القديم)[8].

---

(١) نفس المصدر: ص٤٠.

(٢) ولكوكس: بين عدن والأردن ١/ ٨٤.

(٣) أبو الريحة: الأستيطان القبلي ص٢.

(٤) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف.

(٥) جعفر الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف.

(٦) بول: دائرة المعارف الإسلامية (مادة الحيرة) ٨/ ١٦١.

(٧) يوسف رزق الله: الحيرة ص١١.

(٨) الشرقي: الأحلام ص٣٩.

أما لفظ (منخفض أو مستنقع) فقد أخذ به بعض الباحثين في إطلاقه على (بحر النجف). ويقترب هذا اللفظ من لفظ (الهور)، فذكرَ الأستاذ حسن الأسدي: (أن منخفض بحر النجف ينخفض عن أرض النجف الحالية حوالي الأربعين متراً)[1]. ونظراً لركود الماء فيه، أخذ بعضهم يطلق لفظ (مستنقع أو مستنقعات النجف)[2]. وذكرَ الدكتور شمخي فيصل الأسدي: أن منخفض بحر النجف مَعْلَمٌ طبوغرافي واضح في المنطقة، ويمثل مركزه مستنقع مِلحي دائمي، ويقع إلى الغرب من مدينة النجف، وتوجد على أطراف هذا المنخفض وامتداداً لأراضيه مساحة واسعة من الأراضي الزراعية تقدر بحوالي (٢٠٠٠٠) دونماً. وقد ساعد انفتاح منطقة بحر النجف على السهل الرسوبي من جهته الجنوبية وسهولة إيصال مياه الري إليه على ممارسة النشاط الزراعي[3].

وارتبط بحر النجف بمواقع جغرافية وقعت على ضفافه، وهي ذات أبعاد تاريخية قديمة سُميَ البحر بأسمائها فقيل: بحر النجف، وبحر بانقيا، وبحر الحيرة وبحر الملح، لأن هناك ارتباطاً أرضياً بين هذه المواقع .فالحيرة هي المملكة العربية المعروفة التي أسسها المناذرة اللخميون في عصور سبقت الإسلام، فبنيتْ القصور والأديرة والمقابر على الجرف الترابي المعروف بكتف البحر. فذكر المؤرخ اليعقوبي (أن الحيرة على النجف، والنجف كان ساحل بحر الملح، وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة، وهي منازل آل بقيلة وغيرهم[4]، فالمنطقة الممتدة من الحيرة إلى النجف المعروفة بكتف البحر تأخذ بالارتفاع التدريجي كلما تقدمنا نحو النجف. وتشير الدلائل إلى بناء القصور والأديرة العائدة إلى عصر المناذرة عليه.

(١) الأسدي: ثورة النجف ص٢٦٥.

(٢) خالص الأشعب: (مفهوم المطقة الحواف) مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ص٩٦.

(٣) الأسدي: تحليل جغرافي للأنماط الزراعية ص١٦.

(٤) اليعقوبي: البلدان ص٦٩.

لقد أشارتْ التنقيبات الأثرية في عامَي (١٩٦٥و١٩٦٦م) إلى وجود لُقىً في منطقة أبي صخير تمثل مقبرة قديمة، وكشفتْ التنقيبات النظامية عام ١٩٨٠م في كتف البحر عن آثار قديمة، ووجدت في القبور الموجودة في الكتف لُقىً مصاحبة للأموات، ووجدت قناني زجاجية مزينة وقلائد[1]. وبما أن كتف البحر الذي تطل عليه الحيرة والنجف وبانقيا يُستخرَج منه الملح بكثرة، فقد أُلصق اسمه بهذه المواقع. فذكرَ الطبري: أن المختار بن أبي عبيد الثقفي نزل بحر الحيرة واغتسل فيه[2]. وورد لفظ (بحر بانقيا) في شعر الأعشى بقوله[3]:

فما نيلُ مصرٍ إذْ تسامى عُبابُه ولا بحرُ بانقيا إذا راحَ مُفعما

وكانت (بانقيا) موضعاً بين النجف والحيرة، وكان له في التاريخ الإسلامي في عصرَي الخلافة الراشدة والأموية موقع بارز، وأشار الأحنف بن قيس إلى اشتهار منطقة البحر بالملح ولذا قيل عنه (بحر الملح) بقوله: (نزلنا أرضاً هشاشة في طرف فلاة، وطرف ملح أجاج في سبخة نشاشة لا يجف شراها ولا ينبت مرعاها، يأتينا مثل مرئ النعامة)[4]. وقال المؤرخ اليعقوبي (إن النجف على ساحل بحر الملح)[5].

واختلف الباحثون في تحديد مساحة حوض (بحر النجف) وامتدادات الأراضي المتصلة به، ففي العصور التاريخية القديمة كان البحر يتصل بالأماكن المنخفضة في العراق وصولاً إلى منطقة الموصل. ونتيجة التحريات الجيولوجية التي أجراها الخبير الجيولوجي (راول فيجل ميشيل Raoul C.Mitchell) في منخفضات الثرثار والحبانية وأبي دبس وبحر النجف، توصّل إلى أنه في الأزمنة القديمة كان هناك مجرى واسع لمصرف طويل،

(١) ماجد الشمس: (حفريات مقبرة الحيرة) بحث في مجلة سومر/ المجلد٤٥/ الجزء الأول والثاني لسنة ١٩٨٧-١٩٨٨م.

(٢) الطبري: التاريخ ٥/٥٧٨.

(٣) الأعشى: الديوان ص٢٩٧، البكري: معجم ما استعجم ١/٢٢٢.

(٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٦٦.

(٥) اليعقوبي: البلدان ص٦٩.

يبدأ من المنطقة الواقعة قرب الموصل ويسلك طريق منخفض الثرثار الحالي، ويمتد من الثرثار إلى الفرات فمنخفض الحبانية، ومن ثم يتصل بمنخفضات الجرة وأبي دبس سالكاً طريق طار السيد حتى يتصل بمنخفض النجف[1].

واعتقدَ الأستاذ (فوتي Voute) بأن نهر الفرات كان متصلاً ببحيرة الحبانية وهور أبي دبس وبوادي جاف غربي كربلاء وكذلك بهور النجف[2]. وذكرَ الأستاذ جاسم محمد الخلف: أن وادي الثرثار كان متصلاً بالمنخفض الممتد غرب الفرات من الرمادي حتى مدينة النجف[3]. وذهب بعض الباحثين إلى إمتداد هذا الوادي إلى مسافة أوسع من البادية وإلى مناطق الفرات الأخرى، وإلى ذلك يذهب الأستاذ (هستد) بالقول: أن بحر النجف هو بقايا لإمتدادٍ قديم لمنطقة البطن، كما أن المستنقعات الممتدّة من الكوفة إلى الشنافية هي بقايا لبحر الشنافية الذي هو جزء من البطن أيضاً[4].

وقد اقترب الشيخ جعفر محبوبة من هذا الرأي بقوله: إن هور النجف الذي امتدَّ في جنوب البلدة من الشرق إلى الغرب، والقناة ساكية على متنه مطلّة عليه، ويدخل إلى هذا البحر بالقرب من الشنافية، طوله ينوف على عشرة فراسخ وعرضه يتفاوت بين الأربعة والستة أذرع، وعمقه من ثلاثة أذرع إلى عشرة أذرع[5].

إن هذه النصوص تؤكد أن المنطقة الممتدّة من النجف إلى الشنافية من جانب ومن النجف إلى الحبانية والثرثار من جانب آخر تشكّل منخفضاً واسعاً يعود تاريخه إلى عصور قديمة، وتستمد هذه المنطقة مياهها من المياه الجوفية. وقد أشار الدكتور يحيى حسين عباس إلى وجود طبقتين رئيسيتين حاملتين للمياه الجوفية هما[6]:

---

(١) أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ ق١/ ١٣٩.

(٢) الخلف: محاضرات في جغرافية العراق ص٢٨.

(٣) ن.م.: ص٥٣.

(٤) هستد: الأسس الطبيعية ص٦٣.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ١٩٦.

(٦) يحيى عباس: الينابيع المائية بين كبيسة والسماوة ص٣٥ نقلاً عن:

١- رواسب العصر الرباعي:

وهي تغطي القسم العلوي من المنطقة وتحتوي على مُفَتتات طينية ورملية وحصوية أرسبتها الرياح ومياه السهول، ويصل سمكها في بعض المواقع إلى أكثر من عشرة أمتار. وهي لا تشكل مصادر مهمة للمياه الجوفية في المنطقة بسبب قِلّة مياهها المخزونة بالأصل.

٢- رواسب عصر الميوسين الأقدم والأوسط:

وهي الطبقة الثانية، وتمثل الخزان الرئيسي للمياه الجوفية في المنطقة، إذ تحتوي على ثلاثة أو أربعة مستويات حاملة للمياه الجوفية تفصلها طبقات غير نفاذة ويكون تسرب الماء منها للينابيع ارتوازياً بسبب ضغط الطبقات الصخرية الحاصرة للخزان أو عن طريق التغير في النفاذية لمناطق الخلل.

وكانت منطقة بحر النجف يسيح فيها الماء، وبخاصة في أوقات الفيضانات، حيث يستخدم (كري سعده) لتخفيف طغيان الفرات. وأشار الدكتور مصطفى جواد إلى ذلك بقوله: ويرفده الخندق الذي شقّه سابور ذي الأكتاف في غربي الفرات بين أعالي العراق الغربية وأسافله، وترفده كذلك الأودية التي تأتي من النجا والغربية من صحراء السماوة القديمة من شمالي جزيرة العرب، فيكوّن بطائح واسعة تُرى كأنها البحر، وكان من بقايا بحر الشنافية وبحر النجف، ولا يبعد اتصال هذه البطائح بالخليج العربي لأن خندق

A-S.A.Lateef and A.H.Barwary, Report on the regional mapping of "Bahr Al- Najaf area,state organization for mincarls,D.G.of survey & mineral vitiation

عبد الله السياب وآخرون: جيولوجيا العراق ص٢٣٨

H,A.Hassan, B-Geological Internal Report No.١٩٨٤
Hydrological And Hydercyec chemical Investigation of Bahr Al Najaf area, OP,Cit. Page٢٢

سابور كان واسعاً وعميقاً، ويتصل بالخليج المعروف بخور عبد الله[1] ولذا قيل (إن بحر فارس كان متصلاً به)[2]، والمقصود هنا إتصال بحر النجف بالخليج العربي.

وذهبَ بعض الجغرافيين إلى القول: إن بحر النجف يشكل الحد الطبيعي بين الإقليم الإسبتس الرعوي والمنطقة السهلية الخصبة ذات الإرواء النهري[3]، أو هو منطقة الانتقال من الهضبة الغربية والسهل الرسوبي، ويعد امتداداً لهذا السهل إلى هيئة لسان متوغل في الهضبة المذكورة[4]. وذكرَ الأستاذ الدكتور إبراهيم شريف: أن بحر النجف يقع عند حافات تكوينات الحجر الجيري والجبس من جهة، وعند الطرف الجنوبي الأقصى لتكوينات المجمعات والحجر الرملي من جهة أخرى[5]. وإن هذا الموقع ينحصر فلكياً بين خطّي طول (٤٤,٢٩) شرقاً و(٤٤,٦) شرقاً وبين خطّي عرض (٣٢,٤) شمالاً و(٣١,٤٥) شمالاً، وهو بذلك يدخل ضمن نطاق المنطقة المعتدلة الشمالية، ويمتد امتداداً طولياً لمسافة أربعين كيلومتراً تقريباً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، أي من شمال غرب مدينة النجف إلى جنوب غرب مدينة الحيرة. ويتراوح عُرضه بين مدّهِ الشرقي ومده الغربي ما بين ستة عشر كيلومتراً كأقصى إتساع له في جزئه الجنوبي الشرقي وعشرة كيلومترات كأقصى إتساع له في جزئه الأوسط[6]. ويقدر مستوى ارتفاع الأرض عن مستوى سطح البحر ما بين عشرة أمتار إلى أربعة عشر متراً[7]. ولهذا أصبح بحر النجف يتألف من حوضين كبيرين هما:

---

(١) مصطفى جواد: (النجف قديماً) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ١/١٥- ١٦.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٢/٣٢٨، الزبيدي: تاج العروس ٣/١٦٥.

(٣) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص١٦.

(٤) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٨.

(٥) إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق ١/٥٩.

(٦) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٩.

(٧) عبد المحسن شلاش: آبار النجف ص٧، الجنابي: تخطيط الكوفة ص٣٢.

أ- حوض وادي الخِـر

يُعَـد (حوض وادي الخـر) الحد الطبيعي الذي يفصل بين الباديتين الشمالية والجنوبية في الصحراء الغربية، حيث يبتدئ من الأراضي السعودية المجاورة للحدود العراقية السعودية، ويتجه نحو الشمال الشرقي وينتهي شمال شرق مدينة النجف، وينتهي في منخفض بحر النجف[1]. وذكرَ الدكتور إبراهيم شريف أن وادي الخِر يصب في بحر النجف، كما أن وادي سرحان يتصل بوادي الخِر عند النجف[2].

ب- حوض وادي شعيب

يبدأ (حوض وادي شعيب) من الحدود العراقية السعودية قرب منطقة (المعاينة) ويتجه نحو الشمال الشرقي قاطعاً طريق (النجف/الشبكة) حيث ينتهي في بحر النجف[3]. وكانت موارد بحر النجف المائية تأتي بالدرجة الأولى من مياه الفيضانات التي تتجمع في منخفضات (القرنة)، الواقعة قرب مدينة الحيرة، ومنطقتَي (المدلك والفتحة) ثم تنحدر نحو منخفض البحر.

وقد جرت محاولات عدّة لسد الفتحات بالصخور لمنع تسرب مياه الفيضان التي تغمر المزارع الواقعة في منطقة بحر النجف، والتي يعتمد عليها السكان اعتماداً كبيراً وبخاصة زراعة الخضروات[4]. وذكرَ الرحالة الإنكليزي (لوفتس) الذي زار النجف عام ١٨٥٣م: أن نهر الفرات حينما يطغى طغيانه السنوي المألوف، فإنه يفيض إلى بحر النجف فتصبح المسافة الممتدّة بينه وبين السماوة كلها قطعة واحدة من المياه يُطلق عليها (خور الله). أما ماء هذا البحر فيكون عذباً صالحاً للشرب حينما تصب فيه مياه الفرات،

---

(١) المجلس الزراعي الأعلى: السدود الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ص١٣٨.

(٢) إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق ١/١٨٤، ١٦٩.

(٣) المجلس الزراعي الأعلى: السدود الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ص١٣٨.

(٤) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٢٣.

ويصبح ملحاً أجاجاً حينما تنقطع عنه، وعند ذلك يضطر الأهالي إلى جلب الماء من الكوفة[1].

وذكرَ الأستاذ عدنان أبو الريحة: أن نهر الفرات ينفذ قسماً من مياهه الزائدة نحو الأراضي المنخفضة من النجف ليستقر في طبقات كلسية ورملية تحت سطحه[2]. وفي عام ١٢٤٠هـ/١٨٨٣م، توسع فرات الهندية وأخذ يتقدم بسرعة فائقة نحو الجنوب، وقد غمرت مياهه المنخفض الواسع الممتد من أعالي النجف في الموضع المعروف اليوم باسم (الفتحة) حتى الشنافية، وصار هذا المنخفض البالغ طوله نحو سبعين كيلومتراً بحراً متلاطم الأمواج. وما أن حلّتْ سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م إلا وكانت السفن الشراعية الكبيرة القادمة من الشرق والمحملة بالزائرين والبضائع قد تركت الطريق النهري القديم الذي كان يمر بقرية الكريم والملوم والحسكة والحلة وأخذت تسلك الطريق المائي الجديد الذي يمر بالسماوة والشنافية وينتهي في النجف.

وكان مرسى السفن بالقرب من بستان السيد صقر جريو في الوقت الحاضر والواقع على بُعد كيلومترين من جنوب سور مدينة النجف[3]. وهناك كمية كبيرة من المياه تتسرب إلى بحر النجف لتغذيه من فترة إلى أخرى، وبخاصة المياه الآتية من شط (الكوفة - المشخاب) والتي تصرف مياهها إلى شط العطشان عن طريق بحر النجف فهور صليب فشط الخسف. وأن المياه السطحية التي تجلبها جداول (السدير والنعماني والحيرة والدسم) إلى منخفض النجف، فإنها تروي جزءاً من المنطقة، وتفيض على مساحات أخرى.

وذكرَ الأستاذ أبو الريحة: أن المياه السطحية الآتية من الوديان الجافة التي تأتي من أعماق الهضبة الغربية تنتهي في منخفض النجف كوادي الملح وخريبط وأبي خمسات،

---

(١) جعفر الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف.

(٢) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٦١.

(٣) الساعدي: (أمكنة أهملها التاريخ) بحث في مجلة الإيمان النجفية /العددان ٢،١ السنة الثالثة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ص٨٩.

وأن هذه الوديان تصرف مياه الأمطار الساقطة على الهضبة الغربية خلال مواسم سقوط الأمطار وتصبها في منخفض النجف[1]. كما أن كهاريز مدينة النجف التي يقع مصبها عند نقطة تقاطع حافة الهضبة مع طريق الحج البري، تدفع ماءها إلى منخفض النجف مما يؤلف مصدراً لمياهه الجوفية[2].

ولكن انقطاع هذه الموارد عن منطقة البحر قد أدّى إلى تقليل مائه ومن ثم جفافه، كما حصل في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م وذلك في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي سُدّتْ منافذ بحر النجف في عهده[3]. وقد أحكم وكيل السنية في مدينة الحيرة سد المدلق أو المدلك[4] فساعد هذا الإجراء على جفاف البحر ومهد طريق السيارات إلى مدينة الرحبة. ولكن إذا انهارت هذه السدود، فإنها تعرض بساتين البحر إلى الإغراق وتعرقل طريق القوافل[5]. وعند جفاف البحر، برزت مناطق جديدة في المنطقة كالمشخاب وأم البط والاحميرات، وقد كانت أرض المشخاب أعلى مما يجاورها من قاع بحر النجف حيث كان يشخب ماؤه مندفعاً إلى قاع البحر. أما أم البط، فقد سميت بهذا الاسم لبقاء البط فيها لمدة طويلة. وأما الأحميرات فهي جمع لكلمة (أحيمر) وهي ثلاث مناطق سميت بهذا الاسم لإحمرار ترابها[6]. وكانت مياه الفرات تتدفق إلى بحر النجف قبيل جفافه عن طريقين هما:

١- طريق نهر الصافي

كان نهر الصافي أحد الروافد الحيوية لبحر النجف ولكن السيد محمد زوين (المتوفى

---

(١) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٦٠- ص٦١.

(٢) ن.م.: ص٦٢.

(٣) فراتي: الماء في النجف/مجلة لغة العرب١٠/٤٥٧- ٤٥٨ السنة الثانية ١٣٣١هـ/١٩١٣م.

(٤) الساعدي: أمكنة وحوادث فراتية/مجلة الإيمان/ ص٩٩عدد٢، ١ السنة الثانية ١٣٤٨هـ/١٩٦٥م.

(٥) دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥- ١٩٣٦م ص٩٠.

(٦) مجلة لغة العرب، الجزء السادس، السنة الثالثة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م ص٣١٨.

عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م) قد سد منفذ هذا النهر المؤدي إلى البحر بالصخور، وعند ذلك سميت المنطقة بأبي صخير، وقد كانت هذه المحاولة أسبق من محاولة السلطان عبد الحميد الثاني.

٢- طريق المدلك

يقع موضع المدلك على بُعد أكثر من عشر كيلومترات من غربي أبي صخير، وكان هذا الطريق يموّن بحر النجف بالماء، ومنه تدخل السفن الشراعية القادمة من البصرة وغيرها إلى بحر النجف .وقد عمد عبد الغني وكيل السنية إلى سد طريق المدلك بشكل محكم[1] وذلك عام ١٨٨٧م كما أحكمت الحكومة سداد نهر الفرات في منطقة القرنة من الحيرة[2].

ولكن هذه السداد في بعض الأحيان لم تصمد أمام طغيان الفرات كما حصل في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥م، إذ تدفق الماء إلى بحر النجف وملأ الأودية والغيطان وغمر رقعة واسعة من الأرض تبدأ من منطقة (رأس الماء) شمالاً إلى منطقة (الشوافع) جنوباً. وقد تكررت هذه الحالة عدة مرات، وكلما يتدفق الماء إلى منطقة البحر فإنه يصطحب معه كميات كبيرة من الأسماك. ويبدو أن السداد قد أحكمت بعد ذلك وأخذ بحر النجف بالجفاف وتحولت مياهه إلى أملاح[3]، ومن ثم تحول إلى أراضٍ زراعية بعد أن اخترقته أنهار صغيرة أخذت جريانها من الجنوب نحو الشمال، أي من مدينة أبي صخير وحتى مدينة النجف الأشرف. وقد استغلت النجف هذه الجداول للإرواء والشرب بعد أن حُرم أهلها من الماء العذب مدة طويلة.

ووصف الرحالة العربي الأستاذ محمد ثابت منطقة البحر بعد جفافها بقوله: بدأ بحر النجف في مشهد جميل وسط وادٍ سحيق تزيّنه المزارع ويصل الماء عن شعبة من

---

(١) الساعدي: (أمكنة وحوادث أهملها التاريخ) مجلة الايمان/ العددان٢، ١ ص٩٢.

(٢) عبد الجبار فارس: عامان في الفرات الأوسط ص٨.

(٣) الهاشمي: جغرافية العراق ص٢٢٠.

الفرات[1]. وذكرَ الأستاذ رزوق عيسى أنه في عام ١٩٢٢م تم غرس عدد من النخيل وزرع الخضر والبقول في منطقة بحر النجف[2].

ويبدو أن استعمال بحر النجف قبيل جفافه واسطة للنقل بواسطة السفن الشراعية قد عرّض بعض تلك السفن للغرق نتيجة العواصف الشديدة التي كانت تهب على المنطقة، حيث ذكرت المصادر أن جثث الغرقى قد أُنتشلتْ بواسطة (الفالات) التي تُصطادُ بها الأسماك[3]. وكانت حِرفة الصيد من الحِرف التي يعتاش عليها الكثير من الناس وخاصة في أُخريات أيام بحر النجف، إذ كان الصيادون يصطادون مقادير كبيرة من الأسماك[4]. كما اعتمد آخرون على استخراج الملح من بعض مناطق البحر، وكان لهذه المهنة قِدَم تاريخي حيث أشار الرحالة (تكسيرا Teixeira) في عام١٠١٣هـ/١٦٠٤م إلى: أن الملح كان يستخرج من بحر النجف ويباع في بغداد والمناطق المجاورة[5]، وبقي الكثير من الناس حتى يومنا هذا يستخرجون الأملاح من منطقة البحر ويبيعونها في أسواق النجف والمدن والقصبات المجاورة.

وقد ارتبطت النجف بحكاية أُسطورية تتصل بالبحر مفادها أن تسمية النجف جاءت من جفاف البحر (ني) فقيل للمنطقة (ني جف). فسُميتْ النجف بعد ذلك لأنه أخف على ألسنة الناس[6]. وقد استند بعض الرحالة على هذه الحكاية وقالوا: إن هناك نهراً قديماً خلف النجف يُدعى نهر (ني)، ولكن المصادر الجغرافية والتاريخية لم تُشر أبداً

---

(١) محمد ثابت: جولة في ربوع الشرق ص١٠٧.

(٢) رزوق عيسى: مختصر جغرافية العراق ص١٢٨.

(٣) عبد اللطيف ثنيان: مجلة لغة العرب، ج٨، س٣ ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ص٤٣١- ٤٤٧.

(٤) الهاشمي: جغرافية العراق ص٢٢٠.

(٥) جعفر الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ١/ ٢٠٢.

(٦) الصدوق: علل الشرائع١/ ٣١، المجلسي: البحار١٠٠/ ٢٢٦، بحر العلوم: تحفة العالم١/ ٢٥٤، الجزائري: النور المبين ص٩٠، الكوفي: نزهة الغري ص٧، الطبرسي: درر الأخبار ٢/ ١٨٢، القمي: سفينة البحار ٢/ ٥٧٢.

إلى مثل هذا النهر[1]، مما يُضعِف من هذه الحكاية .إن المؤرخ المسعودي، وغيره من أعلام القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، قد أشار إلى (بحر النجف) وذكرَ أن مراكب الهند والصين ترد على ملوك الحيرة[2].

وورد ذِكر البحر في قصيدة لإسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى عام ٢٣٥هـ منها[3]:

يا راكبَ العيسِ لا تَعْجَلْ بنا، وقِفِ ... نُحيي داراً لسُعدى، ثم ننصَرِفِ

ما أن رأى الناس في سهلٍ ولا جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أعذى من النجفِ

كأنَّ تربتَه مسكٌ يفوحُ بهِ ... أو عنبرٌ دافهُ العطّارُ في الصدَفِ

حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ من جوانبها ... فالبرُّ من طرَفٍ، والبحرُ من طرفِ

وقد شكك المحدّث والفقيه أبن شهر آشوب المتوفى عام ٥٨٨هـ بحكاية (ني جف) بقوله: (زعمِ أهل العراق بأن حديث النجف أنه كان بحيرة تسمى (ان جف) فسمي النجف به)[4]. ولابد أن الشيخ ابن شهرآشوب قد تحقق من اسناد الرواية هذه واعتقد بضعفها أو عدم صحتها، ومما يدعم رأيه هذا أن بحر النجف كان يساير التاريخ بدءاً من عصر ما قبل الإسلام وحتى مطلع القرن العشرين، إذْ أننا لم نجد جفاف البحر في أي فترة من الفترات سوى أن الإسكندر المقدوني حاول تجفيف بحر النجف لغرض إحياء أراضيه واستثمارها في الزراعة وذلك عن طريق إنشاء سدة بين نهر بابل ومنخفض النجف شمالي مدينة الشنافية للحيلولة دون وصول مياه الفيضان إليه[5].

---

(١) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٣٤.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ١٠٣/١.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٦٧/٨، الأمين: الرحلة العراقية الإيرانية ص٤٧، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣١/١-٣٢، البراقي: تاريخ الكوفة ص١٧٠.

(٤) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ١٥٧/٢.

(٥) أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ ق٢٠٣/١.

وتدل الآثار والأبنية المنتشرة على الضفة الشرقية لبحر النجف على أنها كانت مسكونة في الفترة الواقعة بين العصر الساساني إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي تقريباً، كما أثبتت حفائر منطقة الخورنق وتل أم عريف. ومما يسترعي النظر أنه عثر على جملة سلالم مشيدة بالآجر الأحمر قياس (٢٤×٢٤× ٨سم) كانت تنزل من أعلى الضفة الشرقية إلى ساحل بحر النجف[1].

وقد أخذ الدكتور محسن المظفر بحكاية (بحر نـي) بقوله: إن منطقة النجف كانت تغطيها مياه البحر، وهو بحر (تتش Tethys) الذي يمتد حتى يصل إلى جهات سوريا ولبنان ويمتد أيضاً إلى الشرق حتى يبلغ شمال الهند. وعليه فإن الرواية الذاهبة إلى (بحر نـي) مؤيَدة بحقائق ثابتة، وهذا البحر هو جزء من (بحر تتش) وتسميته بني تسمية محلية، اختصّتْ بالجزء المجاور إلى النجف من هذا البحر العظيم (تتش) وهذا التطابق والموافقة بين الروايات والحقائق الجيولوجية لا شك فيه، إذ أن البحر العظيم وبحر (نـي) يتصلان معاً ويمتدان كبحر واحد نحو الغرب إلى بلاد الشام[2].

وأضاف الدكتور المظفر قائلاً: هكذا بمنظار الدراسات الجيولوجية، فإن المتفحّص في الآثار والبقايا الجيولوجية يتوصل إلى صحة ما قيل في أرض النجف بأنها كانت بحراً يُسمى (ني)[3]. ولكن النصوص التاريخية كلها لا تلتقي مع رأي الدكتور المظفر، وقد ذكرنا بعضها في عصر ما قبل الإسلام إضافة إلى بقاء (بحر النجف) يساير الأحداث في التاريخ الإسلامي.

ففي محاورة خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني عام ١٢هـ إشارة إلى بحر النجف بقوله: إن سفن الصين كانت تمخر عباب البحر ومن وراء النجف[4]. ولما سأله خالد: فما أدركت؟ قال: أدركتُ سفن البحر ترفأ إليه في هذا

---

(١) الجنابي: تخطيط الكوفة ص٣٣.

(٢) المظفر: (بنية لواء كربلاء الجيولوجية) مجلة الايمان/ العددان ٤، ٣ السنة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص١٢٧

(٣) ن.م. : ص١٥٨.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ١٠٤/١.

النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك[1]. وأشار سعد بن أبي وقاص إلى موقعة القادسية وموقعها من بحر النجف بقوله: (إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحراً أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين: فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يُدعى الحضوض، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وأما عن يسار القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم[2].

وأشارت بعض المصادر إلى وقوع أرض الحيرة والكوفة على (بحر النجف)، فقد ذُكِر أن الحيرة على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرهما[3] وقيل أن الحيرة تقع على النجف، وقد زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصل بها[4]. أما الكوفة فقد وُصِفَتْ بالقول: أنها برية، بحرية، سهلية، جبلية[5]، وأثناء حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة عام ٦٦هـ، فإنه انتهى إلى (بحر الحيرة) واغتسل فيه وأدهن دهناً يسيراً ولبس ثيابه واعتمَّ وتقلّد سيفه[6].

وبقي بحر النجف يساير التاريخ الأموي والعباسي، ففي العامين ٤٤٥ و٤٤٦ هـ، أراد دبيس بن مزيد ـ صاحب الحلة في أثناء قتاله لقبيلة خفاجة ـ تخريب (القائم) في أرض النجف، وكان عبارة عن بناء من آجر وكلس وفي غاية الارتفاع، وهو كالعَلَم تهتدي به السفن التي تجيء إلى النجف[7]. وقال المؤرخ ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): وكان البحر حينئذ يضرب إلى النجف[8]، وذكرَ البيهقي: أن الماء كان يغطي النجف الحالية بدليل

---

(١) الشابشتي: الديارات ص٢٤٠، الحميري: الروض المعطار ص٢٠٩، ص٥٧٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٤٩٢/٣.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٤٧٩/٢.

(٤) أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٩٩، ياقوت: معجم البلدان ٣٢٨/٢، القلقشندي: صبح الأعشى ٢٣٣/٤.

(٥) أبو عبد الله الأنصاري: نخبة الدهر ص١٠٣.

(٦) الطبري: التاريخ ٥٧٨/٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦٠٠/٩، ابن خلدون: التاريخ ٤٩١/٤.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم ٢/ ورقة ٣٤أ.

تلك الكتابة التي وجدت على خشبة في موضع بحر النجف القديم مكتوباً عليها قصة الغريق الذي نجا من ذلك البحر بواسطة سكين كانت معه[1].

ونقل الدكتور مصطفى جواد عن كتاب (ذيل تاريخ بغداد) لأبن الدبيثي هذه الحكاية بالقول: أن عبد الجبار بن معيه العلوي قال: خرج قوم من أهل الكوفة يطلبون الأحجار الغروية، يجمعونها لأيام الزيارات والمعيشة بها، وبالكوفة من يعمل ذلك إلى اليوم، وأبعدوا في الطلب إلى النجف، وساروا فيه حتى نافوا التيه، فوجدوا ساجة كأنها سكان مركب عتيقة، وإذا عليها كتابة، فجاءوا بها إلى الكوفة، فقرأناها فإذا عليها مكتوب: (سبحان مُجري القوارب، وخالق الكواكب، المُبتلي بالشدة إمتحاناً، والمُجازي بالإحسان إحساناً، ركبتُ في البحر في طلب الغِنى، ففاتني الغِنى، وكسر بي، فأفلتُّ على هذه الساجة، وقاسيت أهوال البحر وأمواجه، ومكثت عليها سبعة أيام، ثم ضعفت عن مسكها فكتبت قصتي بمدية كانت معي في خريطتي، فرحم الله عبداً وقعت هذه الساجة إليه، فبكى لي، وامتنع عن حالي)[2].

ووصف الرحالة، الذين زاروا مدينة النجف الأشرف، منطقة البحر وقدموا دراسات عنه. ففي عام ١٦٠٤م وصفه الرحالة البرتغالي (تكسيرا Teixeira) بقوله: بانت لهم من بعيد بحيرة واسعة الأرجاء، متكونة من مياه الفرات في وسط البادية، ولا يخفى أنها بحر النجف على حد تعبير الناس في يومنا هذا)[3]. قد وصل (تكسيرا) مدينة النجف عن طريق البادية مخترقاً منطقة البحر. وزار النجف الرحالة البرتغالي (ديلافاك) في ٢٦ حزيران من عام١٦٢٥ م وأشار إلى بحر النجف بقوله: (إنه البحيرة الكلدانية)[4]. وفي عام ١٧٦٥م زار النجف الرحالة الألماني (كارستن نيبور) ووصف بحر النجف

---

(١) طه هاشم محمد: (الكتابة على الجدران في التراث العربي) مجلة التراث الشعبي/ العدد الأول/ السنة الثامنة ١٩٧٧/ ص٥١.

(٢) مصطفى جواد: (النجف قديماً) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ١/ ٣١.

(٣) جعفر الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف١/ ٢٠٢.

(٤) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف ١/ ٢٠٨.

بقوله: (إنه يشكل منطقة واسعة الأرجاء يكسوها الملح، وكان الناس يسمونها بحر النجف، وهو الاسم الحالي نفسه بطبيعة الحال)[1]. وقال المستشرق (المستر بارلو) عام١٨٨٩م: إن أكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف يسلكون طريق الفرات فالعطشان فالشنافية، وإن سُفناً كثيرة ذات حمولة خمسين طناً تمر من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف[2].

إن ما ذهب إليه المستشرقون الأوربيون يؤكد على صلة بحر النجف بالعالم الخارجي. أما الكتّاب العرب والعراقيون، فقد أشاروا إلى بحر النجف لمعاصرتهم إياه يوم كان عامراً تتلاطمه الأمواج وتمخر فيه السفن. فذكر الكاتب النجفي الشيخ علي بن الشيخ عبد الله حرز الدين (ت١٢٧٧هـ) أنه ألقى في بحر النجف مجموعة من الكتب الخطية في علم السيمياء، وقال: وكانت السفن الشراعية تمخر فيه، وكان قد اخترق البحر حتى وصل الماء إلى ترقوته، فألقى الكتب التي كان يحملها في أعماق البحر[3].

وقد وقف الشاعر أحمد الصافي النجفي على ضفاف (بحر النجف) عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م وسمّى أحد دواوينه (الأمواج) نسبة إلى أمواج البحر، وأنشد قائلاً[4]:

يا بحرُ قد أكثرتُ فيكَ قصيدي	إذْ كنتَ ذا حُسنٍ أعَمُّ فريدِ
كم قلتُ وصْفُكَ في القريضِ قد انتهى	فإذا أتيتُكَ جِئتَني بمديدِ
كالموجِ حُسنُكَ باهِرٌ متجددٌ	مهما أصِفْكَ، دعوتني لمزيدِ
أبإسمِ موجِكَ سُمِّيَ الديوانُ للـ	أمواجِ أوّلَ شِعريَ المولودِ

---

(١) ن.م.: ١/٢٢٤.

(٢) نقل الأستاذ الخياط هذه النصوص من المصادر الآتية:

The Travails Of Pedre Teixeira – Tr.by W,F. Sinclair Ax eryuson, London١٩٠٢ Suite des Fameux Voyages de piero Della Valle,Paris ١٦٦٣ ,٤vols C.Neibur – Voyageen d'autres pays Cireon Voisins ١٧٧٦

(٣) حرز الدين: معارف الرجال ٢/ ٩٩.

(٤) الصافي النجفي: المجموعة الكاملة ص٣١٦- ص٣١٧.

كم كنتُ أرغبُ أن تيممَ بلدتي	لأفوزَ في عيشٍ لديكَ رغيدِ
كم رحتُ في فرحٍ بمدِّكَ طاغياً	والكلُّ يهرعُ، خائفاً، لسدودِ
قد كانَ حبُّكَ فوقَ عقلي طاغياً	والحبُّ في باقي الورى ببرودِ
أغرقتني قدماً وقلبي لم يزلْ	بكَ عالقاً وعليكَ غيرَ حقودِ

فقد أعطى جفاف بحر النجف أهمية اقتصادية للمنطقة، إذ تحولت أراضيه إلى مزارع وبساتين بعد اختراقها جداول صغيرة، وقد استفادت مدينة النجف الأشرف من مياه هذه الجداول للشرب بعد أن عانت زمناً طويلاً من مياه الآبار المالحة. وإن الجداول المتفرعة من نهر الفرات والمتجهة إلى بحر النجف بعد جفافه هي:

١- نهر الهندية

يعود تاريخ نهر الهندية إلى عام ١٢٠٨هـ وقيل عام ١٢٠٥هـ[١]، الموافق لعامَي ١٧٩١، ١٧٩٤م. وقد قام بحفره آصف الدولة الهندي[٢]. وجاء هذا النهر محاولة لإيصال الماء إلى مدينة النجف، ولكن هذا المشروع قد فشل بعد أن وصل الماء إلى خان أبي فشيقة[٣]، إذ أن أرض النجف تأخذ بالارتفاع التدريجي. وفي حدود عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، أُعيد النظر في هذا المشروع على أن يسلك طريق نهر العطشان إلى السماوة، وقد أخذت السفن الشراعية الكبيرة المحملة بالزائرين وبأنواع البضائع التجارية تسلك الطريق النهري الجديد المنتهي إلى مدينة النجف[٤]. ووصف المستر (بارلو) في عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م إيصال نهر الهندية إلى النجف بقوله: إنه يجري من الجهة اليمنى من الفرات، وهو يحمل نصف مياه الفرات، فيترك مدينة كربلاء على جهته الغربية،

---

(١) الساعدي: (من المدن المندرسة) مجلة البلاغ/ العدد٢/ السنة ٦ /١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م ص٤٢.

(٢) الكوفي: نزهة الغري ص٦٧.

(٣) ن.م. : ص٦٥.

(٤) الساعدي: (من المدن المندرسة) مجلة البلاغ/العدد٢/السنة٦ ص٤٢.

وأطلال بابل في الجهة الشرقية حتى يصل إلى مدينة النجف فيصب هناك في بحيرة النجف[1].

٢- نهر السنية

ابتدأ الحفر بنهر السنية، المسمى أيضاً بنهر عبد الغني، عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م من نهر الفرات إلى بحر النجف في محاولة لإيصال الماء إلى مدينة النجف الأشرف[2]. ونسب هذا النهر إلى وكيل السنية في منطقة الجعارة، وقد أطلق على هذا النهر لفظ (بدعة الحميدية) نسبة للسلطان عبد الحميد الثاني وذلك في عهد الوالي مصطفى عاصم باشا.

وقد وقع الشيخ جعفر محبوبة في وهم بقوله: إنه حُفر في عهد الوالي علي رضا باشا[3]، لأن هذا الوالي تولى ولاية بغداد بين ١٢٤٧-١٢٥٨هـ/١٨٣٢-١٨٤٢م، في حين أن النهر المذكور قد حُفر في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م. وذكرَ الشيخ محمد الكوفي: أن في هذه السنة بدأ البحر بالجفاف وتحول إلى أراضٍ زراعية، وغرست فيه النخيل والأشجار، وصار سنية بمعنى مخصوص للسلطان دون بقية المسلمين[4].

وقد حدد الشيخ حمود الساعدي جفاف بحر النجف بعام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م بعد أن سدَّ طريق مجراه عبد الغني وكيل السنية عام ١٣٠٥هـ، وظهر ما كان في قاع البحر من حطام السفن التي غرقت فيه وبعض الأشياء الأخرى، ومن غريب ما شوهد فيه عند جفافه ظهور السلاحف التي كانت تعيش بمائه. فإنها ظهرت ظهوراً غريباً بحيث شوهدت الأسراب من أنواعها وأمامها فحولها وذكرانها تدلها على الطريق متجهة من الموضع المعروف برأس الماء - وهو المكان الذي تقيم فيه عشيرة البو عامر- إلى نهر الفرات

---

(١) بارلو: وادي الفرات وسدة الهندية ٢/٢٦٥.

(٢) سركيس: مباحث عراقية ق٢/٦٤.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٠٠.

(٤) الكوفي: نزهة الغري ص٥٨.

عن طريق (أبو فشيقة) مسافة فرسخ ونصف، وتقاوم كل من يعارضها في الطريق[1].

٣- نهـر الحميديـة

حُفرَ نهر الحميدية عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م بعد شكاية قدّمها أهالي مدينة النجف الأشرف تتضمن التذمر من شحة الماء في المدينة. فعمد القائمقام خير الله أفندي إلى حفر نهر من الفرات قريباً من البركة وسمّاه (نهر الحميدية)، وقد شرب منه النجفيون، ولكن سرعان ما غمرته الرمال عند هبوب العواصف فانقطع عنه الماء وعاد الناس إلى شرب مياه الآبار[2].

ومن الملاحظ أن الأنهار والجداول المتقدمة لم تعمر طويلاً، إذْ سرعان ما اندرست. وعند ذلك شُقّت أربعة جداول صغيرة من فرع نهر (جحات) لإرواء مزارع الرز في بحر النجف[3]. وقد أخذت أسماءها من أسماء ملوك وأُمراء الأسرة الملكية الهاشمية الحاكمة في العراق منذ عام ١٩٢١م، ولكن بعد ثورة ١٤تموز عام ١٩٥٨، استُبدِلتْ بأسماء تاريخية ترتبط بقِدَم المنطقة. وهذه الجداول هي :

١. نهر الأمير غازي ، أو السدير

٢. نهر الحسيني ، أو أبو جذوع أو النعماني

٣. نهر الفيصلي ، أو البديرية أو الحيرة

٤. نهر الهاشمي ، أو الدسم

وقد اعتمدت منطقة (بحر النجف) على جدول الأمير غازي (السدير) اعتماداً كلياً ،إذ يبلغ طوله (٢٨كم) ويصل إلى غرب مدينة النجف وتستفيد منه مساحة زراعية

---

(١) الساعدي : (بحر النجف) بحث في مجلة الايمان، العدد٣-٤ السنة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص١٣٩ ، نقلاً عن كتاب (حوادث العراق في القرن الثالث عشر الهجري) للشيخ محمد علي اليعقوبي.

(٢) الكوفي : نزهة الغري ص٥٨.

(٣) أحمد سوسة : فيضانات بغداد في التاريخ ق١/١٠٤.

Geography Of Agriculture,Vol.١١ P ١٣

تقدّر بحوالي (٧٩٦٠دونماً)[1]. وكان هذا الجدول يسمى سابقاً (شط الصافي)، ففي عام ١٨٠٧م قام السيد حسن زوين بسحب نهر الهندية من الكوفة إلى أبي صخير وجعل مصبّه في بحر النجف، وغرس فيه النخيل، وجلب إليه الفلاّحين المعروفين بالبلوش[2].

وذكرَ الأستاذ عبد الجبار فارس: أن أراضي النجف تُسقى من نهر الأمير غازي المتفرع من شط جحات، وهو الفرع الأيمن لشط أبي صخير، يأخذ مقدار ثلاثة أمتار مكعبة في النوبة العالية ويمتد (٢٨كم)، وقد وضعت دائرة الري التصاميم لتوحيد مياه هذه الجداول. وقد عملت شلالين، الأول في مستوى المياه بنسبة الأراضي كي تتمكن من إروائها بصورة فنية عادلة[3]. وذكرَ الدكتور محسن المظفر: أن جدولَي (السدير والبديرية) المتفرعين من (جحات) والمنحدرين من الجنوب إلى الشمال بانحدار منخفض النجف الذي يرتفع بمعدل (١٣م) فوق مستوى سطح البحر، يشكلان ضاحية زراعية[4].

ويبدو أن تسمية جدول السدير بالأمير غازي قد جاءت متأخرة إذ أنه في عام ١٩٣٠م أُنشئ ناظم في صدر (جدول السدير) لتنظيم توزيع المياه فيه بواسطة فتحتين، عرض الواحدة منهما (١,٥م) وقد بلغ تصريف الجدول (٣٢٨م٣) في الثانية، وهو يروي (٧٩١٠ دونماً) في فصل الشتاء، وتُزرع ثمانون في المائة من الأراضي في فصل الصيف[5].

وفي عام ١٩٣١م، قامت بلدية النجف بحفر جدول من أبي صخير إلى النجف بموازاة الجدول القديم لإرواء بعض الأراضي الزراعية ولإيصال الماء إلى مدينة النجف

---

(١) الأسدي: تحليل جغرافي للأنماط الزراعية ص٤٧.

(٢) البازركان: الوقائع الحقيقية ص١٩.

(٣) عبد الجبار فارس: عامان في الفرات الأوسط ص٢٦.

(٤) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٣٢.

(٥) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٥٥.

الأشرف[1]، وقد أصبح هذا الجدول مصدراً للزراعة والشرب[2]. وذهبَ الحاج عبد المحسن شلاش إلى القول: إن نهر السدير تتصل مجاريه بكَري سعدة بعد أن يشق آثار الحيرة والكوفة حتى يصل أكناف كربلاء[3].

ومما يبدو أن جدول الأمير غازي (السدير) كان يتعرض من وقت لآخر إلى الجفاف أو قِلة المياه. فقد أشارت جريدة العالم العربي في العدد (٧٠٠٠) بتاريخ ٢١/٥/١٩٥٠ إلى شكوى جماعة من أهالي النجف حول جفاف المياه في (بزايز) نهر الأمير غازي وتعرض المزروعات إلى الموت.

وكانت تلوح في الأُفق مشاريع لتطوير نهر الأمير غازي وإحياء ترعة السدير ولكنها باءت بالفشل. ففي عهد الوزارة الهاشمية، حاول الحاج عبد المحسن شلاش إحياء ترعة السدير ولكن وقفت بعض الأمور حائلاً بوجهه. ولم يبح وزير المالية، وهو الحاج عبد المحسن شلاش يومذاك، بالسبب وبقي أهالي النجف يتحرقون عطشاً لأن ماء نهر بني حِسن الذي طوله (٣٦ كم) لا يكفي لسد حاجة الناس[4]. ويبدو أن المشروع أُريد به إحياء (كري سعدة) وتحويله إلى جدول يأخذ ماءه من نهر الفرات ويصب في بحر النجف أو يلتقي مع جدول الأمير غازي (السدير) وإلى ذلك أشار الحاج شلاش بقوله: إن آثار نهر السدير الممتد على ظهر كوفان والذي سُميَ بنهر سعد بن أبي وقاص، ظاهره بالقرب من خورنق النعمان المطل على طف الحيرة جنوباً، ويقع غربي الخورنق بمسافة قدرها ثلاثمائة متر تقريباً ومصبه طف الحيرة[5].

---

(١) جريدة العالم العربي، العدد ٢١٨٠ بتاريخ ٢٣/٤/١٩٣١.

(٢) الأسدي: ثورة النجف ص٢٨.

(٣) عبد المحسن شلاش (فيصل العتبات المقدسة) بحث في مجلة الاعتدال النجفية، العدد التاسع، السنة الأولى ص٤٦٨.

(٤) مجلة لغة العرب: المجلد الخامس ص٦٢.

(٥) شلاش: (الكوفة ويوم التاج) مجلة الاعتدال، العدد السادس، السنة الثانية ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ص٢٤٩ و(ما احتفظت به من الذاكرة عن جلالة الملك فيصل) جريدة الراعي النجفية، العدد التاسع لسنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

وقد تتبع السيد البراقي هذا النهر وقال: (أخذنا نشق آثار نهر السدير أولاً بالقرب من بقايا الحيرة القديمة في مسافة لا تزيد عن ستة كيلومترات حتى وصلنا بدءاً بآثار الكوفة، وإذا بنا نشق آثار كري سعدة الذي يخترق مدينة الكوفة)[1]. ولكن مشروع إحياء هذا النهر التاريخي قد توقف وبقي نهر الأمير غازي على وضعه الحالي، سوى ما قام به الحاج عطية أبو كلل بإضافة أراضٍ جديدة ملحقة بالدرعية عن طريق (مسحب البحر)، وكان يودع ضيوفه إلى منطقة (الفتحة) في مكان يُدعى (مسحب صليب)[2]. ويطلق النجفيون على هذه الفتحة لفظ (بزايز السدير)[3].

أما نهر أو جدول (الحسيني) المعروف بأبي جدوع أو النعماني أو (جدول النعمان) فإنه يجري نحو الشمال فيسقي الأراضي المعروفة باسم (الرمل) ومنها ينتهي إلى بحر النجف. أما نهر أو جدول (الفيصلي) الذي عُرِف اسمهُ القديم بالبديرية أو جدول الحيرة، فإنه ينتهي في بحر النجف في أراضي الغزالات والدعوم وغيرها. وفي حدود عام ١٩٥٥م، طهرت الحكومة هذا النهر. وفي عام ١٩٦٣م أوصلته إلى نهاية بحر النجف في المكان المعروف باسم (الفتحة). وتقع على جهتي هذا النهر، البالغ عرضه ستة أمتار، عدّة تلال أثرية منها: تل المنيطح، وتل أبي الدبيغ، وتل الصنين، وتل جصاني وغيرها. أما نهر الهاشمي أو الدسم، فإن صدره يقع بالقرب من الجعارة (الحيرة) في أراضي أبو شبوط وينتهي بموضع يُسمى (القرنة). وكانت قرية الدسم قد أسسها السيد حسن زوين، وكيل الخزاعل في الحيرة[4].

وقد سكنت بحر النجف والمناطق المطلة على ضفافه أو الواقعة في طريق الحج البري عشائر عربية معروفة كآل شبل والغزالات والكلابات واللهيبات والرويطات والجبور

---

(١) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٣٣- ص١٣٤.

(٢) حميد عيسى حبيبان: حقائق ناصعة ص٤٨.

(٣) أبو الريحة: الإستيطان القبلي ص٥٥.

(٤) الساعدي: (بحر النجف) مجلة الايمان، العددان ٤، ٣ السنة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص١٤٢- ص١٤٣.

والعبودة والمرشدة وفنهرة والبركات وآل زجري والعكرات وغيرها من العشائر[1]. وورد في تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية أن الشيخ حميد، شيخ العكرات، يُقيم في قصور بحر النجف[2]. وكان السيد حسن زوين قد حصل على موافقة الشيخ وادي رئيس عشيرة زبيد بزراعة الأراضي المرتفعة من بحر النجف، ثم أسس مدينة الجعارة وأصبحت لأسرته سطوة محلية مرتبطة بالخزاعل بروابط مصاهرة[3]. وقد أسكنت الحكومة العراقية في عام ١٩٧٢م خمسين عائلة من البدو الرحل في منطقة بحر النجف بعد أن وفرت لهم المياه والأراضي الزراعية والأسمدة والرعاية الصحية، وفتحت عدداً من المدارس ومراكز محو الأمية، وبوشر بحفر عشرة آبار أرتوازية في أنحاء مختلفة من بحر النجف، ووضع المجلس الزراعي الأعلى في محافظة كربلاء خطة لزراعة أرض مساحتها خمسون ألف دونم في المنطقة[4]. وقدّمت ثلاثون عائلة بدوية طلباً إلى مديرية التعاون الزراعي بمحافظة كربلاء لتوطينها في بحر النجف[5].

وكانت حافة بحر النجف أو المنطقة المطلة على ضفافه والمعروفة باسم (كتف البحر) منذ الأزمنة القديمة مراكز استيطان، ومنها في موضع (طيزناباذ) الذي عرف بكرومه وأشجاره ونخيله ورياضه التي تخترقها الأنهار المتفرعة من نهر الفرات[6]. وكان هذا المركز الاستيطاني يقع عند الحافة الشرقية لبحر النجف على مسافة تسعة أميال من مدينة النجف الحالية وإلى جانبه مدينة الصنين[7]. وقد بنى محمد بن الأشعث بن قيس

---

(١) الساعدي: (أمكنة وحوادث فراتية) مجلة الايمان العددان ٦، ٥ السنة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص١٣٦.

(٢) تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية ص١٧.

(٣) ن.م. : ص١٤٩ ، السعدي: جغرافية العراق الحديثة ص١٠١.

(٤) جريدة العدل النجفية/العدد الثالث/السنة السابعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص٨.

(٥) ن.م. العدد الثامن / السنة السابعة/ ص٦.

(٦) المسعودي: مروج الذهب ٣/٣٥٥.

(٧) أبو الريحة: الأستيطان القبلي ص١٠٦.

الكندي قصراً في موضع (طيزناباذ)[1]. واستوطن في هذه المنطقة نصارى الحيرة وبنوا فيها الأديرة ومنها (دير سرجس).

إن المتتبع لخطط مدينة الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، يجد أن المنطقة الواقعة على كتف البحر تضم قرى وأديرة وقصوراً آهلةً بالسكان. فقد استقر بنو لخم في طف النجف[2]، وكانت قبائل لخم ونصر وبقيلة قد سكنت الحيرة وأسست هذه القبائل دولة المناذرة[3] وسكنت قبيلة أياد في منطقة الخورنق.

وقد أخذت الحكومة في الوقت الحاضر دراسة تطوير منطقة بحر النجف، فوضعت التصاميم لإنجاز مشروع سياحي كبير وذلك بإيصال ماء الرزّازة إلى بحر النجف[4]. وعند إكمال الشروع هذا، سوف تتحول منطقة بحر النجف إلى مزارع واسعة، وعند ذلك تتخلص مدينة النجف من أهوال الرياح العاصفة[5].

ووضعت الحكومة مشروعاً لإحياء منطقة البحر وخصص للمشروع (٣٧٨٠٠٠٠) دينار. وانحصر المشروع بين طريق النجف/أبو صخير/ الحج البري وبين طريق النجف/ الشنافية/ جدول الدسم. وتروي هذه المنطقة أربعة جداول هي السدير والنعماني والحيرة والدسم، وأن المساحة الكلية للمنطقة (١٢٦) ألف مشارة، وتقرر تحسين شبكة الري واستصلاح الأراضي وإنشاء شبكة متكاملة للبزل، وهي مبازل رئيسية وفرعية ثانوية ومجمعة، كما تقرر نصب محطات ضخ، والمرحلتان الأولى والثانية للمشروع تشتملان على ما يلي[6]:

---

(١) الطبري: التاريخ ٦/٩٤.

(٢) سعد زغلول محمد: في تاريخ العرب قبل الإسلام ص٢١٥.

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٢٠٧.

(٤) جريدة العدل: العدد٥/السنة٧ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص٩.

(٥) ن.م.: العدد١٨/السنة٧ ص٤.

٦ ن.م.: العدد ١٨/ السنة٥ ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص٥.

١- إنشاء مبزل رئيسي بطول (٣٥.٢٠) كم وتصريفه عند المصب يبلغ (٨٠.٤٠) كم مكعباً في الثانية.

٢- إنشاء مبازل فرعية وثانوية عددها (٢٦) مبزلاً أطوالها (١٠٨)كم.

٣- إنشاء مبازل مجمعة عددها (٣٣١) مبزلاً ومجموع أطوالها (٣٤٠) كم.

٤- إنشاء محطتين كهربائيتين لضخ مياه المبزل ، تنشأ الأولى عند الكيلو (٢١) من المبزل الرئيس، مجموع قوتها (٨٠٠) كيلو واط وتصريفها (٥.١٤) متراً مكعباً في الثانية، أما المحطة الثانية فأنها تنشأ عند الكيلو (٤.٥٠٠) من المبزل الرئيس، ومجموع قوتها (١٥٠) كيلوواط وتصريفها (٨.٤٠) م^{٣}/الثانية.

٥- إقامة المنشئات اللازمة لشبكة المبازل التي تشمل إنشاء جسور للسيارات وجسور للمشاة وعبّارات ومصبّات .

٢- العيـون والينابيـع

أُطلق على العيون القريبة من مدينة النجف الأشرف لفظ (عيون الطف) وسُميت المنطقة ببلاد العيون، ويُطلق عليها في الوقت الحاضر (بلاد القصور)[١]، وهي عبارة عن قرى عامرة تسقيها مياه العيون وتتوسطها قصور وقِلاع لصد غارات الأعداء[٢]. وهي تعود في الغالب لأهالي مدينة النجف الأشرف.

وذكرَ الدكتور يحيى عباس: أن منطقة النجف تمثل نهاية الطرف الشمالي الشرقي لصحراء العراق الغربية، وأن من بين ميزاتها التركيبية تعدد مسارات الصدوع الممتدة نحوها من جهة الصحراء. فالصدوع الرئيسية (Major Faulta) تتبع مساراً عاماً يمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي في حين تتبع الصدوع الصغيرة اتجاهاً شرقياً غربياً، وشمالياً جنوبياً، تنتشر عليه ينابيع كثيرة في هذه المنطقة[٣].

وقد حدد المستشرق الفرنسي (ماسنيون) مواقع هذه العيون بقوله: إن بنواحي الكوفة من النجف قرب القطقطانة، منطقة يُقال لها العيون[٤]. وتمتاز العيون والينابيع في منطقة النجف ببعدها التاريخي. فقد روى المؤرخ نصر بن مزاحم، عن أبي سعد التيمي قوله: كنا مع الإمام علي عليه السلام أثناء مسيره إلى صفين، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد عطش الناس واحتاجوا إلى الماء. فانطلق الإمام علي عليه السلام حتى أتى صخرة ضرس من الأرض كأنها ربضة عنز فأمر باقتلاعها فخرج منها الماء فشرب منه وارتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه[٥].

---

(١) يوسف رزق الله: الحيرة ص١٠.

(٢) الراوي: البادية ص٥٤.

(٣) يحيى عباس: الينابيع المائية بين كبيسة والسماوة ص٢٨ نقلاً عن: هيدروجيوكمياء الينابيع الطبيعية الممتدة من هيت إلى السماوة ص٢٣.

(٤) ماسنيون: الرحلة١/٤٥.

(٥) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص١٤٥.

وذكرَ المؤرخون: أن رجلاً من بني رياح يُدعى سجيم بن أثيل قد أتى الشاعر الفرزدق أو أباه بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من الإبل، وهذا مائة من الإبل إذا وردت الماء. فلما وردت قاما إليها بالسيوف يكسعان عراقيبها فخرج الناس على الحمير والبغال يريدون اللحم، وخرج الإمام علي عليه السلام على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وهو ينادي: لا تأكلوا من لحومها فإنه أُهِلَّ لغير الله[1].

وتؤكد هذه النصوص التاريخية وجود العيون والينابيع في صحراء النجف، وقد أشار المؤرخ البلاذري إلى ذلك بقوله: كانت عيون الطف مثل عين الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها للموكلين بالمسالح التي وراء السواد، وهي عيون خندق سابور الذي حفره، بينه وبين العرب، الموكلون بمسالح الخندق وغيرهم[2]. هذه العيون معروفة في الغالب بأسمائها حتى الوقت الحاضر خصوصاً لدى النجفيين، بل هي على الأكثر من حملة ضياع النجفيين وأملاكهم[3]. وإن هذه العيون لم تبتعد عن مركز مدينة النجف كثيراً، وترتبط مع مدينة النجف بطرقٍ بعضها مُعبّدة وبعضها ترابية وعرة. وإن أبرز هذه العيون هي:

١- عين الرهيمة

تُعد عين (الرهيمة) من عيون طف النجف، وقد ذكرها ياقوت الحموي بقوله: إنها ضيعة قرب الكوفة، وهي عين بعدَ (خفية) إذا أردت الشام من الكوفة، وبين خفية ثلاثة أميال وبعدها القطيفة مغرباً[4]. وقد ذكرها الشاعر أبو الطيب المتنبي بقوله[5]:

---

(١) النجاشي: الرجال ص١٢٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ١٧٩/٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٦، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٨٧، ياقوت: معجم البلدان ٣٦/٤، قدامة بن جعفر: الخراج ص٣٦٩.

(٣) الشبيبي: رحلة في بادية السماوة ص(ك ك).

(٤) ياقوت: معجم البلدان ١٠٩/٣.

(٥) المتنبي: الديوان ٣٣/١ تحقيق ناصيف اليازجي.

فيالـــكَ لـــيلاً علـــى أعكـــشٍ أحــمّ الــبلادِ خفــيَّ الــصوى
وردنـــا الرهيمــــةَ في جـــوزهِ وباقيـــهِ أكثـــرُ ممـــا مـــضى

وعقّب ياقوت الحموي على هذين البيتين بقوله: (وباقيه أكثر مما مضى، لأن الجوز وسط الشيء، ولتصحيحه تأويل وهو أن يكون (أعكش) اسم صحراء، والرهيمة عين في وسطه، وتكون الهاء في جوزه راجعة إلى أعكش، فيصُح المعنى)[1].

٢- عين الرحبة

تقع قرية (الرحبة) بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار طريق الحج[2]. وتبعد عن مدينة النجف الأشرف بحوالي ثلاثين كيلومتراً، وترتبط إدارياً بمركز النجف. وتصدّر الرحبة منتجاتها الزراعية اعتمادا على مياه عيونها. ويكتسب تدفق الماء من هذه العين طابعاً ارتوازياً لأن ماءها مستمد من خزانات محصورة أو شبه محصورة[3].

٣- عين جمل

تقع عين (جمل) في نواحي النجف، قرب القطقطانة، وهي جزء من منطقة العيون. وسُميت بهذا الاسم لموت جمل فيها، وقيل: إن الذي استخرج العين اسمه جمل[4].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣/١٠٩.

(٢) ن.م. ٣/٢٦٥- ٢٦٦.

(٣) يحيى عباس: الينابيع المائية بين كبيسة والسماوة ص٢٤٢.

(٤) ياقوت: معجم البلدان٤/١٧٧، المشترك وضعا ص٣٢٠، البغدادي: مراصد الإطلاع٢/٩٧٧، ماسنيون: الرحلة١/٤٥، البراقي: تاريخ الكوفة ص١٧٥.

٤- عين سلمى

قيل أن عين سلمى اسم من أسماء مدينة النجف، وفيها أنشد الشيخ قاسم محيي الدين قوله[1]:

إذا لاحتْ لِعيني عينُ سلمى أنختُ، مُقبّلاً شُكراً، رِكابي

وقد تعود هذه العين لإمرأة اسمها سلمى، وهي تقع بالقرب من مدينة النجف.

٥- عين شيّا

وتقع عين (شيا) على بعد أربعة عشر كيلومتراً من مدينة النجف الأشرف وبمحاذاة الطار، وتواجه بحر النجف. وقد امتلكها رجل من أهالي مدينة النجف اسمه (شايع) فعُرفتْ العين باسمه[2]. كما قد امتلكها شكر بن حمود آل حديد فسميت بعين حديد أيضاً. وبعد أن اندرست هذه العين، حفرها حسان بن شايع بتمويل من الدكتور محمد رضا الطريحي وقد عرفت بعد ذلك باسمه[3]. ولكن مديرية الآثار العراقية أطلقت عليها الاسم التاريخي (عين شيا). وقد كشفت البعثة اليابانية في تقريرها عن عين شيا عام ١٩٧٢م عن وجود عدد من المباني الدينية العائدة للنصارى بدلالة اللُقى الأثرية التي من ضمنها عدد من رسوم الصلبان المثبتة على الكساء الجصي، فضلاً عن تصميم بعض الأبنية التي تنطبق عليها مواصفات العمارة الدينية[4]. وعثرت البعثة أيضاً على جرّة رُسم عليها صليب[5]. وفي عام ١٩٩٦م، كنت قد اصطحبتُ معي طلبة قسم الآثار في

---

(١) محيي الدين: العلويات العشر ص٣٣.

(٢) الحديثي: نتائج تنقيبات منطقة الحيرة ص٥٢- ص٥٣.

(٣) حدثني بذلك الأستاذ كاظم محمد علي شكر بتاريخ١٥/٨/١٩٩٦.

(٤) الحديثي: منطقة و تنقيبات منطقة الحيرة ص٦٤، نقلاً عن:

Japanese Archacolog Expedition In Iraq /Working Report of the Season of Excavation at Ayn-Shaia and Dukakin Caves near Najaf. Page ٢

(٥) منطقة وتنقيبات منطقة الحيرة ص١٠٥، نقلاً عن:

Fujii, Working Report On the First Season's Work at Ayn-Shaia and Tokakin Caves Near Najaf/Summer Vol;XLV.NO.٨٧/١٩٨٨ P٤٧

كلية الآداب بجامعة الكوفة إلى عين شيا. ووقفنا في أسفل المرتَفَع الصخري المعروف باسم (الطار) فكانت العين المذكورة تتدفق ببطئ ويغور ماؤها تحت الرمال.

وقد تمكنت البعثة اليابانية من الكشف عن خمس آبار تربط بينها قناة تحت الأرض محفورة في الصخر. وربما تشبه هذه الآثار في شكلها ما يصح أن نطلق عليها اسم (الكهاريز)[1]. وكتب الأستاذ (هيديو فوجي)، رئيس البعثة اليابانية وأستاذ معهد دراسات ثقافة العراق القديم في جامعة (كوكوشيكان) في طوكيو، تقريراً مفصلاً عن نتائج البعثة العلمية، وتوصل إلى أن الكهوف المعروفة باسم (الدكاكين) والواقعة في أعالي العين ذات أهمية تاريخية وتعود إلى فترات زمنية قديمة، فقد كانت مكاناً لقدوم مجاميع بشرية عاشت فيها وأن هذه المجاميع قد مروا بها أثناء طريقها من الغرب إلى الشرق وبالعكس، وقد تمكنت البعثة من تحديد (١٢) قبراً في المنطقة وهي دائرية الشكل محاطة بحجر الكلس والحصى ويتجه جميعها نحو الشمال الغربي. وعثرت البعثة على بقايا بيت وفخار وكور لصنع الأواني الزجاجية[2]. وقد حدد تاريخها بين حوالي القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي استناداً إلى طرق التقنية في صناعتها وأساليبها. وأخيراً أمكن التوصل إلى أن هذه القبور حفرت داخل كهوف من قبل سكان لهم علاقات وطيدة مع سكان (دوارا يورس) و (تدمر) في سوريا، وكذلك الكهوف المتأخرة في فلسطين. ومن المحتمل أن كهوف الطار قد استعملت من قبل سكان مختلفين أتوا من المناطق المجاورة[3].

٦- عيون الرهبان

(١) هيديو فوجي: تقرير البعثة اليابانية في العراق، ترجمة رياض عبد الرحمن الدوري، مجلة سومر، الجزء (٢، ١) المجلد السادس لسنة ١٩٨٧- ١٩٨٨م ص٣٣.

(٢) ن.م: ص٣٤، ص٣٣.

(٣) ن.م: ص٣٤، ص٣٣.

تقع عيون الرهبان حول قصر الرهبان وعددها خمسة عيون، ماؤها حلو، وعند الجانب الغربي من القصر تقع عين أخرى وفوقه كذلك عين ماء[١]. وذكر الأستاذ كاظم شكر أن هذه العيون يمتلكها جاسم عبد الله[٢].

٧- عين السيد

أشار الأستاذ (الواموزيل) إلى عين السيد فقال: إن عذيب الهجانات هو عين السيد، أما عذيب القوادس فهو عين النجارية[٣]. وقد أشار الدكتور العلي إلى عين السيد سعيد[٤] ولعله السيد سعيد السيد سلمان حيث تقع العين التي يمتلكها غرب منطقة (مظلوم) في بحر النجف.

٨- عين الشكيك

تقع عين الشكيك في بحر النجف ولا تبعد عن مدينة النجف إلا قليلاً وتعود لأسرة آل السيد سلمان.

٩- عين الأميرة

تقع عين الأميرة في أرض (الجفرة) وهي من ملحقات مدينة النجف، ويمتلكها حسون الحبيبْ آل فارس والحاج مهدي شلاش وكانت مُندرسة، وقد أستُخرِجتْ عام ١٣٢٨هـ ثم اندرست بعد مدة[٥].

١٠- عين عليوي

---

(١) الدجيلي: (عريسات) مجلة لغة العرب ص٥٤٣.

(٢) حدثني بها الأستاذ كاظم محمد علي شكر.

(٣) العلي: (منطقة الحيرة) من كتاب (معالم العراق العمرانية) ص١١.

(٤) ن.م.

(٥) الوثيقة عند الأستاذ كاظم شكر موقّع عليها عدد من الشهود.

تقع عين عليوي شمال (عين حديد) وهي المعروفة بعين شيا وتعود إلى عليوي الشكري وناجي شنون، وقد استخرجها مؤخراً الحاج معتوك بن عليوي الشكري[1].

١١- عين مظلوم

تقع عين مظلوم على طريق (النجف ـ الرحبة) وقد حفرها وعمرها الحاج عبد المحسن شلاش[2]، وعلى مقربة منها تستخرج صخور معامل الإسمنت في النجف.

١٢- العين العباسية

تقع العين العباسية بأرض الجفرة من ملحقات مدينة النجف، وكانت مندرسة فاستخرجها كلّو الحبيب آل فارس والحاج مجيد بلال عام ١٣٢٨هـ، ثم اندرست بعد مدة[3].



١٣- العين النبعية

يُطلق النجفيون على هذه العين لفظ (أم الآبار) وهي تقع على كتف البحر وتقابل مرقد (صافي صفا)، ويقول الأستاذ كاظم شكر: إنها تُسمى أيضاً (نبعية الشيخ موسى)[4].

١٤- عين السطيح

تقع عين السطيح في بحر النجف بالقرب من عين الرهبان.

١٥- عين الأساويد

---

(١) الأسدي: تحليل جغرافي للأنماط الزراعية ص٣٤.

(٢) في حديث مع الأستاذ كاظم شكر.

(٣) الوثيقة عند الأستاذ كاظم شكر.

(٤) في حديث مع الأستاذ كاظم محمد علي شكر.

تقع عين الأساويد بالقرب من عينَي الخريبة ومظلوم، وهي في طريق الرحبة.

١٦- عين أم ذراوي

تقع عين أم ذراوي بعد عين السيد سعيد السيد سلمان، وقد امتلكها السيد عبد الله السيد سلمان .

١٧- عين الخريبة

تقع عين الخريبة بالقرب من عين مظلوم على طريق الرحبة، وقد امتلكها حنفور أبو الصخور آل حمرة .

١٨- عين المسحب

تقع عين المسحب بالقرب من عين مظلوم ، وهي من العيون المندرسة في بحر النجف.

١٩- عين العِزّية

تُعَد عين العِزّية من العيون الكبيرة، وتبعد عن النجف بحوالي عشرين كيلومتراً، وهي بحوزة بعض الأُسر النجفية .

٢٠- عين الحياضية

تقع عين الحياضية شمال عين العزية، وهي من العيون الكبيرة وتبعد عن النجف بحوالي ثلاثين كيلومتراً، وهي ملك لبعض الأسر النجفية .

٢١- عين الحيّاك

تقع عين الحياك شمال (عين حديد) وعلى بعد عشرين كيلومتراً من مدينة النجف.

٢٢- عين عطية

نُسِبتْ هذه العين إلى الحاج عطية أبو كلل، وهي تقع بالقرب من عين الحياضية.

٢٣- عين الفتحة

تقع عين الفتحة عند (فتحة خشم الطار) وهي أقرب العيون إلى مدينة النجف الأشرف.

٢٤- عيون الدكاكين

تقع عيون الدكاكين شمال عين الرهبان، وهي اليوم مندرسة . وقد أشارت بعض المصادر إلى عدد من العيون الواقعة في بحر النجف وهي ضمن (خط العيون) ولم تحدد موقعها، وهي[1]: حمادي، أبو عبيد، سعود، أم نخلة، أم طرفة، الفرع، علي سعيد، المحمديات، المتراحة، المنداوي، أبو كمال، أم سل، جديدة، الموارد، المناصف، عيون الشمري، الغدير، مجيد حسان، حاج حسين، الرويز، خربانة، النصار.

وتضم منطقة (بحر النجف) فيوضاً وشِعاباً منها: (فيضة السدير) و(شعيب فؤاد)، وتنتشر في المنطقة آبار بعضها يعود لأزمنة تاريخية كآبار السيدة زبيدة، وذُكِرَ هناك (بير الجرشمي) .

وحددت وزارة الري العراقية في خارطة الموارد المائية في محافظة النجف بعض عيون منطقة البحر، فكان أقربها لمدينة النجف (عيون نصار) وأبعدها (عيون الشبجة) وبينهما (عيون الرحبة) و(عين الخسفة) و(عين تويلة) و(عين عشرية) .

---

(١) الأسدي : تحليل جغرافي للأنماط الزراعية ص٣٤.

وأشار الأستاذ سعد عبد الرزاق إلى العيون والآبار الواقعة في منطقة الهضبة والتي هي ضمن حدود محافظة النجف الإدارية بقوله: إنها امتداد لخط المياه الجوفية في القطر والذي يخترق الهضبة الغربية من شمالها في كبيسة ويمر بالرحبة والرحالية وعين التمر حتى عين حمود غرب آور بخمسة كيلومترات[1].

---

(١) سعد عبد الرزاق: محافظة النجف، دراسة في جغرافية المكان، ص٥٠.

خامساً: التلال والمرتفعات

تُدعى أرض النجف بظهر الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، وبظهر الكوفة في العصور الإسلامية. ويعني لفظ (الظهر) ما ارتفع من الأرض أو المكان الذي لا يعلوه الماء[1]. وإن القادم إلى مدينة النجف الأشرف من الحيرة أو الكوفة، يشعر بارتفاع الأرض التدريجي حتى الوصول إلى روابي كانت تُسمى (المصعاد) وهي أرض كلسية فيها آثار أبنية قديمة العهد[2].

وأشار الفيلسوف أبو البركات البغدادي إلى ارتفاع أرض النجف بالقول: (فإذا علت الأرض مال الماء إلى ما يليها مما هو أخفض منها، وانكشف الجبل بنزوح الماء عنه وتنزح المياه البحرية والبطائحية والآجامية على طول الزمان بأسباب سمائية من حركات الكواكب والرياح المموجة، فينتقل من مكان إلى مكان، وتنكشف أرض وتتغطى أرض أخرى، كما نراه الآن في أرض النجف، فإنّا نجد آثار وحدود الماء في أجرافه كان زمانها لم يبعد)[3].

وقد قدّر ارتفاع أرض النجف عن مستوى سطح البحر بما يقرب من (٢٣٠قدماً)[4].

وذكرَ الرحالة (لوفتس) أن النجف تقع فوق هضبة من الحجر الرملي الميّال إلى اللون الأحمر، وترتفع إلى أربعين قدماً فوق السهول المحيطة بها[5].

---

(١) الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ص١٤٤، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة٥/٣٩٥.

(٢) إبراهيم حلمي: (طعيريزات أو أطلال طيزناباذ) مجلة لغة العرب، الجزء الثامن، السنة الثانية ١٣٣١هـ/١٩١٣م، ص٣٢٤.

(٣) أبو البركات البغدادي: المعتبر في الحكمة ٢/٢٠٩.

(٤) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص٩١.

(٥) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف١/٢٣٤.

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن (الغري) قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليما، وقدّس عليه عيسى اللهَ تقديسا، واتخذ عليه اللهُ إبراهيمَ خليلا ومحمداً عليه أفضل الصلاة والسلام حبيبا[1]. وإن الرواية الذاهبة إلى أن النجف الذي كان جبلاً ثم تقطّع قِطَعاً إلى بلاد الشام، ثم صار رملاً دقيقاً ثم صار بعد ذلك بحراً عظيماً[2]، قد التقتْ مع الرأي الذي ذهب إليه (السير وليم كوكس) بقوله: ومما يجب الإنتباه له أنه لم يكن يفهم سكان وادي الفرات ولا سكان وادي النيل من لفظة (كورة) القديمة، التل، كما أنه لا يفهم هذا المعنى من لفظة (جبل). فكلتا هاتين اللفظتين تدلاّن على الصحراء لا الجبل بمعناه الحقيقي، وذلك لأنه لا يمكن أن يغمر الماء البالغ ارتفاعه أربعة وعشرين قدماً أرضاً عالية أو جبلاً بالمعنى الصحيح، نعم يمكن أن يغمر هذا القدر من الماء السهول الصحراوية فقط.

فالمقصود على هذا أن عبارة خمسة عشر ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال هو: خمسة عشر ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الأراضي الصحراوية. وهذا الخطأ ناشئ من أن المترجمين العبريين الذين نقلوا العهد القديم إلى اللغة العربية لم يفهموا المعنى المقصود من هذه الكلمة، ويقصد بكلمة جبل في اللغة العربية الفصحى كل مرتفع سواء أكان تلاً بسيطاً أو جبلاً شاهقاً. ولكن في اللغة المصرية العامية وفي بلاد العرب نفسها تطلق هذه الكلمة على الصحراء[3] وقد أخذت مرتفعات وتلال منطقة النجف بُعداً تاريخياً حتى أصبحت جزءاً من عصور سحيقة. وهذه المرتفعات هي:

١ - الجودي

ورد لفظ الجودي في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وقيلَ يا أرضُ ابلَعي ماءَكِ ويا

---

(١) القمي: سفينة البحار ٢/٥٧٢.

(٢) الصدوق: علل الشرائع ١/٣١.

(٣) وليم كوكس: بين عدن والأردن ١/٣٦.

سماءُ أقْلِعي وغيضَ الماءُ وقُضيَ الأمرُ واستوتْ على الجوديِّ وقيلَ بُعْداً للقوم الظالمين)[1] وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في تحديد موضع الجودي الذي رستْ عليه سفينة نوح عليه السلام. فالبعض منهم حدد موقعه بأرض الموصل والجزيرة[2]. وذكرَ المسعودي: يقع الجودي، الذي هو جبل، ببلاد باسورين وجزيرة ابن عمر ببلاد الموصل، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ، وموضع جنوح السفينة على رأس هذا الجبل[3].

وقال ياقوت الحموي: إن باسورين هي ناحية من أعمال الموصل في شرق دجلتها[4]. وحدد بعضهم المسافة بين جبل الجودي وجزيرة ابن عمر بسبعة فراسخ[5]. وإلى هذا ذهب أبو العلاء المعري بقوله: إن نوحاً عليه السلام قد اجتاز أرض الموصل بالقرية التي تُعرف بثمانين وهي قريبة من الجبل المعروف بالجودي[6]. وأشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: إن (ثمانين) بليدة على جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل، كان أول من نزلها نوح عليه السلام، لما خرج من السفينة ومعه ثمانون انساناً، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به، فسُميَ الموضع بهم، ثم أصابهم وباء فمات الثمانون غير نوح عليه السلام وولده، فهو أبو البشر كلهم[7].

وقد اقترب ابن خلكان من هذا الرأي بقوله: إن قرية الثمانين من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي، وهي أول قرية بنيت بعد الطوفان وسميت بعدد الجماعة

---

(١) سورة هود: الآية ٤٤.

(٢) الطبري: التاريخ ١/١٨٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٧٢، البكري: معجم ما استعجم ٢/٤٠٢، ياقوت: معجم البلدان٢/١٧٩، العياشي: التفسير٢/١٥٠. ابن شحنة، روضة المناظر: ١/١٨

(٣) المسعودي: مروج الذهب ١/٤٠.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ١/٣٢٢.

(٥) الشابشتي: الديارات ص٣٠٩، ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٠٤، البغدادي: مراصد الإطلاع ٢/٥٥٧.

(٦) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران ص٥٧٧.

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٢/٨٤.

الذين خرجوا مع نوح عليه السلام[1]. وذهب بنيامين التطيلي إلى رأي آخر لرسو السفينة بقوله: إنها كانت محاطة بنهر دجلة ومن ذلك أخذت اسمها على وجه التأكيد، وهي تقع عند سفح جبل طوروس، كما يُسمى جبل كردستان، هكذا على مسافة أربعة أميال من الموقع الذي استقرت عليه سفينة نوح[2].

واعتقد بعض الباحثين أن سفينة نوح عليه السلام قد استقرت على جبل أرارات، وربما هو الذي ذُكرَ في القرآن الكريم باسم الجودي، وما ذُكرَ في سِفر التكوين وبعض الكتب المقدسة الأخرى، وفي ملحمة جلجامش باسم (نيزير)[3].

وقد رفض الدكتور (يلمز غويز)، أحد الجيولوجيين الأتراك هذا الرأي الذاهب إلى رسو السفينة على جبل أرارات في مؤتمر علمي، وذلك بسبب الارتفاع الشاهق للجبل مما يجعل من غير الممكن لموجة بحرية أن تصل إلى هناك. أما عن التكوين الصخري الذي يشبه السفينة والموجود في أرارات، فإنه شكل مألوف في المناطق البركانية. وهو يرجح إمكانية استقرار السفينة على جبل آخر يسمى جبل الجودي[4].

إن رفض الدكتور (يلمز غويز) للرواية المتقدمة، يجعلنا نميل إلى صحة الرواية الذاهبة إلى رسو سفينة نوح على جبل الجودي في أرض النجف. فقد ذكرَ الجغرافي ابن رسته: أن الجودي المكان بباغ داد، أي منزل الصنم الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام في النجف الأشرف، كما ذكرَ أهل الحديث والتواريخ، لأن النجف عن بابل سبعة فراسخ، ففيه نزلت أولاد نوح ومنه تفرقت[5].

وقد أراد ابن رسته بقوله أن بغداد قبيل تمصيرها هي جزء من أرض بابل، وأن الأحاديث الشريفة تدعم هذا الرأي. فرويَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٤٤٤.

(٢) جيمس بكنغهام: رحلتي إلى العراق ١/٤٢.

(٣) أمين محمود عبد الله: (الطوفان) بحث في مجلة الغري النجفية العدد (٢١٨) لسنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص٥٣.

(٤) مجلة ألف باء: العدد٨٩٤ لسنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص٦٢.

(٥) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص١٠٨.

السلام أنه قد سار من القادسية حتى أشرف على النجف فقال: هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدّي نوح عليه السلام، فقال: سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا نجف أيعتصم بك مني فغلب في الأرض وتقطع إلى قُتر (بضم القاف وتعني الجانب أو الناحية) ثم قال: أعدل بنا، فعدلت فلم يزل سائراً حتى أتى الغري، فوقف على القبر فساق السلام من آدم على نبي نبي عليهم السلام حتى وصل السلام على النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم خرَّ على القبر فسلم عليه وعلا نحيبُه، ثم قام فصلى أربع ركعات وقال: هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام[١].
وذكرَ المؤرخ الطبري في رواية عن الجودي أنه كان بناحية الكوفة[٢].

وأخذ المفسر العياشي برواية الجودي من أرض النجف بقوله: إن نوحاً لبث ومن معه في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها فقال: لبثوا فيها سبعة أيام بلياليها، وطافت بالبيت ثم استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة[٣]. وقد أشار الشيخ محمد السماوي في أرجوزته إلى هذا الرأي بقوله[٤]:

وإنها كانت من الجودي أو هو هي في خير مرويّ

ورجح الأستاذ الدكتور أحمد سوسة رسو السفينة في أرض النجف بقوله: وإن النص الوارد في القرآن الكريم الذي يشير إلى الفلك **(واستوت على الجودي)** وهي كلمة عربية مما يؤيد أنها رست على مرتفع من صحراء جنوب شرقي الفرات عند حدود سلسلة مرتفعات النجف التي تعلو عن سطح البحر فيما يقارب الخمسة والستين متراً[٥].

وقد خلص الدكتور أحمد سوسة، بعد مناقشة مستفيضة للآراء الذاهبة إلى رسو سفينة نوح، إلى القول: ومن المرجح أن الفلك استقرت إلى جانب المرتفعات

---

(١) المجلسي: المزار ص٨٤.

(٢) الطبري: التاريخ ١/١٨٧ـ ١٨٨.

(٣) العياشي: التفسير ٢/١٤٦- ١٤٩.

(٤) السماوي: عنوان الشرف، ص٦.

(٥) أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ ق١/١٧١.

الصحراوية في جوار النجف، وهي المرتفعات المعروفة بالنواويس، والنواويس واردة في كلام الحسين عليه السلام وهي قوله: وكأني بأشلائي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء[1]. وأكد الدكتور أحمد سوسة في رسالة بعثها إلى الحاج عبد المحسن شلاش، أحد تجار مدينة النجف الأشرف، على رأيه هذا بقوله: إن القرآن الكريم في (**واستوت على الجودي**) يؤيد أنها رست على مرتفع من صحراء جنوب الفرات، ومن تلك المرتفعات الواقعة على الحدود الصحراوية، غير أن تشخيص المحل لابد وأن ينحصر بين اثنين إنْ لم يكن العثور على مرتفعات أخرى: (فأما أن يكون في سلسلة مرتفعات النجف التي تعلو عن سطح البحر ما يقارب الخمسة والستين متراً لأن ارتفاع سطح الماء عن النجف في نهر الفرات يبلغ في أعلى موسم الفيضان إلى خمسين متراً في مدينة الرمادي، أو أنها توجهت إلى مرتفع آخر من ذبذبة هذه المرتفعات الممتدة في قلب الصحراء من أيمن الفرات من الشرق إلى الغرب)[2].

٢- الطور

أُطلِقَ على أرض النجف الأشرف لفظ (الطور) ويعني في اللغة الجبل على الإطلاق، أو الجبل المشرف[3]. وينسب إليه لفظ (طوري وطوراني)[4] وقد ذهبت بعض المصادر إلى أن الطور يقع بين طبرية واللجون، وهو يشرف على الغور ومرج اللجون[5]. وذهبت مصادر أخرى إلى أن الطور يطلق على أرض النجف، لأنها موضع مناجاة الإمام علي عليه السلام، كما كان الطور موضع مناجاة موسى عليه السلام[6]. وفي

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) شلاش: خلود الإمام/ بحث في كتاب (أسبوع الإمام) ص١٨٨.

(٣) الجوهري: الصحاح٢/٧٢٧، الفيومي: المصباح المنير٢/٢٧.

(٤) الفراهيدي: العين٧/٤٤٦، المقريزي: الخطط ٣/٤٢١.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٢٠.

(٦) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٠/٢٩٦، المجلسي: بحار الأنوار٢٠/٢٠٥.

رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: أن الغري قطعة من الجبل الذي كلّم اللهُ عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى اللهَ تقديساً، واتخذ اللهُ عليه إبراهيمَ خليلا ومحمداً حبيباً، وجعله للنبيين مسكنا[1].

وفي حديث عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام في وصية أمير المؤمنين عليه السلام: لما استشهد أوصى بأن يحمل إلى ظهر الكوفة، فإذا تصوبت أقدامكم واسقبلتم ريح فادفنوني، وهو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك[2]. ولذلك أصبح لفظ (طور سيناء) من أسماء مدينة النجف الأشرف، وإلى هذا أشار الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله اختار من البلدان أربعة، فقال عزَّ وجلّ: (والتينِ والزيتونِ وطورِ سينين، وهذا البلد الأمين) فالتين كناية للمدينة المنوّرة، والزيتون كناية لبيت المقدس، وطور سينين كناية للكوفة، وهذا البلد الأمين كناية لمكّة المكرّمة)[3].

وقد ذهبت النصوص إلى القول: إن أرض الطور هي النجف الأشرف وإلى ذلك أشار الشيخ محمد حرز الدين بقوله: (يسمى جبل طور عند قدماء النجفيين، ويقع هذا الجبل حول بلد النجف من شرقيه إلى شماله بالقرب من خندق سور النجف الأخير، غطّاه تراب عمارة البلد اليوم)[4] وقد دخل لفظ (الطور) في الشعر النجفي للتعبير عن مدينة النجف الأشرف، فورد في أرجوزة الشيخ محمد السماوي :

ففي حديث الفرحةِ المسطورِ بأنها من قطعات الطورِ

---

(١) المجلسي: المزار ص١٥، ص٧٩.

(٢) الطوسي: التهذيب٦/٣٤، ابن طاووس: فرحة الغري ص٣٩، المجلسي: بحار الأنوار ٦٠/٢٠٥، ١٠٠/٢٥٠.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٠/٢٨٣.

(٤) حرز الدين: معارف الرجال ١/٦٥.

وفي قصيدة للسيد حسين بن مير رشيد النقوي الهندي النجفي المتوفى عام ١١٧٠هـ أنشدها عند تذهيب القبة الحيدرية الشريفة والمئذنتين والإيوان عام ١١٥٦هـ[١]:

أمطلعُ الشمسِ قد راقَ النواظرَ أم ... نارُ الكليمِ بدتْ من جانبِ الطورِ

وللشيخ بهاء الدين العاملي، المتوفى عام ١٠٣١هـ، رباعية نظمها عند بناء المكان المخصص لحفظ أحذية الزائرين للمرقد الشريف، منها[٢]:

هذا الأفق المبين قد لاحَ لديك ... فاسجدْ متذللاً وعفّر خدّيك

ذا طورُ سينين فاغضض الطرفَ به ... هذا حرم العِزَّةِ فاخلعْ نعليك

ومن يتصفح دواوين الشعراء النجفيين، يجدْ لفظ (الطور) يتكرر في القصائد والمقطوعات.



٣- الطارات

الطار عبارة عن مرتفعات صخرية كلسية تقع على ساحل بحر النجف، تحيط بالمدينة من الغرب والجنوب[٣]. وأطلق النجفيون على هذه المرتفعات أو الربوات لفظ (الطارات)[٤]، وذكرَ الدكتور محسن المظفر: أن الطارات عبارة عن حافة عالية ترتفع علي جانب منها مدينة النجف، وهذه الحافة لا تمتد امتداداً متواصلاً فحسب، بل أنها تتقطّع[٥]. ويبلغ ارتفاع الطار الواحد منها ما بين (٥ - ٥٠ متراً)[٦]. ويبلغ سُمك طار

---

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٦٥.

(٢) الشبيبي: ديوان الدوبيت في الشعر العربي ص٨٤ - ص٤٥٤.

(٣) الموسوي: الحاج عطية أبو كلل ص ٦٥.

(٤) الشرقي: الأحلام ص٣٩.

(٥) المظفر: (الصفات الفيزيوغرافية لسطح لواء كربلاء) بحث في مجلة العدل النجفية، العددان (٧،٦) السنة الأولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص٢٢.

(٦) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٣٩.

النجف بين (١٠ ـ ٢٢م)، وطار السيد بين (١٢ ـ ١٥م)[١] ويعود منشأ الطارات إلى تلاطم مياه بحر النجف باليابسة. فالمناطق القوية التي تقاوم الموج بقيت قائمة، والمناطق الهشّة قد اخترقتها المياه وتركت فيها أخاديد ومغاور، وهذا ما يؤيد تارخ علم طبقات الأرض الذي يصرح بأن البحر كان ينقطع عند تلك الصخور القديمة[٢].

وقال الدكتور أحمد سوسة: "ويُستنتج من دراسة (راول ميجل) أنه كان في الأزمنة القديمة مجرىً واسع لمصرف طويل يبدأ من المنطقة الواقعة غربي الموصل فيسلك هذا الوادي الكبير منخفض الثرثار الحالي ثم يمتد من الثرثار إلى الفرات فمنخفض الحبانية، ومن ثم يتصل بمنخفض المجرة وأبي دبس سالكاً (طار السيد) حتى يتصل بمنخفضات النجف"[٣].

وقد اشتهرت منطقة بحر النجف بطارَي السيد وأبي جوعان، وكان الطار الأخير قد استخدمه الإنكليز عند حصارهم لمدينة النجف الأشرف عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، حيث امتد الحصار من السور والثلمة حتى طار أبي جوعان[٤].

٤- الذكوات

ورد مصطلح (الذكوات) في المصادر التي أرّختْ لمدينة النجف الأشرف. فقد ورد ذِكرُها مرة بلفظ (الذكوات البيض) ومرة أخرى بلفظ (الذكوات الحمر) كما ورد لفظ (الربوات) أيضاً. ويعود تاريخ الذكوات إلى عصر ما قبل الإسلام. وتعني الذكوة في اللغة العربية الجمرة الملتهبة إذ يقال للشمس (ذُكاء) لأنها تذكو كما تذكو النار[٥] ولعل إطلاق لفظ الذكوات على التلال المحيطة بقبر أمير المؤمنين عليه السلام لضيائها وتوقدها

---

(١) الخطيب: دراسة جيرمورفولوجية لهضبة النجف ص١٨.

(٢) فراتي: (الماء في النجف) مجلة لغة العرب، العدد العاشر، السنة الثانية١٣٣١هـ/١٩١٣م ص٤٥٨.

(٣) أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ ق١/١٣٩.

(٤) الشبيبي: (المذكرات) مجلة الثقافة الجديدة، العدد السابع لسنة ١٩٦٩م ص٣٠٠.

(٥) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٢/٣٥٧، الطريحي: مجمع البحرين ١/١٥٩.

عند شروق الشمس عليها لما تحتوي من دراري مضيئة، وتصبح عند ذلك جمرة ملتهبة[1]. أما الربوات فهي المناطق المرتفعة من الأرض والتي لا يعلوها الماء[2]. وقد حددت الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وقوع قبر الإمام علي عليه السلام بين هذه المرتفعات. فقد نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام عند تفسيره لقوله تعالى: (**وآويناه إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين**)[3]، قال: إن الربوة هي نجف الكوفة، وإن المعين هو نهر الفرات[4]. وفي حديث للإمام الباقر عليه السلام: إن الإمام علياً عليه السلام قال: إن الربوة هي الكوفة وإن القرار هو المسجد وإن المعين هو الفرات[5].

وأطلق بعض الباحثين على ذكوات النجف أو ربواتها لفظ التلال أو الجبال فقيل: (جبل الديك) و(جبل شرفشاه) و(جبل النور)[6]، وفي الحقيقة أن هذه المرتفعات لم تأخذ صفات الجبال من الناحية الطبيعية، وإنما هي ذات علوّ قياساً إلى المناطق المحيطة بها. وذهب آخرون إلى أن (الذكوات) تصحيف من(الربوات)كما أشار الشيخ محمد السماوي بقوله[7]:

والذكوات البيض والذي أرى ... تصحيفه من ربواتٍ فجرى

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٣٧.

(٢) ابن سيده: المخصص ٧٩/١٠، ١٧٩/١٥، البستاني: البستان ٨٦٠/١.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥١.

(٤) الطوسي: التهذيب٦/٣٨، المشهدي: فضل الكوفة ومساجدها ص١٣، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٣١٤/١٠، المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٢٨.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٢٧..

(٦) الحسني: موجز البلدان العراقية ص٧٢، دليل المملكة العراقية لسنة٣٥- ١٩٣٦ ص٩٥٢، المظفر: (أسماء مدن لواء كربلاء المهمة) مجلة العدل/العدد الثامن/ السنة الأولى ١٣٨٥/١٩٦٥م ص١١.

(٧) السماوي: عنوان الشرف ص٤

وقد احتل لفظ (الذكوات) مساحة كبيرة في الشعر النجفي، وهي تؤرخ للمرقد الحيدري الشريف تارة ولمدينة النجف الأشرف تارة أخرى، ومنها ما ذكره الشيخ محمد جواد الشبيبي بقوله[1]:

يا رملةَ الذكواتِ البيضِ لا وسمتْ ... إلا ثراكِ غوادي الدهرِ والوطف

وقال الشيخ عبد المنعم الفرطوسي[2]:

فبهذهِ الربواتِ أو أخواتِها ... قامَ الخورنقُ كالبقاعِ المُشرفِ

وقال الشاعر النجفي محمد حسين علاّوي غيبي[3]:

يُنطِقُ الصخرَ سِحرُها، ورُباها ... تتحدّى ما يرسمُ المستحيلُ

ذكواتُ الغريِّ عانقتْ الوا ... دي وفَزَّتْ على القِبابِ الفصولُ

وبِخَدِّ العذراءِ فيضُ صلاةٍ ... وعليهِ منَ الذرى تقبيلُ

وأشار الأستاذ محمد ثابت المصري في رحلته إلى (ربوة النجف) بقوله[4]:

(إن قِباب الحرم تُرى من أربعين ميلاً إذا صفا اليوم وراقَ هواؤه لأنه يقوم على ربوة في وسط صحراء ممهدة لا حزون فيها).

لكن لفظ (الذكوات) بقي الطاغي على أرض النجف في المصادر والمراجع، وورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام عند تحديدهم لمرقد أمير المؤمنين سلام الله عليه .فقد قال صفوان الجمّال: كنت أنا وعامر بن عبد الله بن خزاعة الأزدي عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقال له عامر: جُعِلتُ فداكَ أن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام دُفن بالرحبة، قال: لا، قال: فأين؟ قال: لما احتمله الحسن فأتى به ظاهر الكوفة، قريباً من النجف، يسرة عن الغري، يمنة عن الحيرة، فدفنه بين

---

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها١/ ٣٢.

(٢) الفرطوسي: الديوان٢/ ١٧٨.

(٣) الشقائق: مجلة الإتحاد العام للأدباء والكتاب/فرع النجف/لسنة ١٩٩٨م ص١١٥.

(٤) محمد ثابت: جولة في ربوع الشرق الأدنى ص١٠٤.

(ذكوات بيض) فلما كان بعد أيام ذهبت إلى الموضع فتوهمت موضعاً منه ثم أتيته فأخبرته فقال: أصبت رحمك الله ثلاث مرات[1]. وفي قول الإمام الصادق تحديد دقيق لموضع القبر الشريف من الذكوات البيض بقوله: (إذا خرجتم فجزتم الثوية والقائم وصرتم على غلوة أو غلوتين رأيتم ذكوات بيضاً بينهما قبر جرفه السيل فذاك قبر أمير المؤمنين)[2]. وقد حدد عليه السلام لصفوان الجمّال القبر الشريف بقوله: (إذا انتهيت إلى الغري ظهر الكوفة فاجعله خلف ظهرك وتوجه على نحو النجف وتيامن قليلاً فإذا انتهيت إلى الذكوات البيض والثنية أمامه فذاك قبر أمير المؤمنين)[3]. وقد استمد الشاعر النجفي الشيخ محسن الخضري من هذه الأحاديث موضع الذكوات البيض من أرض النجف بقوله[4]:

على الذكوات البيض من أيمن الحِمى ... أراحوا بنعشٍ زعزعَ الأرضَ والسما

واكتسبت (الذكوات البيض) قدسية بعد أن ثوى أمير المؤمنين عليه السلام بين ظهرانيها وأصبحت تُربتها وحصاها ذات موقع روحي في نفوس الناس، فرويَ عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (أحب لكل مؤمن أن يتختم بخمسة خواتيم، وذكر منها ما يظهره الله عزَّ وجلّ في الذكوات البيض بالغريين)[5]. وقال أيضاً: (مَنْ تختّم به وينظر إليه، كتب الله له بكل نظرة زورة أجرها أجر النبيين والصالحين، ولولا رحمة الله لشيعتنا لبلغ الفص منه ما لا يوجد بالثمن، ولكن الله رخصه ليتختّمَ به غنيُّهم وفقيرهم)[6].

---

(١) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٣٣، ابن طاووس: فرحة الغري ص٥١، المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٤٢.

(٢) ابن طاووس: فرحة الغري ص٥١، المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٣٧.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٤٢.

(٤) الخضري: الديوان ص٩٧، الشرقي: الأحلام ص٥٢.

(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٠/٣١٣.

(٦) الطوسي: التهذيب ٦/٣٧.

أما لفظ (الذكوات الحمر) فقد ورد في بعض المصادر[1]، ويعود ذلك لضيائها وتوهجها وتوقدها عند شروق الشمس عليها لما فيها من الدراري المضيئة فتصبح كالجمرة الملتهبة، وقد أُطلِقَ عليها (الدرُّ النجفي)[2].

وقد روى يونس بن ضبيان عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه ركب وركبت معه حتى نزل عند الذكوات الحمر ثم دنا إلى أكمة فصلى عندها وبكى، ومال إلى أكمة دونها ففعل مثل ذلك ثم قال: الموضع الذي صليت عنده أولاً هو موضع قبر أمير المؤمنين، والآخر موضع رأس الحسين، وأن ابن زياد لما بعث برأس الحسين بن علي إلى الشام، رُدَّ إلى الكوفة، فقال: أخرجوه لا يفتن به أهلها. فصيّره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام فدفن[3]. وقد أرخ أغلب الشعراء مدينة النجف الأشرف في قصائدهم وأشاروا إلى الذكوات البيض مع خطط النجف ومواضعها. فقد ذكرَ السيد مير علي أبو طبيخ النجفي (ت١٣٦١هـ) بقصيدته (بين الذكوات) منها[4]:

هيَ الذكواتُ البيضُ من جانبِ الحِمى ... تلوحُ أم الأضعانُ في مَهْمَهٍ تحدو

تُجزِّءُ، من حَصبائِها، كلَّ لامعٍ ... كما يتجـزّى بيننا الجوهرُ الفردُ

وهل يُنكرُ الساري مساحِبَ عُرفِها ... إذا مرَّ مُجتـازاً وقد شهِدَ الوردُ

خمائل للنعمانِ، كانتْ سرادقاً ... يضوعُ على حافاتِهِ الشيحُ والوردُ

تطوفُ بهِنَّ الحورُ، مثنىً و واحِداً ... وقبرُ أميرِ المؤمنيـن هو الخُلدُ

حِمىً أشرفتْ فيهِ الغزالةُ بعدما ... تحيَّفها الجاني وأجهدَها الطردُ

فأفعى مُربَّاً لا يُطيقُ ارتياعَها ... وحلَّتْ بأمنٍ لم تكنْ فيهِ تعتَدُّ

فكم ظلّلتها دولةٌ يعربيـةٌ ... لها المجدُ عرشٌ، والحِفاظُ لها جُنْدُ

وآسادُ حربٍ يشهدُ النقعُ أنها ... كواكبُ في ظلمائها حيثما تبدو

---

(١) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٣٦- ص٣٧، المجلسي: بحار الأنوار ٢٤٤/١٠٠.

(٢) البراقي: البقعة البهية / ورقة ٢٦.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٣١٢/١٠.

(٤) الخاقاني: شعراء الغري ٣٥٢/٦.

تحومُ عليها للخورنقِ رايةٌ ويعذُبُ، من ماءِ السديرِ، لها وِردُ

وقد ربط الشاعر بين تاريخ النجف في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي بعد أن تشرفت أرض النجف بجسد أمير المؤمنين عليه السلام، وقد اقترب الشيخ محمد السماوي من هذا الربط التاريخي بقوله[1]:

ألِمَّ على ذكواتِ النجفْ ولاحِظْ بِطَرفِكَ تلكَ الطُّرَفْ
هواءاً نقيّاً تَحِفُّ النفوسُ لطيبِ هوا يالَهُ من تُحَفْ!
وتُرباً ذكيّاً يودُّ الفؤادُ يلاصِقَهُ من وراءِ الشَّغَفْ
وعُرفاً ذكيّاً يُغيرُ الكِبارَ إذا الأنفُ باشَقَهُ واءتَنَفْ

وقال السيد محمد سعيد الحبوبي[2]:

وجادَ سحابُ العفوِ مرقدَ صالحٍ لدى الذكواتِ البيضِ من أيمنِ الوادي

وبما أن الذكوات البيض تشرف على وادي النجف الكبير الذي يرقد فيه الأنبياء والأولياء والقادة والملوك وسائر الناس جنباً إلى جنب، فقد أشار الشيخ عبد المنعم الفرطوسي إلى هذه الحقيقة بقوله[3]:

على الذكواتِ البيضِ من جانبِ الوادي قِفا ساعةً واستنطِقا الأثرَ البادي
فكم فيهِ معنىً لا يفي ببيانِهِ لسانُ فصيحٍ أو يراعةُ نُقّادِ
وكم عِبَراً خُرساً بها نطقَ البِلى فأفصحَ تبياناً على غيرِ مُعْتادِ

وقد أخذت (الذكوات البيض) مسميات جديدة نسبة للأعلام والأُسر التي سكنتها. ففي طرَف العمارة (جبل شرفشاه) وفي طرف المشراق (جبل الديك) وفي طرف

---

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٤.

(٢) الحبوبي: الديوان ص٤٦٤.

(٣) الفرطوسي: الديوان ١/ ٢٩٧.

البراق (جبل النور)، وقد أُضيفت لهذه المرتفعات تلال أخرى جاءت من ظروف التوسع العمراني لمدينة النجف الأشرف. وقد ربط الباحثون بين الذكوات البيض وبين هذه (الجبال) إن صح التعبير، وإن تحديد مواقعها الجغرافية من المرقد الشريف يجعلنا نميل إلى صحة هذا الربط.

وقد وقفنا على أحد هذه الذكوات عند تنفيذ مشروع طرف العمارة، فوجدناه أبيضاً كما أشارت إليه النصوص، وكما أشار إليها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري بقوله[1]:

تعالتْ الذكواتُ البيضُ من نجفٍ ... عالٍ كما ازدهتِ الألواحُ بالأُطُرِ

وبما أن الذكوات البيض بمسمياتها قد ارتبطت بخطط مدينة النجف الأشرف وتاريخها العريق، فيمكننا الإشارة إليها على النحو الآتي:

أولاً: جبل الديك

يقع جبل الديك شمال المرقد الشريف، ويُنسب إلى رجل يُعرف بالديك. وكانت في مدينة النجف الأشرف أسرة قد عُرفت بالديك أيضاً وربما كان هذا الرجل ينتسب إليها. وقد سميت إحدى محال طرف المشراق باسمه وهي التي تقع شمال مسجد الشيخ الطوسي (رحمه الله).

لقد أُطلق على (محلة الديك) فيما بعد اسم (محلة عجرم) كما في الصك المؤرخ بسنة ١١٦٢هـ[2]. ويُعتقَد أن جبل الديك هو إحدى الذكوات البيض، إذ يبلغ ارتفاعه عن الأرض أربعة وستين متراً[3].

---

(١) الجواهري: الديوان ٥/٣١٧.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٤.

(٣) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٣٧.

ثانياً : جبل شرفشاه

يطلق النجفيون على هذا الجبل لفظ (شريشفان) تصحيفاً من اسمه الحقيقي (شرفشاه). ويقع هذا الجبل في جنوب المرقد الشريف من جهة الغرب، وهو إحدى محال طرف العمارة سابقاً. ونسب هذا الجبل إلى السيد شرفشاه عِزّ الدين محمد الحسيني الأفطسي النيسابوري المعروف بزبارة وبقي هذا الاسم إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، فحَلَّ طرف العمارة محله.

ويبلغ ارتفاع جبل شرفشاه عن الأرض ستين متراً[1]، وهو يقارب في الارتفاع جبل الديك، ويُعتقَد أنه أيضاً إحدى الذكوات البيض. وكان أهالي النجف قد أطلقوا على سكان هذا الجبل اسم (أهل الجبل) كما أشار إلى ذلك الشيخ محسن بن الشيخ أحمد الدجيلي النجفي بقوله[2]:

فــإنْ أتيــتَ مَحفــلاً   علــى الوفــا قــد اشتمَــلْ
فــاحبسْ ونــادي مُعلنــاً   إخوانَنــا أهــلَ الجبــلْ

وقد أُزيلَ جبل (شرفشاه) عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م عند تنفيذ مشروع مدينة الزائرين.

ثالثاً : جبل النور

يقع جبل النور في طرف البراق جنوب المرقد الشريف، وعليه مسجد الشيخ الطريحي[3]. وكان المحقق الكركي (ت٩٤٠هـ) يُقيم الصَلاة جماعةً على هذا الجبل حتى نسب إليه، وأقامها بعده الشيخ فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ) حتى عُرف المسجد

---

(١) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٤.

(٢) الخاقاني : شعراء الغري ٧/ ٢٣٨.

(٣) محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٥.

اليوم باسمه[1]. ويقع بالقرب من (جبل النور) تل الجمّالة، والجمالة هي إحدى الأسر النجفية العريقة في طرف البراق، ويُسمى أيضاً (جبل الجمّالة).

رابعاً: الدكادك

أشارت بعض المصادر إلى لفظ (دكادك الميل) في النجف، وهو الموضع الذي دُفن فيه الإمام علي عليه السلام، وصلى فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام[2]. ومن المحتمل أن الدكادك هي (الذكوات البيض) لأن الدكة هي ما ارتفع من الأرض. ويعتقد البعض أن الذكوات تصحيف الدكوات[3]. وذكرَ ابن سيده: أن الدكاوات روابٍ من طين ليست بالغِلاظ[4]. وقد ورد ذِكرها في الشعر العربي، كرثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك بقوله[5]:

فقالَ أتبكيهِ لقبرٍ رأيتَه ... ومن قد ثوى بينَ اللوى فالدكادكِ

كما أشار إليها أبو العلاء المعري بقوله:

ولا مُبقٍ إذا يسعى صدوعاً ... غوائر في الدكادكِ والأكامِ

وذكرت المصادر أن صفوان بن مهران رحمه الله قصدَ مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ومكث عشرين سنة يصلي عنده حيث (دكادك الميل). وذهب العلاّمة المجلسي (ت١١١١هـ) إلى القول: لا يُبعد أن يكون الميل تصحيف الرمل[6]، إذ يصبح المصطلح (دكادك الرمل)، وهذا الرأي يقترب من لفظة (الأكمة) وهي مرتفع رملي ثوى تحته أمير المؤمنين عليه السلام، فيُروى أن هارون الرشيد (ت١٩٣هـ) خرج من الكوفة إلى أرض

---

(١) الطهراني: (المحقق الكركي) مجلة النشاط الثقافي النجفية، العدد الثاني، السنة الأولى ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م..

(٢) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٣٧

(٣) الشهرستاني: (حول تاريخ الخطيب البغدادي) مجلة الاعتدال، العدد الثالث، السنة الأولى ص١٢٣

(٤) ابن سيده: المخصص ١٠/٨٠.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٢/١٢٨.

(٦) المجلسي: المزار ص٨٦.

الغريين فرأى أكمة ولما عاد إلى الكوفة، سأل رجلاً من بني أسد عنها فقال الرجل: حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون إن هذه الأكمة هي قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلا أمِن. فنزل الرشيد عند موضع الأكمة ودعا بماء فتوضأ، وصلى عند ذلك الموضع، وجعل يدعو ويبكي ويتمرغ عليها بوجهه، وأمرَ أن تُبنى قبّة بأربعة أبواب[1].

وفي أرض النجف تقع مرتفعات لم يكن بُعدُها في التاريخ عميقاً، وقد تكونت هذه المرتفعات نتيجة التطور العمراني للمدينة والتطور الحضاري الذي لاحقها عبر تاريخها. وهذه المرتفعات هي:

أ- مُرتفع الطمَّة

يقع مرتفع الطمة في الجهة الجنوبية من المرقد الشريف، وفي طرف الحويش، ويُجاور جبل (شرفشاه)، ويبلغ ارتفاعه تسعة وخمسين متراً[2]. وأشار إليه الأستاذ الخليلي بقوله: إن التل المعروف بالطمة الواقع قرب المسجد الهندي يذكره المعمرون أنه مجموع من الأتربة التي نُقلت من الصحن الشريف عند بنائه وتعميره، وأُلقيت هنا حتى صارت تلاً وبقيت حيث هي وقد سميت بالطمّة[3]. وإذا أخذنا بسلامة هذا الرأي، فإننا نرى أن الطمة كانت في الأساس مرتَفَعاً يُشكّل امتداداً لجبل شرفشاه، وقد أُضيفت إليه أتربة الصحن الشريف فزادت من ارتفاعه. ويبدو أن هذا المرتفع كان فضاءاً حتى القرن الثالث عشر الهجري، إذ اتخذه الشيخ جعفر الكبير (ت ١٢٢٨هـ) دكة للقضاء يجلس للناس عصر كل يوم، ويبقى حتى حلول وقت صلاة المغرب، فيقوم لأداء فريضة الصلاة جماعةً في المسجد الهندي[4].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٥١، الديلمي: إرشاد القلوب ٢/٤٣٥.

(٢) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٣٧.

(٣) الخليلي: (الدراسة وتاريخها في النجف) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف٢/١٤٩.

(٤) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية/ ورقة ٥٣.

ب- مرتفعات المشراق

يقع مرتفع المشراق ـ أو جبل المشراق ـ شمال الفضوة المعروفة باسمه، وقد بنيت على هذا المرتفع دور تخترقها أزقّة تفضي إلى شارع الطوسي وتلتقي بجبل الديك. ومن المحتمل أن يكون (جبل المشراق) جزءاً من جبل الديك، الذي هو إحدى الذكوات البيض. وللمشراق جبل آخر يقع على مقربة من ميدان النجف الكبير، وهو يطل على وادي السلام. وكان الناس يقصدونه قبيل غروب الشمس فيجلسون بامتداد قوسه الضارب حول المقبرة الواسعة والمترامية الأطراف، ويستعرضون فيه النباتات البرية كالخباز والورود التي تنبت بين المقابر[1].

وأثناء الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م، كان النجفيون يقصدون جبل المشراق لمشاهدة النيران التي كان يضرمها الإنكليز في بيوت ومخازن ومزارع الثوار، وكأنها سلسلة من البراكين الثائرة التي لا تخمد نيرانها ولا تفتر[2].

وبعد اتساع الحركة الصناعية في مدينة النجف، أصبحت منطقة (الجبل) متخصصة بتصليح السيارات وتنتشر فيها المعامل الميكانيكية. وقد أُطلق على الشارع الرئيس اسم (شارع الإمام الحسين). ونتيجة للتطور العمراني في المنطقة، أُلحِقت منطقة الجبل بالميدان الذي أصبح اسمه (ساحة الإمام علي).

ج- مرتفع الحويش

أطلق النجفيون على مرتفع الحويش لفظ (جبل الحويش) و(المقلاب) وهو تل يقع في الباب الصغيرة من السور، ويشرف على مدينة النجف الأشرف من جهة الجنوب والجنوب الغربي، ويعود نشوء هذا المرتفع إلى تكدس الأتربة المستخرجة من حفر

---

(١) فراتي: على هامش الثورة ص١٠٦.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٥/ق٢/١٨٠.

السراديب[1]، أو من حفر الخندق المحاذي لسور النجف الأخير. وقد أشارت السياسية البريطانية (المس بيل) إلى مرتفع الحويش بقولها: (وهناك خارج السور مباشرةً أكوام ترابية جسيمة تكونت من التراب المستخرج من بين طبقات الأرض (السنون) عند حفر السراديب التي اشتهرت بها النجف)[2].

ويبلغ ارتفاع هذا التل أو الجبل حوالي سبعين متراً فوق مستوى البحر، واثني عشر متراً فوق مستوى سطح الأرض المجاورة، وخمسة وعشرين متراً فوق مستوى منخفض النجف[3]. وقد اتخذ النجفيون (مرتفع الحويش) حصناً دفاعياً عن مدينة النجف الأشرف ضد الإحتلال البريطاني عام ١٩١٨م. وقامت بلدية النجف في الخمسينات بتشجيره وتحويله إلى حديقة غنّاء، ولكنه أُهمل بعد ذلك وتحوّل إلى أرض جرداء ترابية.

د- مرتفَع الثلمة

أُطلق على مرتفع الثلمة لفظ (المتراب)، ويقع في طرف العمارة ويشرف على بحر النجف من جهة ويُلامس السور من جهة أخرى، ففي عام ١٩١٨م، قصف الإنكليز (مرتفع الثلمة) وقتلوا الكثير من السكان الآمنين.

وتحيط بمنطقة النجف تلال ومرتفعات يطلُّ بعضُها على (بحر النجف) وبعضها يقع في حوض البحر من جهة البادية، ويعود بعضها إلى أزمنة قديمة. وقد تمكن المنقبون والآثاريون من الكشف عن آثارٍ تعود لعصور ما قبل الإسلام وبعضها يلتقي مع عصر دولة المناذرة في الحيرة، وهذه المرتفعات هي:

---

(١) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٤٧.

(٢) المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب ص١٢٦.

(٣) الوردي: لمحات اجتماعية ٥/ق٢/٢٢٦، المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٤٧.

١- عريسات

يبلغ ارتفاع (تل عريسات) إلى نحو اثني عشر متراً، وهو عبارة عن مغاور منحوتة في الحجر[١] واعتقَدَ أحد الباحثين أن (عريسات) كان سجناً للنعمان بن المنذر. وقال آخرون إنه كان سجناً للملك البابلي بختنصر، وأشارت التنقيبات إلى أن المنطقة كانت مدفناً لأقوامٍ سحيقة، وأن أبوابها مغلقة بالأحجار الكبيرة لا يزحزح الواحدة منها إلا أربعة رجال، وهذه هي علامة القبور القديمة.

إن الوصول إلى هذه المغاور لا يتم إلا بواسطة السلالم[٢]. وذكرَ الأستاذ كاظم الدجيلي: أن هناك دهاليز غائرة كالمغاور يتجاوز عددها المائة، وهي واقفة في أعلى الجبل أو التل وأن أبوابها تتفاوت بالارتفاع، فأعلاها متر ونصف وأدناها ثمانون سنتيمتراً، ويتفاوت بُعدُ الأبواب الواحدة عن الأخرى بين المتر والمترين والثلاثة أمتار. وتتألف هذه المغاور من طبقتين: عليا وسُفلى ويفصل بينهما ارتفاع يبلغ أربعة أمتار، وتتفرع من المغاور طرق عديدة بمسافةٍ تتراوح بين المتر إلى عشرة أمتار[٣].

٢- أم سبعين

تقع مغارة (أم سبعين) بين تلال عريسات، ويزعم الناس أنها تتفرع إلى سبعين طريقاً في الداخل. وهذه المغارة عبارة عن دهليز يبلغ سُمكه دون قامة الإنسان بقليل، ويقل الارتفاع في الشمال الشرقي، وتتفرع الطرق كلما يبتعد الداخل إلى المغارة بمقدار خمسة أمتار أو عشرة أمتار يميناً ويساراً، وفي وسط هذه الطرق حفيرة تشبه البئر منحوتة نحتاً بسيطاً، وتتصل حافاتها بجوانب الطرق الأربع[٤].

---

(١) الدجيلي: (عريسات) بحث في مجلة لغة العرب٢/٥٤٥ السنة الثانية ١٣٣١هـ/١٩١٣م.

(٢) ن.م.: ٢/٥٤٨- ٥٤٩.

(٣) ن.م.: ٢/٥٤٥.

(٤) الدجيلي: (عريسات) مجلة لغة العرب ص٥٤٤ـ٥٤٦.

٣- أم الغرف

إن (أم الغرف) عبارة عن ثلاث مغاور تقع في أعلى جبل أو تل في جهة الشمال، وثمان باتجاه الجنوب، وأربع منها يوصَل إليها بطريق. ويبلغ عرض كل واحدة من هذه الأربع بين مترين إلى سبعة أمتار وسمكها ثلاثة أمتار. وعند سفح الجبل الذي فيه (أم الغرف) على بُعد خمسة عشر متراً عين ماء عذبة[1].

٤- أم فيس

تُعرف تلال (أم فيس) بأم الطربوش أيضاً، وتقع بين النجف والحيرة، وهي عبارة عن روابٍ في أعلاها تل ترابي قائم دائرة مجصصة الخارج توحي للناظر أنها طربوش[2].

٥- السطيح

يقع تل السطيح في الشمال الغربي من (عين السطيح) ويبلغ ارتفاعه سبعة أمتار ومحيطه مائة وستين متراً، وفي شماله على بُعد ستين متراً تل صغير أقل منه ارتفاعاً، ويُسمى أيضاً بتل السطيح[3].

---

١ ن.م. ص٥٤٢.

٢ إبراهيم حلمي: (طعيريزات أو أطلال طيزناباذ) مجلة لغة العرب ج٢/س٢/ص٥٤٣.

٣ الدجيلي: (عريسات) مجلة لغة العرب ج٢/س٢ ١٣٣١هـ- ١٩١٣م ص ٥٤٣.

سادساً: الخندق أو كري سعدة

يعني لفظ (الخندق) في كتب اللغة: الحفير الذي يحيط بسور المدينة[1]. ويتحدد عرضه بين مترين إلى ستة أمتار، وعمقه بين (٢٤ ـ ٣٦) متراً[2]. وتمتد عليه قناطر وجسور قد تكون في بعض الأحيان غير ثابتة. وذهب بعض الباحثين إلى أن لفظ (الخندق) فارسي الأصل وتعريبه (كندة)[3]. ولكن الخندق قد ورد لفظه في الشعر العربي كقول الشاعر:

فليأتِ ماسَدَةً تسنُّ سيوفها   بين المذادِ وبينَ جزعِ الخندقِ

وكان (خندق الكوفة) يشكل الحد الفاصل بين الكوفة ومنطقة (الظهر) التي تُعَد مدينة النجف الأشرف اليوم جزءاً منها. فالمنطقة الواقعة خلف الخندق باتجاه البادية تسمى طرف البر أو (طف البر) ومنه جاء لفظ (طف النجف)، وتتصل هذه المنطقة بالبادية عبر طريق الحج البري الذي كانت تسلكه القوافل بدءاً من الكوفة أو النجف إلى المدينة المنورة. وقد ورد لفظ الخندق في المصادر التاريخية والجغرافية بأسماء ثلاثة هي:

١. خندق سابور

٢. خندق الكوفة

٣. كري سعدة

وورد في الكثير من النصوص لفظ (الخندق) دون إضافة، ولكن إذا تتبّعنا الأحداث نجد أن المقصود به (خندق سابور) نسبةً إلى الملك الفارسي سابور ذي الأكتاف (٣٠٩- ٣٧٩م) الذي أمر بحفره.

---

(١) ادي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ص٥٧.

(٢) البستاني: دائرة المعارف ص١٧٩، ص١٨٠.

(٣) الجواليقي: المعرب ص١٧٩، ص١٨٠، المنذري: التكملة ٣٥٥/٥، فنسك: دائرة المعارف الإسلامية ٤٦٣/٨.

وقد اعتقدَ الأستاذ (جون بيترز) إن الذي حفره هو الملك البابلي نبوخذنصر بدءاً من مدينة هيت وانتهاءاً بالخليج العربي. وكان غرضه إحياء مساحات شاسعة من الأرض الموات[1]. ولكن الروايات المتواترة أشارت إلى أن الذي حفره هو سابور ذو الأكتاف وسُميَ باسمه.

وقد اختلف المؤرخون في أسباب حفره، فبعضهم من أرجع السبب إلى عامل سياسي، وهو خوف الملك سابور من أن تقتحم العرب عليه ملكه، وإلى ذلك أشار ياقوت الحموي بقوله: (خوفاً من شر العرب)[2]، ولذلك قام بحفر الخندق واضطهد العرب وقتل الكثير منهم ونزع أكتاف رؤسائهم، ولذلك لُقب بذي الأكتاف، كما أنه نفى جماعة إلى (بقه والعقير) وبنى مدينة (هفه) وأسكنها أيادا[3].

ويبدو أن سابوراً قد نفى بعض قبائل الحيرة، ومنها قبيلة أياد، إلى أقصى المناطق. فإن موضع (بقه) على فرسخين من مدينة هيت، كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة وبنى فيه حصناً[4]. وأما (العقير) فهي قرية تقع على شاطئ البحر بحذاء هجر وقيل باليمامة[5]. وأما مدينة (هفه) فإنها تقع في طرف السواد، وقد نقل إليها سابور ذو الأكتاف جماعة من أياد بعد أن قتل منهم الكثير لما عصوا عليه، وجعل من المدينة سجناً لهم ونهى الرعية من مخالطتهم وأمر أن لا تدخل العرب داخل الحصن، فمن دخل بغير إذنه قُتِل. وجعل سابور من مدينة (هفه) منفىً لكل من يسخط عليه وحتى من ملوك فارس[6].

---

(١) الجواليقي: المعرب ص١٧٩، ص١٨٠.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٢/٣٩٢.

(٣) الطبري: التاريخ٢/٦٠، ياقوت: معجم البلدان ٥/٤٠٨.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ١/٤٧٣.

(٥) ن.م.: ٤/١٣٨.

(٦) ن.م.: ٥/٤٠٨.

وذهب قدامة بن جعفر إلى القول: إن سابوراً حفر الخندق بين العرب والفرس وأقطع الأراضي من غير أن يُلزم الناس خراجاً لها[1]. ومما يؤيد حذر الفُرس من العرب، أن كسرى لما بلغه ظهور الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام في الجزيرة العربية وتلقّي الناس رسالته بالقبول، وضع على الخندق المراصد والصوامع المعززة بالحرس[2]. وهذا مما يؤكد أن الخندق حُفِرَ لأغراضٍ عسكرية وبُنيتْ عليه المناظر والجواسق والمسالح[3]. ولما ملكَ أنوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) زمام الحكم، أمر بتجديد سور مدينة النسر التي بناها سابور ذو الأكتاف، وجعلها مسلحة تحفظ ما يقرب من البادية[4].

وقد اختلفت المصادر في تحديد طول الخندق، فهو يبدأ من هيت في أعالي الفرات ثم يخترق البادية لينتهي عند الخليج قرب مصب بوبيان على بُعد عشرين ميلاً من شط العرب غرباً، ويعرج هذا الخندق بعد أن يمر من غرب الحبانية فجبل سعدة ثم وادي أبو فروج إلى الجنوب الشرقي باتجاه غدير المالح، ويسلك وادي الغضاوي ثم هور أبي دبس إلى بحر النجف ملازماً للضفة الغربية قرب الكوفة، ثم يقطع المسافة إلى هور الحمار حيث ينتهي بالقرب من جبل سنام[5]. وأشارت بعض المصادر إلى أن (كري سعدة) عبارة عن منخفض يمتد من أطراف كربلاء آتياً من الدليم ومارّاً بالكوفة ومتجهاً نحو الجنوب باتجاه الحيرة[6].

وحدد الجغرافي ياقوت الحموي هذا الخندق بقوله: (من هيت يشق طف البادية إلى

(١) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٣٦٩.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن١/٣٠٦- ٣٠٧.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٦، البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٤٨٤.

(٤) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص٩٠.

(٥) البراقي: تاريخ الكوفة ص٤٤٧، الجنابي: تخطيط الكوفة ص٤١.

(٦) جامعة الدول العربية: المعالم الأثرية في البلاد العربية ١/١٧٨.

كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر)[1]. وتكاد الآراء تتفق على بداية الخندق ونهايته، وبموجب ذلك أصبح طوله ما يقرب من تسعمائة كيلومتراً[2]. ولكن معالمه أخذت بالإختفاء سوى قطعة لا يتجاوز طولها عن بضع عشر كيلومتراً تبدأ من جنوبي النخيلة إلى غربي الكوفة في موازاة نهر الفرات، وتمتد شرقاً إلى قصر الخورنق وتنعطف بعد ذلك إلى الغرب فيتصل بالأراضي المنخفضة بين مدينة أبي صخير وبحر النجف[3].

وذهب بعضهم إلى أن المسافة الباقية من الخندق تبدأ على بُعد كيلومترين جنوب خان الحماد (ناحية الحيدرية)[4] حتى مدينة الحيرة، ولم تتجاوز هذه المسافة أكثر من خمسين كيلومتراً بعد أن كان يخترق (بريّة الكوفة)[5]، ويعود السبب في اختفاء معالم الخندق إلى زحف الكتل الترابية الناجمة من العواصف الهابّة من البادية، إذ أن عمقه لا يزيد عن خمسة أمتار في بعض الأماكن، وفي بعضها أقل من ذلك إلى أن يصل في مناطق معينة إلى مستوى الأرض المجاورة .وإن المنطقة التي يكون فيها الخندق أكثر وضوحاً هي المنطقة الفاصلة بين النجف والكوفة.

إن تسمية الخندق بكَري سعدة ربما جاءت من مروره بجبل سعدة، وإلى ذلك ذهبَ الأستاذ الأمريكي (جون بيترز) بقوله: إن تاجراً غنياً من تجار مدينة البصرة قد أحبَّ امرأة جميلة اسمها (سعدة) وهي من أهالي المنطقة الكائنة ما بين هيت وعانة. وكانت هذه المرأة تهوى ضفاف الأنهار المظللة بالأشجار، فاشترطت عليه حينما خطبها من أهلها أن تُنقلَ إلى البصرة عن طريق النهر الذي يمر بالأماكن التي يُجللها الظل. فما كان منه إلا أن يحفر لها هذا النهر ويغرس الأشجار على ضفافه[6]. ومن المؤكد أن هذه

---

(١) ياقوت: معجم البلدان٢/٣٩٢.

(٢) أحمد عادل كمال: القادسية ص٢١٩.

(٣) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١/مج٣/ص٨٤.

(٤) صالح مهدي عماش: من ذي قار إلى القادسية ص١٦٨

(٥) ياقوت: معجم البلدان٢/٣٩٤، البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٤٨٤، المنذري: التكملة٥/٣٥٥.

(٦) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ١/٢٤٤.

الحكاية خيالية وتنفي صحتها النصوص المتقدمة التي تروي أسباب حفر الخندق وهي كلها تصب في إطار العامل العسكري والسياسي، ولعل (جبل سعدة) هو الأقرب إلى تسمية الخندق باسمه وليس إلى الفتاة التي أُشيرَ إليها في النص المتقدم.

ويقي الخندق في متابعة الأحداث التاريخية في منطقة النجف. ففي العصر الراشدي وفي الفترة المحددة بين (١٢ـ١٥هـ) ورد ذِكر (خندق القادسية) إذ صَفَّ سعد بن أبي وقاص جندَه على حائط قديس وكان الخندق من ورائهم، وعند ذلك وقف المسلمون والفُرس بين الخندق والعتيق[١]. وبعد الانتهاء من المعركة بانتصار العرب المسلمين على الفُرس، دفن في الخندق ستة آلاف[٢]. ومن المحتمل أن (خندق القادسية) هذا يلتقي مع (خندق الكوفة) إذ أن امتداد الأخير واضح نحو مدينة الحيرة، ولعله يأخذ الإمتداد إلى القادسية.

وبعد تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، قام سعد بن أبي وقاص بكَري الخندق لكي يحافظ على أمن الكوفة ويكون الخندق كالسور المحيط بالمدينة[٣].

وقد حفره عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة أثناء حركة عبد الرحمن بن الأشعث في عهد عبد الملك بن مروان، وكان ابن سمرة أعوراً، فأنشد فيه حميد الأرقط قائلاً[٤]:

يا أعورَ العينِ فديتَ العورا

لا تحسبنَّ الخندقَ المحفورا

يردُّ عنكَ القدرَ المقدورا

---

(١) ابن خلدون: التاريخ ٢/٩٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٨٢.

(٣) الكوفي: نزهة الغري ص٦٠.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣٠٦- ٣٠٧

وجدد أبو جعفر المنصور حفر الخندق عام ١٤٥هـ، وفي رواية أخرى عام ١٥٥هـ[1]. وذكرَ البلاذري: أن المنصور أخذ أهل الكوفة بحفر الخندق وألزم كل فرد أربعين درهماً للنفقة عليه وذلك عقوبة لهم لميلهم للطالبيين وإرجافهم بالسلطة العباسية[2]. ومن المحتمل أن هذا حصل بعد حركة محمد وإبراهيم ابنَي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عام ١٤٥هـ.

وذكرَ المؤرخ الطبري: أنه في عام ١٥٥هـ حفرَ والي الكوفة عمرو بن زهير الضبي (خندق الكوفة) لما عزم أبو جعفر المنصور على بناء سور الكوفة. فأمر بقسمة خمسة دراهم على جميع الناس وذلك لضبط أعدادهم، ولما نجح في مهمته هذه، أمر بجبايتهم أربعين درهماً، ولما استوفى الأموال أنفقها في بناء السور. ووصف أحدُهم هذه العملية بقوله[3]:

يا لقومي ما رأينا — في أميرِ المؤمنينا

قسم الخمسةَ فينا — وجبانا الأربعينا

وقال المحدث يحيى بن معين: إن عبيد الله بن أياد بن لقيط كان من ثقات الناس، وعريف قومه، وقد صيّروا إليه حفر الخندق بالكوفة[4]. وقد حاول الدكتور كاظم الجنابي التفريق بين (خندق سابور) و(خندق الكوفة) بقوله: إن أبا جعفر المنصور قد حفر خندق الكوفة، وإن التنقيبات قد كشفت عن منخفض يمتد بموازاة كري سعدة، ويقترب من أبنية الكوفة الحديثة[5]. وعلى هذا الرأي الذي ذهب إليه الدكتور الجنابي، فإن كري سعدة هو خندق سابور ذي الأكتاف، وهو الذي يواجه أرض النجف اليوم،

---

(١) الأزدي: تاريخ الموصل ص٢٢٣، الطبري: التاريخ٨/٤٧، ابن الجوزي: المنتظم ٨/ورقة٨٢أ، ابن كثير: البداية والنهاية٩/١١٣، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص٨٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٧.

(٣) الأزدي: تاريخ الموصل ص٢٢٣، الطبري: التاريخ٨/٤٦- ٤٧.

(٤) يحيى بن معين: التاريخ ٢/ ٢٨١.

(٥) الجنابي: تخطيط الكوفة ص١٧٠.

وأن الذي يواجه أرض الكوفة هو خندق المنصور. ولكن يبدو لنا أن أبا جعفر المنصور قد أعاد حفر خندق سابور وكراه ومن ثم أجرى الماء فيه، وبقي يستخدم لهذا الغرض في العصور التالية. وقد أُريدَ استخدامه بعد ذلك للإرواء وذلك بشق جدول من نهر الفرات إلى الحيرة عبر الخندق[1].

وذكرَ الحاج عبد المحسن شلاش: أن المنطقة الواقعة في القسم الغربي من الحيرة وبحيرة النجف تستقي من كري سعدة، الذي يتصل بنهر العلقمي القديم والذي يقوم مقامه جدول الحسينية في كربلاء، وجدول بني حسن[2]. ولكن الذي يبدو لنا أن خندق الكوفة لم يستخدم للإرواء، وإنما كان التفكير يراود بعض المسؤولين بإيصال الماء من الفرات إلى الخندق ومنه إلى الحيرة ويكون مصبه في بحر النجف، وعند ذلك تروى الأراضي القاحلة ويتم إيصال الماء إلى النجف الأشرف وإنقاذها من العطش.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه، أنه في العصر المغولي الايلخاني حاول الصاحب علاء الدين جويني إيصال الماء إلى النجف عن طريق الخندق[3]. وحاول أمين الدولة إيصال الماء من منطقة (أبو فشيقة) إلى الخندق، وقد أقام قنطرة من الآجر عليه[4]. وفي عام ١١٣٢هـ، حاول الشاه عباس الصفوي حفر الخندق لإيصال الماء للنجف، وقد جددت الفكرة نفسها في عهد الملك فيصل الأول وذلك عام ١٩٢١م وقد رصدت الأموال لتنفيذ المشروع ولكنه لم يُنفَذ على الرغم من أهميته[5]. وهذه المشاريع المقترحة كلها تؤكد على عدم جريان الماء في الخندق، ولكن يغلب على الظن أن الخندق استخدم لدرء أخطار الفيضان وتخفيف المياه من نهر الفرات حماية للمدن الواقعة عليه من

---

(١) طه الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١/مج٣/ص٧٩.

(٢) شلاش: (فيصل العتبات المقدسة) مجلة الاعتدال، العدد٩/ السنة الأولى/ ص٤٦٨.

(٣) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ص٢١٠.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١٩٧/١.

(٥) شلاش: (فيصل والعتبات المقدسة) مجلة الاعتدال ص٤٦٨.

الغرق[1].

وكان (خندق الكوفة) قد ارتبط بتاريخ مدينتَي النجف والكوفة إذ أن (الثوية)، مقبرة الكوفيين الكبرى، تقع خلفه. وأن القرامطة قد نزلوا أرض النجف عام ٣١٥هـ بقيادة أبي طاهر الهجري وأعدّوا العُدة للهجوم على الكوفة، وقد استعدَّ يوسف بن أبي الساج لقتالهم حيث نزل (دير هند) بحضرة خندق الكوفة[2]. وذكرَ السيد عبد الكريم بن طاووس في أحداث القرن السابع الهجري: أن أيلغازي أمير الحلة أرسل سرية لمطاردة العرب، وقد وصلت هذه السرية إلى خندق الكوفة[3]. وبعد هذا التاريخ، كان الخندق يلازم الأحداث.

---

(١) الجنابي: تخطيط الكوفة ص٤١

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٦/٢٠٨.

(٣) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٢٥.

الفصل الثاني

النجف الأشرف في العصر الإسلامي

شهدت منطقة النجف في العصرين الراشدي والأموي أحداثاً تاريخية مهمّة. وشهدت مدينة النجف الأشرف، بعد تمصيرها في العصر العباسي، أحداثاً أُخرى وبقيتْ تلاحقها الأحداث في العصور المغولية والجلائرية والتركمانية والعثمانية والفارسية. وكان المرقد العلوي الشريف جزءاً من هذه الأحداث. وبما أن له مقاماً دينياً كبيراً، فقد أفردنا له دراسة مستقلة وكذلك الحال لتاريخ النجف الفكري والإجتماعي والاقتصادي والحضاري. ومن أجل إعطاء وحدة مستقلّة لكل حقبة زمنية مرّتْ بها مدينة النجف الأشرف، رأينا أن نوزّع الأحداث وفق الأزمنة الآتية:

أولاً : العهد الراشدي والأموي
(١١-١٣٢هـ)

كانت منطقة النجف، في الفترة الواقعة بين سقوط مملكة الحيرة وظهور الإسلام في الجزيرة العربية، مسرحاً للأحداث ومحوراً للصراع بين العرب والفُرس. واستمرت النجف تحتفظ بهذه الخاصية طيلة العصر الراشدي وقبيل أن يرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ثراها الطاهر وتتحول إلى مدينة عامرة. فالحكم العربي قد انتهى من الحيرة بعد وفاة النعمان بن المنذر (النعمان الأخير) في سجون فارس ومجيء إياس بن قبيصة حاكماً على مملكة الحيرة حتى عام ٦١٨م، ومن ثم هيمنة الفُرس على هذه المنطقة، إذ لم يكتفِ الفُرس بإسقاط مملكة الحيرة، بل بعثوا قوّة لملاحقة حلفاء المناذرة من بني شيبان وغيرهم.

فقد أرسل كسرى عدة فرق لهذا الغرض، فكانت الأولى بقيادة (الهامرز) الذي عسكر في منطقة (القطقطانة)، وهو موضع على طف الصحراء بين الكوفة والرهيمة وكان سجناً للنعمان بن المنذر[١]. وفرقة أخرى بقيادة (جلابزين) وقد عسكر في منطقة (بارق) وهو موضع يقع في السواد قريباً من الكوفة وقصور الحيرة المعروفة. وفرقة ثالثة بقيادة (قيس بن قيس ذي الجدين) وقد عسكر في موضع (سفوان). وفرقة رابعة بقيادة (إياس بن قبيصة) ومعه أياد، وقد عسكرَ في الحيرة[٢].

وقد حدد الفُرس منطقة ذي قار مكاناً رئيساً لحشودهم العسكرية. وكانت القوة الفارسية قد تألفت من الخيالة والمشاة المسندة بالفيلة. أما الجانب العربي، فكان مؤلفاً من قبيلة شيبان وبطونها وتساندها بعض الفصائل من بكر بن وائل. ويبدو أن القوة الفارسية

---

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١١٠٧/٣.

(٢) الطبري: التاريخ ٢٠٧/٢.

كانت كبيرة بالعُدّة والعدد بحيث كان طموحها تبديد القوة العربية وتدمير طاقتها العسكرية التي كانت تتحدى إمبراطورية الفُرس.

وأمام هذا الإعداد العسكري والتصميم الفارسي، قرر العرب خوض حربٍ ضروس مع الفُرس للدفاع عن وجودهم وبلادهم. فعقدوا اجتماعاً موسعاً ضم كلاً من: هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني (زعيم بكر) ويزيد بن مسهر الشيباني (زعيم بني شيبان) وحنظلة بن ثعلبة بن سيار (زعيم بني عجل) ويزيد بن حماد السكوني وقيس بن مسعود الشيبانيين[1].

وطلب حنظلة بن ثعلبة العجلي أن تنصب له قبة بوادي ذي قار وقال: (لن أفرَّ حتى تفرَّ هذه القبة)[2]، وقد أشَّرَ هذا الاجتماع صموداً رائعاً وتعبئةً كاملة عندما انتهى إلى قرار قَبَلي موحَّد هو مُنازلة الفُرس. وتقرر أن يكون هاني بن قبيصة في القلب، ويزيد بن مسهر الشيباني في الميمنة، وحنظلة بن ثعلبة العجلي في الميسرة، كما تقرر نصب كمين لمباغتة الفُرس وإحداث تخلخل في ترتيباتهم العسكرية، وأُعطيتْ قيادته ليزيد بن حمار السكوني[3]. وبعد قتال عنيف، وفي معركة حاسمة اندفع العرب نحو قلب الجيش الفارسي، فأحرزوا انتصاراً كبيراً وحاقت الهزيمة بالفُرس (في حَرِّ الظهيرة وفي يومٍ قائِظٍ)[4]. وعلى أثر ذلك، تتبع العرب المنهزمين من الفُرس، وعند ذلك التحقت قبيلة أياد، الموالية للفُرس، بالقبائل العربية بعد أن تظاهرت بالهزيمة. وأحاط العرب من كل جانب بالقطعات الفارسية وعلى أثرها سقط القائد الفارسي (جلابزين) قتيلاً.

ولأهمية موقعة ذي قار والتي عُدَّتْ من أيام العرب الخوالد، فقد أشار الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (هذا أول يومٍ انتصفتْ فيه العرب من

---

(١) الطبري: التاريخ ٢/٢٠٨- ٢٠٩.

(٢) ن.م.: ٢/٢٠٨- ٢٠٩.

(٣) ن.م.: ٢/٢٠٩- ٢١٠.

(٤) الطبري: التاريخ ٢/٢٠٩- ٢١٠.

العجم وبي نُصروا)[1]. وبقيت قبيلة شيبان تقارع الفُرس بعد هزيمتهم في (ذي قار) في محاولةٍ لطردهم من أرض العرب حتى بزوغ فجر الإسلام وإشراق نور الرسالة المحمدية. وكان المثنى بن حارثة الشيباني يصاول الفُرس ببسالة حتى وصلت أخباره إلى أبي بكر (رض) في المدينة. وكان المثنى قد شارك الجيش الإسلامي في القضاء على بعض المرتدين في القسم الشرقي من الجزيرة العربية، ثم واصل زحفه نحو جنوب العراق. وكان له أول لقاء عسكري مع الفُرس في منطقة (الخريبة) وهي مدينة البصرة القديمة عندما زحف نحو مينائها (الأبلة). وبذلك أنهى المثنى بن حارثة الوجود الفارسي في منطقة شط العرب المعروف باسم مصب دجلة العوراء مما جعله يمشّط المناطق الواقعة بين البصرة والحيرة. وقد استفاد المثنى من انضمام القبائل العربية إليه وبخاصة القبائل القاطنة بين مدينتَي البصرة والحيرة. ومما يُذكر أن مدينة الحيرة كانت مسوّرة ومحصّنة ومُعزَّزة بقوة فارسية كبيرة، فرأى المثنى بن حارثة التريّث بعض الوقت قبيل اقتحامها. وأمام هذه المهمة الشاقّة، قرر السفر إلى المدينة للتشاور مع أبي بكر (رض). ولما التقى بولاة الأُمور في المدينة، شرح لهم أوضاع العراق وقال لأبي بكر: (يا خليفة رسول الله، استعملني على مَن أسلم من قومي أُقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس)[2]. فاستجاب الخليفة لطلبه وأصدر أمراً بتعيينه قائداً للقوات العسكرية في العراق، ووعده بإمدادات لاحقة.

ويبدو أن المثنى لقي بعض المضايقات القتالية من قِبَل الفُرس، فاضطر إلى إرسال أخيه مسعود إلى المدينة لطلب النجدة. وعلى أثرها أوعز الخليفة لخالد بن الوليد بالتحرك نحو العراق من منطقة البحرين. ولما توجه خالد لجبهة القتال، التحق به عياض بن غنم بعد إخضاعه (دومة الجندل)، وعند ذلك أصبح المثنى بن حارثة الشيباني تحت إمرة خالد بن الوليد.

---

(١) المصدر السابق، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/١٩٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٤٢.

وبعد سقوط دومة الجندل بيد المسلمين، أصبحت الحيرة ومنطقة النجف مفتوحةً أمام الجيش الإسلامي. وقد حددت المصادر (دومة الجندل) بالقرب من عين التمر، وكان بها الأكيدر بن عبد الملك[1]. وكان الوصول إلى مدينة الحيرة يتم عن أحد طريقين: أحدهما طريق نهر الفرات ومنه إلى النجف، وقد أشار المؤرخ الطبري إلى هذا الطريق المائي الذي سلكه خالد بن الوليد بقوله: إن سفنه مخرته عبر منطقة بحر النجف حتى وصلت السفن إلى (قصر الخورنق) الذي كان يشرف على النجف[2]. أما الطريق الثاني الذي سلكته الجيوش الإسلامية فكان من جهة البر، حيث قامت الخيالة السريعة بهجوم على منطقة (العتيق) جنوب القادسية وذلك للحفاظ على مواقع السدود والقناطر التي أراد الفُرس تدميرها في محاولةٍ لعرقلة تقدم الجيش الإسلامي. وقد أشار الفقيه أبو يوسف إلى هذا الطريق بقوله: (فمضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن حصين لكسرى وفيه رجال من أهل فارس مقاتلة، فحاصرهم وافتتح الحصن، واستنزلهم ورئيسهم من أهل فارس يقال له (هزار مرد) فضرب عنقه[3].

ووصف أبو يوسف (حصن النجف) بأنه من أحصن الحصون وقد خربه خالد بن الوليد وأحرقه، وبعث طليعة منه إلى أهل (أليس)[4] وقد حدد ياقوت موقع (أليس) في أول أرض العراق من ناحية البادية[5]. ويبدو أن السيطرة على أرض النجف قد مهدت الطريق للجيش الإسلامي للهيمنة على منطقة البادية كلها. وكان أبو محجن الثقفي قد شهد موقعة (أليس) وأبلى فيها بلاءاً حسناً، فأنشد قائلاً[6]:

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢/١٨٨.

(٢) الطبري: التاريخ ٢/٦٨، ٣٥٩.

(٣) أبو يوسف: الخراج ص١٤٢.

(٤) أبو يوسف: الخراج ص١٤٢.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٤٨.

(٦) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٤٨.

وما رمتُ حتى خرَّقوا برماحهم ثيابي وجادت بالدماء الأباجلُ
وحتى رأيتُ مهرتي مُزبئرةً من النبلِ يُرمى نحرُها والشواكلُ
وما رحتُ، حتى كنتُ آخِرَ رائحٍ وضُرِّجَ حولي الصالحون الأماثلُ
مررتُ على الأنصارِ وسطَ رحالهم فقلتُ ألا هلْ منكمُ اليومَ قافلُ؟
وقرّبتُ روّاحاً وكوراً وغرقةً وغودرَ في (واليس) بكرٌ ووائِلُ

وقد حدد المؤرخ ابن الأثير معسكر خالد بن الوليد من أرض النجف بقوله: إن خالد سار من (امغيشيا) إلى الحيرة وحمل الرجال والأثقال في السفن، فخرج مرزبان الحيرة وهو (الازاذبة) فعسكرَ عند الغريين[1]. أما المؤرخ الطبري فقال: (عسكرَ بين الغريين والقصر الأبيض)[2]، ويبدو أن خالد بن الوليد قد استخدم في وصوله إلى النجف طريق الماء (بواسطة بحر النجف) وطريق البر. وقد جاء احتلال (امغيشيا) بعد (اليس) لأن الأخيرة كانت من مسالحها، وقد أصاب المسلمون في اليس ما لم يُصيبوا مثله من قبل، فأنشد أبو مغزر الأسود بن قطبة قائلاً[3]:

لقينا يومَ أُليسٍ وأمغي ويومَ المَقْرِ آسادَ النهارِ
فلم أرَ مثلَها فضلات حربٍ أشدّ على الجحاجحةِ الكبارِ
قتلنا منهمُ سبعينَ ألفاً بقيّة حربهم نُحب الأسارِ
سوى من ليسَ يُحصى من قتيلٍ ومن قد غالَ جُولان الغبارِ

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٣٦٠.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/٣٦٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٥٤.

ولما نزل خالد بن الوليد (القصر الأبيض)، وهو أحد قصور الحيرة في النجف، طلب من أهله إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو المنابذة، وقد اختاروا الأخيرة[1]. ونظرَ خالد بن الوليد إلى منطقة النجف الممتدة من (الغري) إلى (القصر الأبيض) فوجدها ذات أهمية استراتيجية كبيرة، فصمم على البقاء فيها واتخاذها معسكراً لجيشه، ومنها قرر التقدم نحو مدينة الحيرة.

وكان ابن القائد الفارسي (الأزاذبة) قد قام بإجراء عسكري في سبيل عرقلة عمليات الجيش الإسلامي وذلك بقطع الماء عن بحر النجف، مما جعل السفن تجثو على الأرض. فما كان من خالد بن الوليد إلا مجابهته، وعلى أثر ذلك قُتِل وانهزم أصحابُه. وكان خالد كلما تقدم نحو الفُرس في معركة يعود إلى (الغريين) لتنظيم جنده، وإزاء هذه الإجراءات تحصّن أهل الحيرة في قصورهم، ولكن المسلمين تقدموا نحوهم حتى حاصروهم في هذه القصور[2] فذكر الحميري قائلاً: (وبالنجف نزل خالد بن الوليد في سلطان أبي بكر (رض)، بعد أن فتح الله اليمامة وقتل كذّابها، يريد الحيرة. فتحصن أهلها في القصر الأبيض)[3].

وأثبتَ ياقوت الحموي في مادة (الجرعة) أن خالد بن الوليد لما قدم العراق نزل بالجرعة بين النجفة والحيرة[4]. وقد أوضح العميد طه الهاشمي هذا النص بقوله: إن النجفة الواردة في هذه الروايات هي (النجف) أي الأرض المرتفعة التي بنيت فيها الحيرة[5]. ولما استقر رأي خالد بن الوليد على تحرير الحيرة، وزّع قادة جيشه لاحتلال القصور الواقعة بين النجف والحيرة. فقد استطاع ضرار بن الأزور محاصرة القصر الأبيض وكان فيه إياس بن قبيصة الطائي، واستطاع ضرار بن الخطاب محاصرة قصر

---

(١) الطبري: التاريخ ٣/٣٦٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٩٠.

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٥٧٥.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٢/١٢٨.

(٥) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق)، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الثالث، ١٩٥٤

العدسيين[1]. وقد وهم المؤرخ ابن الأثير حينما قال: (قصر الغريين)[2] لأن المصادر لم تُشر إلى (قصر الغريين) في منطقة النجف وإنما الغريّان هما قبران لنديمَي النعمان بن المنذر، كما أنه ليس من المنطق أن خالد بن الوليد يحاصر الغريين اللذين هما المعقل الحصين للجيش الإسلامي ومنهما كان التحرك العسكري نحو القصور الواقعة بين النجف والحيرة في محاولة إسقاطها، وكان في قصر (العدسيين) عدي بن عدي[3]. وقد استطاع ضرار بن مقرن المزني محاصرة قصر بني مازن وفيه ابن آكال، واستطاع المثنى بن حارثة الشيباني محاصرة قصر ابن بقيلة وكان فيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة[4]. وذكرَ الجاحظ: أن خالد بن الوليد قال لأهل الحيرة: أخرِجوا إليَّ رجلاً من عقلائكم اسأله عن بعض الأمور، فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني، وهو الذي بنى هذا القصر[5]. وبعد حوار بينه وبين خالد بن الوليد، قال له خالد: فما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك[6].

وقد افترقت المصادر إلى رأيين حول دخول خالد بن الوليد مدينة الحيرة، فالرأي الأول يقول: كان عن طريق الصلح حيث أن عبد المسيح بن عمرو قد صالح خالد بن الوليد على الحيرة[7]. أما الرأي الثاني فيقول: كان دخول الحيرة عن طريق الحرب. فذكرَ الطبري أن العرب المسلمين دعوا أهل الحيرة وأجّلوهم يوماً وليلة، فلما أبوا اضطروا إلى قتالهم وتمكنوا من افتتاح دورهم وأديرتهم[8].

---

(١) الطبري: التاريخ٣/٣٦٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ٢/٣٩٠.

(٣) الحكيم: (مصطلح الغري وأطواره التاريخية) مجلة كلية الفقه/العدد الأول / السنة الأولى/ص٤٠٦.

(٤) الطبري: التاريخ٣/٣٦٠.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/١٤٧.

(٦) الحميري: الروض المعطار ص٥٧٥، ٢٠٩.

(٧) ابن دريد: الاشتقاق ص٤٨٥.

(٨) الطبري: التاريخ ٣/٣٦٠.

ويبدو أن الرأي الأخير أقرب إلى الصحة بدلالة أبيات القعقاع بن عمرو التي ذكرَ فيها (أيام الحيرة) وهزيمة الفُرس في منطقة النجف وما تكبدوه من خسائر فادحة بقوله[1]:

سقى الله قتلى، بالفراتِ مُقيمةً	وأخرى بأثباج النجافِ الكوانفِ
فنحنُ وطِئنا بالكواظِمِ، هرمزاً	وبالثني قرني قارنٍ بالجوارفِ
ويومَ أحطنا بالقصورِ تتابعتْ	على الحيرةِ الروحاءِ إحدى المصارفِ
حططناهمُ منها وقد كانَ عرشُهم	يميلُ بهم فعل الجبان المخالفِ
رمينا عليهم بالقتول، وقد رأوا	غبوقَ المنايا حول تلكَ المحارفِ
صبيحةَ قالوا: نحنُ قومٌ تنزّلوا	إلى الريفِ من أرضِ العريبِ المقانفِ

وذكرَ ياقوت الحموي: أن موقعة (مقر) التي وقعت بالقرب من (فرات بادقلة) من ناحية البر من جهة البحيرة قد انتصر فيها خالد بن الوليد، وفيها أنشد عاصم بن عمرو قائلاً[2]:

ألم ترَنا غداةَ المقرِ فِئنا	بأنهارٍ وساكنها جهارا
قتلناهم بها ثم انكفأنا	إلى فمِّ الفراتِ، بما استجارا
لقينا من بني الأحرارِ فيها	فوارسَ، ما يُريدون الفرارا

وبعد أن أكمل خالد بن الوليد تحرير الحيرة، تقدم إلى الحاميات الصغيرة الواقعة في المنطقة المحصورة بين (الحيرة والكوفة والنجف) وهي: قس الناطف وباروسما وبانقيا. فكتب لساكنيها عهداً جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه، إني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد ببانقيا وباروسما على عشرة

---

(١) ن.م. : ٣٦٥/٣، ابن كثير: البداية والنهاية٦/٣٤٨.

(٢) الطبري: التاريخ٣/٣٦٥، ياقوت: معجم البلدان٥/١٧٤- ١٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية ٦/٣٤٨

آلاف دينار سوى الخرزة (ويقصد بها خرزة كسرى)، القوي على قدر قوّته والمقل على قدر إقلاله في كل سنة، وإنك إنْ نقبت (أي أصبحت نقيباً) على قومك، فرضوا بك وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت ورضي قومك، فلكَ الذمة والمَنعة، فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم)[1].

وإن (بانقيا) التي أشار إليها هذا النص هي (أرض النجف دون الكوفة)[2] وكان الصلح بين المسلمين وأهل بانقيا على ألف درهم وطيلسان في السنة[3]. ولكن المؤرخ اليعقوبي ذكر أن بانقيا افتتحت عنوة وأن خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني قد دخلا بانقيا وسبيا من فيها[4].

ولكن الأرجح أنها خضعت للمسلمين بدون قتال، وكتب خالد بن الوليد لأهلها عهداً شهد عليه كل من: هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله، وبشير بن عبيد الله بن الخصاصية، وحنظلة بن الربيع وذلك عام ١٢هـ[5] ومن المحتمل أن هناك عمليات عسكرية لم تكن كبيرة بين المسلمين وأهل (بانقيا وباروسما) ومن ثم عُقد الصلح بين الطرفين.

فذكرَ البلاذري أن خالداً بعث بشير بن سعد الأنصاري إلى (بانقيا) فلقيته خيل الأعاجم عليها (فرخبنداذ) فرشقوا من معه بالسهام، وحمل عليهم فهزمهم وقتل فرخبنداذ. وذكرَ البلاذري نصاً آخر جاء فيه: أن خالداً لقي (فرخبنداذ) بنفسه ومعه بشير الأنصاري ثم بعث خالد جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل (بانقيا) فخرج إليه

---

(١) الطبري: التاريخ ٣/٣٦٨.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ١/٢٢٣، ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣١، الحميري: الروض المعطار ص٧٦، المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠/٢٢٧.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٤٦، قدامة بن جعفر: الخراج ص٣٥٦.

(٤) اليعقوبي: التاريخ ١/١٢٠.

(٥) الطبري: التاريخ٣/٣٦٨- ٣٦٩، ياقوت: معجم البلدان ١/٣٣٢.

بصبهري بن صلوبيا فاعتذر إليه من القتال وعرض عليه الصلح فصالحه جرير على ألف درهم وطيلسان[1]. وقد أشار ضرار بن الأزور الأسدي إلى (بانقيا) بقوله[2]:

أرقتُ ببانقيا ومن يلقَ مثلما لقيتُ ببانقيا من الجرحِ يأرقِ

وبعد أن أتمَّ المسلمون تحرير (منطقة النجف) والقصور الواقعة بينها وبين الحيرة، توجه خالد بن الوليد إلى الأنبار ومنها إلى بلاد الشام، وأُعطيت قيادة العراق للمثنى بن حارثة الشيباني.

ولكن الفُرس استغلوا رحيل خالد من العراق، فانتفضوا ضد القوة العسكرية الإسلامية وأعادوا احتلال المناطق التي خسروها وذلك عام ١٣هـ. وقد أحدثوا تغييراً في قيادتهم العسكرية، فأُسندت القيادة إلى (هرمز جاذويه) الأمر الذي جعل المثنى في خطر محقق لأنه، في نظر الفُرس، العدو الأول والمحرض البارز على قتالهم. وقد تلقّى تهديداً ووعيداً من كسرى جاء فيه: (إني قد بعثتُ إليك جنداً من وحوش أهل فارس - أي من أراذل الناس - إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولستُ أُقاتلك إلا بهم)[3]. وقد أجابه المثنى قائلاً: (من المثنى إلى شهربراز، إنما أنت أحد رجلين: إما باغٍ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس هم الملوك. وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير)[4].

وإزاء هذا الموقف العسكري الخطير بين المسلمين المؤمنين والفرس الكافرين، أُصدرت الأوامر لأبي عبيد الثقفي بالتوجه نحو العراق واستلام زمام قيادة العمليات العسكرية، وأن يكون المثنى بن حارثة الشيباني مساعداً له. وسار أبو عبيد الثقفي إلى

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٤٥- ص٢٤٦.

(٢) ن.م.: ص٢٤٧.

(٣) الطبري: التاريخ ٤١٢/٣.

(٤) المصدر نفسه.

العراق والتقى بالمثنى بن حارثة في موضع (خفان) جنوب غربي الحيرة، علماً أن خفان كانت منظرة للفُرس[1]. وقد أعدَّ القائد الفارسي (هرمز) جيشين كبيرين لقتال المسلمين، ووضع خطة عسكرية لتطويق مساحة كبيرة من الأرض، وأصدر أوامره للجيش الأول بالتقدم نحو الحيرة وللجيش الثاني بالتقدم نحو ذي قار.

ولمواجهة الخطة العسكرية الفارسية، صدرت الأوامر للمثنى بقيادة الخيّالة في موضع (النمارق)، الواقع بين الحيرة والقادسية، في محاولة لتفريق حشود الجيش الفارسي الأول الذي أعده (هرمز). وقد باشر المثنى هجوماً صاعقاً بكتائب الخيالة وأحرز انتصاراً كبيراً حيث أباد القسم الكبير من القطعات الفارسية. وإلى ذلك، أشار المؤرخ الطبري بقوله: (فهزم الله أهل فارس)[2].

وأُلقيَ القبض على القائد الفارسي (جابان)، وقد أنشد المثنى قائلاً[3]:

غلبنا على خفّانَ بيداً مشيحةً	إلى النخلاتِ السُمرِ فوقَ النمارقِ
وإنّا لنرجو أن تجولَ خيولنا	بشاطي فراتٍ، بالسيوفِ البوارقِ

وبعد انتصار المسلمين في موقعة (النمارق) تقدموا نحو الجيش الفارسي الثاني الذي لحق به المنهزمون من الفرس في يوم النمارق. وكان أبو عبيد الثقفي والمثنى بن حارثة الشيباني قد تقدما نحو (كسكر) التي عسكر فيها القائد الفارسي (نرسي).

وذكرَ ابن الأثير قائلاً: (لما بَلَغَ بوران ورستم بهزيمة جابان، بعثا الجالينوس إلى نرسي فلحقه قبل الحرب فعالجهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يُدعى السقاطية، فاقتتلوا في صحارى ملس قتالاً شديداً، ثم انهزمت فارس وهرب نرسي

---

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٨٦، ينظر ماسنيون: الرحلة ١/٣٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/٤٤٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٢٩٩.

وغلب المسلمون على عسكره وأرضه وجمعوا الغنائم)[1]. وذكرَ الطبري: أن نرسي تراجع نحو المدائن بعد أن غُلِبَ على عسكره وأرضه[2]. وأشار ياقوت الحموي إلى موضع (السقاطية) بقوله: (ناحية بكسكر من أرض واسط أوقع عندها أبو عبيد الثقفي بالنرسيان صاحب جيوش الفُرس فهزمه شر هزيمة)[3].

ومضى أبو عبيدة بعد انتصاره هذا إلى ملاحقة (الجالينوس) الذي نزل بباقسياثا من باروسما وهزمه، وغلب أبو عبيد على تلك البلاد[4]. وذكرَ ياقوت الحموي موضع (باقسياثا) بأنه من أعمال (باروسما) وقد أوقع عندها أبو عبيد الثقفي بالجالينوس صاحب جيش الفُرس فهزمه وذلك في سنة ١٤ للهجرة[5]. وقد أثارت انتصارات المسلمين مشاعر الخوف لدى الفُرس وتحسبهم من تزايد القوة العسكرية الإسلامية، فأعلنوا النفير العام ونشروا الراية الكبيرة المعروفة باسم (درفش كابيان)[6]. وكانت هذه الراية لا ترفع إلا في المعارك الكبيرة. وأعطيت القيادة إلى (بهمن جاذويه) وطُلِب منه التقدم نحو مدينة الحيرة وأُسنِدَ جيشُه بعدد من الفيلة.

فوقف الفُرس بحشودهم عند (قس الناطف)، أما المسلمون فقد وقفوا في قبالهم في موضع (المروحة). وكان الموقف يتحدد بعبور أحد الفريقين إلى الجانب الآخر لأن الجسر كان الحد الفاصل بينهما. وعند ذلك، عقد أبو عبيد الثقفي مجلساً عسكرياً ضم المثنى بن حارثة الشيباني وسليط بن قيس والمُعنّى بن حارثة ومسعود بن حارثة وبشير بن الخصاصية وعدي بن زيد الخيل الطائي[7]. وكان رأي أبي عبيد الثقفي العبور، ورأي

---

(١) ن.م.: ٣٠٠/٢.

(٢) الطبري: التاريخ ٤٥١/٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢٢٦/٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠١/٢.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٣٢٧/١.

(٦) الطبري: التاريخ ٤٥٤/٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠١/٢.

(٧) عماش: من ذي قار إلى القادسية ص١١٠.

المثنى غير ذلك. وقد حاول المثنى إقناع الثقفي بعدم العبور ولكنه لم يفلح في ذلك، فما كان منه ومن القادة إلا إطاعة أوامره. فعبروا الجسر من منطقة ضيقة، وقبيل أن يُتم المسلمون عملية العبور، فاجأهم الفُرس بهجوم عنيف ثم التحم الطرفان في معركة ضارية أشار إليها الطبري بقوله: (أسرعت السيوف في أهل فارس)[1]. وقُدّرت خسائرهم بستة آلاف قتيل، ولم يبق أمام الفرس إلا الهزيمة[2]. ولكن الفيلة التي كانت تتقدم الجيش الفارسي قد غيرت الموقف العسكري، فقد نظرت الخيول إلى الفيلة فرأت شيئاً منكراً لم تكن قد رأت مثله، فإذا حمل المسلمون على الجيش الفارسي لم تقدم عليه خيولهم وإذا حملت الفُرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرّقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشاب واشتد الأمر بالمسلمين[3]. هكذا وصف المؤرخ الطبري هذا الموقف، فلم يجد أبو عبيد الثقفي إلا التقدم نحو الفيلة والتصدي للفيل الأبيض الذي كان يتقدمها، كان ينادي: (احتوشوا الفيلة وقطعوا بطنها واقلبوا عنها أهلها)[4].

ولكن أبا عبيد لم يفلح في محاولته هذه إذ خبطه أحد الفيلة وقام عليه حتى أماته. ومن ثم تتابع سبعة مقاتلين من قبيلة ثقيف، كلٌ يأخذ اللواء فيقاتل به حتى يستشهد، وعند ذلك تسلمه المثنى بن حارثة الشيباني وانسحب به، فوجد المسلمون الجسر مقطوعاً، فأحدث ذلك هلعاً في صفوف المسلمين، فلم يجد المثنى بدا إلا إعادة ربط الجسر وإصلاحه. وأمر عروة بن مسعود بصد الفُرس عند رأس الجسر، ولما أتمَّ المثنى إصلاح الجسر نادى: (أيها الناس، أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا، فإنّا لن نُزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تفرّقوا أنفسكم)[5].

وذكرَ ابن الأثير أن الحميّة العربية أثارت أبا زبيد الطائي، وكان نصرانياً قدم الحيرة

---

(١) الطبري: التاريخ ٣/٤٥٤.

(٢) ن.م. : ٣/٤٥٥.

(٣) الطبري: التاريخ ٣/٤٥٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٠١.

(٤) الطبري: التاريخ ٣/٤٥٧.

(٥) المصدر نفسه.

لبعض أمره، فعزَّ عليه المخذال العرب وإنْ لم يكن مسلماً، فقاتل بجانب العرب المسلمين[1]. وبعد أن أتمَّ المثنى عملية الانسحاب العسكري من منطقة (الجسر)، أمر جنده بالتجمع في موضع (بانقيا) من أرض النجف وطلب من الخليفة عمر بن الخطاب النجدة بعد أن شرح له أبعاد المعركة في رسالة مفصّلة. وقد أصبح الموقف بعد معركة (الجسر) في غاية الخطورة، فالفُرس أرادوا المزيد من الإنتصار والمسلمون أرادوا الثأر لشهداء الجسر. وقد برزت في هذه المرحلة قدرة المثنى في تنظيم الجيش وإعداده من جديد وبخاصة بعد وصول النجدة العسكرية. وقد تألفت النجدة من الكتائب الآتية: كتيبة بجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البجلي، وكتيبة الأزد بقيادة عرفجة بن هرثمة البارقي، وكتيبة كنانة بقيادة غالب بن عبد الله، وكتيبة بني ضبّة بقيادة عصمة بن عبد الله الضبي[2].

وقد حدد المثنى مكان تجمع الكتائب في موضع (البويب)، وهو موضع مدينة الكوفة، فذكره ياقوت الحموي بالقول: إن البويب نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفُرس في أيام أبي بكر الصديق، وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه في الجوف العتيق، وكان مفيضاً للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوف تحصيناً، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السفن البحرية ترفأ إلى الجوف[3].

والتحديد المتقدم لنهر البويب يفيدنا أنه يأخذ ماءه من نهر الفرات ويصب في (بحر النجف). ولذلك أن الكتائب قد امتدت على طول هذا الطريق واتخذت من منطقة النجف طريقاً لأرض (البويب). وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الطبري بقوله: (سلك المثنى وسط السواد، فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة على النجف ومن

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ٢/٣٠٢.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/٤٦٠- ٤٦٤.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ١/٥١٢.

سلك معه طريقه، وطلع جرير على (الجوف) ومن سلك معه طريقه، فانتهوا إلى المثنى وهو على (البويب))[1].

فالمناطق التي وردت في هذا النص تشكل مساحة واسعة من أرض النجف، وقد أصبحت كلها ميداناً للقتال. أما موضع (البويب) فهو يلي الكوفة[2]. وقد أشارت بعض المصادر أن المثنى بن حارثة الشيباني قد عسكر عند (دير هند)[3] ولعله (دير هند الصغرى) الذي يقع بين النجف والكوفة مما يلي الخندق[4]. وهذا الموضع المعروف اليوم باسم (كري سعدة)، وذكرَ الجنرال البريطاني (جون باجوت كلوب): أن موضع البويب هو بين النجف والكوفة الحاليتين[5].

وكان الفُرس قد عسكروا بالجانب الآخر من نهر البويب بقيادة (مهران) وفي قبالهم عسكرَ المسلمون بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني. فكتب مهران إلى المثنى قائلاً: (إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم) فأجابه المثنى: اعبروا إلينا. فعبر مهران ونزل على شاطئ الفرات مما يلي (الملطاط). وعند ذلك وزّع المثنى القادة على أجنحة الجيش الإسلامي ووقف هو في القلب، ووقف بشر بن الخصاصية في الميمنة، ووقف بسر بن أبي رهم في الميسرة، ووقف المُعنّى بن حارثة على رأس الخيالة، ووقف مسعود بن حارثة على رأس المشاة، ووقف النسير بن ديسم في المقدمة، ووقف مذعور العجلي على رأس الدرء أو الاحتياط[6].

---

(١) الطبري: التاريخ ٤٦١/٣.

(٢) الطبري: التاريخ٣/٤٦١ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ٢/٣٠٣- ٣٠٤.

(٣) قدامة بن جعفر: الخراج ص٣٥٨.

(٤) الشابشتي: الديارات ص٢٤٤ ، البغدادي: مراصد الاطلاع ٢٧٩/٢.

(٥) جون باجوت كلوب: الفتوحات العربية الكبرى ص٢٥٤.

(٦) عماش: من ذي قار إلى القادسية ص١٢٠- ص١٢١.

وطلب المثنى من جنده الإفطار قبيل المعركة حيث أنها كانت في شهر رمضان من عام ١٣هـ، فقام خطيباً وقال: (إنكم صوام والصوم مرقة ومضعفة، وإني أرى من الرأي أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم)(١).

وأخذ يجوب بفرسه (الشَموس) فصائل الجند يأمرهم بالصبر والثبات بقوله: (إن الذي تسمعون فشل، فألزموا الصمت وائتمروا همساً)، ووقف على قادة الرايات يحرضهم على القتال ويأمرهم بأمره ويهزُّهم بأحسن ما فيهم بقوله: إني لأرجو أن لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم، واللهِ ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامّتكم، فيُجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم من نفسه في القول والفعل وخلط الناس في المحبوب والمكروه فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً.

ثم قال المثنى: (إني مُكبّرٌ ثلاثاً فتهيئوا، ثم احملوا في الرابعة)(٢). وقال المؤرخ الطبري: (فلما كبّر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعالجوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة، وركدت حربهم ملياً، فرأى المثنى خللاً في بعض صفوفه، فأرسل إليهم رجلاً وقال: إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم، فقالوا نعم واعتدلوا)(٣).

أما الفُرس فقد أعدّوا العُدة لقتال المسلمين(ثلاثة صفوف مع كل صف فيل)(٤)، وقد أرادوا بذلك تجديد تجربة موقعة (الجسر) التي استشهد فيها أبو عبيد الثقفي وجرح فيها المثنى بن حارثة الشيباني. وعند عبور الفُرس نهر الفرات، توقفوا عند (دير الأعور) وهو دير يقع بظاهر الكوفة. وعند التحام القتال، شدد الفُرس على بني عجل فألحقوا فيهم خسائر في محاولة لهزيمتهم وإضعاف المعنوية القتالية في فصائل الجيش الإسلامي الأخرى. ولكن المثنى أدركَ الغاية، وأراد اقتحام الفُرس من جهة القلب والقضاء على

---

(١) الطبري: التاريخ ٤٦١/٢.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٣٠٤/٢.

(٣) الطبري: التاريخ ٤٦٥/٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٣٠٤/٢.

قائدهم (مهران)، فذكرَ الطبري: (فحمل المثنى على مهران، فأزاله حتى دخل في ميمنته، ثم خالطوهم، واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم، لا المشركون ولا المسلمون)[1] وقد أوصى المثنى جنده بالمحافظة على مواضعهم عند الزحف على القائد الفارسي (مهران) بقوله: (إذا رأيتمونا أُصبنا فلا تدَعوا ما أنتم فيه، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، ألزموا مصافكم، واعنوا عمن يليكم)[2].

ووصفتْ المصادر التاريخية دور القلب في الجيش الإسلامي بالقول: (وأوجَعَ قلبُ المسلمين في قلب المشركين)[3] ، وكان بداية الهزيمة الفارسية. وشددت الميمنة والميسرة الإسلاميتين على نظيرتيها الفارسيتين حتى حاقت الهزيمة المنكرة بالمشركين الفُرس وتراجعتْ فلولُهم نحو الجسر. ولكن المثنى قد سبقهم إليه وأخذ طريقهم وأوقع فيهم قتلاً بشكل لا مثيل له في المعارك السابقة، وقد سُميتْ موقعة البويب بيوم الأعشار، لأن هناك مائة فارس من فرسان العرب، قتل كل واحد منهم عشرة من الفُرس في هذه الموقعة[4].

وأشار ابن الأثير إلى ذلك بالقول: إن خيول المسلمين قد أخذت الفُرس حتى قتلوهم وجعلوهم جثثاً وقُدّرتْ خسائرُهم بمائة ألف قتيل. أما المؤرخ الطبري، فقد وصف هذه الخسارة الفارسية بقوله: (وأفعموا جنبتَي البويب عِظاماً)[5]. وبلا شك، فإن موقعة (البويب) تُعد من المواقع المهمة والخطيرة في التاريخ العربي الإسلامي لأنها كانت تمثل بوّابة النصر المحقق إلى موقعة القادسية الفاصلة، وبقيتْ أحداثُها عالقة في وجدان وأذهان المقاتلين العرب المسلمين. فذكرها عرفجة بن هرثمة بالقول: (ورجوتُ

---

(١) الطبري: التاريخ٣/٤٦٦.

(٢) ن.م. ، ابن الأثير: الكامل ٢/٣٠٤.

(٣) ن.م.

(٤) الطبري: التاريخ٣/٤٦٨.

(٥) الطبري: التاريخ٣/٤٧٠.

أن يكون الله تعالى قد أذِنَ في غرقهم وسلّى عنا بها مصيبة الجسر)[1]. وفي هذا القول إشارة إلى أحداث موقعة (الجسر) وإغراق بعض المقاتلين المسلمين في نهر الفرات، وفي البويب دارت الدائرة، بنصرٍ من الله وتأييده، على الفُرس فابتلع الفرات جثثهم وحصدت السيوف رؤوسهم حتى تكومت الجثث عند الجسر.

وقد أدرك المثنى بن حارثة الشيباني أن الفُرس قد يُعاودوا الكرة على الجيش الإسلامي، لذلك اتخذ الاحتياطات العسكرية اللازمة فسيطر على أجزاء من الأرض السواد والقيام بغارات على الحاميات الفارسية. واتجه إلى (طف النجف) على مقربة من الصحراء مُبلغاً الخلافة بخطورة الموقف، فكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قائلاً: (أنْ تنحَّ إلى البر، وأدعُ مَنْ يليك وأقِمْ قريباً على حدودِ أرضِك وأرضِهِم حتى يأتيكَ أمري)[2].

وقد اختيرَ سعد بن أبي وقاص قائداً للمرحلة العسكرية القادمة، فتوجه نحو العراق على رأس أربعة آلاف مقاتل وتلاحقت به القبائل العربية حتى أنه لما وصل (القادسية) كان معه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل[3]. وقد التزم سعد بأوامر الخلافة عند تسلمه رسالة الخليفة التي جاء فيها: (إذا انتهيت إلى القادسية، والقادسية باب فارس في الجاهلية، وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الآصال، وهو منزل رغيب خصب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة، فتكون مسالحك على أنقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر، على حافات الحجر وحافات المدر، والجراع بينهما، ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسوك أنفضتهم، رموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدّهم وجدّهم، فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة، رجوت أن تُنصَروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا، وليست معهم

---

(١) ن.م. ٤٦٨/٣.

(٢) الطبري: التاريخ ٤٨٢/٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣١١/٢.

قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر في إدباركم، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجرة من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل، حتى يأتي الله بالفتح عليكم ويرد لكم الكرّة)[1].

وقد ورد في الرسالة المتقدمة لفظ (الجراع) ويعني الرملة التي لا تنبت شيئاً والجرعة موضع قرب الكوفة، ولما قدم خالد بن الوليد إلى العراق نزل بالجرعة بين النجف والحيرة[2]. ويبدو أن لهذا الموقع أهميته القتالية بدلالة رسالة المثنى بن حارثة الشيباني إلى سعد بن أبي وقاص قبيل وفاته والتي جاء فيها: (أن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم)[3].

ويُستفاد من طبيعة هذه الأرض أنها تقع بين الصحراء والريف، وقد تمتعت منطقة النجف بهذه الخاصية. ولذلك حاول كل من المسلمين والفُرس السيطرة عليها قبيل المعركة. وقد اختار القائد الفارسي (رستم بن الفرخزاد) منطقة ساباط لتجمع جنده البالغ عددهم مائة وعشرين ألف مقاتل[4]. وساباط موضع معروف بالمدائن وفيه حبس أبرويز، ملك الفُرس، النعمان بن المنذر[5]. ومن هذا الموضع، تقدم رستم نحو النجف وعسكر فيها. وإلى ذلك أشار الطبري بقوله: إن رستم لما تهيأ لقتال المسلمين، ركب ونادى في الناس بالرحيل مما يلي الفرات، بحيال أهل النجف، بحيال الخورنق إلى الغريين، ودعا بأهل الحيرة وواعدهم وهمَّ بهم[6]. وذكرَ ابن الجوزي: أن رستم قبيل موقعة القادسية قد نزل بالنجف[7]. وأشار الأستاذ أحمد عادل كمال إلى أهمية النجف

---

(١) الطبري: التاريخ ٢/٤٩١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٢/١٢٨.

(٣) الطبري: التاريخ ٢/٤٩٠.

(٤) عماش: من ذي قار إلى القادسية ص١٥٢.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٣/١٦٦.

(٦) الطبري: التاريخ ٣/٥٠٨.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم ٤/ ورقة١٦٨أ.

العسكرية في أيام القادسية بقوله: أن رستم توقف فترة أخرى وهو بالنجف، وجدد تعبئة قواته، بحيث جعل الجالينوس على المقدمة بين النجف والسيلحين[1].

وأشارت المصادر التاريخية إلى أن (منطقة النجف) بما فيها موضعي (الغريين) و(الخورنق) كانتا معسكراً للقطعات العسكرية الفارسية قبيل الإلتحام مع الجيوش الإسلامية المرابطة في القادسية. ويعود اختيار الفُرس لمنطقة النجف لأهميتها الإستراتيجية الخطيرة وإشرافها على الحيرة إشرافاً مباشراً، ولذلك جعلها القائد الفارسي (رستم) مقراً لقيادته وطلب من (الجالينوس) القيام بمهمة الاستطلاع. فخرج من النجف مع (الازاد مرد) في سرية تعدادها مائة فارس، حتى إذا وصلا إلى القادسية أصابا رجلاً من العرب دون قنطرتها. فاختطفاه وسلّماه إلى رستم في مقر قيادته في النجف[2].

وكان سعد بن أبي وقاص قد قام بدور الاستطلاع أيضاً في محاولة لإرسال بعض جنده إلى النجف لمعرفة أسرار الجيش الفارسي، فذكرَ ابن الأثير: (وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسيلحين فطافت في السواد)[3]. ولما حان وقت القتال، ارتحل رستم من النجف، فنزل منزل ذي الحاجب، كما ارتحل الجالينوس من الحيرة إلى موضع (طيزناباذ)[4]. وهذا الموضع يشرف على بحر النجف وفيه كروم وأشجار ونخيل وتخترقه أنهار من كل جانب تتفرع من نهر الفرات[5]. ويبعد موضع (طيزناباذ) عن النجف تسعة أميال، وإلى جانبه تقع مدينة الصنين[6].

---

(١) أحمد عادل كمال: القادسية ص٨٩.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/٥٠٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٦٠.

(٤) الطبري: التاريخ ٣/٥١٥.

(٥) المسعودي: مروج الذهب ٣/٣٥٥.

(٦) الشابشتي: الديارات(هامش) ص٢٣٣.

ويمكننا القول أن ميدان موقعة القادسية يمتد من النجف إلى الرحبة إلى العذيب، ويمكن تحديدها في مثلث واسع من الأرض أبعادُه (النجف والحيرة والبادية). وقد حددها الجنرال البريطاني (جون باجوت كلوب) بقوله: أن القادسية بين مدينتَي النجف وأبي صخير الحديثتين[1]. أما العقيد صالح مهدي عماش فحددها بالقول: بين المشخاب والحيرة وأبي صخير والنجف ومخفر خان الرحبة الكائن على مسافة ثلاثين كيلومتراً جنوب النجف[2]. أما المستشرق الألماني (بروكلمان) فقد حدد موقعة القادسية بالقول: إنها تقع في غربي النجف الحاضر، وعلى ثمانية عشر ميلاً ونصف من معسكر الجيش في الكوفة[3].

لقد التقت هذه الآراء في المسافة الممتدة من النجف إلى الحيرة ومنها إلى البادية، ولكن الرسالة التي بعثها سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب قد تضمنت تحديداً دقيقاً لموقعة القادسية من أرض النجف، حيث جاء فيها: (إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين. فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ يدعى الحضوض، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم)[4]. فقد وردت في هذه الرسالة مواضع تقع في منطقة النجف وهي: (الخندق، والبحر، والخورنق، والظهر).

أما العتيق والولجة فهما موضعان يقعان على طريق الحاج ولم يبعدا عن النجف بمسافة طويلة، وإلى ذلك أشار ياقوت الحموي قائلاً: إن الولجة موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية، وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض

---

(١) كلوب: الفتوحات العربية الكبرى ص٢٩٦.

(٢) عمّاش: من ذي قار إلى القادسية ص١٦٨.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ١/١١٥.

(٤) الطبري: التاريخ ٣/٤٩٢.

مياه الفرات[1]. وكان القائد زهرة بن الحوية قد نزل حيال قنطرة العتيق، في الوقت الذي نزل سعد بن أبي وقاص أرض (القديس). وقد وصف الشاعر ذلك بالقول[2]:

وحلّتْ بباب القادسيةِ ناقتي ... وسعدُ بنُ وقّاصٍ عليَّ أميرُ

تذكّرْ هداكَ اللهُ وقْعَ سيوفِنا ... ببابِ قديسٍ، والمُكرُّ ضريرُ

وقد أكدت أحداث موقعة القادسية أهمية منطقة النجف في سير العمليات العسكرية، فأشار الطبري إلى ذلك بأن بعض طلائع الجيش الإسلامي قد وصلت إلى النجف من قِبل الجوف[3]، أي من جهة بحر النجف وأن طليحة الأسدي قد دخل معسكر الفُرس في ليلة مقمرة، فتوسم فيه، فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه، ثم خرج حتى مرَّ بعسكر ذي الحاجب فهتك على رجل آخر بيته وحلَّ فرسه، ثم خرج حتى أتى الخرارة، وخرج الذي كان بالنجف، والذي كان في عسكر ذي الحاجب فأتبعه الذي كان في عسكر الجالينوس، فكان أولهم لحاقاً به الجالينوسي ثم الحاجبي ثم النجفي، فأصاب الأولين وأسر الآخر[4]. وأن لفظ (الخرارة) الوارد في النص هو موضع يقع قرب (السيلحون) من نواحي الكوفة[5].

وأعطى المؤرخ الطبري أهمية عسكرية لمنطقة النجف في أيام موقعة القادسية بقوله: (فلما دنا رستم ونزل النجف، بعث سعد الطلائع، وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس، فخرجت الطلائع بعد اختلاف، فلما أجمع ملأ الناس أن الطليعة من الواحد إلى العشرة، سمحوا. فأخرج سعد طليحة في خمسة، وعمرو بن معد يكرب في خمسة، وذلك صبيحةَ قَدم رستم الجالينوس وذا الحاجب، ولا يشعرون

(1) ياقوت: معجم البلدان ٣٨٣/٥.

(2) ن.م. ٣١٤/٤.

(3) الطبري: التاريخ ٥١١/٣.

(4) الطبري: التاريخ ٥١٢/٣.

(5) ياقوت: معجم البلدان ٣٥٠/٢.

بفصولهم من النجف، فلم يسيروا إلا فرسخاً وبعضاً آخر، حتى رأوا مسالحهم ومسرحهم على الطفوف قد ملؤها، فقال بعضهم: ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم، وهو يرى أن القوم بالنجف، فأخبروه الخبر، وقال بعضهم: ارجعوا لا ينذر بكم عدوكم)[1].

وفي رواية أخرى أوردها الطبري: أن سعد بن أبي وقاص قال لقيس بن هبيرة الأسدي: (أخرج يا عاقل فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحفو عليه حتى تأتي بعلم القوم فخرج وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة الأسدي، فلما حاذى القنطرة لم يَسِرْ إلا يسيراً حتى لحق فانتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالهم ترد عن عسكرهم، فإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب، فارتحل الجالينوس فنزل ذو الحاجب منزله، والجالينوس يريد طيزناباذ فنزل بها وقدم تلك الخيل)[2].

وبقيت منطقة النجف تحافظ على موقعها العسكري في منازلات المسلمين مع الفُرس في أيام القادسية الأخيرة. ففي (يوم أرماث) وهو أول أيام القادسية، خطب سعد بن أبي وقاص في جنده، وكتب لأصحاب الرايات بالاستعداد للقاء العدو، وفي هذا الوقت بعث القائد الفارسي (رستم) من النجف عيناً إلى الجيش الإسلامي في القادسية، فرأى الجند في صلاة وتعبّد[3].

ووصف الطبري تقارب الفرس من العرب بحيث كان صف المشركين على شفير (العتيق) وصفُ المسلمين مع حائط (القديس) وكان (الخندق) من ورائهم، وأن الطرفين قد أصبحا بذلك بين (الخندق والعتيق)[4]. ووردت في أيام القادسية مواضع لم تبتعد عن منطقة النجف كثيراً ومنها: الخندق والعتيق والخرارة. ففي (يوم أغواث) أخرج أبو محجن الثقفي فرس سعد بن أبي وقاص المعروفة بالبلقاء بعد أن أطلقت

---

(١) الطبري: التاريخ ٥١٣/٣.

(٢) ن.م. ٥١٤/٣- ٥١٥.

(٣) الطبري: التاريخ ٥٣٢/٣- ٥٣٣.

(٤) ن.م.: ٥٣٥/٣.

سراحه من السجن سلمى بنت خصفة زوجة سعد. وقد خرج أبو محجن من باب القصر الذي يلي الخندق[1] وأخذ موقعه العسكري من الميدان، عاد إلى القصر ودخل السجن ووضع القيد في رجله وأنشد قائلاً[2]:

لقد علِمَتْ ثقيفٌ غير فخرٍ	بأنّا نحنُ أكرمُهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغاتٍ	وأصبرُهم إذا كرهوا الوقوفا
وإنّا وفدهم في كلّ يومٍ	فإنْ عميوا، فسلْ بهِمُ عريفا
وليلةَ قادسٍ، لم يشعروا بي	ولم أشعرْ بمخرجيَ الزحوفا
فإنْ أُحبَسْ فذلكمُ جزائي	وإنْ أُترَكْ، أُذيقهمُ الحُتوفا

وكان (يوم عماس) حدّاً فاصلاً في أيام القادسية، إذ قُتل فيه القائد الفارسي الكبير (رستم) وقد صاح قاتله: (قتلتُ رستم وربِ الكعبة)[3]. وعند ذلك سقطت راية الفُرس المعروفة (درفش كابيان) على أرض القادسية، ومن ثم تولى (الجالينوس) قيادة الجيش الفارسي وانسحب به نحو نهر العتيق، ولكنه لم ينجُ من ملاحقة المسلمين له، فقتل هو الآخر.

ووصف ابن الأثير عملية قتل الجالينوس بقوله: (وخرج زهرة الحوية التميمي في أثرهم في ثلاثمائة فارس ثم أدركه الناس، فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم، فقتله زهرة وأخذ سلبه، وقُتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف)[4]. وعند ذلك توجه الفُرس صوب المدائن في ملاحقة شديدة[5] ثم قام المسلمون بدفن شهدائهم في

---

(١) ن.م. ٣/٥٤٨.

(٢) ن.م. ٣/٥٤٩، المسعودي: مروج الذهب ٢/٣٢٤- ٣٢٥.

(٣) ن.م. ٣/٥٦٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٣٦.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ٢/١٢.

(الخندق)[1] حيث قدّرهم المؤرخون بستة آلاف شهيد.

وكانت مدينة الكوفة قد خططت عام (١٧هـ) وبُنيَ مسجدها الكبير، وأثناء ولاية الصحابي عبد الله بن مسعود لمدينة الكوفة، بنى عمرو بن عتبة ومعضد بن يزيد العجلي مسجداً في منطقة (ظهر الكوفة) فاستنكر عبد الله بن مسعود عملهما وقال لهما: (جئت لأكسر مسجد الخبال)[2] ، ومعناه مسجد الفساد، ولعل ابن مسعود قد شكك في نوايا هذين الرجلين في بنائهما للمسجد الجديد، ويُحتمل أنه توجس خيفةً من ابتعاد الناس عن مسجد الكوفة، ومن المحتمل أيضاً أن المسجد المذكور قد بُنيَ في أرض النجف التي هي ظهر الكوفة، وهذا يقربنا إلى احتمال أنه أول مسجد يُبنى في أرض النجف في العهد الراشدي وقبيل خلافة الإمام علي عليه السلام. وفي عام ٣٦هـ ،أخذت منطقة النجف بُعداً حضارياً ودينياً بعد أن نزل الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة وأتخذها عاصمة للدولة الإسلامية وأخذ يجوب منطقة النجف من وقت لآخر.

فذكرَ عقبة بن علقمة بن أبي الجنوب: (اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة) وفي نص آخر (ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة) من الدهاقين بأربعين ألف درهم، وأشهدَ على شرائه)[3]. وكان عليه السلام إذا أراد الخِلوة بنفسه، يأتي إلى طرف (الغري)، وبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف، فإذا رجل قد أقبل من البرية راكباً على ناقة وقدامه جنازة. فحين رأى علياً عليه السلام قصده وسلم عليه فرد الإمام السلام وحيّاه وقال له: من أين؟ قال: من اليمن، قال: وما هذه الجنازة التي معك؟ قال: جنازة أبي لأدفنه في هذه الأرض، فقال له الإمام عليه السلام: لِمَ لا دفنته في أرضكم؟ قال: أوصى بذلك وقال: إنه يُدفن هناك رجل يدعي في شفاعته مثل ربيعة ومضر. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتعرف ذلك

---

(١) الطبري: التاريخ٣/٥٦٤ ، ابن الأثير: الكامل ٢/٣٣٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى.٦/٢٠٧

(٣) العلوي: كتاب فضل الكوفة، مجلة البلاغ، العدد٣/السنة٨/ص٣١ ، المجلسي: البحار ١٠٠/٢٣١ ، المزار ص٧٨

الرجل؟ قال: لا، قال الإمام: أنا واللهِ ذلك الرجل[1]. وكان عليه السلام معجباً بأرض النجف فإذا قصدها يقول: (ما أحسن منظرك وأطيب مقرك، اللهم اجعل قبري بها)[2]. وكان عليه السلام يقصد النجف مع خواص أصحابه إذا أراد الابتعاد عن الناس، وقد أشار إلى ذلك كميل بن زياد النخعي رضوان الله عليه بقوله: (كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد الكوفة، وقد صلينا عشاء الآخرة، فأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد فمشى حتى خرج إلى ظهر الكوفة، لا يكلمني بكلمة، فلما أصحر تنفس ثم قال: يا كميل أن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول: الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق) وأخذ أمير المؤمنين عليه السلام يوصيه بوصايا ويعظه بمواعظ تربوية وأخلاقية ودينية[3]. وكان عليه السلام كلما خرج إلى ظهر الكوفة أو ظهر الحيرة مع بعض أصحابه، يحدثهم عن حوادث سابقة أو لاحقة[4]. وقد أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في أُرجوزته إلى تجوال الإمام علي عليه السلام في أرض النجف بقوله[5]:

ويا لها من بقعةٍ كم قد خرجْ	لها الوصي في مضيقٍ وفرج
وقد سمعتُ إذ أتاها ليلا	فوق بعيرٍ مردفا لميلا
فقال: عرفنيَ يا ذا القدسِ	نفسي، فإني ما عرفتُ نفسي
فقسَّمَ النفسَ إلى أقسامِ	تخرجُ ذِكراها عنِ المقامِ
وقد سمعتُ إذ أتى رفيقه	لها وإذ يسألُ ما الحقيقه؟
فدافعَ الوصيُّ عنها برهةْ	ثم أزالَ عنهُ كلَّ شبهةْ

---

(1) المجلسي: المزار ص٩٧، النقدي: الغزوات والفضائل والمناقب ص١٩٨.

(2) المجلسي: البحار ١٠٠/٢٣٢، البراقي: اليتيمة الغروية/ ورقة ٥.

(3) الصدوق: إكمال الدين ١/٢٨٤-٢٨٥، المفيد: الأمالي ص١٣٢، الطوسي: الأمالي ١/١٩.

(4) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص١٤٥،٥٣٠، أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص١٣٠.

(5) السماوي: عنوان الشرف ص٧.

وقـد سمعـتُ مـا رواهُ الـبعضُ أنْ قـــد رآهُ تنتجيـــهِ الأرضُ
فقـالَ مـاذا قـالَ إنَّ صـدري إنْ ضـاقَ أودعـتُ الحفيرَ سـري
وقـد سمعـتُ إذ أتاهـا قاصِـدا وبـاتَ فيهـا راكعـاً وساجـدا

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى قدسية أرض النجف ومكانتها الدينية قبيل استشهاده بقوله: (إن أول بقعة عُبِدَ اللهُ عليها ظهر الكوفة لما أمر اللهُ الملائكةَ أن يسجدوا لآدم فسجدوا على ظهر الكوفة). وإلى هذا أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله: (أربع بقاع ضجّتْ إلى اللهِ يوم الطوفان: البيت المعمور فرفعه اللهُ إليه، والغري وكربلاء وطوس)[1].

وقد اختار بعض الصحابة الدفن في (ظهر الكوفة) قبل أن يُدفن فيها أمير المؤمنين عليه السلام، ومن هؤلاء الصحابي (خباب بن الأرت). فذكر محمد بن عمر قال: سمعتُ مَنْ يقول هو أولُ مَنْ قَبَرَهُ علي عليه السلام بالكوفة وصلى عليه بعد مُنصرَفه من صفين عام ٣٧هـ، وقد أوصى خباب بن الأرت أن يدفنه بظهر الكوفة، وفي رواية أخرى أن خباباً توفيَ عام ٣٩هـ بعد أن شهد موقعة صفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام.

وقد أورد أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام في صفين أبياتاً من الشعر ذكرَ فيها لفظ (النجف) منها[2]:

فمـا بالُنـا أمـس أُسْدُ العـرين ومـا بالُنـا اليـومَ شـاءُ النجـفْ
أيمنعُنـا القـومُ مـاءَ الفـرات وفينـا الـسيوفُ وفينـا الحجـفْ
وفينـا علـيٌّ لــه صولـةٌ إذا خوَّفـوهُ الـردى، لم يَخَـفْ
ونحـنُ الـذينَ غـداةَ الزبيـر وطلحـة خضنا غمـارَ التلـفْ

---

(١) المجلسي: المزار ص٧٩، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/١٢، البراقي: اليتيمة الغروية/ورقة٤.

(٢) البغدادي: خزانة الأدب ٣/١٨٢.

وأعطى البغدادي تفسيراً للبيت الأول بأن المقصود بأسد العرين وشاء النجف حالان: إما على تقدير (مثل) وإما على تأويلهما (بوصف) أي شجعاناً وضعافاً، وهذا ظاهر.

ويبدو أن منطقة النجف بقيت تحتفظ بالأديرة والكنائس وأماكن العبادة التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام وإلى زمن المناذرة ملوك الحيرة. ومما يؤيد ذلك أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد مرَّ بهذه المباني الدينية وكان معه ابن الكواء ونفر من أصحابه فسمعوا صوت ناقوس، فأخذ ابن الكواءِ يسأل والإمام عليه السلام يجيب عن المعاني الدينية لضربات الناقوس[1]. ومن المحتمل أن قدسية أرض النجف قد حملت الإمام عليه السلام على أن يوصي بأنْ يُدفن فيها لأنها أرض الأنبياء والصالحين وموطن العبادة والدين.

وقد جاء بوصيته عليه السلام (أن أخرجوني إلى الظهر، فإذا تصويت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنوني، فهو أول طور سيناء) وقال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: وقد فعلوا ذلك[2]. كما احتفظت منطقة النجف في عهد الإمام علي عليه السلام بخصائصها الطبيعية وما ينبت في (خد العذراء) من شقائق وزهور وورود، فذكرَ المحدث أبو راشد فقال: كنا في الكوفة في زمن الإمام علي عليه السلام والناس يرعون منايحهم بظهر الكوفة[3]، وذكرَ الجارود: أنه كان رجل من بني رياح يقال له سجيم بن أثيل قد نافر (المماحكة في الأحساب) غالباً أبا الفرزدق بظهر الكوفة على أن يعقر هذا من إبله مائة وهذا من إبله مائة إذا وردت الماء، فلما وردت قاموا إليها بالسيوف فجعلوا يضربون عراقيبها. فخرج الناس على الحميرات والبغال يريدون اللحم، فلما علِمَ

---

(١) البغدادي: خزانة الأدب ١٨٢/٣.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٩٤/١٠.

(٣) أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ٣٤٢/١.

الإمام علي عليه السلام، خرج من الكوفة على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ينادي: (أيها الناس، لا تأكلوا من لحومها، فإنما أُهِلَّ بها لغير الله)[1].

ويفيدنا هذا النص للدلالة على وجود مصادر مياه في منطقة النجف، ولعلها (عيون الطف) التي كانت منتشرة في حوض (بحر النجف) وعلى الطريق الموصل إلى الشام والحجاز، وقد سلكه الإمام علي عليه السلام لما أراد منازلة معاوية في صفين[2]. ولما أراد شريح القاضي أن يخرج من الكوفة إلى مكة، شيعه جماعة من النجف. وبعد السفرة، انصرف قوم ومضى معه قوم آخرون، فقال: أما أصحاب النجف فقد قضينا حقهم بالطعام، وأما أنتم فأغنيكم، ورفع عقيرته وقال[3]:

إذا زينبٌ زارها أهلُها	حشمتُ وأكرمتُ زوّارَها
وإنْ هيَ زارتْهُمُ زرتُها	وإنْ لم يكنْ لي هوى دارها

وأثناء مسير سويد بن غفلة إلى الحجاز أو الشام، لحقه رجل في منطقة (ظهر النجف) فطعنه بمخصره من خلفه، وذلك في عهد الإمام علي عليه السلام[4].

وفي فترة الحكم الأموي (٤١ - ١٣٢هـ) لم تبرز النجف إلى الوجود حاضرة معروفة، سوى أن العلويين والخواص من الشيعة كانوا يقصدون قبر أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن يومذاك بارزاً ومعروفاً، وكان في موضع الكتمان خوفاً من الأمويين والخوارج. ويبدو أن الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد ولايته بالكوفة حاول الوصول إلى القبر الشريف ولكن دون جدوى. وقد أشارت بعض المصادر أنه أمر بنبش ثلاثة آلاف من قبور النجف في محاولة لمعرفة قبر الإمام علي عليه السلام ولكنه لم يظفر به[5].

---

(١) النجاشي: الرجال ص١٢٠ ، الذهبي: تاريخ الإسلام٤/١٧٩.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص١٤٥.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار (قسم النساء) ص٩١.

(٤) الطبري: التاريخ ٦/١١٤.

(٥) الخوانساري: روضات الجنات٢/٥٤.

وإذا أخذنا بصحة هذا النص، فإن الحجاج قد نبش قبور (الثوية) التي كانت مقبرة الكوفة الكبرى والتي تقع خلف الخندق تحسباً من أن الإمام علياً قد دُفن في منطقة الثوية، ولم يدر بخلد أي أحد أن الإمام قد دفن بأرض الغري. ولذلك بقي القبر الشريف سراً خافياً طيلة العصر الأموي[1].

ولكن منطقة النجف قد شهدت خلال العصر الأموي أحداثاً كان ولاة الكوفة أطرافها ومسبباتها. ففي عهد الوالي المغيرة بن شعبة، حدثت بينه وبين ابن لسان الحمر (أحد بني تيم الله بن ثعلبة) مشادّة كلامية في أرض النجف وبحضور الهيثم بن التيهان النخعي[2]، وفي عام ٥١هـ، دفع زياد بن أبيه بحجر بن عدي وأصحابه إلى وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، فخرجوا عشية، فلما بلغوا (الغريين) لحقهم شريح بن هاني[3]. وكان عبيد الله بن زياد قد دخل مدينة الكوفة أثناء مسير الإمام الحسين عليه السلام نحو العراق (مما يلي النجف)[4]. ودخل أرض النجف أو (ظهر الكوفة) مصعب بن الزبير، أثناء حركته ضد الدولة الأموية، وكان معه الأحنف بن قيس، فقال: (اللهم اجعل قبري بها، ولا تُري أهلَ العراق ذلاً أبداً ولا عذراً)[5]. ويبدو أن وصول مصعب إلى هذه المنطقة كان أثناء صراعه مع المختار بن أبي عبيد الثقفي عام ٦٦هـ.

وكان ولاة الكوفة يقصدون منطقة النجف خلال العصر الأموي من أمثال المغيرة بن شعبة وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهم لأنها ضمن حدود ولاية الكوفة، وكثيراً ما تكون قاعدة للثوار، وفيها لقي الحجاج جماعة من الأعراب

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا٢/٣٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني١٤/١٤٣، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة١٢/٢٤٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٤٨٣.

(٤) ابن نما: مثير الأحزان ص١٩، الأمين العاملي: لواعج الأشجان ص٤٥، أعيان الشيعة٤ق١/١٩٨.

(٥) العلوي: فضل الكوفة، مجلة البلاغ، العدد٣/ السنة٣/ص٣٩.

وقد سألهم عن أوضاعهم الاقتصادية[1]. وفي عام ١١٩هـ، نزل بأرض النجف المغيرة بن سعيد[2].

وفي عام ١٢٠هـ، عزل هشام بن عبد الملك والي الكوفة خالد بن عبد الله القسري فكتب إلى طارق بن أبي زياد: أن يأخذ ابن النصرانية (ويقصد به خالد القسري) وعماله ويعذبهم حتى يشتفي، فأخذ دليلاً وسار من يومه واستخلف على اليمن ابن الصلت، فقدم الكوفة في جمادي الآخرة فنزل النجف وأرسل مولاه كيسان وقال: (انطلق فأتني بطارق، فإن أقبل فأحمله على أسجاف، فإن لم يقبل فأتِ به سخباً)[3].

وذكرَ الطبري: أن سالم زنبيل قال: لما صرنا إلى النجف، قال لي يوسف بن عمر: انطلق فأتني بطارق، فلم أستطع أن آتي عليه وقلت في نفسي مَنْ لي بطارق في سلطانه! ثم أتيت الكوفة[4]. ولما أراد هشام بن عبد الملك الحج مع عديله الأبرش الكلبي، وقف له حنين في منطقة (ظهر الكوفة) ومعه عوده وزامر له وعليه قلنسوة طويلة. فلما مرَّ به هشام، عرض له فقال مَنْ هذا؟ فقيلَ له حنين، فأمر به فحمل في محمل على جمل وعديله وزامره، وسيره أمامه وهو يتغنى:

أمن سلمى بظهرِ الكو	فةِ الآياتُ والطللُ
يلوحُ كما تلوحُ على	جفونِ الصيقلِ الخُلَلُ

فلم يزل هشام بن عبد الملك يستعيد الصوت حتى نزل من النجف، فأمر له بمائتي دينار وللزامر مائة[5]. ويبدو أنه واصل بعد ذلك مسيره لأداء فريضة الحج. وكان يطلق

(١) البكري: معجم ما استعجم ١١٨٤/٤، ابن نباتة المصري: سرح العيون ص١٨٢.

(٢) الطبري: التاريخ ١٢٩/٨، ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ورقة ٨٤ب.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٢٣/٥.

(٤) الطبري: التاريخ ١٥٠/٧.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٢١/٢ (طبعة بولاق).

على هذا المغني لفظ (الحيري النجفي العبادي)، وقد جمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي أخباره في كتاب سماه (أخبار حنين الحيري)[1].

وفي عهد يزيد بن الوليد المعروف بالناقص، أعلن عبد الله بن معاوية الطالبي عام ١٢٦هـ حركة ضد الدولة الأموية، وقد قاتله عبد الله بن عمر في (ظاهر الكوفة) مما يلي الحيرة[2]. وتعد هذه الحركة آخر حركة شهدتها منطقة النجف في العصر الأموي وهي قبيل سقوط الدولة الأموية ببضعة أعوام وبقيت النجف منطقة جغرافية تشهد الأحداث حتى بروزها كمدينة عامرة في العصر العباسي بعد بروز القبر الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٣٠٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٧٣/١١، مقاتل الطالبيين ص١٦٦.

ثانياً : العهد العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ)

أصبحت النجف في العصر العباسي الأول مدينة ذات خصائص دينية وفكرية. فقد برز للوجود المرقد العلوي الشريف، وأُسستْ المدرسة النجفية لتكون قاعدة للفقه والفكر الإمامي، وقد واكبت مدينة النجف الأشرف أحداث العصر العباسي. ففي عام ١٣٢هـ، عسكرَ أبو العباس السفاح في منطقة النجف ووفد عليه الناس يبايعونه في ظاهر الكوفة[1]. وفي عام ١٤٤هـ، مرَّ بأرض النجف آل الإمام الحسن عليه السلام وهم:

(عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعلي بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، وسليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن، وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً. فقال عبد الله بن الحسن لأهله: أما ترون هذه القرية؟ وأشار إلى النجف، مَنْ يمنعنا مِن هذا الطاغية)[2]، وهو يقصد به المنصور العباسي.

وهذا النص يلمح إلى وجود تجمع سكاني في أرض النجف في منتصف القرن الثاني للهجرة، إذْ وصف المنطقة بالقرية وذلك قبل أن يبرز المرقد الشريف إلى الوجود. وإلى هذه القرية أشار أبو العلا العرضي بقوله: (النجف قرية على باب الكوفة)[3]. ولكن يبدو أن هذه القرية لم تكن محيطة بالمرقد العلوي الطاهر وإنما تقع ضمن الرقعة الجغرافية لمنطقة النجف، ولعلها مطلّة على بحر النجف، فالقبر الشريف في عهود أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور ومحمد المهدي لم يكن ظاهراً أو بارزاً، ولكن منطقة النجف قد شهدت أحداثاً في عصور هؤلاء العباسيين.

ففي عام ١٤٥هـ، عسكرَ أبو جعفر المنصور بظاهر الكوفة عند إعلان محمد ذي

---

(١) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص١١٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٥٤٦/٧.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١٩/١.

النفس الزكية حركته[1]. وذكرت بعض المصادر أن ذا النفس الزكية قد قتل بظهر الكوفة[2] ولكن هذا وهم محقق لأن محمداً قد قتل في المدينة وأُرسِلَ رأسُه لأبي جعفر المنصور في بغداد بيد ابن أبي الكرام مع مائة من الجند أرسلهم عيسى بن موسى، وأثناء مرور الرأس بأرض النجف قال ابن أبي الكرام: فجئنا حتى إذا أشرفنا على النجف، كبّرنا، فقال أبو جعفر للربيع: ويحك ما هذا التكبير؟ قال: هذا ابن أبي الكرام جاء برأس محمد بن عبد الله[3].

وفي عام ١٥٥هـ، قُتل حماد أجرم في منطقة (ظهر الكوفة) بتهمة الزندقة على يد عامل البصرة محمد بن سليمان بن علي[4]. وفي عام ١٥٨هـ، أقام أبو جعفر المنصور أياماً في أرض النجف قبل مواصلته السفر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وكانت النجف المحطة الأخيرة لتوديع الحاج، وبقيت تحتفظ بهذا الموقع عبر تاريخها، ولما أراد عيسى بن موسى المتوفى عام ١٦٢هـ أداء فريضة الحج، شيعه الناس إلى النجف[5]. وفي عهد هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ) أصبحت النجف مدينة عند بروز القبر الشريف إلى الوجود عام ١٧٥هـ، بعد أن أمر ببناء قبة على المرقد لها أربعة أبواب. فقد ذكرَ عبد الله بن حازم: خرج الرشيد يوماً من مدينة الكوفة للصيد حتى صار إلى ناحية (الغريين) فشاهد أكمة في المنطقة، فسأل عنها، فقيل له: هذا قبر علي بن أبي طالب، فتوضأ وصلى عندها[6]. وقد أخذ الناس منذ ذلك الوقت يترددون على القبر الشريف للزيارة والدفن حوله[7] بحرية تامة. وسوف نفرد دراسة تفصيلية عند الحديث عن المرقد الحيدري

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٥٦٣.

(٢) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ٤/ق٢/ ١١٨٠، ابن عنبة: عمدة الطالب، ص١٥٠.

(٣) الطبري: التاريخ ٧/ ٦٠١.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٢١٣.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ورقة٩٩أ، ١١٦أ.

(٦) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٠١، النقدي: الغزوات والفضائل والمناقب ص٢٠٠.

(٧) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٤٧.

الشريف. ومنذ القرن الثالث الهجري، أخذت مدينة النجف الأشرف في البروز، وقد أشار إليها الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي بقوله[1]:

ما أن رأى الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... أنقى هواءً ولا أعذى من النجفِ

كأنَّ تربتَه مِسكٌ يفوحُ بهِ ... أو عنبرٌ دافه العطّارُ في صدفِ

يحوطُهُ الحُسْنُ من شتّى جوانبهِ ... فالبرُّ من طرَفٍ والبحرُ من طرفِ

وبينَ ذاكَ بساتينٌ، يسيحُ بها ... بهرٌ تجيشُ مجاري سيلهِ القصفِ

وما يزالُ نسيمٌ في إباحتهِ ... يأتيكَ منهُ بريّا روضهِ الأنِفِ

تلقاكَ منهُ قبيلَ الصبحِ رائحةٌ ... تشفي السقيمَ إذا أشفى على التلفِ

ما حلّ مُدنفٌ، يرجو الشفاءَ به ... إلاّ شفاهُ من الأسقامِ والدنَفِ

يؤتي الخليقةَ منهُ كلما طلعتْ ... شمسُ النهارِ، بأنواعٍ من التُحَفِ

والصيدُ منهُ قريبٌ، إنْ هممتَ بهِ ... يأتيكَ مؤتلِفاً في زيٍّ مُختلِفِ

فيالهُ منزلاً طابتْ مساكنهُ ... بخيرِ مَنْ حازَ بيتَ العِزِّ والشرفِ

وكان إسحاق الموصلي دقيقاً في وصف النجف وما تمتاز به من طبيعةٍ خلاّبة وموقع فريد ذي إطلالة على بحر النجف من جانب وعلى (خد العذراء) من جانب آخر. وقد أعطى هذا الموقع للمدينة مناخاً عليلاً مما جعلها مقصداً للخلفاء العباسيين.

وقد جمعت النجف في هذه الفترة أكثر من خاصية: فهي مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، ومقبرة المؤمنين حوله، وهي الطريق المؤدي للديار المقدسة، وهي مقصد الثائرين وملجأ الخائفين. ولذلك كانت النجف منذ القرن الثالث الهجري بين عِناية الحكّام والخلفاء وبين غضبهم منها وحقدهم عليها وعلى أبنائها.

ففي عام ٢٣٦هـ، قرر الخليفة محمد المنتصر أداء فريضة الحج، ومعه جدته شجاع أم المتوكل، وقد شيعها الخليفة نفسه إلى مدينة النجف[2]. ولما وصلت مدينة الكوفة، أمرت

---

(١) صالح شمسة: بحث مخطوط عن النجف/ ورقة ٢ - ٣.

(٢) الطبري: التاريخ٩/١٨٥، ابن الجوزي: المنتظم١١/ ورقة ١٠٢ب.

لكل رجل من الطالبيين والعباسيين بألف درهم ولأبناء المهاجرين بخمسمائة درهم، وأمرت لكل امرأة من الهاشميين بخمسمائة درهم[1]. ومن الملاحظ أن هذا الموقف الإنساني من أم المتوكل يتقاطع مع موقف المتوكل من العلويين حيث كان شديداً عنيفاً معهم، وقد صادر أموالهم وشرَّدهم في الأقطار البعيدة، واضطهد زوّار مرقدَي الإمامين علي والحسين عليهما السلام وأقدم على منع زيارة قبريهما[2]، كما أقدم على حرث قبر الحسين عليه السلام[3].

وقال الشيخ الطوسي: حدثني عبد الرزاق بن سليمان بن غالب الأزدي بأرتاج قال: حدثني عبد الله بن دانية الطوري قال: حججتُ سنة أربعين ومائتين فلما صدرتُ من الحج، صرت إلى العراق، فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على حال خيفة من السلطان[4]. وذكر ابن الجوزي في أحداث عام ٢٣٧هـ: أن المتوكل أكمل في هذه السنة بناء جامع سامراء، وقد استعمل فيه آجر النجف وأنقاضه من السقوف والأبواب وغيرها[5]. وإذا صحَّ هذا النص، فإنه يحتمل أحد أمرين: أما أن المتوكل نقل أنقاض المرقد العلوي الشريف بعد تهديمه، أو إنه نقل آجر الكوفة والحيرة والقصور القريبة من النجف. ولعل الاحتمال الأول أقرب إلى موقف المتوكل من آل البيت عليهم السلام.

وقد أشار المسعودي إلى ذلك بقوله: (كان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوف على دمائهم وقد مُنِعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة)[6].

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٢/٨٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٤/١٣٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/٢٨٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/٣١٥.

(٣) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص١٩٨.

(٤) الطوسي: الأمالي ١/٣٣٨، ينظر البراقي: الدرة البهية ورقة ٦٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ١١/ ورقة ١٠٨أ.

(٦) المسعودي: مروج الذهب ٤/١٣٥.

وقد بقي هذا الموقف التعسفي حتى عام ٢٦٠هـ أي إلى خلافة المعتمد على الله باستثناء فترة خلافة المنتصر بالله (٢٤٧- ٢٤٨هـ) الذي أمر بالكف عن آل أبي طالب ورد فدك لأبناء الحسن والحسين عليهما السلام[1] وذكرَ السيد ابن طاووس بسند طويل عن أبي عبد الله الحسني وصولاً إلى جده، قال: (أخبرنا جدي أبو أمي محمد بن علي بن رحيم الشيباني قال: مضيت أنا ووالدي علي بن رحيم وعمي حسين بن رحيم، وأنا صبي صغير في سنة نيف وستين ومائتين، بالليل ومعنا جماعة متخفين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام)[2]. ولكن حالة الخوف والتضييق أخذت بالزوال بعد هذا التاريخ وأخذ الناس يترددون على المرقد الشريف بحريّة وأمان وبخاصة بعد تحسن العلاقات بين العباسيين والعلويين.

ففي عام ٢٨٢هـ، وجه السيد محمد بن زيد العلوي من طبرستان إلى محمد بن ورد القطان اثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها على العلويين بالحرمين والكوفة وبغداد[3]. وذكرَ الدكتور (جون هوليستر) في كتابه (شيعة الهند) أن الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله المستور أو المكتوم، الذي كان مقره السرّي في السَلَمية (قرب دمشق)، قد زار قبر الإمام علي عليه السلام عام ٢٩٦هـ في النجف الأشرف، وهناك اتصل بأبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب، أحد الشيعة الإمامية المعروفين والذين كانوا على اتصال دائم بالإمام الحسن العسكري عليه السلام، واتصل في مدينة النجف أيضاً بعلي بن الفضل فأقنعهما بالذهاب إلى اليمن والعمل على نشر الدعوة الإسماعيلية فيها[4].

وهذا الخبر نقله الأستاذ حمزة علي لقمان في أحداث عام ٣٦٧هـ بقوله: (إنه في

---

(١) ن.م.

(٢) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٢٢، التقدي: الغزوات والفضائل ص١٧٧.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٥/ق٢/١٥٠.

(٤) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف١/١٩٤ نقلاً عن كتاب:
The Shi'a of India : TOHO NORMAN HOLLISTER, LONDON. ١٩٥٣

هذه السنة خرج من النجف الأشرف بالعراق رجلان، أولهما أبو القاسم الحسن بن أبي الفرج بن حوشب بن زادان الكوفي الملقب بمنصور اليمن، وثانيهما علي بن الفضل الجيشاني القحطاني اليمني الملقب بالخنفري. وتوجه أبو القاسم إلى مدينة الجند اليمنية الشمالية بينما ذهبَ علي بن الفضل إلى نواحي يافع الجبلية، حيث عاش وحيداً في الأودية يقضي نهاره في الصلاة والعبادة ويظهر الزهد في الدنيا)[1].

ولكن في فترة الأمان والحرية لزيارة المرقد الشريف في مدينة النجف الأشرف في القرن الثالث الهجري لم تخلُ من مضايقات في بعض الأحيان. ففي عام ٢٥٠هـ، أشار جماعة من الزيدية على يحيى بن عمر بمعالجة الحسين بن إسماعيل، وألحَّ عليه أصحابُه بمثل ذلك، فزحف إليه من ظهر الكوفة ومن وراء الخندق ليلة الاثنين لثلاث عشرة من شهر رجب[2].

ودخلت مدينة النجف الأشرف ضمن أعمال القرامطة أثناء حركاتهم على مدينة الكوفة. ففي عام ٣١٢هـ، أقام أبو طاهر القرمطي بظاهر الكوفة ستة أيام، يدخل البلد نهاراً ويخرج ليلاً فيبيت في معسكره حاملاً كل ما قدرَ على حمله، فكان جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلاثمائة راوية زيت. فلما حمل ما قدرَ عليه، رحل إلى بلده[3].

وذكرَ المؤرخ الهمداني في أحداث عام ٣١٣هـ قوله: (وأتى القرمطي النجف فخرج مؤنس فانصرف ما بين يديه)[4]، وفي عام ٣١٥هـ، تقدم أبو طاهر القرمطي من الكوفة، وهرب منها عمال السلطان، فتقدمت مقدمة جيشه البالغة مائتي رجل، فنزلت النجف، ونزل أبو القاسم يوسف بن أبي الساج، المكلف بقتاله من قِبل العباسيين، (دير هند) الواقع بالقرب من خندق الكوفة[5].

---

(١) حمزة علي لقمان: معارك حاسمة في تاريخ اليمن ص٤٤.

(٢) الطبري: التاريخ ٢٦٨/٩.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم ١٤٥/١- ١٤٦.

(٤) الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص٢٤٨.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٢٠٨/٦.

ويبدو أن القرامطة لم يُعيروا مرقدَ أمير المؤمنين عليه السلام أهميةً واحتراماً على الرغم من وجودهم بالقرب منه أثناء صراعهم مع العباسيين. فقد ذكرَ ابن الجوزي في أحداث عام ٣١٧هـ: أن أبا طاهر القرمطي دخل مدينة الكوفة دفعات، فما دخل إلى قبر علي عليه السلام، واجتاز بالحائر وما زار قبر الحسين عليه السلام[1].

ولم تشر المصادر إلى أن القرامطة قد تعرضوا للمرقد العلوي الشريف أو للسكان المجاورين له، ويبدو أنهم قد اتخذوا من (ظهر الكوفة) مقراً لحركاتهم دون التوغل إلى مدينة النجف الأشرف. ولكن في منتصف القرن الرابع الهجري وقبيل دخول البويهيين إلى العراق، تعرضت مدينة النجف إلى مضايقات الأعراب والخوارج. فقد كان الأعراب المحيطين بمدينة الكوفة يعيثون في الأرض فساداً مستغلين حركات القرامطة على الكوفة.

ففي عام ٣١٨هـ، خرج بنو نمير بن عامر، وبنو كلاب بن ربيعة، فعاثوا بمنطقة (ظهر الكوفة) فساداً واستطالوا على السبيل وأخافوا الناس، فخرج إليهم أبو الفوارس محمد بن ورقاء في جمع من أشرافها ومعه بنو هاشم من عباسيين وطالبيين، ولم يكن معهم جند سواهم. فقاتلهم بنفسه وصبر لمحاربتهم، فأسروه وأسروا معه ابن عمر العلوي وابن عم شيبان العباسي، وسار بهم الأعراب ولم يجسروا على الإيقاع بهم، فطلبوا منهم الفداء فأجابوهم إليه وفدوا أنفسهم وتخلصوا منهم[2].

وفي هذه الفترة، خرج إبراهيم ومحمد ابنا أبي الفضل العباسي إلى مدينة النجف الأشرف لزيارة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، فأسرتهما القرامطة ومضت بهما إلى هجر، فرجع محمد بن العباس من الأسر في شوال عام ٣٤٩هـ[3]. وأشارت المصادر إلى اعتداء مُرة بن قيس الخارجي على مدينة النجف، بعد أن قيل له: إن الإمام علياً عليه السلام قتل أجدادك يوم النهروان. فأعد العدة للهجوم على النجف، وبعد قتال مع

---

(١) ن.م. ٦/٢٢٤.

(٢) عريب القرطبي: صلة الطبري ص١٢٧.

(٣) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٢٥٩.

أهلها دام ستة أيام تمكن من دخول المدينة بعد أن هدم جانباً من سورها. ولما تمكن من ذلك، وقف في المرقد الشريف وقال: يا علي، أنت قتلتَ آبائي وأجدادي، وقد همَّ بنبش القبر الشريف ولكنه فشل في تنفيذ خطته[1].

ولم تحدد المصادر تاريخ هذا الهجوم، ولكن يحتمل أنه في القرن الرابع الهجري وربما في بداياته بدليل وجود سور غير متين لمدينة النجف إذ تمكن من اقتحامه. وإلى حادثة مرة بن قيس، أشار الشيخ محمد السماوي في أرجوزته قائلاً[2]:

قالوا بأن مُرَّةَ بنِ قيسِ	أتى بقومٍ كعديدِ الطيسِ
وكانَ مرةٌ من الخوارج	فجاءَ عدواناً لذي المعارج
واستنتل القومَ هناك مُرة	واجتازَ لم يخلعْ بباب الحضرة
فاجتذبَ الوصيُّ إصبعينِ	وقسّما أحشاهُ قطعتينِ
ثم ارتمى مُنحجراً بصخره	مقسومةً نصفينِ صُنعُ قُدره
ولم تزلْ منبوذةً في الباب	تُقذَفُ بالمجيءِ والذهابِ

وقد حظيتْ مدينة النجف الأشرف والمرقد العلوي الشريف باهتمام كبير وعناية فائقة في العصر البويهي (٣٣٤- ٤٤٧هـ)، وأشار إلى ذلك المستشرق الفرنسي (ماسنيون) بقوله: (وفي حكم البويهيين، أصبحت هذه القبة كعبة الزوار، ومنذ ذلك العهد أخذت الأسر العلمية الشيعية في الكوفة تنتقل إلى الغري وتقطنها)[3]. وقد بنى البويهيون المرقد الشريف وشيدوا لأنفسهم مقبرة في قباله عرفتْ باسم (قبور السلاطين)[4]. وأدى هذا الاهتمام بالنجف إلى زيادة الهجرة إليها دون خوف أو وجل.

---

(١) النوري: دار السلام٢/٥٨- ٥٩، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٣٢٠.

(٢) السماوي: عنوان الشرف ص٣٧.

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة ص٣٣.

(٤) الحر العاملي: أمل الآمل ق١/١٨٨.

ففي عام٣٦١هـ، زار السلطان عِز الدولة أبو منصور بختيار بن مُعِزّ الدولة البويهي مرقد الإمام علي عليه السلام، ثم خرج إلى صحراء النجف للصيد. وقد استنكر أهالي بغداد عمله هذا وحسبوه ابتعاداً عن مصالح المسلمين، وقتاله عمران بن شاهين، وترك جهاد الروم[1]. وقد اصطحب عز الدولة البويهي معه إلى النجف الأشرف نقيب العلويين الحسين بن موسى الموسوي (والد الشريفين الرضي والمرتضى)، ومحمد بن عمر العلوي الرجحي الزينبي. وفي عام ٣٦٤هـ، قصد النجف مرةً أخرى ومن ثم ذهب إلى صحرائها متصيداً[2].

وكانت عناية السلطان عضد الدولة البويهي (ت٣٧٢هـ) لمدينة النجف الأشرف والمرقد الشريف قد فاقت غيره من سلاطين آل بويه. فقد قام ببناء الكثير من الأماكن في النجف وكربلاء[3]. وفي عام ٣٦٩هـ، أطلق الصِلات الوفيرة لأهل البيوتات والشرف، والضعفاء من الناس المجاورين في مكة المكرمة والمدينة المنورة والنجف الأشرف وكربلاء والكاظمية (مقابر قريش)[4]. وفي عام ٣٧١هـ، زار المرقد الحيدري الشريف ووزع الأموال على الفقهاء في مدينة النجف، وعلى الفقراء المجاورين للمشهد الشريف. فذكرَ السيد ابن طاووس: أنه طرح في الصندوق (أي الضريح الشريف) دراهم فأصاب كل واحد، واحداً وعشرين درهماً، وكان عدد العلويين الذين حصلوا على الدراهم ألفاً وسبعمائة، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم، وعلى المرتبين من الخزان والبواب مبالغ أخرى على يد أبي الحسن العلوي وأبي القاسم بن أبي عابد وأبي بكر بن سيار[5]. وقد كشف هذا النص عن جانب من الحركة العلمية في النجف في القرن الرابع الهجري، وعن الميزانية الكبيرة لعضد الدولة.

---

(١) مسكويه: تجارب الأمم ٣٠٤/٢.

(٢) ن.م. ٣٥٥/٢ ، ابن الأثير: الكامل٦١٨/٨.

(٣) نظمي زاده: كلشن خلفا ص٨٣- ٨٤.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم ٤٠٧/٢.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغري ص١١٤.

وذكر الخواجة حميد الدين: أن عضد الدولة البويهي عثر على كنوز مملوءة بالذهب والفضة، صرفها على تعمير المشهدين الشريفين في النجف وكربلاء، واستغرق البناء ثلاث سنوات بين ٣٦٩- ٣٧١هـ[١]. وذكرت المصادر أن عضد الدولة أمر بإعمار مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، وبنى عليه قبة مزخرفة، ووقف عليها الأوقاف الواسعة، وأوصى أن يُدفن بجوار الإمام علي عليه السلام، وقد نُفّذتْ وصيته[٢]. وقد كتب على قبره: (هذا قبر عضد الدولة وتاج الملّة أبي شجاع بن ركن الدولة، أحبَّ مجاورة هذا الإمام المعصوم لطمعه في الخلاص يومَ تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وصلواته على محمد وعترته الطاهرين)[٣].

وقد أقام السلطان عضد الدولة بناءاً فيه إيوانات ودار للضيافة، وبذل العطاء للزائرين ثلاثة أيام وأجرى الجرايات، وبث العطاء للذين ينوون الإقامة والمجاورة[٤] وأقام بهواً في الرواق. وكان يجلس فيه متأدباً لقضاء حوائج الناس وأقام فيه احتفالاً كبيراً عند الانتهاء من العمارة الجديدة للمرقد الشريف حضره الأمراء والنقباء والفقهاء، وأنشد فيه الشاعر الحسين بن الحجاج قصيدته التي مطلعها[٥]:

يا صاحبَ القبّةِ البيضا على النجفِ ... مَنْ زارَ قبرَكَ واستشفى لديكَ شُفي

ومن المحتمل أن أبا إسحاق الصابي قد أنشد في هذا الاحتفال قصيدة مطلعها[٦]:

توجهتَ نحو المشهدِ العَلَمِ الفَردِ ... على اليُمنِ والتوفيقِ والطائرِ السعدِ

وأثناء وجود عضد الدولة البويهي في مدينة النجف الأشرف، فإنه أصدر عفواً عن عمران بن شاهين، مؤسس الدولة الشاهينية في البطائح، بعد أن ألقى بنفسه على

---

(١) الكليدار: مدينة الحسين ص٢٦- ص٢٧.

(٢) النوري: دار السلام ٢/٩٣، الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص٩٠.

(٣) النوري: دار السلام ٢/٩٤.

(٤) الشرقي: (صفحة من تاريخ النجف) مجلة الحيرة، المجلد الأول، العدد الثالث ص٨٨.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢١٨.

(٦) ن.م.

عضد الدولة في المرقد العلوي الشريف. وكان عمران بن شاهين قد نذر ببناء رواق في النجف إنْ عفا عنه عضد الدولة، وقد وفى بنذره[1].

وأراد عضد الدولة البويهي أن تكون مدينتا النجف الأشرف وكربلاء المقدسة مدينتين آمنتين، بعيدتين عن عبث اللصوص وقطاع الطرق. فقد وضعهما تحت رعايته الخاصة والمباشرة، وردع ضبة بن محمد الأسدي الذي كان يتزعم عصابة من قطاع الطرق متخذاً من مدينة عين التمر مقراً له[2]. وكان هذا الأمان قد دفع عمران بن شاهين والوزير المغربي أبو الحسن عام ٣٨١هـ في مصر، للجوء إلى مدينة النجف بعد هدر دمهما[3].

وكان الوزير المغربي قد كاتبَ (صاحب مصر) وهو في النجف ثم صار بعد ذلك إلى بابه[4]. وفي عام ٣٩٧هـ قصد فخر الملك أبو غالب بن واصل مدينة النجف الأشرف بعد أن استجار بحسان بن ثمال الخفاجي وتصدق بصدقات كثيرة، ومن ثم سار من النجف قاصداً بدر بن حسنويه لصداقةٍ كانت بينهما، فكبسه أبو الفتح بن عناز وسلمه إلى أصحاب بهاء الدولة البويهي، بعد أن حلف له على الحراسة فحمل عليه وقتله بواسط. وكان أبو العباس بن واصل قد ملك البصرة وسيراف والأحواز، وقد هزم بهاء الملك وسيطر على البطيحة[5].

ومن الجدير بالذكر أن فخر الملك قد أرسل الصدقات والحمول إلى المشاهد المقدسة عام ٤٠٢هـ، بما فيها الثياب والتمور والنفقات الأخرى، وذلك في يوم العيد لتوزع على الضعفاء من الناس[6]. ويبدو أن ظاهرة تقديم الهدايا النقدية والعينية لسكان

---

(١) البراقي: الدرة البهية ص٨٢- ٨٣.

(٢) جعفر الخياط: (كربلاء في المراجع الغربية) موسوعة العتبات المقدسة/قسم كربلاء ١/ ٢٦٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/ ٨٩، الأمين: أعيان الشيعة ١٧/ ٣٦٧.

(٤) الروذراوري: ذيل تجارب الأمم ص٢١٤، ص٢١٧.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٣٧.

(٦) ن. م. ٧/ ٢٥٦.

مدينة النجف الأشرف من قِبَل ولاة الأمور والموسَرين من الناس قد اتسعتْ، ففي عام ٥٤٩هـ، أرسل الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك (ت٥٥٦هـ) للسادة الأشراف في المشاهد المقدسة الأموال الجزيلة والخيرات الوفيرة، وكان هذا الوزير عالماً فاضلاً مُصنِّفاً[1].

وكان السلاطين البويهيون قد أكثروا من زيارة مرقدي الإمامين علي والحسين عليهما السلام، وإذا أراد جلال الدولة البويهي الزيارة، فإنه يخلع حذاءه على نحو فرسخ من المدينة، وقد عقّبَ ابن الأثير على هذه الظاهرة بالقول: (يفعل ذلك تديناً)[2]، وفي عام ٤٣١هـ، خرج الملك أبو طاهر البويهي لزيارة العتبات المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء ومعه أولاده والوزير كمال الملك. وحينما وصلوا إلى (الخندق) من أرض النجف، مشى حافياً إلى المرقد الشريف بمسافة فرسخ واحد[3]. وفي عام ٤٣٦هـ، قصد الملك أبو كاليجار البويهي مرقدي الإمامين علي والحسين عليهما السلام[4]. وكانت الزيارة إلى مدينتي النجف وكربلاء تزداد إذا كانت العلاقات بين المذاهب الإسلامية طيبة وهادئة إذ يجد الزوّار في ظل هذه العلاقات حرية وأماناً. ففي عام ٤٤٢هـ، اصطلح أهل السنة والشيعة في مدينة بغداد، فذهبَ الناس لزيارة المشهدين الشريفين. وحينما تتأزم العلاقة بينهما، يتعرض الزوّار إلى مضايقات وتهديدات، وقد يؤدي الأمر أحياناً إلى القتل[5].

وكانت مدينة النجف الأشرف في فترة الحكم البويهي (٣٣٤- ٤٤٧هـ) مسوّرة وحصينة، حيث بنى عضد الدولة البويهي سوراً لمدينة النجف بعد توسعها[6]، ويبدو

---

(١) كمونة: موارد الإتحاف ٤١/٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٢٥/٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ١٠٥/٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٢٥/٩.

(٥) ن.م. ٣٠٦/٧(طبعة دار الكتاب العربي). ابن الجوزي: المنتظم ٢٠٢/٨.

(٦) المستوفي: نزهة القلوب ص١٣٤، شيرواني: بستان السياحة ص٥٧٤.

أنه كان حول المرقد الشريف ويبلغ محيطه ألفين وخمسمائة خطوة[1]. وكان هناك أكثر من سور يحيط بالمرقد الشريف قبيل هذا التاريخ وذلك لحمايته من الغزاة.

إن أول اشارة لأسوار المرقد تعود إلى القرن الثالث الهجري، فذُكِرَ أن محمد بن زيد الداعي العلوي (ت٢٨٧هـ) قد عمّر القبة الشريفة وعمّر حولها سوراً لصد هجمات المعادين والمناوئين، فإن مَنْ بات حول المرقد الطاهر قبل ذلك لم يكن آمناً ولا طامعاً بالبقاء[2]. وكان الداعي العلوي (صاحب طبرستان) قد أمر ببناء قبة وحائط وحصن فيه سبعون طاقاً، وهذه الطاقات هي كالزوايا التي أُنشئتْ في العهد البويهي لتكون غرفاً يسكنها طلاب العِلم[3]. كما أمر بإرسال الأموال من طبرستان لتعمير العتبات المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء والمدينة المنوّرة[4].

لقد ارتبط السور الذي شيده الداعي العلوي بتاريخ المرقد الحيدري الشريف وبالجذور التاريخية لتأسيس مدرسة النجف[5]. وذكرَ ابن حوقل: أن أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان جعل على قبر الإمام علي عليه السلام حصناً منيعاً[6] ولم يحدد تاريخاً معيناً لهذا البناء، ولعله في الربع الأول من القرن الرابع الهجري لأن أبا الهيجاء قد تقلد ولاية الموصل وما يليها عام ٢٩٢هـ، من قِبل الخليفة المقتدر[7]. ويبدو أن هذا السور قد أحاط بالسور الذي بناه الداعي العلوي من قبل.

وكانتْ بداية التوسع الذي طرأ على المرقد الشريف بعد توافد الزائرين عليه وتكاثر السكان حوله، وهذا ما ذهبَ إليه الأستاذ نفيسي من أن مدينة النجف الأشرف

---

(١) الكوفي: نزهة الغري ص٣٠.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٠٩.

(٣) بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٧٢، التستري: مجالس المؤمنين ص٣٧١، شمس الدين: حديث الجامعة النجفية ص١٠.

(٤) ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان١/٩٥، الأملي: تاريخ رويان ص٧٣.

(٥) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي ص٩٤.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض ص٢١٥.

(٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/١٢٥، ١١٥.

قد تأسستْ على يدي عضد الدولة البويهي وقد نشأت حولها مجموعة قرى ودساكر يقطنها أُناس ينتمون إلى الإمامية، وكان البويهيون يبتغون من وراء تأسيس النجف خلق عصبية عراقية تحميهم وتكون بمثابة اعتراف باستقلالهم السياسي عن الزيدية[1].

والحقيقة أن تمصير مدينة النجف بدأ في القرن الثاني للهجرة، وأخذت بالتوسع بعد هذا التاريخ، وتمتعتْ بازدهار وتقدم في العصر البويهي ولاسيما في عهد السلطان عضد الدولة الذي أولاها عناية خاصة. وفي عام ٤٠٠هـ، شرعَ أبو محمد الحسن بن فضل بن سهلان ببناء سور النجف، فذكرَ ابن كثير: أنه في عام ٤٠٠هـ، كمل السور على مشهد أمير المؤمنين عليه السلام الذي بناه أبو اسحاق الأرجاني، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرِضَ فنذرَ إنْ عوفيَ ليبنيه فعوفي[2]. وذكرَ ابن الأثير: أن أبا اسحاق الأرجاني قد تولّى أمرَ البناء[3] ومما يبدو أن الوزير الحسن بن سهلان قد أمر أبا الحسن الأرجاني ببناء السور والإشراف عليه، وقد عدَّ الشيخ محمد الكوفي هذا السور هو الأول لمدينة النجف الأشرف[4] وأن الأسوار السابقة كانت حول المشهد الشريف، وأن ورود عبارة (السور على مشهد أمير المؤمنين) من باب إطلاق الجزء على الكل.

وقد وقع المؤرخ ابن الجوزي في وهم عندما ذكرَ أن أبا محمد الحسن بن سهلان قد بنى سوراً على مدينة كربلاء عام ٤٠٠هـ للسبب المتقدم وقال: حتى يكون المشهد حصيناً مانعاً لكثرة ما يطرق الموضع من العرب، عُمِل السور وأُحكِم ونصبتْ عليه أبواب وثيقة، وبعضها حديد. ولكنه عاد وذكرَ، في حوادث عام ٤٠٣هـ، بناء ابن سهلان لسور الحائر من مشهد الحسين عليه السلام، وكرر القول في أحداث عام ٤٠٧هـ إلى بناء سور آخر لمدينة كربلاء[5].

---

(١) النفيسي: دور الشيعة ص٤٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٤٢/١١، ابن الوردي: التاريخ ٤٤٦/١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٩/٩.

(٤) الكوفي: نزهة الغري ص٦٨.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٢٤٦/٧- ٢٨٣، ١٣/٨.

ولكن هذا التتابع الزمني في بناء الأسوار لا يمكن تصديقه، إذ من المستبعَد بناء ثلاثة أسوار لمدينة كربلاء في الفترة الواقعة بين ٤٠٠- ٤٠٧للهجرة إلاّ إذا افترضنا أن السور الثاني قد احتضن السور الأول نتيجة لتوسع المدينة[١]. إن وهم ابن الجوزي مرجعه إلى استبدال النجف بكربلاء في حوادث عام ٤٠٠هـ، وذهبَ الدكتور محسن المظفر إلى أن سور النجف في هذه السنة يبلغ طول محيطه (١٢٥٠متراً) بعد أن اتخذتْ مدينة النجف شكلاً دائرياً[٢]، وبقي هذا السور إلى أواخر القرن السادس الهجري[٣].

وقد أشار السيد ابن طاووس إلى أبواب السور عام ٥٧٥هـ بقوله: كان للسور بابان هما: باب السلام الكبير وباب عبد الحميد النقيب بن أسامة[٤]. وقال: إن الأمير ايلغازي أمير الحلة أنفذ سرية إلى العرب، وعند رجوعها نزل أفرادها حول سور المشهد المقدس الغروي[٥].

وفي فترة الحكم السلجوقي للعراق (٤٤٧- ٥٩٠هـ)، شهدتْ مدينة النجف الأشرف بعض الأحداث وزيارات السلاطين والخلفاء والقادة. ففي عام ٤٥٠هـ، انتزع أبو الحارث أرسلان بن عبد الله المعروف بالبساسيري، السلطة من السلاجقة، وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معد ثم قام بزيارة مدينة النجف[٦]. وفي عام ٤٧٩هـ، مضى السلطان ملكشاه السلجوقي والوزير نظام الملك أبو علي الحسن الطوسي إلى (بادية النجف) للصيد، وقد أدَّيا الزيارة لمرقدَي الإمامين علي والحسين عليهما السلام[٧]. وفي هذه السنة وصل عماد الدولة سرهنك ساوتكين إلى مدينتي

---

(١) حسن الحكيم: كتاب المنتظم لأبن الجوزي ص٥٨.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها١/٢١٠.

(٣) المظفر: مدينة النجف الكبرى، ص٥٨

(٤) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٣١.

(٥) ن.م. ص١٢٦، النقدي: الغزوات والفضائل والمناقب والمعجزات ص١٧٩.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم ٨/٢٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٨١.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/١٤٣(طبعة دار الكتاب العربي).

النجف وكربلاء في شهر رمضان، وأطلق للأشراف أموالاً جزيلة وأسقط خفارة الحاج وحفر نهر العلقمي بعد أن صار خراباً[1]. وفي عام ٤٨٠هـ، كرر الوزير السلجوقي (نظام الملك) زيارته لمدينتي النجف وكربلاء[2] وقد أحب الوزير أبو شجاع مدينة النجف الأشرف للبقاء فيها مدة طويلة بعد عزله من الوزارة عام ٤٨٤هـ، وقد عُرف بتدينه ونزاهته عندما كان في منصب الوزارة، ثم غادر النجف إلى مكة فاستوطنها[3].

وكان بعض خلفاء بني العباس ووزرائهم وقادتهم في الفترة السلجوقية يودّعون الحاج في النجف ويؤدّون الزيارة للمرقد الشريف. ففي عام ٥٥٠هـ، شيّع الخليفة المتقي الحاج من مدينة النجف الأشرف[4]. وفي عام ٥٦٠هـ، شيّع أبو جعفر صاحب المخزن الحاج في موضع (الرحبة) ثم عُزِل عن منصبه فآثر البقاء في مشهد الإمام علي عليه السلام[5].

وأصبحت النجف في الفترة السلجوقية (٤٤٧- ٥٩٠هـ) جزءاً من أحداثها التي شهدها العراق ومنطقة السواد على وجه الخصوص. ففي عام ٥١٣هـ، دخل دبيس بن مزيد الأسدي مدينتي النجف وكربلاء وكسر المنبر فيهما وقال: (لا تُقام هاهنا جمعة، ولا يُخطَب لأحد)[6] ويبدو أن هذا كان أثناء صراعه مع الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، لأن الخطبة تكون إما للخليفة أو السلطان أو لكليهما.

وفي عام ٥١٥هـ، دخلت العرب من موضع (نبهان) منطقة (فيد) فنهبوا وخرّبوا أبوابها، فصنع موفق الخادم الخاتوني أبواباً جديدة من حديد، وحملها على اثني عشر جملاً لتُنصب هناك، كما أمر بتنقية العين التي أعماها الأعراب، وكلّف نقيب المشهد

---

(١) البنداري: كتاب دولة تاريخ آل سلجوق ص٧١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٣٥/٩.

(٣) ن.م. ٥٦/٩.

(٤) ن.م. ١٦١/١٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٣٢/١٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٢١٠/١٠.

(٦) ن.م. ٢٠٧/٩.

العلوي في النجف الأشرف بذلك[١].

وأشار ياقوت الحموي إلى (جبل نبهان) وقال: إنه جبل مشرف على حق عبد الله بن عامر بن كريز، ويتصل به جبل رنقاء إلى حائط عوف[٢]. ويبدو أن الأعراب توجهوا من هذا الجبل إلى (فيد) الواقعة في منتصف الطريق بين النجف ومكة، وفيها يودّع الحاج فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعوها شيئاً من ذلك، وهي مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم[٣].

وكانت (صحراء النجف) مسرحاً للأحداث التي وقعت في العصر السلجوقي، ففي عام ٥١٧هـ، وقعت الفتنة بين قرواش بن المقلد وقبيلة خفاجة. فسار قرواش من الموصل إلى النجف واستعان بدبيس بن مزيد الأسدي وبعسكر من بغداد، والتقى الجميع بظاهر الكوفة[٤]. وفي عام ٥٤٧هـ، ضمن المهلهل مدينة الحلة في كل سنة بتسعين ألف دينار، فعارضه السلاركر، فتقدم نحو الحلة فهرب منها المهلهل إلى مدينة النجف[٥].

وكان الخلفاء العباسيون إذا تعرضوا لمضايقات السلاجقة، يلتجئون إلى مدينتي النجف وكربلاء. ففي عام ٥٥٣هـ، حاول الخليفة العباسي المقتفي التخلصَ من نفوذ السلاجقة، وعندها زار النجف وكربلاء[٦] معلناً زوال الخطر الذي كان يعرّض بالخلافة العباسية، كما كان يلجأ إلى النجف القادة والأمراء. ففي عام ٥٦٦هـ، قدم فخر الدولة ابن المطلب من النجف إلى بغداد عند مجيء المستضيء إلى الخلافة بعد أن ردت عليه

---

(١) ن.م. ٢٢٨/٩.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٢٥٨/٥.

(٣) ن.م. ٢٨٢/٤.

(٤) ابن خلدون: التاريخ ٢٥٨/٤.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ١٤٨/١٠.

(٦) ن.م.

أملاكه، وكان فخر الدولة قد أقام في مدينة النجف مدة من الزمن[1]. وفي عام٥٩٧هـ، طلب الخليفة الناصر لدين الله، الشريف قتادة بن إدريس أمير مكة ليحضره إليه، وكان قد وصل إلى مدينة النجف فاستقبله العلماء والأشراف والأعيان، وكان معهم أسد في سلسلة، فتطيّر منه قتادة وقال: مالي ولأرضٍ تُذَلُّ فيها الأُسود!! فرجع، فكتب إليه الخليفة الناصر لدين الله يعاتبه، فأجابه قائلاً[2]:

بلادي وإن جارتْ عليَّ عزيزةٌ ولو أنني أعرى بها وأجوعُ
ولي كفُّ ضرغامٍ، إذا ما بسطتها بها أشتري يومَ الوغى وأبيعُ
معوّدَةٌ لثمَ الملوكِ لظهرها وفي بطنها، للمُجدبينَ ربيعُ
أأتركها تحتَ الرهانِ وأبتغي لها مخرجاً ؟إني إذاً لرفيعُ
وما أنا إلاّ المسك في أرض غيركم أضوعُ، وأما عندكم فأضيعُ

وفي روايةٍ أن الشريف قتادة لم يرسل هذه الأبيات إلى الخليفة الناصر وإنما أجابه معتذراً عن الحضور، فأرسل إليه الناصر أميراً من الأتراك، ومعه هدايا وكتاباً يطيّب بها خاطره ويطلب منه الحضور ثانية فأبى الشريف قتادة، ولكنه أرسل أحد أولاده ومعه أشياخ من السادة الأشراف، فأكرمهم الناصر ثم عادوا إلى مكة. وكان الرحالة العربي (ابن جبير) قد زار مدينة النجف الأشرف عام ٥٨٠هـ في اليوم الثامن والعشرين من محرم الحرام، وفي يوم جمعة، وقد وصف النجف بقوله: (وأصبحنا بالنجف، وهو بظهر الكوفة، وكأنه حدّ بينها وبين الصحراء، وهو صلب من الأرض منفسح متسع للعين منه مراد استحسان وانشراح)[3].

وفي الحقيقة، أن النجف في هذه الفترة كانت مدينة مزدهرة بالعلم والعلماء، ومُسوّرة بسور منيع حصين، وبها أسواق عامرة، وكان المرقد العلوي الشريف مقصدَ

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/٢٣٣.

(٢) ابن عنبة: عمدة الطالب ص١٢٩، الأمين: اعيان الشيعة ٨/٣٧- ٣٨.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص١٦٧.

الخلفاء والأُمراء والقادة وفصائل المجتمع الأخرى. وقد زار المرقد الشريف الخليفة المستضيء وعلّق في الحضرة المطهَرَة ستارة جديدة مكان الستارة القديمة[1]. وكان الأولى بابن جبير أن يصف هذه المظاهر بدقة لأنها قريبة من عصره، ولكن هذه الأمور لم تستلفتْ نظره سوى قوله: (وفي غربي الكوفة على مقدار فرسخ منها، المشهد الشهير المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحيث بركتْ ناقتُه وهو محمول عليها مسجّى ميتاً على ما يُذكَر، ويُقال إن قبره فيه، والله أعلم بصحة ذلك)[2].

وبعد زوال الحكم السلجوقي من العراق عام ٥٩٠هـ وحتى سقوط الخلافة العباسية على يد المغول الايلخانيين عام ٦٥٦هـ، شهدتْ النجف تطوراً في الجانبين الاجتماعي والديني. ففي عام ٦٣٣هـ، أمر الخليفة المستنصر بالله بتفريق ثمانية آلاف دينار من مال المطبق، وهو ما يُقدم من دور الضيافة[3]، إلى الفقراء الهاشميين (من عباسيين وعلويين) المقيمين في بغداد والنجف وكربلاء، وكان نصيب الفقراء العلويين في مدينة النجف وحدها ألفي دينار[4]. ومن الملاحظ أن حصة النجف من هذه الأموال كانت الربع، وهذا دليل على حجم العلويين في النجف في هذه الفترة.

وكان الخليفة المستنصر بالله قد لبس سراويل الفتوة عند مرقد أمير المؤمنين عليه السلام بإشارة من نقيب العلويين السيد جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي، وقد أفتى بجواز ذلك[5]. وعمل ضريحاً جديداً للمرقد الشريف وقد بالغ فيه[6]. وفي عام ٦٣٤هـ، أمر المستنصر بالله أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي (نقيب الطالبيين) أن يفرّق ثلاثة آلاف دينار على العلويين المقيمين في النجف وكربلاء وبغداد[7].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٣٠٣/٤.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص١٦٩.

(٣) ناجي معروف: المدارس الشرابية ص٣٤.

(٤) جعفر خصباك: العراق في عهد المغول ص٢٥٧.

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٥٧.

(٦) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٠٤.

(٧) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٩٥.

وذكرَ المؤرخ المقريزي: أن الخليفة المستنصر العباسي سار إلى مشهد علي، فوجد الحاكم بأمر الله قد جمع سبعمائة فارس من التركمان، وهو على عانة، ففارقه التركمان وسار الحاكم إلى المستنصر طائعاً له فأكرمه وأنزله معه[1]. وفي عام ٦٥١هـ، توجه المستعصم بالله، وهو آخر خلفاء بني العباس، لزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وتصدّق بمال وفير، وقد كرر الزيارة عام ٦٥٣هـ، وكان معه أولاده وحظاياه[2]، وذلك قبل سقوط بغداد والخلافة العباسية بثلاث سنين.

وكانت النجف في العصر العباسي الأخير قد شهدت حركة علمية واسعة وتمتع نقباؤها بموقع اجتماعي كبير، وأصبح لخزان المرقد الشريف منزلة رفيعة عند الخلفاء والأمراء[3]. وسوف نُفرد دراسة مخصصة للمدرسة النجفية والنقابة العلوية وخزانة المرقد الشريف.

وقد تعرّضتْ النجف في هذه الفترة لظواهر طبيعية أصابت بعض المنشئات والمباني. ففي عام ٥٩٠هـ، حدثتْ زلزلة فأصابت الجزيرة والعراق وامتدت آثارها إلى مدينة النجف، فسقطت الجبانة التي عند مشهد الإمام علي عليه السلام[4]. وفي عام ٦٥٣هـ، فاض نهر الفرات وأغرق عدداً من المدن، وقد أحاط الماء بمسجد الكوفة وبلغ النجف[5]. وقيل إنه أحاط بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام[6]. وهذا أمر مُستَبعد إذ لا يمكن وصول الماء إلى أرض النجف لإرتفاعها، وأن المشهد الشريف يقع في قمة المرتفع. وقد أشار الجغرافيون إلى هذه الحقيقة بالقول: إن الغري أو النجف كالمسناة تمنع مسيل

---

(١) المقريزي: الخطط ٩٥/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١٥/٧.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك ص٦١١، ٥٩٣.

(٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٢٣، ١٨٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ١٢/ ١١٠، الخزرجي: العسجد المسبوك ص٢٣٠.

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٧٧.

(٦) الخزرجي: العسجد المسبوك ص٦٠٩.

الماء من الكوفة أن يعلو مقابرها[1]. ومن المحتمل أن الماء قد غمر منطقة (بحر النجف) والمناطق القريبة من النجف والتي تحيط بمدينة الكوفة.

وقد أوردت بعض المصادر نصاً عام ٦٤٨هـ مفاده: أن الجني (الشمردل) قد تمرد على عبد الغني بن فاخر، الذي كان متهوساً بحديث الجن فأمر بحبسه في النجف[2]. وهذا النَص يرفضه العقل ويغلب عليه الخيال.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢١٧/٥.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك ص٥٨١، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٥٢.

ثالثاً : العهد المغولي والجلائري والتركماني (٦٥٦-٩٠٠هـ)

لقد سلمت مدينة النجف الأشرف من أعمال المغول الايلخانيين الذين اجتاحوا مدينة بغداد بقيادة (هولاكو) وذلك بمساعي الوفد الحلي. فبعد أن وصلت أنباء اقتراب المغول من بغداد ، تألف وفد من كبار علماء مدينة الحلة ضمَّ الشيخ ابن أبي العز، ووالد العلاّمة الحلي، والشيخ سديد الدين يوسف بن علي، والسيد مجد الدين بن طاووس، وقرروا مصانعة المُغير العنيد إتقاءً لشره وإبعاده عن تخريب النجف وكربلاء ومدن الفرات الأخرى.

وقد نجح الوفد الحلي في مسعاه، واستطاعوا إقناع المغول بضرورة إعطاء الأمان للمدن المقدسة[1] على أن لا يتصدى سكان هذه المدن للغزاة أو القيام بأي عمل عسكري.وقد أخبر أعضاء الوفد قادة المغول أن السكان في العراق يتوقعون زوال الدولة العباسية على أيديهم منذ زمن[2].

وعلى أثر ذلك، صنف السيد مجد الدين محمد بن عز الدين بن الحسن آل طاووس كتاب (البشارة) وقدمه هدية لهولاكو. وعندها سلمتْ مدن الحلة والنيل والنجف وكربلاء من القتل والنهب[3] وكُتب عهد أو فرمان بسلامة هذه المدن[4] وأرسلَ هولاكو بعض قواته لحماية الناس من أي اعتداء[5]. وبناءً على طلب الأمير سيف الدين البيتكجي بهادر بن عبد الله الخوارزمي، وزير هولاكو ومدير مملكته، أُرسل مائة رجل

---

(١) الأمين: أعيان الشيعة٦/٣٠- ٣١.

(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٣٠.

(٣) الأمين: اعيان الشيعة٤٣/٣٦٤، كمونة: موارد الأتحاف١/١٩١، الأعرجي: الدر المنثور/ورقة١٩٢.

(٤) الجواهري: آثار الشيعة الإمامية ص٣٥.

(٥) يوسف كركوش: تاريخ الحلة ق١/٧٣.

مغولي إلى مدينة النجف الأشرف للحفاظ على مرقد الإمام علي عليه السلام، وحماية القاطنين حوله[1].

وبعد أن استتب أمر المغول في العراق، بادر بعض الوزراء والأمراء المسلمين الذين كانوا مع الجيش المغولي عند سقوط بغداد عام ٦٥٦ للهجرة، بتقديم الخدمات لمدينة النجف الأشرف .ففي عام ٦٦٧هـ، أمر عطا ملك الجويني صاحب الديوان بحفر قناة تُخرج الماء من نهر الفرات إلى الكوفة ومنها إلى مدينة النجف[2] وذلك في محاولة لإيصال الماء للمدينة التي كانت تعاني من شحته أو عدم وجوده، فذكرَ صاحب تاريخ (وصاف الحضرة) هذا المشروع الإروائي بقوله: (أرض النجف روضة غنّاء وحُلة زهراء موشية بعد أن كانت موشحة، كأن ثراها عبق سحيق أو مسك فتيق تسبب منها زلال سحها الدور، ويرقص على إيقاع تصفيق مائها السرور، فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور:

والماء يبدو في الوقائع لامعاً ... كالبحرِ معْ نورِ الغزالةِ يشرقُ
فإذا تخللَ في الخمائلِ خلتَهُ ... صلاً تحاذر وقع نصلٍ يمزقُ
تتراقصُ الأغصانُ من فرحٍ بهِ ... ويمرُّ بالأنهارِ وهوَ يُصفقُ

قد اخضرّتْ بأزهار الحدائقِ أرضها وأعشبتْ بأنوار الخمائل روضها وتأرّجَ بنفحات الرياحين ونسمات البساتين طولها وعرضها، كأنها حقائب تجار أو بيت عطّار، ولقد أحسن من قال:

يا نزهةَ اليومِ المطيرِ ... بينَ الخورنقِ والسديرِ
والماءُ شبهُ مواطنِ الـ ... حيّاتِ مجدولُ الظهورِ

---

(١) الهمداني: جامع التواريخ٢/٢٩٦، ينظر ريجارد كوك: بغداد مدينة السلام١/٢١٦، الصياد: مؤرخ المغول الكبير ص٣٥ نقلاً عن:
HOWARTHI, HISTORY OF THE MONGO

(٢) ابن طاووس: فرحة الغري ص١١٦.

تأوي إليها الوحوش من القفار، وتصفق بها المياه على غناء الأطيار، فتعم القاصي والداني فائدتها، وشمل الحاضر والبادي والطاريء والنائي نفعها وعائداتها[1].

وقد قُدرت تكاليف إيصال الماء إلى مدينة النجف الأشرف ألف دينار ذهباً. واضطلع بهذا العمل تاج الدين علي بن محمد بن طباطبا، والد ابن الطقطقي صاحب كتاب (الفخري في الآداب السلطانية)[2] وأشارت بعض النصوص إلى أن الخواجة عطا ملك الجويني (صاحب الديوان) وابنه هارون قد زارا مدينة النجف الأشرف في وقت اشتغالهما بوزارة العراق وإمارته، وبعد الفراغ من مراسيم الزيارة للمرقد الشريف، بدءا حواراً حول المسائل الدينية والعقائدية، فقال هارون: إنا نستكشف حقيقة الحال من المصحف الشريف الذي هو على قبر الإمام علي عليه السلام ونتفاءل به، ونمضي بما يأمرنا. ولما فتح المصحف، وإذا في أول ورقة منه قوله تعالى **﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾**[3]، وعلى أثر ذلك أعلن هارون تشيعه ومن كان معه[4].

وقد عمرَ الخواجة عطا ملك الجويني الرباط الواقع في مشهد الإمام علي عليه السلام عام ٦٦٦هـ وقيل عام ٦٧٦هـ[5]. وخصص للصوفية المقيمين في مدينة النجف الأشرف، وكان يُطلق على هذا الرباط لفظ (خانقاه)[6]. وقد أوقف عليه الوقوف وأدى

---

(١) عبد الله بن فضل الله الشيرازي (وصاف الحضرة): تجربة الأمصار وتزجية الإعصار ص٦٠.

(٢) الكليدار: (كربلاء في العهد المغولي) مجلة الأقلام ج٩/س٤ ١٩٦٨/ص١٢٥.

(٣) سورة طه: ٩٢- ٩٣.

(٤) الغياثي: التاريخ ص٩٤.

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٥٨.

(٦) الشيبي: الفكر الشيعي ص١٠٢.

لمن يسكنه ما يحتاج إليه[1]. وزار مدينة النجف الأشرف خلال العهد المغولي الايلخاني عدد من الوزراء والأمراء والقادة. ففي عام ٦٦٣هـ، قصد النجف الأمير جلال، وفي عام ٦٩٦هـ، قصدها السلطان غازان، وبعد أن أدّى مراسيم الزيارة للمرقد الشريف أمر للعلويين بشيء كثير من الأموال، ثم قصد مدينة كربلاء وزار مشهد الإمام الحسين عليه السلام وفعل مثل ذلك[2]. وكرر السلطان غازان زيارته لمدينة النجف عام ٦٩٨هـ، كما زار مدينتي كربلاء والحلة، وأمر للمقيمين العلويين أموالاً كثيرة[3].

لقد أعطى المؤرخ (هاورث Howorth) تعليلاً لهاتين الزيارتين بقوله: (ودفع اهتمام غازان بآل البيت عليهم السلام ورعايته لهم إلى إفراد سجلات خاصة بهم وإنشاء دور إقامة في المدن الكبرى وتجهيزها بما يحتاج إليه المقيمون فيها من آل البيت، وتخصيص الوقوف الكثيرة لهم. إن زياراته المتكررة لمراقد الأئمة في النجف وكربلاء وتبرعه بالأموال لسدنتهما وخدمهما دفع بعض المؤرخين من الأجانب إلى القول: إنه اعتنق المذهب الشيعي)[4] وللأستاذ الدكتور القزاز رأي مفاده: (أن تكرار زيارة غازان للمشهدين في النجف وكربلاء، وما رافق هذه الزيارات من عناية واحترام وإكرام آل البيت، بأنه محاولة منه لكسب ثقة الشيعة، وخلق رأي عام منهم يدعم موقفه في صراعه مع المماليك بعد فشله في كسب تأييد أهل السنة، ولإعطاء زحفه صفة الشرعية)[5]. ويبدو أن هذا الرأي هو الصائب لأن أول من اعتنق المذهب الشيعي الإمامي من المغول هو السلطان الجياتو (خدا بنده محمد) وذلك بمساعي العلاّمة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ) إثر زيارته لمدينة النجف الأشرف عام ٧٠٩هـ،

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٥٨.

(٢) أمير خواند: روضة الصفا ٨١/٥، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢٣١/١.

(٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٤٧٨.

(٤) القزاز: الحياة السياسية المغولية ص٢٩٧ نقلاً عن
. Howworth .P,٤٥٣□٤٥٤,Brice.of,cit,٢.٦٣٢

(٥) ن.م.: ص٢٩٧.

وقد أرجع السيد جعفر بحر العلوم السبب إلى رؤية رآها السلطان في المنام اعتنق على أثرها المذهب الإمامي، وأمر بضرب الدنانير وعليها هذه العبارة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله)[1] وذكر السيد الكليدار محمد حسن آل طعمة: أن السلطان خدا بنده محمد أمر بسكِّ النقود في مدينة النجف وعليها أسماء الأئمة الأثني عشر المعصومين عليهم السلام، وكذلك أمر أن تُكتب أسماؤهم على رايات الجند، وأمر المؤذنين أن يُنادوا في الأذان (حي على خير العمل)، وأمر بتوزيع الرواتب الشهرية على سدنة العتبات المقدسة، وعلى العلويين المقيمين في كربلاء والنجف، تدفع لهم من خزائنه الخاصة، وأوقف أموالاً وفيرة يوزَّعُ ريعها عليهم سنوياً[2]. وأشار الشاعر جمال الدين بن إبراهيم بن الحسام الصفدي في قصيدةٍ إلى تشيّع السلطان محمد خدا بنده، منها:

أُهدي إلى ملكِ الملوكِ دُعائي ... وأخصُّهُ بمدائحي وثنائي
وبسطتُ فيهِ بذكرِ آل محمدٍ ... فوقَ المنابرِ ألسُنَ الخُطباءِ
وغدتْ دراهمكَ الشريفةُ نقشُها ... باسمِ النبيِّ وسيّدِ الخلفاءِ
ولقد حفظتَ عنِ النبيِّ وصيّةً ... ورفعتَ قُرباهُ على القرباءِ

وأشار المؤرخون إلى محاولة السلطان خدا بنده محمد، بعد تشيّعهِ، بنقل رفات الإمامين علي والحسين عليهما السلام من مدينتي النجف وكربلاء إلى عاصمته الجديدة (السلطانية) وتشييد بناء فخم ليكون مرقداً للإمامين عليهما السلام، ولكن السلطان لم يعش بعد فكرته هذه طويلاً وتحول البناء مقبرةً له[3].

---

(١) بحر العلوم: تحفة العالم ١/ ٢٨٨.

(٢) الكليدار: مدينة الحسين ٢/ ١٣٠- ١٣١.

(٣) دونلدسن: عقيدة الشيعة ص٧٤، الكليدار: مدينة الحسين٢/ ١٣٢ نقلاً عن:
History Of The Persia ٢/٢٣٥

وقيل أن صاحب هذه الفكرة هو الشيخ زاهد الكيلاني رئيس الصوفية والخاكسارية، وذكرَ السيد الكليدار أن عدول السلطان خدا بنده محمد يعود إلى حلم رآه في منامه، وكأنَّ قائلاً يقول له: لا تفعلْ ذلك، وعلى أثره غلا غُلوّاً كبيراً ولبس خرقة التصوّف[1]. وذهبَ أحد الباحثين إلى القول: إن السلطان خدا بنده كان يستهدف من وراء هذه الفكرة تحقيق منافع اقتصادية وتحويل أنظار العالم الإسلامي إلى مدينة السلطانية[2].

ولكن مما يبدو أن التصوف في هذه الفترة قد اتسع نطاقه، وأصبحت مدينة النجف الأشرف محط أنظار المتصوفين والزهّاد، فتوافدوا من جميع أنحاء العالم الإسلامي للزيارة والسكن بجوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وتوسعت فكرة الدفن في مدينة النجف ونقل الجنائز إليها من أماكن بعيدة طمعاً بالشفاعة. وذكرَ المؤرخ ابن حجر: أن أذينة الططري (شحنة بغداد) كان عادلاً صارماً، ولما وليَ وظيفة الشحنة طهّر مدينة بغداد من المفسدين وأزال الظلم عن الناس، فحمدتْ سيرته. ولما توفي، دفن بناحية الكوفة عام ٧٠٩هـ[3].

وأشار الرحالة العربي ابن بطوطة الى حركة التصوف في مدينة النجف الأشرف عند زيارته لها عام ٧٢٦هـ بقوله: وبإزاء قبر الإمام علي عليه السلام المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني. ثم قال: (ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر، مرتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يدخل باب القبة، وعلى بابها الحجّاب والنقباء والطواشية)[4].

---

(١) الكليدار: مدينة الحسين ٢/١٣٢.

(٢) الكليدار: (كربلاء في العهد المغولي) مجلة الأقلام ص١٢٧.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة ١/٣٦٩.

(٤) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٩.

ونحن إذا أمعنّا النظر في وصف ابن بطوطة لمدينة النجف الأشرف، نجده يتنقل من جانبٍ لآخر، فإنه قد وصف الأسواق والحياة الاقتصادية بقوله: (إن النجف مدينة حسنة في أرض فسيحة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناءً)، وأشار إلى تجارة النجفيين وسجاياهم بقوله: (وأهلها تجار يسافرون في الأقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يُضام جارهم).

وقد غادر ابن بطوطة أرض النجف قاصداً مدينة البصرة بصحبة جماعة من عرب خفاجة، الذين كانوا يسيطرون يومذاك على المنطقة، فقال: (ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام، سافر الركب إلى بغداد، وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم. فاكتريت جملاً على يد أمير تلك القافلة (ثامر بن دراج الخفاجي) وخرجنا من مشهد علي عليه السلام، فنزلنا الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء، وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات)[1].

وكانت مدينة النجف الأشرف في فترة الحكم الجلائري في العراق (٧٣٨-٨١٤هـ) قد حظيت باهتمام كبير حيث خصصت أوقاف لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام[2]. وأقام السلطان حسن الجلائري عمارات نفيسة وجميلة في بغداد والنجف الأشرف[3].

وقد أشار المؤرخ نظمي زاده إلى أن السلطان حسن، بعد انتصاره على الشيخ حسن جوبان، أصبح يتصرف في حكم بغداد والنجف، وبقي في الحكم سبع عشرة سنة شيّد خلالها الكثير من العمارات، ولما توفي عام ٧٥٧هـ، دفن بجوار الإمام علي عليه

(١) ن.م. ١/ ١١٣.

(٢) العاني: العراق في العهد الجلائري ص٢٥١.

(٣) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٣/ ٨٠، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة ص٥١٦.

السلام. وقد رثاه أحد فصحاء زمانه المدعو سلمان ساوجي[1]. وحذا ولده السلطان أويس حذوه في عنايته الفائقة بمدينة النجف، فقد شاد سورها وجدد ضريح الإمام عليه السلام[2].

ويبلغ محيط السور الذي بناه السلطان أويس الجلائري (١٧٢١متراً) وله باب كبير يدعى بباب البلدة، وهذا له دلالة على اتساع مدينة النجف في القرن الثامن الهجري. ولكن على الرغم من اتساعها هذا، فقد وصفتْ بأنها صغيرة محاطة بسور واطئ، ومساكنها أقرب إلى كوَم الأنقاض منها إلى المساكن كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[3]. وهذا الوصف يتناقض مع وصف ابن بطوطة الذي لم يتعدَّ زمنياً عن عصر السلطان أويس الجلائري المتوفى عام ٧٧٦هـ، ولكن مما يبدو أن النجف على رأي ابن بطوطة (من أحسن مدن العراق) قياساً إلى حالة المدن العراقية الأخرى في القرنين السابع والثامن الهجريين.

وكان السلطان أحمد الجلائري قد التجأ إلى مدينة النجف عام ٧٩٥ هجرية عند اقتراب جيوش تيمورلنك من مدينة بغداد. ولما وصل إلى مدينة الحلة قطع جسرها في محاولة لمنع عبور جند تيمورلنك، ولكن هؤلاء قد عبروا النهر سباحةً.

وعند ذلك، واصل أحمد الجلائري مسيره إلى النجف، فأشار المؤرخ ابن خلدون إلى ذلك بقوله: (وسبق النذير إلى أحمد فأسرى بغلس ليله، وحمل ما أقلّته الرواحل من أمواله وذخائره، وخرق سفن دجلة، ومرَّ بنهر الحلة فقطعه، وصبح مشهد علي)[4]، ولكن جند تيمورلنك قد استولوا على أثقال السلطان أحمد الجلائري

---

(١) نظمي زاده: كلشن خلفا ص١٦٤.

(٢) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٥٣، محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة ٧١٨/١.

(٣) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٥٨ نقلاً عن:
Douglas,Garrather:The Desert Route To India By Great Desert Caravan Route Between Alpo & Op, cit, pp: ٢١□٢٤. □

(٤) ابن خلدون: التاريخ ٥٥٥/٥ .

ورواحله في مدينة النجف، ولم يستطيعوا القبض عليه[1]، ولكنهم قبضوا على المؤرخ عزيز بن أردشير الأسترابادي البغدادي مؤلف كتاب (بزم ورزم) في النجف، وجيء به إلى مدينة الحلة وسلم إلى (ميران شاه بن الأمير تيمور)، فأنعم عليه بحياته وبقي عنده مدة[2].

أما السلطان أحمد الجلائري، فإنه قد غادر مدينة النجف إلى الرحبة ومنها إلى تخوم الشام[3] ولكنه عاد بعد ذلك إلى بغداد. وأثناء الصراع بين الجلائريين وخصومهم، برز الوزير قوام الدين النجفي الذي بقيَ في منصب الوزارة إلى تولي طورسون بن السلطان أحمد الجلائري إدارة بغداد[4].

وأشارت المصادر إلى أحداث اجتماعية وطبيعية وعلمية حصُلتْ في مدينة النجف الأشرف في أواخر العهد الجلائري. ففي عام ٧٣٧هـ، زار الأمير محمد، وزير أبي سعيد بن بهادرخان مدينة النجف[5]. وذكرَ الحسيني النجفي في كتابه (الأنوار المضيئة في المحكمة الشرعية) أن حُمرةً عظيمة قد ظهرت، فملكت نصف الأُفق، وقد شاهدها الناس في المشهد الشريف الغروي ليلة الاثنين، في الخامس من جمادى الأولى عام ٧٧٢هـ[6]. وذكرَ السيد علي بن عبد الحميد في كتابه (السلطان المفرج) أن الدار التي كان يسكنها عام ٧٨٩هـ تعود إلى رجل من أهل الخير والصلاح يُدعى الحسين المدلل، وهذه الدار ملاصقة لجدران الحضرة الحيدرية الشريفة[7].

وحينما تمكن تيمورلنك من احتلال العراق عام ٨٠٣هـ ودخل مدينة بغداد، قصد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) العزاوي: التعريف بالمؤرخين ١/ ٢٠٧، تاريخ العراق بين احتلالين ٣/ ٢١٨.

(٣) ابن خلدون: التاريخ ٥/ ٥٠٧.

(٤) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٣/ ١٧٤.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٣٠.

(٦) الحائري: إلزام الناصب ٢/ ١٦٥.

(٧) ن. م. ٢/ ١٤.

مرقد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ثم توجه إلى مدينة النجف الأشرف عن طريق الحلة. فزار مرقد الإمام علي عليه السلام وقضى في أنحاء النجف مدة عشرين يوماً[1]، عقد خلالها عدة مجالس حضرها كبار علماء العراق وأذربيجان وغيرهما، وجرت مناظرات ومحاورات علمية وأدبية[2]. وأمر تيمورلنك ببناء عمارة في النجف حيث كشفتْ التنقيبات مؤخراً أنها تقع قرب مسجد الشيخ الطوسي، ومن بقاياها سرداب فيه ريازة وتخريم مؤزّر بالقاشاني[3].

وذكرَ الدكتور كامل مصطفى الشيبي: حاولتْ الشيعة خطب وِدّ تيمور، فقد سعى إليه في عام (٨٠٤هـ- ١٤٠١م) وفد عراقي شيعي من سادات كربلاء والنجف برئاسة السيد محمد مفتاح، وأهدوه عَلماً أبيضَ رووا فيه أن علياً أوصاهم بتسليمه إليه في منام[4]. وفي هذه السنة، جاور فضل الله الأسترابادي مدينة النجف الأشرف وبقيَ فيها عشرين عاماً، ولم يحصل منه ما يدل على أنه من زمرة المسلمين، فهو قد تلقى نحلته هنا أو أنه جاء لبثّها أو كانت لفكرته علاقة بالإسماعيلية الذين كانوا يترددون على مشهد الإمام علي عليه السلام، حيث اتصل بهم[5]. وهذا ليس بغريب أن تكون النجف مقصداً لمثل الاسترابادي من دعاة الإسماعيلية أو غيرها من المذاهب الإسلامية، ولكن دعواتهم لم تلاق رواجاً أو نجاحاً، وذلك لصمود المدرسة النجفية بوجوههم وما يمتلكه علماؤها من قدرات كلامية وفلسفية.

وقد شهدت مدينة النجف الأشرف في العهد التركماني (٨١٥- ٩٠٠هـ) أحداثاً خطيرة قام بها المشعشعيون، ففي عام ٨٤٤هـ - ١٤٤٠م، هاجم السيد محمد بن السيد

---

(١) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢/ ٢٤٠، كركوش: تاريخ الحلة ١/ ٩٨.

(٢) الكليدار: مدينة الحسين ٢/ ١٤٦.

(٣) ن.م. ٢/ ١٤٦.

(٤) ابن شحنة: روضة المناظر ص٢٤٨، ينظر: الشيبي: الفكر الشيعي ص١٧٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع ٦/ ١٧٤.

فلاح مدينة النجف واستولى عليها[1]. بعد أن هاجم البصرة وواسط وكربلاء والحلة، ثم تقدمت جيوشه شمالاً وحاصرت نواحي مدينة بغداد[2]، وقد أشارت المصادر الى غلو السيد محمد المشعشعي في الإمام علي عليه السلام مما يجعله يحرق الحجر الدائر على قبة الإمام علي عليه السلام، وجعل القبة الشريفة مطبخاً لمدة ستة أشهر وكان يقول: إنه رب والرب لا يموت[3]. وقد حمله غلوه الشديد على مهاجمة الضريح الشريف بهذه الصورة، كما أنه تعرض لقوافل الحجاج في طريق النجف، فنهب الأموال والدواب، وأخذ المحمل والآية المذهبة، ثم عطف على مدينة النجف واستباحها[4]، وفي عام ٨٥٧هـ - ١٤٥٤م تمكن علي بن محمد بن فلاح المشعشعي من دخول مدينة النجف ونهبها، ثم دخل الضريح الشريف وأخذ السيوف المحفوظة في المشهد التي كانت تستخدم في الحروب[5]، وذكر المؤرخ الغياثي: أنه خرج بعساكره على الحجاج المتوجهين إلى النجف، وهم في طريقهم إلى الديار المقدسة، فأحاط بهم في المشهد الغروي، يوم السبت غرة ذي القعدة عام ٨٥٧هـ، وقام بنفس الأعمال التي قام بها والده من قبل، فأخذ المحمل والآية المذهبة وقماش المحمل، ولم ينج منه إلا القلائل من الناس قد هربوا إلى داخل المشهد، وقد حاصر السادة داخل المرقد الشريف، فأخذوا يتضرعون اليه، فطلب منهم القناديل والسيوف، وكانت خزائن السيوف تعود إلى سبعمائة سنة وفيها سيوف الصحابة والسلاطين، كلما مات سلطان بالعراق يحمل سيفه إلى تلك الخزانة، وتمكن علي المشعشعي من الحصول على مائة وخمسين سيفاً، واثني

---

(١) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١٠٨/٣.

(٢) محمد هليل: المشعشعيون ص٤٤.

(٣) الجواهري: آثار الشيعة الإمامية ص٥٩، الأميني: شهداء الفضيلة ص٣٠٥.

(٤) الدجيلي: الغلاة ونحلهم، مجلة الغري، العدد الأول، السنة الثامنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ص٦.

(٥) الشيبي: الفكر الشيعي ص٣٢٥، جاسم شبر: تاريخ المشعشعين ص٥٣.

عشر قنديلاً، ستة منها من الذهب، وستة من الفضة[1]. وذكر أحد الباحثين: أن المشعشعي قتل الكثير من أهالي النجف وكربلاء، وساق غيرهم أسرى إلى مقر حكمه في البصرة والجزائر[2]. وقد أثارت هذه الأعمال السلطات المركزية في بغداد، فأرسلت قوة عسكرية بقيادة الأمير (دوه بك) وانضم اليه في الطريق (بسطام) حاكم الحلة، وقد وقعت بين الطرفين معركة حامية انتصر فيها المشعشعي، ولم يسلم منها سوى قائد جيش بغداد وحاكم الحلة، وعندها دخل المشعشعي مدينة الحلة وهرب سكانها إلى بغداد[3]. وبقي علي المشعشعي في الحلة ثمانية عشر يوماً قام خلالها بتدمير المدينة وإحراقها، وقتل الكثير من أبنائها، ومصادرة أموالهم، وقد أرسلها مع التحف المنهوبة من المشهدين الشريفين في النجف وكربلاء إلى مدينة البصرة[4]. وقد استأنف علي المشعشعي هجومه على مدينة النجف الأشرف، وارتكب فيها أعمالاً فظيعة، ودخل الضريح العلوي الشريف بفرسه، وجرده من مظاهر الزينة، وأتى على بقايا القناديل والسيوف والستائر وغيرها، ثم أقدم على كسر صندوق الضريح وأحرقه، ثم توجه إلى مدينة كربلاء وهاجمها[5] وأزاء هذه الأعمال الفظيعة أطلق المؤرخ السخاوي على المشعشعي لفظ (علي الخارجي)[6]، وعلى أثر التخريب الذي تعرضت له مدينتي النجف وكربلاء، أمر (بير بوداق) أمير بغداد عام ٨٥٩هـ، بأن يتوجه (سيدي علي) إلى الحلة والنجف وكربلاء لإصلاح ما خرب فيها، وقد صحبه (أمير شيخ شئ الله) وحسين شاه المهردار، وعمه سورغان، وعلي كرز الدين و(شيخ ينكي أوغلي)[7].

---

(١) الغياثي: التاريخ ص٣٠٨.

(٢) الأفندي: رياض العلماء ٢/ورقة ٣١٦، الأمين: أعيان الشيعة ٢١/٣٠- ٢٢.

(٣) محمد هليل: المشعشعيون ص٦٨.

(٤) ابن شدقم: تحفة الأزهار ورقة ١٥٢، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١٤٤/٢.

(٥) محمد هليل: المشعشعيون ص٦٩، سعيد رشيد: لمحات تاريخية عن كربلاء ص٢٢.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع ٧/٦.

(٧) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١٤٦/٣، شبر: تاريخ المشعشعين ص٥٨.

وكان بعض أمراء التركمان الحاكمين في العراق قد قصدوا مدينة النجف الأشرف لزيارة المرقد الشريف، ففي عام ٨٤٨هـ - ١٤٤٤م، تقديم الأمير القرة قوينلوا سبان بعد عودته من البصرة إلى بغداد، سلك الطريق المؤدي إلى مدينة النجف على الرغم من طوله[1]، ولعله قد تفقد ما أصاب المرقد الشريف والمدينة من تخريب المشعشعين، ويبدو أن موجة الغلو التي طغت على بعض أمراء المشعشعيين قد انتهت على يد السيد مبارك بن السيد عبد المطلب، حيث سعى لإنهاء بدعة الغلو في قومه، فأرسل إلى مدينة النجف الأشرف عام ١٠٠٣ هـ رسلاً يطلب من علمائها مرشدين ذوي تأثير بالغ لتغيير الغلو، فأرسل الشيخ عبد اللطيف الجامعي إلى منطقة الحويزة ونشر المذهب الإمامي هناك[2].



(١) محمد هلبل: المشعشعيون ص٦٤.

(٢) الدجيلي: الغلاة وغلهم، مجلة الغري، العدد الأول، السنة الثامنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ص٦.

رابعاً: العهد العثماني والفارسي (٩٠٠-١٣٣٣هـ)

كانت الدولتان العثمانية والفارسية في صراع عسكري مرير، وبخاصة في عهدي السلطان سليمان القانوني، والشاه اسماعيل الصفوي، وغرضه السيطرة على العراق، فهو مرة يخضع لهذه الدولة ومرة لتلك، وكانت مدينة النجف الأشرف ضمن هذا التأرجح السياسي والعسكري بين الدولتين، وفي عهد الشاه اسماعيل الصفوي وقعت النجف وكربلاء تحت السيادة الفارسية[1]، ولما اقترب اسماعيل الصفوي من أرض النجف، ورأى المرقد الشريف ترجل من فوره، وقطع بقية الطريق سيراً على الأقدام، مبالغة منه في إظهار الولاء للإمام علي عليه السلام[2]، وعند وصوله إلى المرقد الشريف أهدى مجموعة من النوادر الفاخرة، وأكرم أهالي النجف، وأنعم عليهم بوافر العطايا[3]. وفي عام ٩١٤هـ - ١٥٣٤م أمر بحفر النهر الذي سمي باسمه (نهر الشاه) في محاولة منه لإيصال الماء إلى مدينة النجف، وولّى السيد محمد كمونة حكومة النجف الأشرف[4]، وقد عين الحفاظ والمؤذنين والخدم للروضة الحيدرية، وزود المرقد الشريف بالقناديل الفضية والذهبية والأفرشة وغيرها[5]. ولما آل الأمر للسلطان سليمان القانوني قام بزيارة النجف عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م على الطريق الصحراوي[6]. وذلك بعد نجاح

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ١٢٣/٣.

(٢) القهواني: العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني (١٥٣٤- ١٦٣٨م) ص٥١، فيصل عبد الجبار: التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ص٢٥.

(٣) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٣٤١/٣.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢٢٢/١.

(٥) بحر العلوم: تحفة العالم ٢٧٨/١.

(٦) الخياط: كربلاء في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة / قسم كربلاء ٢٦٥/١، القهواتي: حملة سليمان القانوني، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن ص٧٧ نقلاً عن:

Huseying, Yurdaydin an Ottoman historian of xvi the Gentary Nasuh Al Mattra Kii and his Beynan imezil – i- sefri – Iraky and its imparance for some iraq cities p.١٠.

حملته على مدينة بغداد، وقد دخلها دخول الفاتحين، وعند زيارته لمدينة كربلاء، وهو في طريقه إلى النجف الأشرف، امر بحفر نهر الحسينية[1]. ولعل مشروع سليمان القانوني الإروائي هذا جاء منافساً لمشروع (نهر الشاه) الذي قام به إسماعيل الصفوي في النجف، وقد أراد السلطان سليمان القانوني إبراز احترامه لأهل البيت عليهم السلام، وإنه لما قصد مدينة النجف الأشرف، وصار على بعد أربعة فراسخ، لمح القبة الحيدرية الشريفة، فترجل عن فرسه وأخذ يمشي على قدميه وهو يقول: إن أعضائي اهتزت لمرأى هذه القبة وأخذ يردد أبياتاً من الشعر وهو في طريقه إلى المرقد الشريف[2]. وذكر السيد جعفر بحر العلوم: أنه قال له بعض من كان معه: إن المسافة بعيدة إلى النجف ولعل السلطان لا يمكنه الوصول بهذه الحالة، فأجابه السلطان: نتفاءل بكتاب الله تعالى فلما فتحوا المصحف الشريف، وإذا بالآية الكريمة **((فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى))**[3]، فركب بعض الطريق، ومشى بعضه، حتى دخل الروضة الحيدرية المقدسة[4].

واشارت بعض النصوص إلى أن السلطان سليمان القانوني، ورجال دولته، لما شاهدوا القبة الشريفة من بعيد، ترجل بعضهم عن فرسه، فسأل السلطان عن سبب هذا الترجل، فقيل له: إن صاحب المرقد هو أحد الخلفاء الراشدين، فنزلنا إجلالاً له، فقال السلطان: وأنا أفعل ذلك، فقال بعض رجاله: إنك خليفة حي، وولي أمور المسلمين، والحي أفضل من الميت، فقال السلطان: نتفاءل بكتاب الله تعالى، واذا الآية الكريمة: **((فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى))**، فأمر السلطان سليمان القانوني بضرب عنقه[5]. وقد أشار الشاعر التهامي إلى هذه الحادثة بأبيات خمسها الشيخ نصر الله بن إبراهيم بن يحيى العاملي (ت ١٢٣٠هـ) منها[6]:

---

(١) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ ص٢١٤.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/٥٤، العلوي: الشيعة والدولة القومية في العراق ص٤٦.

(٣) طه: ١٢.

(٤) بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٦٥، الكليدار: تاريخ كربلاء ص٢٥٠.

(٥) بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٦٥، الكليدار: تاريخ كربلاء ص٢٥٠.

(٦) الأمين: أعيان الشيعة ٤٩/١٤٠.

علـي ولـي الله نـور شـهابه وعيبـة علـم الله سـر كتابـه

إذا مـا بـدا يومـاً فسيح رحابه تـزاحم تيجـان الملـوك ببابـه

ويكثر في وقت السلام ازدحامها

به الملـة الغـراء أركانهـا علـت وهمتـه العليـاء للـدين كملـت

مليك لـه صيد الملوك تـذللت إذا مـا رأتـه مـن بعيـد ترجلـت

وإن هي لم تفعل ترجل هامها

وخمس السيد العلامة محمد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم) (ت ١٢١٢هـ) البيتين المذكورين بقوله[١]:

تطوف ملـوك الأرض حـول جنابه وتسعى لكـي تحظـى بلثم ترابه

فكـان كبيـت الله عــلا بـه تـزاحم تيجـان الملـوك ببابـه

ويكثر عند الاستلام ازدحامها

أتته ملوك الأرض طوعاً واملت مليكا سحاب الفضل منه تهللت

ومهما دنت خضوعاً به علت إذا مـا رأتـه مـن بعيـد ترجلـت

وإن هي لم تفعل ترجل هامها

ونقل الشيخ النوري هذه الحادثة، وكان صاحبها السلطان العثماني (مراد) لما أراد زيارة النجف الأشرف، ولما رأى القبة الحيدرية الشريفة من مسافة أربعة فراسخ نزل عن فرسه، فسأله أمراؤه عن سبب نزوله، فقال: لما وقعت عيني على القبة المنورة ارتعشت أعضائي، بحيث لم أستطع الوقوف على ظهري، فرأيت أن أمشي راجلاً، فقال له خواصه: الطريق بعيد، فقال: نتفاءل بكتاب الله، ولما فتحوه، كان أول الصفحة قوله تعالى **((فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى))** فمشى في بعض الطريق وركب بعضه الآخر، إلى أن وصل إلى الروضة المقدسة[٢].

---

(١) ن.م.: ٤٨/١٧٤- ١٧٥.

(٢) النوري: دار السلام ٢/٥٦.

وكان السلطان سليمان القانوني منذ دخوله مدينة بغداد، أظهر نفسه أمام العراقيين جميعاً دون تمييز أو تفريق بين المذاهب الإسلامية، وتظاهر بالتقى والتسامح، وكان يقظاً في سياسته الدينية والمذهبية، فقصد العتبات المقدسة في الكاظمية وكربلاء والنجف للزيارة، وأوقف مقاطعات مغلة عليها، فتجنب المشاكل الطائفية التي كان يمكن أن يواجهها آنذاك[1]. وما سياسته التي أبرزها عند وصوله إلى مدينة النجف الأشرف إلا كجزء من تفكيره الإداري، ففي عام ٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢هـ تقدمت الدولة الصفوية باقتراح على الدولة العثمانية هو بتأسيس إمارتين في كربلاء والنجف، مقابل إعادة بايزيد بن السلطان سليمان القانوني الذي التجأ إلى الدولة الصفوية أو إعادة بغداد إلى الحكم الفارسي، ولكن السلطان سليمان القانوني رفض الاقتراحين[2].

وكانت النجف في القرن العاشر الهجري تستقبل السلاطين والوزراء والقادة، فاذا أدوا مراسيم الزيارة للمرقد الشريف، توجهوا إلى دور الفقهاء والعلماء، وينعم بعضهم على السكان بالعطايا والهدايا، ولما زار (كاركيان خان أحمد بن السلطان حسن المعروف خدا وندكار) المتوفى عام ٩٤٢ هـ مدينة النجف الأشرف، اجتمع بالعلماء الأعلام، ومن ثم اعتنق المذهب الإمامي، ثم عاد إلى مدينة جيلان بصفته سلطاناً عليها، وفي رواية أنه مكث في مدينة النجف الأشرف مدة من الزمن ثم توفي فيها[3]. وفي عام ٩٤٥هـ زار (دالبادشاه) العتبات المقدسة وقصد مدينة النجف، وقد وصف المؤرخ (نظمي زاده) هذه الزيارة بقوله: ((هزه الشوق إلى التبرك بأنوار الراقد في أرض النجف الأشرف، والذي مدحه الرسول بقوله: لا فتى إلا علي، وبقوله: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، الحيدر الكرار، كرم الله وجهه، فتوجه إلى البلدة المذكورة، ومضى بالزيارة، وأنعم على الأهلين بالخيرات الوافرة، ووصلهم وأحسن إليهم))[4].

---

(١) الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران ص٢٠.

(٢) الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران ص٢٠.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٢٠.

(٤) نظمي زاده: كلشن خلفا ص٢٠١.

ولكن هذه الحالة الهادئة التي عاشتها مدينة النجف الأشرف في القرن العاشر الهجري كانت تتخللها حالات قلقة، يتعرض فيها السكان للاضطهاد من قبل بعض الولاة، ففي عام ٩٩٧هـ، سار ملك الأزبك عبد المؤمن خان بجيش إلى مدينة النجف، وقتل عدداً من الناس، وقد أشارت بعض المصادر إلى أنه ((قتل عامة الرافضة)) ثم جعل النجف ((دار إسلام))[1] ويبدو أن التعصب الطائفي قد يدفع بعض الحكام إلى اقتراف مثل هذه الجرائم، أو يعرض النجف إلى التخريب، وقد وصف الرحالة تكسيرا (Texeira) في رحلته المسماة (The Travels of Pedre, Texeira, London, 1902) مدينة النجف الأشرف عام ١٠١٣هـ/١٦٠٤هـ بقوله: ((يشاهد في هذه الحاضرة خرائب أسواق معقودة كما هي العادة في المدن القريبة، وبناء هذه الأسواق يدل على ما كان لهذه المدينة من مجد ماض))[2]، وقد قارن (تكسيرا) بين أوضاع النجف السابقة لزيارته لها، وبين وضعها عام ١٠١٣هـ/١٦٠٤م بقوله: ((وقد كانت هذه المدينة كبيرة، فإن دورها كانت قبل ما يزيد على خمسين أو ستين سنة نحو ستة آلاف أو سبعة آلاف، وتدل خرائب معظم هذه الدور إنها كانت واسعة جيدة البناء، أما اليوم فالدور المسكونة لا تزيد على خمسمائة وسكانها فقراء غير مؤثثين، وقد حدثني أناس من السكان أن انحطاطها حدث بعد وفاة الشاه طهماسب ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م ملك إيران الذي كان يعنى بهذه الحاضرة عناية كبيرة))[3]. وكان سور النجف جزء من إهمال المدينة، حيث وصفه تكسيرا بقوله: ((إن المدينة محاطة بسور، ولكن فيه ألف فتحة، وهو مبني كالجامع بآجر وطين))[4]، وهذا النص له دلالة على أن سور النجف لم تكن له القدرة على حماية المدينة من العدوان الخارجي، ومن الجدير بالذكر أن الرحالة

---

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٢٢ نقلاً عن كتاب (غاية المراد) المخطوط.

(٢) سركيس: مباحث عراقية ق٢/٣٣٥.

(٣) سركيس: نظرة في كتاب ماضي النجف وحاضرها، مجلة الإعتدال، العدد الثاني، السنة السادسة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ص١٠٨.

(٤) ن.م.

(تكسيرا) دخل مدينة النجف في الثامن عشر من شهر أيلول عام ١٦٠٤م، المصادف لليوم الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام ١٠١٣هـ وذلك عن طريق البادية، قادماً اليها من مدينة البصرة[١]. ولعل الإهمال الذي كانت تعاني منه مدينة النجف في هذه الفترة هو فقدان السلطة الرسمية في المنطقة، والصراع بين العثمانيين والفرس، مما جعل الأمير ناصر بن مهنا رئيس آل قشعم يخضع منطقة واسعة من العراق لنفوذه ومنها مدينة النجف، وقد وصفته المصادر بالقول: إنه رافد للأتراك يعيش في أعالي تلك الأراضي[٢]. وكان يستوفي الرسوم من المنطقة الممتدة من النجف إلى الفلوجة[٣]. وقد أشار تكسيرا إلى ذلك بقوله: ((إن النجف كانت تخضع في تلك الأيام إلى الأتراك الذين كان يدفع لهم أميرها العربي شيئاً يسيراً من الأتاوى))[٤]. وكان يفرض على مدينتي كربلاء والنجف الأتاوات دون أن يهمه استتباب الأمن فيهما، بحيث أنه كانت في النجف حامية تركية صغيرة قوامها خمسون جندياً، ويبدو أن هذا العدد أخذ في التناقص عند دخول الرحالة (تكسيرا) مدينة النجف، إذ انه لم يجد فيها هؤلاء الجنود، فقد سحبتهم حكومة بغداد بعد نشوب الحرب مع إيران، وبقي الأهلون في غيابهم من دون رئيس[٥]. وقد وقف على أحد الخانات القريبة من مرقد الإمام علي عليه السلام، فوجد أرضيته غير مستوية، تتناثر فوقها الأحجار حتى بدا له غير صالح للإيواء، بعد أن كان فسيحاً فخماً[٦]. وكان الرحالة (تكسيرا) موضوعياً في وصفه، دقيقاً في ملاحظاته سوى ما ذكره بأن تعصب الشيعة ضد المسيحيين واليهود بلغ أقصى شدته في كربلاء

---

(١) الخياط: كربلاء في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ٢٨١/١.

(٢) سركيس: مباحث عراقية ق٩٣/١، مجلة لغة العرب، الجزء الثالث، السنة الخامسة ١٩٢٧ ص١٣٩.

(٣) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٥٦، الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ٢٠٤/١- ٢٠٥.

(٤) الخياط: كربلاء في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ٢٨١/١.

(٥) سركيس: مباحث عراقية ق٣٣٦/٢.

(٦) فؤاد قزانجي: رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر بقلم ساراسيرايت، مجلة المورد، العدد الرابع، السنة الثامنة عشر ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ص٢٤٦.

والنجف[1] دون أن يوضح مظاهر هذا التعصب، إذ أنه من الثابت لم يعش بين ظهراني أهالي النجف وكربلاء غير المسلمين، وقد تكون هنالك حالات شاذة قاس عليها رأيه هذا، وعلى نغمة التعصب هذه ضرب المستشرق الألماني (لونكريك) وتراه أبعد عن الحقيقة بقوله: ((كانت بلدة النجف ذات العصبية الدينية الدائمة التي أفقرها انقطاع الخيرات عنها، بعد موت الشاه طهماسب، معترفة بسلطة حاكم البادية))[2]، وقد أراد بذلك الأمير ناصر بن مهنا، الذي كان يلقب نفسه بالملك[3].

وأخذ وضع مدينة النجف الأشرف بالتحسن ومال نحو الازدهار والتقدم عند وصول الشاه عباس الأول الصفوي إلى السلطة، فقد وردها جماعة من التجار ((فأنشأوا وعمروا ووسعوا فيها))[4] وقد زارها الشاه عباس عام ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م فأدخل إصلاحات كبيرة على عمارة المرقد الحيدري الشريف، وأولى العتبة المقدسة عناية مخصصة، فقد كان يكنس الحضرة بنفسه[5]، ويعزى اليه الفضل في تذهيب قبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[6]. وقد نسبت إلى الشاه عباس الأول آثار جليلة منها الأواوين التي عمرها، وأوقفها للزائرين، وكانت تعرف بالخيابان، ومحلها جهتا السوق الكبير في الوقت الحاضر، وكانت تمتد من الصحن الشريف إلى جهة طرف المشراق، وقد اشار اليها الشيخ جعفر محبوبة بقوله: وقد شاهدنا آثارها عند هدم السوق قبل سنوات[7]. وبقي الشاه عباس الصفوي في مدينة النجف الأشرف مدة أسبوعين، وبذل

---

(١) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ١٧٥٦/٤.

(٢) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٥٦.

(٣) الخياط: كربلاء في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة/قسم كربلاء ٢٨٤/١.

(٤) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٥٣، نقلاً عن:
Stephin H. Longrigg: Four Centuries of Modern Iraq. P.١٦.

(٥) بحر العلوم: تحفة العالم ٢٧٨/١.

(٦) الخياط: كربلاء في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة/قسم كربلاء ٢٦٨/١.

(٧) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٧/١.

خلالها الأموال الكثيرة في سبيل إيصال الماء إلى مدينة النجف عن طريق الآبار[1]. ويبدو أن العراق قد خضع للشاه عباس الأول الصفوي بعد انتزاعه من أيدي العثمانيين، وقد وصف هذا التحول السياسي عدد من المؤرخين ومنهم الرحالة البرتغالي (ديلافاله) الذي يقول: إن النجف كانت في أيدي (القزل باش) أي الإيرانيين، بعد أن كانت في أيدي الأتراك الذين يحكمون بغداد[2]. ويقول (لوريمر): أنه في عام ١٦٢٣م خضعت الحلة وكربلاء والنجف للإيرانيين بعد سقوط بغداد[3]. وكان القائد الصفوي زينل خان قد ألحق الضربات القوية بقوات والي سيواس (طيار محمد باشا) في منطقة ديالى، كما كانت القوات العثمانية المتمركزة في مدينة النجف وأطرافها تعاني هي الأخرى من هزائم متكررة أمام الجيش الصفوي[4]. ولكن بعد عشر سنوات بدأت المفاوضات بين الدولتين العثمانية والصفوية عام ١٠٣٣هـ/١٦٣٣م وقد دارت هذه المفاوضات بين الشاه عباس الصفوي وبكر صوباشي، ولكنها آلت إلى الفشل، ثم تقدم الشاه عباس الصفوي باقتراح يقضي باستئناف المفاوضات بين الطرفين، وتم اجتماع حافظ أحمد رئيس المرافقين، وجماعة من الضباط مع الشاه عباس الصفوي، ثم عادوا إلى بغداد مع سفير الشاه عباس، وانتهت المفاوضات إلى الفشل أيضاً، بسبب مطالبة الصفويين بمدينة بغداد، وعند رفض العثمانيين هذا الطلب استعاض عنه الصفويون بمدينة النجف الأشرف بدلاً من بغداد، فقوبل هذا الطلب بالرفض ايضاً، وقال الوزير حافظ أحمد: ((إن كل حجر في النجف يعادل ألف إنسان، وما بغداد إلا حماها))[5]. وعند ذلك جرد

---

(١) بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٧٨.

(٢) الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ١/٢٠٨.

(٣) لوريمر: دليل الخليج / القسم التاريخي ٤/١٧٥٩.

(٤) علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني (١٦٣٨- ١٧٥٠م) ص٤٧، نقلاً عن مصطفى نعيما الحلبي: تاريخ نعيما ٢/٣٣١.

(٥) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٨٤ – ٨٥، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٩، علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص٤٣.

السلطان العثماني مراد حملة عسكرية أعطى قيادتها إلى (مراد باشا) وقد تمكن هذا من إعادة العراق إلى نفوذ الدولة العثمانية عام ١٠٣٤هـ، وتوجه إلى مدينتي النجف وكربلاء بصحبة (سلطان بيكرلي) المتولي على العتبات المقدسة[١]. وقد حدد الشيخ جعفر محبوبة هذا الحدث بعام ١٠٣٢هـ[٢]، ولكن هذا وهم وقع فيه الشيخ محبوبة، لأن التاريخ الذي حدده كانت فيه المفاوضات بين العثمانيين والصفويين جارية، وقد أشارت المصادر إلى أن السلطان العثماني مراد قد أعطى الأمان لأهالي مدينة النجف الأشرف جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، إلى من بالمشهد المنور والمرقد المطهر للإمام المظفر والشجاع الغضنفر أبي الحسنين حيدر كرم الله وجهه من السادات والأعيان وسائر السكان خصوصاً السيد البهي الولي الأمير بهاء الدين علي[٣]، أما بعد: هو إنا قد أعطيناكم أمان الله وأمان رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وأمان السلطان، وأمان مراد باشا، بأن الرعايا لا علاقة لهم فيما يقع بين السلاطين من أمور الدنيا والدين، بل هم كالأنعام يرعاهم من تولاهم، وإن وزير حضرة السلطان أرسلنا إلى هذا المكان لنجاهد حق الجهاد ونستنقذ الرعايا والبلاد من أيدي الأكراد أهل البغي والعناد، وكنا قد عزمنا سابقاً على أن نرسل إلى إنقاذ النجف الأشرف شرذمة من العساكر ولكن عدلنا عن ذلك اذ رأينا تجريد السيوف القواطع ورمي السهام والمدافع على تلك الحضرة المنورة والبقعة المطهرة من سوء الأدب في حق الإمام المنتجب وأيضاً أشفقنا على المجاورين والسكان المستظلين بذلك المكان فحين وصول الكتاب وورود هذا الخطاب، قروا في أماكنكم وأقيموا في أمالتكم وحافظوا على أوطانكم، واضبطوا النجف الأشرف ولا تؤمن ولا تخف إلا أن يأتيكم كتابي ممهوراً بمهري المزبور، أو رجل من طرف الوزير المذكور فعليك بحفظ المكان المحترم وصيانة الموضع المكرم وفي هذا

---

(١) سركيس: مباحث عراقية ق٢/٣٤٢.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٣٢٢.

(٣) بهاء الدين علي الآوي، كان نقيب العلويين في مدينة النجف الأشرف.

كفاية))[1]. وكان قد صحب الأمير (مراد باشا) وزير السلطان العثماني مراد إلى مدينة النجف الشيخ مدلج بن أبي ريش أمير أعراب البادية[2]. وذكر العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي أن النجف قد قاومت الجيش العثماني عام ١٠٣٤هـ، ومن ثم قد خضعت للغزاة لقوله: حاصر الروم مدينة النجف، وقد تحصن أهلها وأغلقوا الأبواب عليهم مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة المحاصرين وقوتهم وشوكتهم فجلسوا زماناً طويلاً ولم يظفروا بهم، وكان يرمون بالبنادق الصغار والكبار عليهم شبه الأمطار، ولم يقع على أحد منهم، وكان الصبيان في السكك ينتظرون وقوعها ليلعبوا بها حتى أن يرمون بندقاً كبيراً دخل في كم جارية[3]، وقد استقى الشيخ محمد السماوي مضمون هذه الحادثة فأوردها في أرجوزته بقوله[4]:

وذكــر البــاقر في البحــار	معــاجزاً مــشهورة الآثــار
قــال بعــام الألــف ثــم الأربعــه	ثــم الــثلاثين لهــا متبعــه
قد حاصر الـروم مدينـة النجـف	واكتضت الجنود صفاً بعد صف
يرمونهـــا بمــدفع وبنـــدق	فلـم يخـف منهـا أمـرء ويتـق
بـل كانـت الكبـار والـصغار	لهـم إلى وقوعهـا انتظـار
ليأخـذوها ثـم يرمـوا العـسكرا	فبلغـوا مـن رميـة مـا أنكـرا

ومما يبدو من سير الأحداث أن مدينة النجف وغيرها من مدن العراق كانت في مهب الريح في الصراع العثماني الفارسي، فتقع فريسة في يد المنتصر، وقد تلاقي من جراء ذلك متاعب ومضايقات، أو تقدم ضحايا وخسائر مادية، ففي عام ١٠٤٠هـ وقعت مصادمات بين عسكر السلطان العثماني مراد، وعسكر الشاه الصفوي عباس

(١) الخرسان: المجموعة الثانية (مخطوط غير مرقم)، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٣٠٦-٣٠٧.

(٢) سركيس: مباحث عراقية ق٢/٣٤١ نقلاً عن
Relation du voyage perse Faict parlepere Racifiquie de Provins, ١٠٣١.

(٣) المجلسي: المزار ص٩١.

(٤) السماوي: عنوان الشرف ص٣٩.

الأول في مدينة النجف، فذكر الشيخ جعفر محبوبة: لم تزل بعض مدافع الصفويين موجود في مخافر الحكومة، وكان (كنج عثمان) قد دخل مدينتي كربلاء والنجف مع جنده، وفي عام ١٠٤١هـ فتح (خسرو باشا) القائد العثماني مدينة النجف بعد أن حاصرها مرتين، ولما امتنعت عليه تركها عائداً إلى الأستانة[1].

وكان المسئولون في الدولة الصفوية يواصلون الزيارة لمدينة النجف والعتبات المقدسة في العراق دون أن يكون الصراع مع العثمانيين حائلاً أو مانعاً، ففي عام ١٠٤١هـ توجه الشاه صفي بن صفي ميرزا بن السلطان الشاه عباس لزيارة العتبات المقدسة، وقد أدى ما عليه من النذور والإكرام والأنعام، وإطعام أرباب الحاجات[2]. وأمر وزيره الميرزا تقي المازندراني بعمارة الحرم العلوي، وكان بصحبته العلامة السيد الداماد مير محمد باقر[3]. وقد ذكر السيد الخوانساري: إن العلامة الداماد قد رافق السلطان شاه صفي إلى مدينة النجف الأشرف عام ١٠٤٠هـ وأقام فيها، ومات في نفس السنة[4]. ومن الجدير بالذكر أن الوزير الميرزا تقي المازندراني قد زار مدينة النجف عام ١٠٣٢هـ، وأقام فيها ثلاث سنوات وذلك للإشراف على عمارة المرقد العلوي الشريف وتوسيع ساحته[5]. وقد أشار الآقا حسين الخوانساري المتوفى عام ١٠٩٩هـ في كتابه (وقف نامة) إلى الأملاك التي وقفها الشاه صفي الصفوي للحرمين الشريفين العلوي والحسيني[6]. وقد أضفت هذه المشاريع الصفوية للعتبات المقدسة هالة من الأبهة والعظمة والجمال، في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تقوم بحملات عسكرية في سبيل إيقاف الزحف الصفوي ففي السادس عشر من أيلول عام ١٦٣٠م، الموافق

---

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٢٤.

(٢) بحر العلوم: تحفة العالم ١/ ٢٧٨.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٢٢.

(٤) الخوانساري: روضات الجنات ٢/ ٦٦.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٣١.

(٦) الطهراني: الذريعة ٢٥/ ١٣٧.

للثامن والعشرين من محرم الحرام عام ١٠٤٠هـ، دخل الصدر الأعظم (خسرو باشا) مدينة بغداد، ووضع حامية في قلعة الطيور (قوشلر قلعة سي) لمنع وصول الإمدادات إلى الحامية الإيرانية في النجف وكربلاء والحلة[١]. وفي عام ١٠٤١هـ تمكن (كنج باشا) من الوصول إلى مدينة النجف على رأس قوة عثمانية أرسلها السلطان مراد، وكانت النجف في هذه الفترة ((بلدة معمورة))[٢]. وقد اتخذ القائد العثماني كنج باشا من مدينة كربلاء مقراً له لكي يشرف على حكومة المنطقة ويبدو أنه قد أبدى شجاعة وبطولة في حربه مع الصفويين، إذ أنه قتل عدداً كبيراً من الإيرانيين[٣]، وقد أطلق عليهم لفظ (القزلباش) ومعناه حمر الرؤوس، فقد كانوا يضعون فوق رؤوسهم قلنسوات حمراء فيها اثنتا عشرة طية، دلالة على انتمائهم للمذهب الإمامي الاثنى عشري، ومن الغريب ما ذهب اليه أحد الباحثين من أن هؤلاء ما كانوا يلتزمون بالفروض والشعائر الإسلامية[٤] دون أن يعطي دليلاً على ذلك، وقد أشار الأستاذ عباس العزاوي إلى أن العثمانيين دخلوا العراق وانتزعوه من أيدي الصفويين عام ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م بقيادة (كنج عثمان) وعلى اثر ذلك تم فتح قصبتي كربلاء والنجف[٥]. وفي هذه السنة زار السلطان مراد مدينة النجف وأدى مراسيم الزيارة للمرقد الشريف، وأشار إلى ذلك (لوريمر) بقوله: نزل إحدى بوابات المدينة فسماها باسمه باب المراد[٦]. وهذا وهم إذ ليست هناك بوابة لسور النجف بهذا الإسم، وإنما إحدى بوابات الحرم الشريف الداخلية سميت بباب المراد، ولعلها نسبة للسلطان العثماني هذا، ويبدو أن الفترة الزمنية بين ١٠٤٠- ١٠٤٩هـ كانت من الفترات العصيبة التي مرت بها مدينة النجف،

---

(١) علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني (١٦٣٨- ١٧٥٠م) ص٥٣.

(٢) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ١٧.

(٣) الخياط: صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ص٧٧.

(٤) فيصل عبد الجبار: التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ص٢٤.

(٥) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ١٧.

(٦) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ١٧٦٢/٤- ١٧٦٣.

فهي بالإضافة إلى أنها فترة انتقال سياسي من الصفويين إلى العثمانيين، لكنها كلفت المدينة خسائر بشرية ومادية، ففي عام ١٤٠٨هـ تمكنت الحكومة من قتل ألف واربعمائة من (القزلباشية) الإيرانيين الواردين إلى النجف والكاظمية[1]. وإن دخول العثمانيين بالقوة إلى العراق، ومن ثم إلى مدينتي النجف وكربلاء كان يصاحبه العنف والإرهاب لأن هاتين المدينتين كانتا في حسبان الدولتين المتصارعتين لأهميتهما الدينية في العالم الإسلامي، وإن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن السلطان مراد قد دخل بغداد في عام ١٠٤٧ أو ١٠٤٨هـ غير صحيح[2] بدلالة الأحداث التي صاحبت عام ١٠٤٩هـ، ومنذ هذا التاريخ حكم العثمانيون العراق حكماً عسكرياً صارماً، ففي عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٨م زار مدينة النجف الأشرف (قره مصطفى باشا) وبعد أداء مراسم الزيارة للمرقد الشريف توجه إلى منطقة (الرماحية) ثم إلى (العرجة) حيث عقد هناك اجتماعاً حربياً[3]، ولكن الأمر لم يحسم بين العثمانيين والفرس بهذه النتيجة العسكرية، بل بقي الصراع مستمراً بين الطرفين، وويلاته الخطيرة على المجتمع قائمة، إضافة إلى الوضع العشائري المضطرب في منطقة الفرات الأوسط، وتدهور الحالة الاقتصادية، ففي عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧م غمرت الفيضانات منطقة الفرات الجنوبي، وعزلتها عن المناطق الأخرى، فاستغل الشيخ سلمان بن عباس الخزعلي هذه الحالة، فسيطر على الرماحية والحسكة وضواحي مدينة النجف[4]. وقد حدد الأستاذ عباس العزاوي هذه الحادثة عام ١١١٢هـ/١٧٠١م[5] ويبدو أن التاريخ الأول أقرب إلى الصحة، لأن هذا

---

(١) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٤/٢٣٤.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٢٠، ينظر سركيس: نظرة في كتاب ماضي النجف، مجلة الإعتدال، العدد الثالث، السنة السادسة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ص١٨٣.

(٣) علي شاكر علي: العراق في العهد العثماني (١٦٣٨- ١٧٥٠م) ص١٤٤.

(٤) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص١٥٢، الساعدي: دراسات عن عشائر العراق الخزاعل ص١٥.

(٥) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/١٥٣.

الزعيم الخزعلي قد سيطر من قبل ذلك على مقاطعات من الرماحية وخالد وكبشة والحسكة وبني مالك ونهر الشاه والنجف[1]. وفي عام ١١٥١هـ/١٧٣٨م ثار الأمير سعدون شيخ المنتفك، ومعه عشرة آلاف مقاتل فنزل ما بين الكوفة والنجف، وتغلب على بعض القرى ومنع المزارعين من الانتفاع بأراضيهم، وقال: ((أنا السلطان في هذه الديار وما شأن أحمد باشا، وما السلطان؟ إني إن شاء الله آخذ بغداد، وأحكم فيها بالعدل))[2] وتمكن في عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م من محاصرة البصرة، ونهب القرى الواقعة بين مدينتي القرنة والنجف[3]. وهذا يعني أنه كان يجوب منطقة واسعة دون رادع له من السلطة العثمانية الحاكمة في العراق، وأزاء هذا الموقف الخطير، طلب من سليمان باشا الكتخدا، تفريق الجيش وقتل رجال التخريب ونهب أموالهم، عدا كربلاء والحلة والنجف[4]. وقد كانت مدينة النجف في هذه الفترة المضطربة تحت حكم (السيد مراد) وهو أحد العلويين المتنفذين في المدينة، وقد أشار اليه السيد عباس المكي الحسيني بقوله: إنه في عام ١١٣١هـ كان السيد مراد يشغل حكومة النجف من قبل العثمانيين، وقد وصفه بالقول: ((واجتمعت بالسند السيد المعتمد الآيد الأمجد الأنجد الأسعد الأصعد مولانا السيد مراد حاكم المشهد، وحصل لي منه الإكرام والقبول أدامه الله تعالى بالرياسة والعز ما هبت الدبور والقبول))[5]. ولعل المستر (همفر) الجاسوس البريطاني الموفد إلى البلاد الإسلامية عام ١١٢١هـ/١٧١٠م قد عاصر السيد مراد حاكم النجف، وأوضح موقف الدولة العثمانية من النجف وعلماء الدين بقوله: إن السلطان العثماني

---

(١) ن.م. الساعدي: من المدن العراقية المندرسة مدينة الرماحية، مجلة البلاغ، العدد الأول، السنة السادسة ١٣٩٦هـ/١٩٧٩م ص١٧.

(٢) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢٥٦/٥، سركيس: مباحث عراقية ١٩٦/٣، الوردي: لمحات اجتماعية ١١٧/١.

(٣) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق ص١٩٠.

(٤) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢٦٤/٥.

(٥) المكي: نزهة الجليس ١٧/١.

يحترم العلماء ويجلهم لعدة أسباب منها: مساندة حكومة فارس الشيعية لهم، فإذا مس السلطان كرامة العلماء توترت العلاقات بين الحكومتين، وأحياناً تصل حد الحرب، ووجود العشائر المسلحة حول النجف، وإن لعلماء الدين مراجع في الهند وأفريقيا وغيرهما فإذا مست الحكومة كرامتهم هاجت الشيعة في كل مكان[1]. وكان المستر (همفر) قد وصل إلى مدينة النجف في زي تاجر من تجار أذربيجان، وأخذ يحضر مجالس العلم ووصفها بقوله: ((وحضرت مجلس دروسهم وأعجبت بهم أيما إعجاب لصفاء روحهم وغزارة علمهم وشدة تقواهم، لكن وجدتهم قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد أمرهم))[2]. وقد مكث (همفر) في مدينتي النجف وكربلاء مدة أربعة أشهر، مرض خلالها في النجف حتى يئس من حياته، ثم أخذت صحته في التحسن بعد تناول الأدوية في أحد السراديب العائدة لصاحب البيت الذي استأجره[3].

وكانت الدولة العثمانية في فترات الفوضى والاضطراب تسعى بقدر جهدها للحفاظ على العتبات المقدسة وتعميرها في سبيل تعزيز مصالحها السياسية في العراق، ففي عهد الوالي حسن باشا (١٧٠٤-١٧٢٣م) تم ترميم مراقد الأئمة عليهم السلام في الكاظمية وكربلاء والنجف، وتعمير الخانات الكائنة في شرقي بغداد، وتشييد خان جديد بين مدينتي النجف وكربلاء لاستراحة الزوار وتعيين حراس للحفاظ عليه[4]. ولكن هذه الإجراءات الإدارية والدينية لم تمنع الفرس من تشديد هجماتهم على العراق من وقت لآخر وقد وصلت أوجها في عهد (نادر شاه) فقد كرر هجماته في السنوات ١٧٣١، ١٧٤٥، ١٧٤٦، ١٧٥٨م، وفي السنة الأخيرة احرزت انتصارات ساحقة على الدولة العثمانية، مما جعله يقدّم للصلح بين الدولتين شرطين أساسيين هما: الاعتراف

---

(١) همفر: مذكرات المستر همفر ص٤٢.

(٢) ن.م. ص٤٤.

(٣) ن.م. ص٤٧- ٤٨.

(٤) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢١٠/٥، علي شاكر علي: العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٧٥٠م) ص١٠٦.

بالمذهب الجعفري، وتسليم وان وكردستان العراق إليه، ثم عاد بعد ذلك متنازلاً عن بعض مطاليبه مكتفياً بضم مدينتي النجف وكربلاء[1]. وقد اعتقد نادر شاه أن بغداد سوف تسقط بيده بسهولة، إذ لا أمل في إنقاذها بعد تلك الهزيمة التي لحقت بالجيش العثماني عند (آق دربند) ومنها بدأ زحفه على بغداد، وبعث قوة من جيشه بقيادة (بابا خان بشلو بكلربكي لورستان) أي بيك البيكات وهو لقب حاكم ايلة، لاحتلال النجف وكربلاء، وذلك للحيلولة دون وصول المؤن والإمدادات إلى مدينة بغداد[2] وذكر الشيخ محمد الكوفي: ((إن نادر شاه الافشاري توجه نحو العراق عن طريق خانقين، وفتح الموصل وجاء إلى بغداد سنة الف ومائة وست وخمسين، وتوجه ثاني يوم وروده نحو النجف الأشرف على طريق الحلة))[3]. وذلك بعد إبرام معاهدة الصلح مع السلطان العثماني محمود الأول[4]. وقد أشارت بعض المصادر إلى ان نادر شاه خف لاحتلال رأس الجسر في جانب الكرخ من بغداد، وبعث قسماً من قواته لاحتلال سامراء والحلة وكربلاء والنجف والحسكة والرماحية[5]، ولما نزل بمدينة بغداد عقد اتفاقية صلح مع الوالي العثماني أحمد بن حسن باشا، وقد نصت الاتفاقية على ما يلي[6]:

١. أن يكف نادر شاه عن حرب العراق.

٢. أن يعترف العثمانيون رسمياً بمذهب الشيعة.

---

(١) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص١٨٧، الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ٢١٨/١، سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص١١٢ نقلا عن:

Lokhart: Nadir Shah, p.١٥٣

(٢) علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص١٧٠.

(٣) الكوفي: نزهة الغري ص٤٩.

(٤) بحر العلوم: تحفة العالم ٢٧٩/١.

(٥) علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص١٥٨، حملة نادر شاه على بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن لسنة ١٩٧٩ ص٩٨ نقلاً عن:

Hammer, J.: Histoire de L'Empire Ottoman, vol xiv, ١٤, Paris, ١٨٣٩, p.٢٨٧.

(٦) الأمين: أعيان الشيعة ١٠٥/٤٩.

٣. أن يكون للشيعة محراب خامس في مكة المكرمة.

٤. السماح بإقامة الصلوات في الحرم.

٥. أن يكون أمير الحاج للشيعة من قبل نادر شاه على الطريق البري المار بالنجف الأشرف.

٦. إصلاح البرك والآبار الواقعة في طريق زبيدة.

واشارت المصادر الغربية إلى أن اسم النجف الأشرف في عهد السلطان نادر شاه صار يتردد في كل فرصة ومناسبة[١].

وكان السلطان نادر شاه قد وصل إلى مدينة النجف الأشرف يوم الأحد، المصادف لليوم الحادي والعشرين من شوال عام ١١٥٦هـ وغادرها يوم الجمعة إلى مدينة كربلاء، وكان لما اقترب من سور مدينة النجف وضع في عقده زنجيراً (زنجيل) أو سلسلة من ذهب، واقتيد به حتى يصل الضريح الحيدري الشريف فيلثمه، وعلق ذلك الزنجير في مدخل الضريح[٢]، ومن ثم تقدم نديمه (الميرزا زكي) فأنشد بيتين من الشعر، ما معناهما:

نم في تـــراب النجـــف مطمئنـــاً

ولا تـسأل عمـا يجـري يـوم القيامـة

فإن الأرض التي ينقلب الخمر فيها خلاً

لا بد أن تنقلب السيئات فيها إلى حسنات

وقد أشار الشاعر بهذين البيتين إلى كرامة مشهور للإمام علي عليه السلام تناقلها الخلف عن السلف، ومفادها أن أحد الفسّاق أدخل زجاجة خمر إلى مدينة النجف الأشرف، فتحولت إلى خل[٣].

---

(١) الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف ١/٢١٧.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٢٣.

(٣) ن.م.، الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٣٠، دونلدسن: عقيدة الشيعة ص٧٧.

وفي أثناء وجود السلطان نادر شاه في مدينة النجف قام بعملين كبيرين، دخل من خلالهما التاريخ من أوسع أبوابه وهما:

أولاً: تذهيب وتعمير المرقد الحيدري

ويعد تذهيب القبة العلوية الشريفة والمنارتين من مآثر نادر شاه الخالدة، وعند وجوده في مدينة النجف الأشرف أمر بتذهيب القبة والمئذنتين والإيوان الشرقي بالذهب[1]. وذكر الشيخ محمد حرز الدين: إن نادر شاه لما غزا الهند، أمر أن يكتب في الكف الذهبي الأعلى الواقع فوق القبة الذهبية ((**يد الله فوق أيديهم**))[2].

ثانياً: مؤتمر النجف

عقد في مدينة النجف الأشرف مؤتمر ديني كبير في ٢٥ شوال ١١٥٦هـ/ ١٢ كانون الأول ١٧٤٣م، وكانت غايته توحيد المسلمين والتقريب بين مذاهبهم[3]. وقد أحضر السلطان نادر شاه عدداً كبيراً من علماء الشيعة والسنة[4]. فذكر الشيخ محمد حرز الدين: كان في قرارة نادر شاه هو اجتماع علماء المسلمين في حضرة مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأحضر معه عدداً من علماء بغداد، ومن كربلاء السيد نصر الله الحائري، وألزمهم بالتفاهم والمناظرة في الإمامة، وقد ناظر السيد

---

(١) الجواهري: آثار الشيعة الإمامية ص٩٦، السويدي: مؤتمر النجف ص٦٨، الوردي: لمحات اجتماعية ١/ ١٣٠ نقلاً عن:

Douglas, Carruthers: The Desert Route to India Byyreat desert caravan route between Aleppo and Basra ١٧٤٥.١٧٥١. The journals of four travelers permission, The Haklugt society, Germany, dessing, Druckerei wes, boden, ١٩٦٧, pp. ٢١□٢٢.

(٢) حرز الدين: معارف الرجال ٣/ ١٩١.

(٣) جلال وردة: نحو قراءة جديدة، مجلة آفاق عربية، العدد الثامن، السنة السابعة ١٩٨٢ ص١٣١، الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية ص٢٧٤.

(٤) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ٢٦٩، الوردي: لمحات اجتماعية ٦/ ٣٠، علاء نورس: حكم المماليك في العراق ص١٩١.

الحائري العلماء المجتمعين وكانت حجته قوية دامغة[1]. ويبلغ مجموع من حضر (مؤتمر النجف) أربعة وثلاثين عالماً، تسعة عشر من علماء الشيعة، وخمسة عشر من علماء السنة، بعضهم من الأفغان وبخارى وبلاد ما وراء النهر[2]. وذكر الدكتور علي الوردي: إن المؤتمر حضره سبعون عالماً شيعياً من إيران، وسبعة من تركستان، وسبعة علماء من أفغانستان[3]. ولم يتفق الباحثون على رقم محدد للعلماء الذين حضروا (مؤتمر النجف) ولكن في الحقيقة إنه يعد المؤتمر الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي[4]، وذهب بعض الباحثين إلى أن سبب عقده يعود إلى غرض سياسي، هو أن السلطان نادر شاه كان ينحدر من عائلة سنية، وقد سيطر على عرش شيعي امبراطوري، فحاول مع الأتراك اعتبار التشيع مذهباً خامساً، والاعتراف به رسمياً حتى تزول خلافاته مع الدولة العثمانية المجاورة لدولته، وقد حصل على الموافقة المبدئية، وسافر إلى مدينة النجف الأشرف لاستحصال الموافقة النهائية من علمائها، وبعد أن أدى مراسيم الزيارة للمرقد الشريف، جمع العلماء وتذاكر معهم في هذا الشأن، وبعد مناقشات طويلة، رفض علماء النجف هذه الفكرة[5]. وهناك من أعطى تفسيراً آخر لعقد مؤتمر النجف هو أن السلطان نادر شاه لم يحقق أية فائدة من هجومه على العراق، فعزم على تحقيق نصر آخر في ميدان غير الميدان العسكري، فدعا إلى عقد مؤتمر موسع لعلماء الدين المسلمين في مدينة النجف للتباحث في المعتقدات التي سببت التنافر والتباغض بين المسلمين، والعمل على إزالتها، فكتب إلى أحمد باشا والي بغداد يطلب منه إرسال أحد علماء الدين لحضور هذا المؤتمر، فندب إليه الشيخ عبد الله السويدي أحد علماء بغداد

---

(١) حرز الدين: معارف الرجال ١٩٢/٣.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ١٠٥/٤٩.

(٣) الوردي: لمحات اجتماعية ١٣١/١.

(٤) ن.م.

(٥) الأسدي: ثورة النجف ص٣١.

المعروفين[1]. وقد سافر الشيخ السويدي إلى النجف يوم ٢٢ شوال ١١٥٦هـ، المصادف ١١ كانون الأول ١٧٤٣م مع حاشيته، وكان طيلة الطريق يفكر في الأدلة التي سيواجه بها علماء الشيعة[2]. ولا سيما العلماء الإيرانيين الذين انتخبوا من مدن معروفة بالعلم والفكر وفيهم القضاة والمفتون وكان عددهم عشرين عالماً، وهم[3]:

١. الملا باشي علي أكبر، ومعنى (الملا باشي) رئيس العلماء إذ أنه من عادة ملوك العجم أن يكون لكل منهم عالم يلقب (ملا باشي) ويصحب الملك أو السلطان في السفر والحضر، ويكون مرجعاً في الأمور الشرعية والعلمية وله مقام رفيع في المناظرات الفكرية، وقد استمر هذا العرف العلمي إلى أواخر الدولة القاجارية.

٢. آقا حسين / مفتي ركاب الشاه.

٣. الملا محمد / إمام لاهجان.

٤. آقا شريف / مفتي مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

٥. مرزا برهان / قاضي شروان.

٦. الشيخ حسين / مفتي باء رومية.

٧. ميرزا ابو الفضل / مفتي قم.

٨. الحاج صادق / مفتي جام.

٩. السيد محمد مهدي / إمام أصفهان.

١٠. الحاج محمد زكي / مفتي كرمانشاه.

١١. الحاج محمد الثمامي / مفتي شيراز.

---

(١) علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص١٩٦.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٣٢.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٩٤/٤١، ١٠٥/٤٩، السويدي: مؤتمر النجف ص٨٩- ٩٠، فيصل عبد الجبار: التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ص٩٠ نقلاً عن: فسائي: تاريخ فارسنامة ناصري ص١٨٩- ١٩٠، انتشارات كتابخانه سنائي ١٣١٤هـ.

١٢. ميرزا أسد الله / مفتي تبريز.

١٣. الملا طالب / مفتي مازندران.

١٤. الملا محمد مهدي / نائب الصدارة بمشهد الإمام الرضا.

١٥. الملا محمد صادق / مفتي خلخال.

١٦. محمد مؤمن / مفتي استراباد.

١٧. السيد محمد تقي / مفتي قزوين.

١٨. الملا محمد حسين / مفتي سبزوار.

١٩. السيد بهاء الدين / مفتي كرمان.

٢٠. السيد أحمد / مفتي باردلان، وكان شافعي المذهب.

وقد ضم وفد الأفغان سبعة من الأعلام وهم:

١. الشيخ الملا حمزة القلنجاني / مفتي الأفغان.

٢. الملا امين القلنجاني / قاضي الأفغان.

٣. الملا دنيا الحنفي.

٤. الملا طه الأفغاني الحنفي / مدرس بنادر آباد.

٥. الملا نور محمد القلنجاني الحنفي.

٦. الملا عبد الرزاق القلنجاني الحنفي.

٧. الملا إدريس الإيداني الحنفي.

ومن الملاحظ أن وفد الأفغان كان جميعهم من المذهب الحنفي، وكذلك وفد ما وراء النهر، وكان عددهم سبعة أعلام وهم:

١. العلامة هادي خواجة الملقب (بحر العلوم) قاضي بخارى.

٢. مير عبد الله صدور بخاري.

٣. قلندر خواجه البخاري.

٤. ملا اميد صدور.

٥. باد شاه خواجه البخاري.

٦. ميرزا خواجه البخاري.

٧. الملا إبراهيم البخاري.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأعلام السبعة كلهم من مدينة (بخارى) ومن علماء المذهب الحنفي، أما الوفد العراقي فقد ضم ثلاثة أعلام من بغداد وهم: الشيخ عبد الله السويدي (سني المذهب)، والشيخ جواد النجفي الكوفي (من مدينة النجف الأشرف)، والسيد نصر الله الحائري (من مدينة كربلاء) وهما شيعيان، وقد شكك الشيخ محمد حرز الدين بالشيخ جواد النجفي بقوله: ((ولدى التحقيق أنه لم يوجد عالم من علماء النجف معروف بهذا الإسم واللقب المستعار أبداً))[1]، واذا تحقق هذا الشك، فتكون مدينة النجف قد قاطعت المؤتمر بصورة نهائية، في الوقت الذي كانت تزخر بالأعلام والفقهاء والمحدثين والمتكلمين والشعراء والأدباء، ومنهم[2]:

١. السيد هاشم الموسوي الحطاب (ت ١١٦٠هـ).

٢. الشيخ يحيى الخمايسي (ت ١١٦٠هـ).

٣. الشيخ محمد يحيى الخمايسي (ت ١١٦٢هـ).

٤. السيد رضي الدين بن محمد الموسوي العاملي (ت ١١٦٠هـ).

٥. الشيخ محمد علي بن بشارة آل موحي (ت ١١٦٣هـ).

٦. الشيخ محمد مقيم بن الشيخ درويش الحامدي الخزاعي (ت ١١٦٣هـ).

٧. السيد شبر بن السيد محمد الموسوي الحويزي (ت ١١٧٠هـ).

٨. السيد عبد الله بن السيد نور الدين الجزائري (ت ١١٧٣هـ).

٩. الشيخ إسحاق الخمايسي (ت ١١٧٣هـ).

١٠. السيد محمد القطب الدهتي (ت ١١٧٣هـ).

---

(١) حرز الدين: معارف الرجال ١٩٥/٣.

(٢) ن.م.

١١. الشيخ زين العابدين بن الشيخ محمد علي العاملي (ت ١١٧٥هـ).

١٢. السيد محمد بن السيد علي الحسني العطار (ت ١١٧٩هـ).

١٣. الشيخ خضر بن يحيى المالكي الجناجي (ت ١١٨١هـ).

١٤. الشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي (ت ١١٨٣هـ).

١٥. الشيخ محمد تقي الدورقي (ت ١١٨٧هـ).

١٦. الشيخ أحمد النحوي (ت ١١٨٧هـ).

١٧. الشيخ حسين بن محمد يحيى الخمايسي (ت ١١٩٢هـ).

١٨. السيد أحمد بن السيد محمد القزويني (ت ١١٨٩هـ).

١٩. السيد صادق الفحام (ت ١٢٠٥هـ).

٢٠. السيد أحمد بن السيد محمد العطار (ت ١٢١٦هـ).

وفي الفترة التي عقد فيها (مؤتمر النجف) كان هؤلاء الأعلام جميعهم على قيد الحياة، وهناك آخرون أشارت اليهم كتب الرجال والتراجم.

أما من علماء كربلاء فلم يشارك أحد في المؤتمر سوى السيد نصر الله الحائري مع وجود الشيخ يوسف بن عبد الله البحراني (ت ١١٧١هـ)، والشيخ يوسف بن أحمد البحراني (ت ١١٨٦هـ)، والآغا باقر بن محمد أكمل البهبهاني المعروف بالوحيد (ت ١٢٠٦هـ).

وكان السلطان نادر شاه قد اكتفى بالأعلام الذين جاءوا معه، ورتب أمور المؤتمر (الملا باشي علي أكبر) وكان إذا وُجه اليه سؤال يشم منه رائحة التنافر بين المذاهب الإسلامية، فإنه يعتمد في جوابه إرضاء الحاضرين، وبخاصة مع الشيخ عبد الله السويدي الذي كانت المناظرات تدور بينه وبين الملا باشي حول الخلافة، والآيات الكريمة الدالة على أحقية الإمام علي عليه السلام فيها كآية المباهلة، وآية إيتاء الزكاة أثناء الركوع، وحديث المنزلة، وقد حاول الشيخ السويدي في مناظراته تضعيف حديث

المنزلة[1]. وقد اشاد الشيخ محمد بهجت الأثري بموقف السويدي هذا بقوله: وبرزت كفاية السويدي في مؤتمر النجف الشهير الذي دعا نادر شاه إلى عقده، بعد عقد الصلح مع الوزير أحمد باشا[2]. ولعل وراء التسامح المذهبي الذي سلكه السلطان نادر شاه، هو خروج المؤتمر بنجاح وبنتائج مثمرة، ولعل أوعز - قبيل انعقاد المؤتمر - إلى الملا باشي وسائر علماء الشيعة بأن لا يكثروا من الجدل مع الشيخ عبد الله السويدي ولا يعاندوه[3]. وذهب السيد محسن الأمين إلى هذا الرأي بقوله: ((ويحتمل قوياً ان الملا باشي كان مأموراً من قبل الشاه بالتساهل مع السويدي، وعدم إكثار النزاع معه، فلذلك سكت عن رد أجوبته التي ليس فيها شئ يوجب انقطاعه))[4]، وهذا مما أعطى الفرصة لعلماء السنة من فرض آرائهم، وأظهروا الفرح والسرور عند توقيع محضر المؤتمر، وقد أشار إلى ذلك السويدي بقوله: لم يقع مثل هذا في العصور السابقة[5]. ولكن الحقيقة إن مؤتمر النجف لم يخرج بنتائج ذات أهمية، ولعل السبب يعود إلى مقاطعة علماء النجف له، وقد ذكر المستشرق (لونكريك) ذلك بقوله: ((لم تثمر المناقشات الطويلة مع العلماء في النجف شيئاً))[6]. في الوقت الذي ظن فيه نادر شاه أنه قد وفق لعمل قد عجز عنه كل السلاطين المسلمين من قبل، ولذلك ابتهج كل الابتهاج[7]. وأمر أن تقام الصلاة في مسجد الكوفة، وطلب من الشيخ عبد الله السويدي حضور الصلاة لكي يسمع بإذنه مدح الصحابة من قبل خطباء الشيعة، وقد تصدى السيد نصر الله الحائري لإلقاء الخطبة حيث أثنى على الخلفاء الراشدين الأربعة، واحداً

---

(١) الأمين: أعيان الشيعة ٤١/٩٠، الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٣٢.

(٢) الأثري: ذرائع العصبيات ص٣٩- ٤٠.

(٣) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٣٦.

(٤) الأمين: أعيان الشيعة ٤١/٩٠.

(٥) السويدي: الحجج القطعية ص٢٤، ص٢٦.

(٦) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص١٨٦.

(٧) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٣٧.

بعد الآخر، وأثنى على بقية الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، ولكنه غمز من طرف خفي بالخليفة عمر بن الخطاب، بعد أن كسر الراء منه لأنه ممنوع من الصرف، وقد انتبه إلى ذلك الشيخ السويدي فقال: ((كسر الراء من عمر، مع أن الخطيب إمام في العربية، لكنه قصد دسيسة لا يهتدي إليها إلا الفحول، وهي أن منع صرف عمر إنما كان للعدل والمعرفة، فصرفه هذا الخبيث قصداً إلى أنه لا عدل فيه ولا معرفة))[1]. وقد عقب الدكتور علي الوردي على رأي السيد نصر الحائري ورأي الشيخ عبد الله السويدي بالقول: ((إن هذا دليل على أن التقارب الطائفي الذي حصل في مؤتمر النجف كان سطحياً، ولم يتغلغل في أعماق القلوب، فقد بقي سوء الظن يلعب دوره على الرغم من الفرح الظاهر))[2]، وقدر الشيخ حرز الدين من حضر صلاة الجمعة في مسجد الكوفة بخمسة آلاف نسمة[3]. وقدر الشيخ السويدي من حضر المؤتمر بستين ألف نسمة[4]. وقد تكون هذه الأرقام مبالغاً فيها ولكنها تكشف عن اهتمام السلطة بمؤتمر النجف دينياً وسياسياً، وقد أراد السلطان نادر شاه أن تأخذ مقررات المؤتمر صيغة رسمية، فكتب بها صكاً ووضعه في الخزانة الحيدرية[5]. وقد ختم بتوقيعه وقد جاء فيه: ((نحن المسؤولين في الروضة المقدسة العلوية نظهر عقائدنا الإسلامية على النهج المسطور، ونتبرأ من الرفض وطبقاً لما وافق عليه العلماء الأجلاء وشيخ الإسلام وسائر الأفندية العظام من أرباب الدولة العلية العثمانية من تصديق حقيقة المذهب الجعفري فنحن على هذه العقيدة راسخون، وما ذلك إلا لمحض الخلود وتصميم القلب خالياً من شوائب الغش والقلب، ومتى ما ظهر منا خلاف تلك العقيدة فنحن خارجون من ربقة الدين، مستحقون لغضب الله تعالى وسخط سلطان الزمان عقيدة الداعين لدوام

---

(١) السويدي: حديقة الزوراء ص٣٥، الأمين: أعيان الشيعة ٤١/ ٩٥.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/ ١٣٩.

(٣) حرز الدين: معارف الرجال ٣/ ١٩٢.

(٤) السويدي: مؤتمر النجف ص٩٥.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٢٣.

الدولتين العليتين من علماء المسلمين، وإن الإمام جعفراً (عليه السلام) من ذرية الرسول الأكرم، وممدوح سائر الأمم، ومقبول عند أئمة الملل، ومسلم، وحسب ما قرره علماء بلاد إيران وحرروه وتحقق أيضاً لدى الداعين أن العقائد الإسلامية الإيرانية صحيحة، وإن الفرقة المزبورة قائلة بأحقية الخلفاء الكرام، وهم من أهل الإسلام وأمة سيد الأنام، ومن أظهر العداوة منهم فهو عار من كسوة الدين، والله ورسوله وأكابر الدين بريئون منه وفي دار الدنيا محاكمته مع سلطان العصر، وفي العقبى عند شديد البطش والقهر، وعقيدة أقل دعاة علماء قبة الإسلام بخارى وبلخ، أن العقائد الإسلامية للأمة الإيرانية على نحو ما ذكره العلماء أعلاه، وأن هذه الفرقة داخلة في أهل الإسلام، ويحرم على الفريقين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الأخوين في الدين قتل كل واحد منهما الآخر ونهبه وأسره))[1]. وقد كتبت مقررات المؤتمر باللغة الفارسية، وأرسلت منها نسخة موقعة إلى مكة المكرمة، وكتب إلى الشريف مسعود أمير مكة والى المفتي والقاضي فيها، وكلف السيد نصر الله الحائري بحمل المقررات والكتب إلى مكة فلما أتم ذلك سمح له بإقامة الصلاة، وإلقاء الخطبة في الركن الشامي من الكعبة الشريفة تنفيذاً لمقررات المؤتمر[2]. وما إن أتم السيد الحائري خطبته حتى هاج أهالي مكة وماجوا فتدخل شريف مكة في الأمر، وكتب إلى السلطان العثماني بما وقع، فأصدر السلطان أمراً بإلقاء القبض على السيد الحائري وتسليمه إلى أمير الحج الشامي أسعد باشا المعظم، وقد نفذت أوامر السلطان العثماني، وسيّر السيد الحائري إلى الشام وسجن في قلعة دمشق ومنها سيّر إلى القسطنطينية[3]. وقد كشفت هذه الإجراءات عن فشل مقررات مؤتمر النجف ومساعي السلطان نادر شاه وجهوده في عقد المؤتمر وإنها

---

(١) حرز الدين: معارف الرجال ٣/١٩٣- ١٩٤، بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٨٤.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٤٠.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٤٩/١٠٦، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/٢٧٠، الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٤٠.

((أول صورة لفشل استمرار نتائج المؤتمر))[1]. وذكر السيد الأمين: ((فبطلت مساعي نادر شاه في جمع كلمة المسلمين))[2]. ويبدو أن الدولة العثمانية وتعصبها المذهبي وتحيزها الواضح للمذهب الحنفي لم يرق لها أن يكون للمذهب الإمامي قدم المساواة مع المذاهب الإسلامية الأخرى، كما ورد في مقررات المؤتمر الآتية[3]:

١. اعتبار المذهب الجعفري مذهباً خامساً، ويشارك الأركان الأربعة في الكعبة في الركن الشامي.
٢. يعين من حكومة إيران أمير للحاج الإيراني، ويكون في الدولة العلية العثمانية أعلى شأناً من الأمير المصري والشامي.
٣. فك الأسرى من الجانبين.
٤. تعيين وكيلين في الدولتين في مقر السلطنتين لأجل القيام بمصالح الدولتين.
٥. رفع محدثات الشاه اسماعيل الصفوي.
٦. عدم تفضيل الصحابة بعضهم على بعض.
٧. كل من يخالف ما ورد في هذه الوثيقة عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإنه يستحق غضب الشاه وهدر دمه ومصادرة أمواله.

وبقيت مدينة النجف الأشرف بعد مؤتمرها الديني المعروف، موضع احترام من قبل حكام الدولتين العثمانية والفارسية، ففي عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م تقلد الشاه رخ ميرزا حفيد نادر شاه سيف السلطنة في مشهد الإمام علي عليه السلام، حيث جاء إلى النجف مع جمع كبير من أكراد فوجان وخراسان ومن مناطق أخرى[4]. وفي عام ١٧٧٥م جرد كريم خان حملة عسكرية على مدينة البصرة بقيادة أخيه صادق خان بعد

---

(١) علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص١٩٨.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٤١/ ٩٦.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٢٣، حرز الدين: معارف الرجال ٣/ ١٩٢، الوردي: لمحات اجتماعية ١/ ١٣٣.

(٤) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ٢٩٠.

أن بعث تهديداً إلى عمر باشا باحتلال العراق، ويطالب برأسه ثمناً لتعدياته المتكررة على زوار النجف[١]. وقد تميزت مدينة النجف الأشرف في عصر المماليك في العراق (١١٦٣ ـ ١٢٤٦هـ / ١٧٥٠ ـ ١٨٣١م) عن مدن العراق الأخرى من نواحيها العلمية والدينية والاجتماعية، وهذه المحاور الثلاثة البارزة سوف تكون لها دراسات مستقلة في مواضع مخصصة لها من تاريخ النجف وهي:

١. الحياة العلمية، وتطور المدرسة النجفية.
٢. الحياة الدينية، والتصدي للعدوان الوهّابي.
٣. الحياة الاجتماعية، ووقائع الشمرت والزكرت.

وفي خلال عهد المماليك، زار الرحّالة (نيبور) مدينة النجف عام ١٧٦٥م ووضع خارطة لها، وقد وصف النجف بقوله: ((لا تكاد تختلف عن مدينة القدس شكلاً ومساحة))[٢]. وقد أطلق لفظ (مشهد علي)[٣] على النجف، وكان نيبور قد قدم النجف عن طريق البصرة بصحبة أحد الملالي الفقراء، وفي السادس من كانون الأول عام ١٧٩٠م زار النجف الرحالة تايلور (John Taylor) ووصف مرقد الإمام علي عليه السلام بقوله: ((لقد أكدوا لنا أن قبة المسجد مغشاة بالذهب))، ووصف طبيعة أرض النجف بأنها جرداء قاحلة صخرية، وتفتقر إلى أنواع النباتات[٤]. ولكن هذه الطبيعة القاسية لم تمنع الزوار من التوافد على مدينة النجف، أو ترغم السكان على الهجرة، بل كانت ملجأ لكل من يناوئ الحكومة، ففي عام ١٧٩٤م، ألقى الشاه آغا محمد خان القاجاري القبض على الوزير لطف علي خان، ثم عفا عنه على أثر رؤية شاهد فيها النبي الكريم محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، فعاتبه عتاباً شديداً، ومن ثم

---

(١) الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ١/٢٢٢.

(٢) الجبوري: أثر الخوف والقلق، مجلة التراث الشعبي، العدد السابع، السنة السادسة ١٩٧٥ ص٨٦.

(٣) الخياط: كربلاء في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم كربلاء ١/٢٨٦.

(٤) بطرس حداد: رحلة تايلر إلى العراق، مجلة المورد، العدد الأول، المجلد الحادي عشر ١٩٨٢ ص٢٩ - ٣٠.

أكرمه، وسمح له بالذهاب إلى مدينة النجف الأشرف ليقضي فيها بقية حياته[1]. وكان الأمير عبد الله الشاوي كلما تتوتر العلاقة بينه وبين الولاة المماليك في بغداد، يغادرها إلى مدينة النجف ليقيم فيها فترة من الوقت، ولم يجد الشاعر حسين بن علي بن حسين العشاري البغدادي المتوفى في حدود عام ١١٩٥هـ، حرجاً من أن يستغيث بالشاوي[2]. وكان الأمير عبد الله بن نصيف الشاوي المتوفى عام ١١٨٣هـ أمير قبيلة العبيد في القرن الثاني عشر الهجري، ويبدو أن الشاعر العشاري كان من أنصاره أو دعاته فلما وصل إلى مدينة النجف، أنشد قصيدة في مدح الإمام علي عليه السلام، وفي الحضرة الحيدرية الشريفة، وقد استكتبها خلق كثير، ولعله وزعها بين القبائل يستثير فيها همم الأمجاد منهم لاستعادة الأمجاد العربية الإسلامية والتخلص من الموظفين العثمانيين الجهلة المتكبرين[3].

وكانت مدينة النجف الأشرف قد شهدت اضطرابات عشائرية خطيرة منذ عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م مما جعل الحكومة ترسل حملاتها العسكرية للقضاء على هذه الاضطرابات التي كان يؤججها جماعة الشمرت والزكرت (سوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل عند الحديث عن التاريخ الاجتماعي لمدينة النجف). وفي هذه السنة أخذت عشيرة الظفير تهدد زوار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء[4]، وفي عام ١٢٣٧هـ/١٨٢١م انقطع حبل الأمن والنظام في مدينة النجف، مما اضطر الوالي داود باشا إلى إرسال جيش للقضاء على الاضطرابات في النجف[5]. وذكر المستشرق (لوتسكي): إن داود باشا في عام ١٨٢١م أمعن في اضطهاد الفرس الذين كانوا يعيشون

---

(١) دونلدسن: عقيدة الشيعة ص٧٨ نقلاً عن: History of Persia, Malcom ٢/١٢٤

(٢) عماد عبد السلام ووليد الأعظمي: مقدمة ديوان العشاري ص٢٤.

(٣) ن.م.

(٤) علاء نورس: حكم المماليك في العراق ص١٦٠.

(٥) الحسني: تسخير كربلاء ص٧، الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ١/٢٣٢.

في العراق، وصادر ممتلكاتهم، وألقى القبض عليهم، وبأمر منه أخذت الكنوز التي كانت تعود إلى رجال الشيعة في كربلاء والنجف، وأبيد الكثير من الفرس الذين كانوا متخفين في مساجد الشيعة[1]. وأشار المؤرخ (لوريمر) إلى هذه الحادثة بقوله: إنه في العام ١٨٢١م أرسل داود باشا قوات من جورجيين إلى كربلاء والنجف ليثبتوا أنهم إن كانوا لا يجيدون القتال فهم يجيدون السلب والنهب[2]. ويبدو أن الدولة العثمانية قد أخذت في مطاردة الفرس المقيمين في العتبات المقدسة بصورة وحشية، والى هذه الحالة أشار المستشرق (فريزر) إلى القول: إن الإيرانيين كانوا يتعرضون إلى السلب والنهب وربما يعودون، ولم يروا العتبات المقدسة بأعينهم[3].

وهذا النص يكشف عن مطاردات السلطات العثمانية للزوار الإيرانيين للعتبات المقدسة إضافة إلى المقيمين فيها، ولعل توتر العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية في هذه الفترة، أدت إلى مثل هذه الإجراءات، ولكن كان الوالي داود باشا بحاجة إلى علماء النجف الأشرف للتوسط بين الطرفين، ففي أثناء الحرب مع حاكم كرمنشاه (الشهزاده محمد علي ميرزا) أرسل رسلاً إلى العلامة الشيخ موسى كاشف الغطاء ويطالبه بإيقاف القتال، وعقد الصلح مع الوالي داود باشا، وقد تمكن الشيخ موسى كاشف الغطاء من ذلك وقدم الشاهزداه إلى بغداد مع وفد من حاشيته، ووقع الطرفان على وثيقة الصلح، وعندها أطلق على العلامة كاشف الغطاء لقب (مصلح الدولتين)[4] وقد ذهبت بعض المصادر إلى أن مدينتي النجف وكربلاء في عهد حكومة المماليك في العراق (١٧٥٠- ١٨٣١) كانتا تتمتعان بشيء من الاستقلال النسبي[5]. ولعل

---

(١) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث ص٩٠.

(٢) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/١٩٣٧.

(٣) فريزر: رحلة فريزر إلى بغداد ص١٧٣.

(٤) الوردي: لمحات اجتماعية ١/٢٤٧.

(٥) عدنان محبوبة: مقاومة العراقيين للنفوذ الأجنبي ص٤٧ نقلاً عن:

The Middle of East in Leiligince Hand book, ١٩٤٣□١٩٤٦, Iraq and Gulf west an Arabian Jordan Syria, Persia, London, ٩٨٢, p.٢٨٥.

أحداث (الشمرت والزكرت) جعلت النجف تتمتع بهذا الاستقلال النسبي، ولكن الحكومة شعرت بالتجاوز على مقامها الإداري، وتزعزع الثقة بولاتها، مما جعلها ترسل حملة عسكرية كبيرة إلى النجف عام ١٨١٨م لتأديب المتمردين من الشمرت والزكرت[١]. وقد تولى علي رضا باشا هذه المهمة وصحبه جمع من أعيان بغداد ومعهم الشاعر عبد الباقي العمري[٢]. وأرسل القائد العثماني نائب الوالي (محمد كتخدا) صالح آغا الأندروني الكردي لقمع الحركة التي كان يقودها عباس الحداد، وطلب منه القضاء على حركته وجلبه حياً أو ميتاً، ولما وصل الأندروني إلى مدينة النجف تعذر عليه القبض على عباس الحداد، فدبر قتله غيلة بمساعدة عناصر من الشمرت المناوئة له داخل المدينة، وبعد معارك عنيفة مع الثوار تمكن الأندروني من قتل علي بن دبيس[٣] حليف عباس الحداد، وقد أشار المؤرخ ابن سند البصري إلى هذه الحادثة بقوله: ((إن صالحاً الكردي خرج إلى النجف، وذلك إن طائفتين في مشهد علي جائرتين، سلكتا من الشر سبيله، فصارت تلك القصبة بما سلكتاه عليلة، وما قصدتا بذلك الأمن والاعوجاج، إلا الاستيلاء على ما لتلك القصبة من الخراج، فتوجه صالح الكردي إلى تلك القصبة، مع من معه من الجند ليرهب من جار ويؤدبه، ثم جهز جيشاً آخر جم العدد، شاكي السلاح والعدد))[٤]. ومضى ابن سند البصري في حديثه قائلاً: ((فلما بلغ صالح الكردي المشهد قاتل علي بن دبيس وصاحبه الذي أفسد، وبعث رأسيهما إلى العسكر ثم إلى بغداد، فهدأت الفتنة وخمدت نار الفساد، وأرسل الكتخدا خلعة التولية لمشهد علي إلى محمد طاهر فلبسها وولي، ولما انتظمت أمور النجف، توجه لمقصده العسكر وزحف))[٥].

---

(١) عبد العزيز سلمان نوار: داود باشا ص١١٥، تاريخ العراق الحديث ص٨٨.

(٢) محبوزية: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٣٣.

(٣) البستاني: وثائق عثمانية غير منشور، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثامن، ص١٦٦.

(٤) ابن سند البصري: مطالع السعود ص٣١٨.

(٥) ن.م. ص٣١٩.

وذكر الدكتور الوردي إنه لما استفحل خطر الشمرت والزكرت للدرجة التي اضطر فيها داود باشا نفسه إلى تجريد قوة ضد النجف، فنجح في إخضاعها للطاعة[1]. هذا ما كانت تعانيه مدينة النجف في داخل سورها، ولكنها كانت تعاني ضغوطاً من خارجها أيضاً، فقد اعتاد الأعراب المحيطين بالنجف من نهب الزوار وسلبهم، حتى إن النجفيين أنفسهم قد تعرضوا لهذه الحالة، وإن تعرض الزوار الإيرانيين أيضاً إلى النهب والسلب جعل كريم خان يقدم على احتلال البصرة مدعياً بأن الزوار الإيرانيين القاصدين العتبات المقدسة في النجف وكربلاء قد تعرضوا إلى سوء المعاملة[2]. وقد وصف الشيخ محمد لايذ النجفي (ت ١٣٢٦هـ) هذه الحالة بقوله: إنه نهب من قبل الأعراب عند ذهاب والده إلى مسجد السهلة، وقد بيع بمائتي شامي، وقد استطاع بعد ذلك والده من دفع ثمنه، وقد دفعت مثل هذه الحالات النجفيين من إقامة مسالح على الطريق بين النجف والكوفة لدفع الغارات عن مدينة النجف، وقد هدم العثمانيون هذه المسالح[3].

ولكن على الرغم من هذه الحالات الشاذة والخطيرة سواء في داخل النجف أو في خارجها، فإن الزوار كانوا يتوافدون على النجف والعتبات المقدسة، ففي عهد داود باشا، بلغ عدد الزائرين بين ١٢-١٥ ألفاً[4]. فشاهد الكابتن البريطاني (منن) الخان الكبير في مدينة الإسكندرية (بين بغداد وكربلاء) والذي بناه محمد حسين خان آل نظام الدولة، يوم كان وزيراً لفتح علي القاجاري عام ١٨٢٧م وشاهد عدداً من الزوار القاصدين مدينة النجف[5]. وكان بعض الزوار يفضل الإقامة في مدينة النجف ومجاورة المرقد الشريف ولما زار المنشئ البغدادي مدينة النجف عام ١٨٢٢م قدر بيوتها بنحو ألفي

---

(١) الوردي: لمحات اجتماعية ١١٧/٢.

(٢) عدنان محبوبة: مقاومة العراقيين للنفوذ الأجنبي ص١٢٢.

(٣) حرز الدين: معارف الرجال ٣٨٠/٢.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار: داود باشا ص٢٨٩ نقلاً عن:

Fontanier, V.: Vogagedans l'Inde ٣ Tomes Paris, ١٨٤٤, p.٣٢٣.

(٥) الخياط: سفرة نهرية بين بغداد والبصرة سنة ١٨٢٧، مجلة الأقلام، الجزء الرابع، السنة الثالثة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ص١٣١.

بيت، وإن حاكمها يلقب (وكيل المتولي)[1]. وروى أحد الباحثين: إن عبد الكريم باشا لما تولّى الوزارة في بغداد من قبل السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م رخصت في عهده الغلات، فبلغ سعر وزنه الحنطة في النجف قرانين شاهي، والشعير قران، والرز أربعة قرانات، واستمرت الأسعار في الهبوط مدة شهر[2]. ولكن في عام ١٢٧٥هـ أخذت الأسعار بالارتفاع، فبلغت وزنة الحنطة في النجف ثلاثين قراناً، والرز أربعة وعشرين قراناً، وحقة الدهن خمسة عشر قراناً، واستمر هذا الغلاء حتى عام ١٢٧٦هـ[3]، ومن المحتمل إن تذبذب الأسعار يعود إلى الاضطرابات سواء في داخل النجف أو خارجها، وقد تمكن نجيب باشا في عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م من قمع الاضطرابات في مدينة النجف الأشرف[4] بصورة سلمية، إذ انه دخل مدينة النجف دون استخدام القوة، وكان قد حشد خمسة ألاف جندي من الأرناؤوط ووقفوا على بعد سبعة أميال من النجف وصلوا فيه، وسمي ذلك المكان بالمصلى، ومنه جاءوا إلى مدينة الكوفة فخرج لاستقبالهم حاكم النجف الشيخ عبد الرزاق الذي كانت بيده نقابة الحرم الحيدري الشريف، ولما اجتمع بنجيب باشا وجده مغضباً وناوياً على استخدام القوة فتشفع عنده[5]. وذكر (لوريمر): إن نجيب باشا انتقل من كربلاء إلى النجف، وهي مدينة دينية قليلة الولاء للدولة، لكنه لم يلق هناك أي نوع من المقاومة، ووطد سلطته فيها دون أية صعوبة[6]. وذكر السيد حسين البراقي النجفي هذه الحادثة معتمداً على مصادر معاصرة لها بقوله: إن علماء النجف قد اجتمعوا على الشيخ المؤيد والحبر المسدد والنحرير الأمجد جناب الشيخ حسن بن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء، وقالوا لا بد وأن ترسل إلى نجيب باشا وتعرض عليه الضيافة فلم يزالوا به حتى أجاب وأرسل السيد

---

(١) المنشئ البغدادي: الرحلة ص٩١، ص٩٩.

(٢) المؤلف مجهول: التاريخ المجهول ورقة ٢٦.

(٣) ن.م. ورقة ٥٨.

(٤) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٣٤٩.

(٥) الساعدي: دراسات عن عشائر العراق ص٢٤٤.

(٦) لوريمر: دليل الخليج/ القسم التاريخي ٤/١٩٩٣.

جواد شبر، وكان هذا السيد منطيقاً ليأخذ له الوعد من نجيب باشا، فمضى اليه السيد وهو بالمصلى واجتمع وأخذ منه الوعد للشيخ كاشف الغطاء مع جميع من كان معه وعددهم خمسة آلاف فأجابه نجيب باشا، ورجع السيد مسرعاً فصادف عبد الرزاق الحاكم في الطريق فقال للسيد فعلتها أي أخذت الوعد من نجيب باشا قال له نعم، ثم جاء السيد جواد شبر فأخبر الشيخ حسن كاشف الغطاء بالوعد[1]. ولما وصل نجيب باشا إلى النجف نزل في دار الشيخ حسن، أما الأرناؤوط فقد نزلوا في دور كثيرة، وبقي نجيب باشا في النجف ثلاثة ايام ثم عاد إلى بغداد، وقدرت نفقات الضيافة بخمسة آلاف قران، وقد اعتمد السيد البراقي في هذه الرواية على الشيخ جواد الحكيم الذي كان شاهداً للحدث المذكور[2]. وقد رجح السيد البراقي هذه الرواية على غيرها بقوله: إن نجيب باشا سار من المصلى إلى النجف ولم يمض إلى الكوفة[3]. وقد أشارت بعض المصادر إلى أن نجيب باشا طلب من أهالي مدينة النجف كتابة محضر إلى السلطان عبد المجيد، يذكرون فيه تنصيب اسماعيل بك متسلماً للمدينة، ولم تصب الرعية بأذى وضرر، وكتب المحضر في الروضة الحيدرية وقد جاء فيه: ((كان من كمال عنايته في سكنة قصبة النجف الأشرف، ولطف رعايته لمجاوري حرم الغري المشرف أن شخص إليهم بنفسه وجنده مسدداً في قصده قرار أماليه ونشر مراحمه على قاطنيه))، وورد في هذا المحضر سلامة النجف من أي اعتداء بالقول: ((وأنقذهم من وهد الأراجيف واصدر لهم عهد التخفيف وعهدة التكليف، وأمنهم في حماه وغمرهم بنعماه على الخصوص معاشر علمائها وفقهائها وأوليائها وخدمة الروضة المرتضوية، وسدنة الاسطوانة الغروية))[4]. وقد وصف المستشرق (جون أشر) مدينة النجف بعد هذه الحادثة بسنتين، عند زيارته لها عام ١٨٦٤م بأنها كانت بحالة خربة جداً، مع كونها

(١) البراقي: اليتيمة الغروية والتحفة النجفية ورقة ٣٠٠.

(٢) البراقي: اليتيمة الغروية والتحفة النجفية ورقة ٣٠٠.

(٣) ن.م. ورقة ٣٠١.

(٤) الخرسان: المجموعة الأولى ورقة ٣٠٧- ٣١٦.

تضم ضريح الإمام علي عليه السلام وإن تعداد نفوسها لا يكاد يتجاوز الخمسة آلاف نسمة[1]. ولعل استمرار حالة القلق والاضطراب خلال القرن التاسع عشر الميلادي وضع مدينة النجف بهذه الصورة، وإن ما حصل في عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م شاهد على ذلك، فقد أشار التقرير المرفوع إلى الباب العالي (الصدارة العظمى) في أسطنبول والمؤرخ في ٢٩ رجب ١٢٦٨هـ، المصادف للثاني والعشرين من مايس ١٨٥٢م. من قبل مشير جيش العراق والحجاز ووالي ايالة بغداد محمد نامق باشا إلى أن عدداً من زعماء الشمرت الموقوفين في بغداد، قد تمكنوا من الفرار من بغداد إلى النجف بحجة حماية أعوانهم وأنصارهم من تسلط الزكرت وتعدياتهم، ثم باشروا بحشد أتباعهم، والعمل على زعزعة الاستقرار، ومن أجل تقصي الحقائق والاطلاع على جلية الموقف أرسل نامق باشا إلى النجف القائمقام صالح بك، وقائمقام كربلاء قربي أفندي وبمشاركة مدير قصبة النجف شاكر أفندي، وبعد استجواب رؤساء الشمرت الفارين من بغداد دون علم الحكومة وموافقتها وبعد تعهدهم بصرف أتباعهم وعدم الإخلال بالأمن تمت الموافقة على إبقائهم في بلدتهم لحين سنوح الوقت المناسب لاتخاذ الاجراءات الرادعة بحقهم[2]، وهذا له دلالة على أن الأحداث الاجتماعية التي كانت تقلق الحكومة في مدينة النجف لم تتوقف رغم إجراءات نجيب باشا، ومن جاء بعده من الولاة، وقد بلغت عنفوانها عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م، مما دفع سليم باشا لتجريد حملة عسكرية إلى النجف قوامها خمسة آلاف جندي لتعقيب جماعتي الشمرت والزكرت، ولم يكتف بذلك بل أنه ((قبض على علمين من سادات العلماء وحبسهما في القلعة المعروفة باسم مدرسة الغري))[3]. وأطلقت بعض المصادر على هذه الحملة لفظ (حرب سليم في النجف الأشرف)[4].

---

(١) جون أشر: مشاهداته في العراق، ترجمة جعفر الخياط، مجلة سومر، المجلد ٢١، الجزء الأول والثاني لسنة ١٩٦٥م ص١١٠.

(٢) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثامن، ص١٦٩

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٣٢.

(٤) الفرعون: الحقائق الناصعة ١/٢٧.

وقد جاء في التقرير الذي رفعه سليم باشا ما يلي: إن الشمرت ينظرون باستخفاف وسخرية إلى القوات التركية، وإن الشمرت والزكرت قد اقاما المتاريس عبر جميع الشوارع، وربطا البيوت بشبكة من الألغام والدهاليز وثقبا الجدران لإطلاق النار من خلالها، واحتلا كل بقعة مرتفعة بواسطة رجالهما في هذا الجزء من البلاد، وعلى هذا الأساس فإن سليم باشا سيواجه إن هو حاول طرد الشمرت بالقوة نفس المجابهات الحادة التي واجهها (كافكنك) في (فوبورج سانت أنطون)، وذلك بسبب الشوارع الضيقة والساحات المحاطة بالجدران المرتفعة التي تتميز بها المدن الشرقية، والتي تمكن المدافعين من الالتجاء اليها والاحتماء بها، وفي هذه الظروف لم ير سليم باشا أمامه إلا طلب المفاوضة مع الشمرت بواسطة المجتهدين الشيعة في المدينة، ولا شك أن هؤلاء الوسطاء كانت تتمثل في أذهانهم أطياف وذكريات مجزرة كربلاء عام ١٨٤٣م، فاستخدموا كل ما لهم من نفوذ وسلطة مع رئيس المتمردين حتى قبل هذا الجلاء عن المدينة والانتقال إلى الحلة شريطة ضمان سلامته الشخصية والسماح له ولأتباعه بحمل أسلحتهم وأمتعتهم معهم[١]. ويبدو أن وضع النجف قد أقلق السلطات العثمانية كثيراً ولذلك اتخذت الاجراءات الحاسمة لإنهاء الموقف المضطرب في النجف، ولذلك سلم الوالي نامق باشا (العقيد روبنسون) في بغداد بياناً جاء فيه: لقد رأى الضابط التركي الذي أجرى المفاوضات السابقة أنه من الضروري توقيف الفئات الأخرى في النجف ممن لم يتم انسحابهم وحاول هؤلاء إنقاذ أنفسهم فهب السكان لمساعدتهم ثم دارت رحى معركة خفيفة دامت (٢٤) ساعة بخسائر جسيمة من كلا الطرفين، وقد نهب ودمر عدد وافر من الممتلكات وفي النهاية أخرج المقاتلين العرب من المدينة[٢]. وورد في رسالة الوالي محمد نامق باشا إلى السلطان العثماني: إن الأمن قد استتب في مدينة النجف حسب

---

(١) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/٢٠١٣- ٢٠١٤.

(٢) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/٢٠١٣- ٢٠١٤.

المستفاد من مال التحريرات الواردة من المبعوث الخاص إلى النجف[1]. وقد أرادت السلطات المسؤولة في بغداد والنجف إشعار السلطان العثماني في اسطنبول والسلطات البريطانية في بغداد على سلامة رعاياها من الإنكليز والهنود، حيث كانت بريطانيا قلقة على هؤلاء عند انفجار الوضع في مدينة النجف، حتى أن الوكيل السياسي البريطاني في بغداد قد بات يشعر بقلق شديد على سلامة رعاياه، وبخاصة اللاجئين الإيرانيين والمتقاعدين الهنود الذين غصت بهم مدينة النجف الأشرف، وكانت السلطات التركية تنظر بعين الريبة والشك في العلاقات مع بريطانيا في حالة انفجار الوضع، وقد كان العقيد روبنسون مقتنعاً بأنه لا دخل للأجانب في هذه الحركات وقد أرسلت الوكالة السياسية البريطانية في بغداد مندوباً سرياً إلى مدينة النجف لكي يطلع على مصالح الهنود وينصحهم باللجوء إلى مدينة كربلاء في حالة توتر الوضع إلى درجة الخطورة[2].

وكانت مشكلة (ظاهر الملحة) في مقدمة الأحداث التي أشار اليها فيلق العراق والحجاز ووالي ايالة بغداد محمد نامق باشا في رسالته المرفوعة إلى الصدارة والتي جاء فيها: إن زعيم الشمرت ظاهر الملحة قد تمكن من الفرار من حجزه في بغداد إلى مدينة النجف بعد انتفاضة عشائر الهندية بقيادة الشيخ وادي، وقاد أنصاره ومؤيديه وباشر من جديد في مقاومة الحكم العثماني، وأخذت السلطة في النجف تشدد من أعماله، فأخذت مجاميع مسلحة مؤلفة من (٤٠ إلى ٥٠) رجلاً بالتجوال في الشوارع والأسواق، وجمع الأموال من أصحاب الثروة بعد تخويفهم، ووضع نقاط للحراسة والسيطرة ليلاً في أطراف البيوت التي تجمعوا فيها، وإقامة المتاريس أمامها استعداداً للمنازلة وللحيلولة دون إلقاء القبض عليهم من قبل القوات الحكومية. وأدرك ناطق باشا خطورة الموقف

---

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثامن ص١٨٤، ١٨٥ نقلاً عن أرشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) ارادة / داخلية، رقم الوثيقة ١٥٦٥٣ (ألف ٤) مشير فيلق الحجاز والعراق ووالي ايالة بغداد محمد نامق باشا إلى الصدارة في رجب ١٢٦٨هـ / ٢٢ مايس ١٨٥٢م.

(٢) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٢٠٤٨/٤.

فأرسل قوة عسكرية إلى النجف بعد تهدئة الأوضاع في الهندية قوامها طابورين من لواء آلاي (المشاة الثاني) وهي من الوحدات العسكرية المرابطة في الديوانية بقيادة أمير اللواء (ميرالاي بكر بك) واندمجت هذه القوة بالطابور الموجود في النجف، وقد أثارت هذه التعزيزات العسكرية حماس الجماعات المناوئة للحكومة ودفعتهم للتمرد، فاستخدم القائد العسكري بكر بك ومدير قصبة النجف شاكر أفندي الحكمة لتجنب أي ضرر قد يلحق بالأبرياء من الناس بعد التشاور مع مجلس بغداد الكبير، فأوصى مجلس الولاية باتباع الوسائل السلمية، وعدم استخدام القوة العسكرية إلا عند الضرورة القصوى، وأسندت هذه المهمة إلى أحد الضباط الكبار من قيادة أركان فيلق الأناضول السلطاني الفريق سليم باشا وبصحبة نقيب اشراف بغداد السيد علي، وقائمقام كربلاء وبعض السادة والعلماء، وزود بأمر إداري (بيورلدي) موجه إلى أهالي النجف، وطلب من القنصلين الإيراني والبريطاني المقيمين ببغداد بإبلاغ تبعتهم عن مواقع الخطر وعدم الاختلاط بالمشاغبين[1]. وقد استطاع سليم باشا بمقدرة فائقة وبحكمة صائبة من الالتفاف على الحركة، والقضاء على حالة الاضطراب في النجف، واستخدم أسلوب الوعد والوعيد، فدخل النجف دخول الفاتحين، فكانت الطبول تقرع أمامه، والمدافع تصم الآذان، وذلك في سبيل تخويف الناس وإرهابهم، وفي الوقت نفسه أظهر احترامه للعلماء الأعلام ورجال الدين ونزل ضيفاً في دار آل كاشف الغطاء، والتقى بالعلامة الشيخ محمد كاشف الغطاء الذي كان يمثل الزعامة الدينية والاجتماعية في مدينة النجف يومذاك، ومن ثم نزل سليم باشا القشلة (مقر الحكومة) وبقي نقيب الأشراف وجماعة من الضباط ورجالات الحملة العسكرية في دار آل كاشف الغطاء، وبعد ذلك جمع سليم باشا علماء النجف وأعيانها ومسؤوليها وعدداً من الأهالي، وتلى على

---

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثامن ص١٨٤، ١٨٥ نقلاً عن أرشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) ارادة / داخلية، رقم الوثيقة (١٥٩٨ ألف ٢) من مشير فيلق العراق والحجاز ووالي ايالة بغداد محمد نامق باشا إلى وكيل الداخلية في ٩ ذي القعدة ١٢٦٨ هـ / ٢٥ آب ١٨٥٢م.

مسامعهم أمر توجيهات الوالي وطلب من أهالي النجف إعلان الطاعة والولاء مقابل العفو والأمان، وعند ذلك جاء (ظاهر الملحة) مسلماً نفسه بين يديه، فعين له حراساً، ثم أمر بإخراجه مع عائلته وجمع من رفاقه من مدينة النجف إلى الحلة[1]. وأصبحت دار آل كاشف الغطاء ملجأ لطالبي الأمان، حتى ازدحمت بالناس خوفاً من بطش الحكومة من جهة، وخطر الثوار من جهة أخرى، وقد لعب العلامة الشيخ محمد كاشف الغطاء دوراً بارزاً في تهدئة الموقف وعدم إراقة الدماء والحفاظ على النجف من الدمار والتخريب وكان في بعض مواقفه عنيفاً مع سليم باشا حينما وضع اللائمة على علماء الدين بقوله: ((يا شيخ محمد أفندي ليس الفساد إلا منك، فإنك تؤمن المفسدين في دارك)) فرد عليه الشيخ قائلاً: ((يا وزير ليس هو إلا منكم))، وعند ذلك تدخل نقيب الأشراف في الأمر وقال: ((يا شيخ محمد أسأت جواباً)) فرد عليه بالقول: ((أسأت فهماً))، وبعد نقاش حاد تمكن من خلاله الشيخ محمد كاشف الغطاء من تخفيف غلوائية القائد التركي وجبروته، وقد خرج من دار آل كاشف الغطاء إلى القشلة وأصدر أمراً بأن لا يتعرض الجند لأحد من الناس إذا دخل هذه الدار مستجيراً[2]. وبعد يومين من هذا الاجتماع ألقي القبض على خمسة رجال من أنصار ظاهر الملحة، مما أدى إلى تأزم الحالة من جديد في مدينة النجف، فقد حاول أنصار المعتقلين الهجوم على السجن وإطلاق سراحهم بالقوة، فاصطدموا مع الحرس وجرحوا اثنين منهم، مما حدا بالقائد سليم باشا اصدار أوامره بإطلاق النار، وعندها اندلع القتال في داخل المدينة وتحص الثوار في البيوت، مما جعل الحكومة تفرض حصاراً شديداً على النجف أدى إلى إضعاف المقاومة، فاضطر الثوار أخيراً إلى الهرب بعد شعورهم بعدم القدرة على المقاومة، وتم إلقاء القبض على اثنين وسبعين رجلاً فأرسلوا إلى مدينة بغداد، وقد أبلغ مشير جيش الحجاز والعراق (محمد نامق) السلطان العثماني في رسالة رسمية، كل ما حصل في

(١) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية ٢/ورقة ١٢٤- ١٢٥.

(٢) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية ٢/ورقة ١٢٤- ١٢٥.

مدينة النجف من أحداث، جاء فيها: ((وحمداً لله تعالى وبفضل القدرة السلطانية اندفعت الغائلة المزبورة، وحصل الاستقرار الكامل في القصبة المذكورة، وبعد ترك مقدار مناسب من العساكر اتجه مع العساكر إلى أطراف كربلاء والمسيب للقضاء بعون الله تعالى على عصيان (وادي) الذي يتجول في تلك الأطراف ونظراً لما أظهره الفريق المشار إليه من سعي وإقدام جميلين فإن تلطيفه محط علم الصدارة العالي، وبهذا الخصوص وعلى أي حال، فإن الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر))[1]. ويبدو أن القوات العثمانية قد استخدمت العنف والشدة في مدينة النجف وامتدت أيادي الجند إلى النهب والسلب، فإن هناك إشارة إلى إعادة المنهوبات لأصحابها بحضور أشراف مجلس المدينة وعلمائها وساداتها، وقد نظمت بذلك المضابط وأرسلت إلى مدينة بغداد، كما أن القوات العثمانية قد هاجمت دار آل كاشف الغطاء بقيادة بكر بك، وألقي القبض على من فيها من الرجال وقد بلغ عددهم ما ينيف على المائة، وقد اعتقلوا في القشلة ومن ثم سيّروا إلى بغداد والبصرة وغيرهما، وألقي القبض على جماعة من العلماء والأشراف ومنهم السيدين علي ومحمد تقي آل بحر العلوم واقتيدوا مكبلين بالأصفاد إلى القشلة، وقد تركت هذه الحادثة في نفس العلامة الشيخ محمد كاشف الغطاء أثراً نفسياً عميقاً أصيب بعدها بالقرحة المعوية وأخذ ينزف دماً من فمه حتى وافاه الأجل في (٢٢ ذي الحجة ١٢٦٨هـ / ٢٦ أيلول ١٨٥٢م)[2]. ولكن هذه الإجراءات العثمانية القاسية لم تخضع النجف للسلطة الحاكمة، وإنما كانت إجراءات محددة بوقت معين، خضع فيها النجفيون للأمر الواقع بسبب تفوق السلطة العسكرية ومعاملتها الصارمة تجاه رجال العلم ورجال السلاح، ففي عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م تجددت الاضطرابات وتفاقم الوضع بسبب وجود الحامية العسكرية العثمانية داخل مدينة النجف، وقد اتحدت

---

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثامن ص١٨٤، ١٨٥ نقلاً عن أرشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) ارادة / داخلية، رقم الوثيقة (١٥٩٨ ألف ٢) من مشير فيلق العراق والحجاز ووالي ايالة بغداد محمد نامق باشا إلى وكيل الداخلية في ٩ ذي القعدة ١٢٦٨ هـ / ٢٥ آب ١٨٥٢م.

(٢) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية ٢/ورقة ١٢٥.

فصائل المجتمع النجفي وتحشد حوالي ألفين من الرجال، وسيطروا على المدينة عنوة وعلى أثر ذلك أرسل الوالي محمد رشيد باشا جيشاً من بغداد إلى الحلة، وأمر حكمدار الديوانية أن يكون مستعداً للتعاون معه، وتقدم بعد ذلك بنفسه من بغداد إلى مدينة الحلة، وأزاء هذا التعاون العسكري العثماني تمكن من الاستيلاء على النجف وطرد المتمردين[1]. وبعدها وضع الوالي محمد رشيد باشا قوة عسكرية ثابتة في القلعة، ولكنه بعد تسلمه ايالة بغداد أصدر عفواً للمشاركين في أحداث النجف على أن يقيموا في مدينة السماوة، وبقي هؤلاء في هذه المنطقة ينتظرون الفرصة المناسبة للعودة إلى مدينة النجف وقد رأوا الوقت مناسباً عند انشغال الحكومة مع بني لام في جنوب العراق، وسحب القطعات إلى خانقين، وعندها تسلل النجفيون ليلاً عن طريق الصحراء، ووصلوا إلى باب القلعة في النجف مع خيوط الفجر، ولما فتحت باب القلعة صباحاً دخل فجأة حوالي (١٥٠٠) مقاتل، واتجهوا مباشرة إلى مقر مدير المدينة (مدير قوناغي) ومقر الحامية العسكرية (عساكر شاهانه قشله سي)، وفرضوا الحصار عليها، مما أصيب مدير المدينة بالذهول وأبدى عجزه عن مقاومتهم، ولم تطلق القوات التركية المرابطة في الحامية، والمكونة من بلوكين، النار على المهاجمين، وقد طلب آمر الحامية (عساكر شاهانه قول آغاسي) الاتصال بالوالي العثماني لإصدار العفو عنهم وعدم محاسبتهم، فرضي المهاجمون بذلك، وقد أصدر الوالي أمراً بالعفو، وأرسل السيد أحمد أفندي أحد وجوه مدينة بغداد إلى النجف وبيده منشور (بيورلدي) باللغة العربية، وقد تضمن الأمان لأهالي مدينة النجف، طالباً إطاعة الإدارة والعساكر الشاهانية، وفي الوقت نفسه أمر القوات العسكرية المرابطة في الحلة والمؤلفة من طابور بالتحرك نحو النجف على وجه السرعة، وأرسل من بغداد طابورين مع مدفع واحد بقيادة (ميرالاي طاهر بك)، وحينما وصل السيد أحمد أفندي إلى النجف، قرأ منشور الوالي على الناس، ونصح الثائرين بالخلود إلى الراحة وإلقاء السلاح ونبههم على مخاطر استمرار حالة التمرد على

---

(١) روير: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/٢٠٦٤.

السلطة وذلك بالحفاظ على الأنفس والأموال، وأشار إلى ضرورة المحافظة على التحف والجواهر الثمينة المودعة في حضرة الإمام علي عليه السلام، وعرض عليهم إرسال ممثلين عنهم إلى مجلس بغداد الكبير لعرض قضيتهم عليه، وقد وجد والي بغداد ان استخدام القوة قد يؤدي إلى سفك الدماء وانفلات السيطرة على النجف وتعريض الأموال والأنفس إلى الخطر، فلا بد من حل المشكلة بصورة سلمية، فأعطى الأمان للجميع، والإقامة في النجف مقابل تسليم الأسلحة للحكومة، وربط المتهمين بكفالات وضمانات بعدم التمرد في المستقبل وكلف (ويسي بك) محاسب جيش العراق والحجاز السلطاني مع طابور من العساكر النظامية في الحلة عملية جمع السلاح من النجفيين، ولكن هذا لم يوفق في مهمته، ولم يحصل على أكثر من عشرة بنادق، وأخفق في الحصول على الكفالات المقرر تقديمها إليه حسب الاتفاق مع الوالي، وبعد أن قدم (ويسي بك) تقريره الأمني والعسكري لوالي بغداد، تقرر إبقاء طابور عسكري في النجف يرابط في القشلة، وعند ذلك عاد إلى مدينة بغداد، ولكن رجال المقاومة لم يلتزموا ببنود الاتفاقية واستمروا في تحدي القوة العثمانية، وقاموا بجباية الأموال من الأغنياء وتنظيم الإدارة والأمن في النجف، بحيث أصبح (مدير النجف) عاجزاً عن ممارسة صلاحياته الإدارية والعسكرية، وقد اكتفى مع قواته بالتفرج على ما يدور في داخل المدينة انتظاراً لصدور أوامر جديدة من والي بغداد، وفي هذه الفترة تمكن النجفيون من حفر نفق للوصول إلى القشلة والهجوم على القوات التركية ومن ثم الاتصال بالعشائر العربية المحيطة بالنجف لمساعدتهم عند الحاجة والإلتحاق بهم، وقد أقلقت هذه الأعمال والي بغداد، وخشي من اندلاع الثورة في النجف والفرات الأوسط فتحرك من بغداد على رأس قوة عسكرية كبيرة، وقد وصل مدينة الحلة في أواسط جمادي الآخر عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م وقد استخدم أسلوب المكر والخديعة للقضاء على زعماء الثورة بدون قتال، فأرسل آمر فوج الفرسان الأول في جيش العراق والحجاز السلطاني (عمر بك) إلى مدينة النجف بحجة الإطلاع على حسابات الملتزمين

واستلام ما بذمتهم من أموال المقاطعات ودفع معاشات العساكر، وقد زوده بمنشور باللغة العربية قد تضمن عبارات تمويهية مفادها أن مهمة عمر بك هي الإشراف على الأمور المالية وجباية الضرائب، ولما وصل عمر بك إلى مدينة النجف دعا أعضاء مجلس المدينة ووجهاءها ورؤساء العشائر وقادة الحركة إلى الاجتماع لغرض قراءة منشور الوالي، وقد رتب في الوقت ذاته القوات العسكرية في أماكن مختارة من المدينة للانقضاض فجأة على رؤساء الحركة في حالة المقاومة واستعمال السلاح وفق الخطة العسكرية التي وضعها والي بغداد[1]. وقد وضع بلوكين من العساكر في أماكن سرية قريبة من مقر المدير، ووضع مائة وثمانين عسكرياً حول مرقد الإمام علي عليه السلام تحسباً من وقوع حالات مفاجئة أو طارئة، وحينما تم حضور جميع المدعوين نهض (ميرالاي عمر بك) وخاطب زعماء الحركة بالقول: ((إن ظلمكم وتعديكم وسوء أدبكم المنافي بكل الوجوه لمقام الحكومة العالي ولعلماء المسلمين، جعل جميع الأهالي هنا في حالة من الاضطراب والفزع، ولم تثمر معكم لحد الآن سياسة التأمين والتلطيف ولا التهديد والتخويف، بل ازددتم مفسدة وملعنة ولأجل استرداد حقوق المظلومين وإجراء محاكمتكم شرعاً وقانوناً فقد أمرت بإحضاركم أمام المشير باشا)) وما إن سمع الحاضرون هذا الوعيد والتهديد نهض ثمانية رجال مسلحين وهاجموا الضابط، ولكن الحرس قد ألقوا القبض عليهم، وحاول الحاضرون إنقاذ الرجال الثمانية، وكاد الزمام أن يفلت من أيدي السلطة، لولا وصول التعزيزات العسكرية إلى مكان الاجتماع، وعلى أثر ذلك اقتيد الرجال الثمانية إلى السجن في القشلة، وأمر مدير القصبة بعض المنادين في الأسواق والشوارع عن إعلان احتجاز هؤلاء وقد وصفوا بالأشقياء، وإن الحكومة سوف تصدر العفو عن جميع أنصارهم وأتباعهم، ولكن إجراءات الحكومة هذه لم تفت من عضد الثوار، فتجمع مائة وخمسون مسلحاً وتوجهوا نحو القوات

---

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار نقلاً عن أرشيف رئاسة وزراء (اسطنبول) رقم الوثيقة (١٩١٥٧ ألف ٦٠٤) عسكرية.

التركية المرابطة أمام باب المقر، ودارت رحى معركة حامية بين الطرفين، ولما رأى النجفيون تأزم الحالة تقدم حوالي ألف وخمسمائة مسلح وانضموا إلى إخوانهم النجفيين في محاولة لإنقاذ الزعماء الثمانية من قبضة ا لحكومة، وعلى أثر ذلك قتل ستة عسكريين من بينهم ضابط برتبة ملازم وجاووش، ولما رأى الأتراك تصاعد الموقف واشتداد المقاومة، أقدموا على قتل الرجال الثمانية المحتجزين بحربات البنادق، وهاجموا الأهالي بوحشية وقسوة، وفتحوا نيران المدافع على المحلات والبيوت، وقد اعترف والي بغداد في تقرير رفعه إلى الصدارة بضراوة القتال، ومما ساعد الحكومة على المقاومة وصد الثوار وصول تعزيزات عسكرية من مدينة الحلة، وعلى أثر ذلك اضطر الثوار إلى الانسحاب خارج المدينة، واستسلم زعيم الزكرت قاسم الحداد، وطلب الأمان من القائد العسكري عمر بك، فوافق على ذلك وأعطى الأمان لجميع المقاتلين على شرط إلقاء السلاح وتسليمه إلى الحكومة، وأما الذين قتلوا داخل القشلة بحراب البنادق العثمانية فهم:

١. ظاهر الملحة.
٢. مهدي الفيخراني.
٣. عبود الفيخراني.
٤. السيد سعد.
٥. ظاهر الحجي.
٦. علي وهب.
٧. سليمون.

وقد أغفلت المصادر اسم الشخص الثامن المحتجز مع هؤلاء السبعة، وبعد ذلك رتب القائد العسكري عمر بك مضابط وقعها أعضاء مجلس المدينة ووثقها بتقرير طبي تضمن كيفية مقتل هؤلاء[1]. وقد تضمن التقرير الطبي الرسمي وجهة نظر الحكومة

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار نقلاً عن أرشيف رئاسة وزراء (اسطنبول) رقم الوثيقة (١٩١٥٧ ألف ٣) عسكرية.

الذي يبعدها عن مسؤولية القتل وقد جاء فيه: ((نظراً إلى قيام رؤساء أشقياء الشمرت من أهالي النجف الأشرف ومنهم الأشخاص: مهدي الفيخراني وعبود الفيخراني وظاهر الملحة وسيد سعد وظاهر الحجي وعلي وهب وسليمون بالفساد منذ مدة طويلة فقد تقرر إلقاء القبض عليهم لأجل تأديبهم وتربيتهم بالوجه النظامي والأسلوب المستحسن استناداً إلى شريعة الدين والدولة، وحين المباشرة بإلقاء القبض عليهم لم يظهروا الطاعة لولي الأمر بل قاموا وسحبوا سلاحهم بوجه العساكر السلطانية وهجموا عليهم، لذا وجدت العساكر السلطانية نفسها مضطرة إلى طعنهم بالسلاح الأبيض مما أدى إلى إصابة الأشقياء السبعة المذكورة أسمائهم بجراح بليغة، ومن أجل الكشف عليهم طبياً ومعالجتهم وضعوا تحت إدارتنا وإشرافنا بتوجيه من القادة العسكريين وسائر المأمورين وقد ظهر لنا بعد الكشف والمعاينة الطبية أن جروحهم غير قابلة للإلتئام، وبعد مدة أيام من المعالجة حدثت وفاتهم بأمر الله تعالى، وهذه شهادتنا حررت وختمت من قبلنا في الخامس من رجب ١٢٧٠هـ/ الثالث من نيسان ١٨٥٤م)) وقد وقع على شهادة الوفاة كل من الأطباء العسكريين العثمانيين[1]:

١. مصطفى بهجت، جراح لواء الفرسان.

٢. يوسف، طبيب لواء الفرسان الأول.

٣. عارف، طبيب اللواء الرابع.

وقد أرادت السلطات العثمانية في النجف رفع المسؤولية عن مرتكبي جريمة القشلة فنظمت مضبطة عن مجلس النجف الأشرف إلى والي بغداد جاء فيها: ((المعروض لدى الحضرة المشيرية أيدها رب البرية من خصوص طائفة الشمرت لما تمادت معصيتهم لله عز وجل وولاة الأمر، وتجاهروا بعمل الفساد وأذية العباد، وعلى الخصوص أهالي النجف الأشرف وسائر الفقراء والمجاورين في ذلك المكان المشرف، واستمر عدم سماعهم لإنذار الوالي وإعذاره لهم مرة بعد مرة وكرّة بعد كرّة اقتضت إرادة الحضرة

---

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار نقلاً عن أرشيف رئاسة وزراء (اسطنبول) رقم الوثيقة (١٩١٥٧ ألف ٣) عسكرية.

المشيرية بإخراجهم من تلك القصبة الحيدرية لأجل استراحة الأهالي من غائلتهم وسوء عاقبتهم فأرسل صاحب العزة ميرالاي العسكر النظامية السوارية عمر بك لأعمال سياسة جميلة يخرج بها المذكورين من دون محاربة ولا صيحة تخيف السكنة والمجاورين وتعود بالضرر على الفقراء المساكين فعقد حضرة الأمير المومأ اليه مجلساً جمع فيه العلماء والأعضاء والتجار ووجوه الأخيار وأظهر في ذلك المجلس أنه يريد تحقيق مسألة عبورات النجف الأشرف كي لا يتجاوز الملتزم لها سبيل المعتاد ولا يحصل مغدورية على العباد، وأنه لا بد في هذا المجلس من احضار رؤساء طائفة الشمرت لأعمال الرابطة المذكورة بأحسن صورة فجاء جماعة من رؤساء الفرقة المزبورة وهم: مهدي وظاهر وعبود والسيد سعد وعلي وهب وسليمون وظاهر الحاجي، ولما حصل اجتماعهم على هذا الوجه أشار إلى بعض ضباط العسكرية أن يأتي بطائفة من العسكر المنصور للقبض على الأشخاص المذكورين فما كان بأسرع من هجمت - كذا - فرقة العسكر المنصور على المجلس المسطور فأحس الأشخاص المرموقين بإرادة القبض عليهم فثاروا من أمكنتهم ووضعوا أيديهم على أسلحتهم وهجموا على الأمير المومأ اليه وعلى العسكر المنصور، وحين رأى العسكر المنصور ذلك منهم وثبوا عليهم وجعلوا يضربونهم بالأيدي والأرجل وقناديق التفك وحرابها فأدى ذلك إلى موت الأشخاص المزبورين بسبب جراحات اصابتهم عجز الجراحون عن علاجها ومداواتها، وهو الذي حل فيهم بسببه ما كسبت أيديهم، ولأج لبيان كيفية الحال بهذا المنوال تحررت المضبطة وقدمت لدى الحضرة المشيرية، أدامها رب البرية والأمر لمن له الأمر أفندم)) الرابع من شهر رجب سنة ١٢٧٠هـ / ٢ نيسان ١٨٥٤م وقد وقع على هذه المضبطة كل من[1]:

١. عثمان بك، مدير النجف.

٢. السيد علي السيد حسين، نائب النجف.

---

(١) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار نقلاً عن أرشيف رئاسة الوزراء التركي، إرادة داخلية، رقم الوثيقة (١٩١٥٧ ألف ٢) عسكرية.

٣. صابر الموسوي، الكليدار.

٤. علي الحسيني، عضو مجلس النجف.

٥. ناصر حسين، عضو مجلس النجف.

٦. عبد العزيز، عضو مجلس النجف.

٧. محمد جواد عبد، عضو مجلس النجف.

وأشار تقرير والي بغداد إلى الصدارة في التاسع عشر من رجب عام ١٢٧٠ هـ المصادف لليوم السابع عشر من نيسان عام ١٨٥٤م إلى تقسيم سكان مدينة النجف الأشرف إلى ثلاثة أصناف[١]:

الصنف الأول: وهم عامة الناس من غير المتحزبين والمتكتلين.

الصنف الثاني: الشمرت.

الصنف الثالث: الزكرت.

وقد وصف التقرير جماعتي الشمرت والزكرت بالطائفتين المنحوستين وجاء فيه: إن الشمرت والزكرت كانتا منذ قديم الزمان مشهورتين في ايالة بغداد بالشر والشقاوة والمفسدة ومعروفتين بالجرأة والجسارة بين العشائر، ولذا فإنهما كانتا سبب الشر والمضرة التي لحقت بالناس وسبب إزالة الاستقرار وانعدام الأمن العام، نظراً للحروب والنزاعات الدامية التي نشبت بينهما من جهة، ولإتفاق الفرقتين وقيامهما بحركات باغية على الحكومة وتجاسرهما بتعريض ارواح الناس الأبرياء والتجار وأموالهم إلى الغدر والضرر من جهة أخرى.

وكان الوزير العثماني (السردار عمر باشا) في عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م قد استخدم القسوة والعنف في تسويق المكلفين للجندية من مدن الحلة والنجف وكربلاء وما جاورها من المدن الفراتية[٢]. وقد أصبحت مسألة التجنيد من عوامل النفور بين النجف

---

(١) ن.م.

(٢) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١١٨/٧، سليمان فائق: تاريخ بغداد ص١٦٧.

والحكومة العثمانية، وأصبحت النجف ملاذاً للفارين من الخدمة العسكرية، فقد ذكر الدكتور علي الوردي: ((فلما عاين أهل النجف ما فعل بأهل الحلة وأهل كربلاء أبانوا وجه الطاعة، ومسكوا ثلاثين نفساً بدلاً عنهم، وأتوا بهم إلى بغداد بالطاعة والانقياد))[1]. وأشار الحاج وداي العطية إلى حالة العنف المستخدمة تجاه الناس بقوله: إن الوزير أمر بأخذ العسكر النظامي (الجندية الإجبارية) من النجف وكربلاء بعد أن حبس الأهلين، ونهب الدور[2]. وقد أضيف إلى هذه الأعمال الشاذة تدهور الأوضاع الاجتماعية، وتمرد القبائل على القانون والنظام، فقد أخذت العشائر القريبة من مدينة النجف كالخزاعل وحلفائهم من آل شبل مهاجمة القوافل القادمة إلى مدينة النجف. وفي عام ١٢٨٤هـ هاجم آل شبل قافلة قادمة من حائل وقد نزلت خلف سور النجف وقد نهبت بعد ذلك، فتصدى أصحاب القافلة مع العسكر العثماني، وقد أدت هذه الحادثة إلى مقتل واحد من آل شبل[3]، وكانت السياسة العثمانية في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م) قد تميزت عن سياسة من سبقه من الولاة، فهو قد حاول التقرب إلى مدينة النجف وأهلها، في محاولة لإنهاء الخلافات مع الدولة الفارسية فقد زار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وسامراء وخلع على العلماء الأعلام، وقد استغرقت زيارته ثلاثة أشهر وكلفت إجراءاته هذه خزانة بغداد ثلاثين ألف ليرة عثمانية[4]. وقد دارت مباحثاته مع الفرس حول العلاقات العامة والتي دار بعضها حول النجف والعتبات المقدسة منها:

١. دفن الموتى: اتفق الطرفان على أن لا تدفن جثة في العتبات المقدسة إلا بعد مرور ثلاث سنوات على الوفاة.

---

(١) الوردي: لمحات اجتماعية ٢١٣/١.

(٢) العطية: تاريخ الديوانية ص٤٥.

(٣) الساعدي: دراسات عن عشائر العراق الخزاعل ص٩٩.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث ص٤٣٧، نقلاً عن:

Lorimer... vol.I p. ١١٢

٢. كنوز النجف: خشي أهالي النجف الأشرف على كنوز الروضة الحيدرية من هجمات الوهابيين، وقد خافوا من وقوع هذه الكنوز بيدهم كما حصل في كربلاء من سلب ونهب وقتل على أيدي الوهابيين، وأزاء هذا دفنت الجواهر الثمينة والنوادر الفريدة في تربة النجف منذ ثمانين عاماً. وقد اقترح الوالي مدحت باشا على المفاوض الفارسي استخدام هذه الكنوز لصالح الزوار الإيرانيين، ومد خط حديدي بين بلاد فارس والنجف، وإنشاء مستشفيات وملاجئ وخانات على طول الطريق المؤدية إلى العتبات المقدسة، ولكن الطرف الفارسي رفض هذه المقترحات فأعاد مدحت باشا الكنوز إلى مكانها بعد أن ختمت من قبله وجماعة من وزراء فارس[1].

وقام الوالي مدحت باشا بإصلاحات إدارية واجتماعية كبيرة في العراق وقد خص بعضها مدينة النجف الأشرف، فقد جعل النجف من الناحية الإدارية قضاءاً تابعاً للواء الحلة الذي يقع ضمن ولاية بغداد[2]. وفرض التجنيد الإجباري وفق قانون الجندية الجديد، ولما لم يستجب الكثير من الناس إليه فضّل مغادرة النجف إلى سواد الفرات في الفترة الواقعة بين ١٢٨٥ هـ إلى ١٢٨٨هـ والمناطق القريبة من مدينة النجف فاشتغلوا بالفلاحة وغيرها[3]. وقد ذكر كراتون جيري (GrationGeary): كانت النجف في حالة اضطراب في الأشهر القليلة الماضية، فقد رفض السكان المثول للتجنيد الإجباري، ودفع الضرائب، وقد وصلت مفرزة من القوات التركية القادمة من كربلاء إلى المدينة، وأعيد النظام إليها دون صعوبة، واعتقل الأتراك العثمانيون ثلاثين شخصاً وتم إرسالهم

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث ص٤٣٧، نقلاً عن:

Aitchison: A collection, vol. XII, p. ٢٠

A.H. Midhat: The life of Midhat, p. ٥٣.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث ص٣٥٧.

(٣) الشبيبي: المذكرات، بحث في مجلة البلاغ، العدد السابع، السنة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ص٢١.

إلى كربلاء وأودعوا السجن[1]. وذلك في عام ١٨٧٧م وكان بعض المتمردين على السلطة قد انسحب إلى مدينة الكوفة، وقد توسط العلامة السيد علي بحر العلوم بين المتمردين والحكومة، وقد اقتنع المتمردون بالكف عن الشغب والعودة إلى مدينة النجف بعد إصدار العفو العام عنهم[2]. وذكر الباحث البريطاني (لوريمر): إن سرعان ما عاد المتمردون إلى تمردهم احتجاجاً على التجنيد وفرض الضرائب، وكاد الاحتجاج أن يتسع لولا القوة الكبيرة التي أرسلتها الحكومة العثمانية من كربلاء إلى النجف واعتقال عدد من زعماء التمرد[3]. ومن الملاحظ أن مدينة النجف في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الحقت بسنجق كربلاء[4]. وقد تحدث عن انتفاضة النجف عام ١٨٧٧م كل من (كرتون جيري) و(جون بانيت بيترز) وأشارا إلى خضوع النجف للسيطرة العثمانية بعد القضاء على هذه الانتفاضة[5]. ولكن حالة القلق التي شهدتها النجف في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، جعلت الحكومة العثمانية لا تبعث قائمقاماً عليها إلا بأمر يصدر من الأستانة، ومن السلطان بصورة مباشرة، وكانت ولاية بغداد تتجنب التدخل في شؤون أهالي مدينة النجف إلا بنطاق ضيق مكتفية بالخضوع الرمزي[6]. وكان لرجال

---

(١) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٢٢٠٤/٤، طارق الحمداني: التحديث في النجف بين الأصالة والتجديد، بحث في مؤتمر علمي ص٥، نقلاً عن:

Thrugh Asiatic Turkey (London ١٨٧٨), vol. I, p.١٧٩.

(٢) جاسم محمد حسن: العراق في العهد الحميدي ص١١٤، نقلاً عن:

J.A. Saldanha, op, l.p. ٨٢□٨٣

(٣) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٢٢٢٦/٤.

(٤) جاسم محمد حسن: العراق في العهد الحميدي ص١٩٩، نقلاً عن:

سالنامة: دولت علية عثمانية در سعادت ص٧١٢.

(٥) طارق الحمداني: التحديث في النجف، بحث علمي ص٦، نقلاً عن:

Geary, op. ch, vol. I, p. ١٧٩.

John punnett peters: Nippur or Explorations and adventures in the Euphrates in the years ١٨٨٨□١٨٩٠, c.p. punt names sons, New York and London, ١٨٩٧, vol. II, p. ٣٣١.

(٦) الوردي: دراسات في طبيعة المجتمع العراقي ص١٠٨، قصي سالم علوان: الشبيبي شاعراً ص٢٩.

الدين دور في فض الخلافات بين أهالي النجف والحكومة العثمانية، وكانوا يستحسنون في بعض الأحيان إجراءات الحكومة في استعادة النظام، وهذه الحقيقة تخالف الرأي الذي ذهب اليه المؤرخ الألماني (لونكريك) بقوله: ((كانت كل حكومة سنية لا بد أن تلاقي معارضة المجتهدين في كربلاء والنجف علاوة على معارضة القبائل الشيعية))[1]، وقد ابتعد هذا الرأي عن الموضوعية والواقع العملي، فقد كان علماء الدين في النجف يقومون بدور الوساطة وإنهاء حالة التمرد لدى النجفيين وعشائر الفرات الأوسط ضد الحكومة دون الالتفات إلى سنية الحكومة وشيعية الآخرين، وإن معظم حركات التمرد تعود إلى سوء الإدارة العثمانية واضطراب الحالة الاقتصادية، مما جعل أهالي النجف يمتلكون السلاح للدفاع عن أنفسهم ولم يكن بمقدور هذه الحكومة العمل على حماية مدينتهم من العدوان الخارجي، وقد استخدموه ضد الإدارة في المدينة في بعض الأحيان، إضافة إلى وجود زعامات عشائرية مسلحة كانت قد أتعبت الحكومة في كثير من الأوقات، والى ذلك أشار الدكتور عبد العزيز سليمان نوار بقوله: ((لقد أتعبت النجف الحكومات المختلفة في العهد العثماني))[2]، ومن الغريب أن الحكومة العثمانية الحاكمة كانت عاملاً على إثارة بعض الحساسيات المذهبية دون مراعاة لشعور أبناء المدينة، وهذا على العكس مما ذكره المؤرخ (لونكريك) ففي عام ١٨٢٨م أصدرت الحكومة بياناً يقتضي بالالتزام بالشرع السني عوضاً عن الشرع الشيعي في مدينتي النجف وكربلاء وأصدر نجيب باشا حضراً رسمياً على الشعائر التقليدية عند الشيعة، مما أدى إلى إثارة السخط العام في صفوف الناس[3]. وفي عام ١٨٤٩م قام جمع من البريطانيين والروس والأتراك بجولة في الحلة والنجف وكربلاء ودخلوا مرقد الإمام علي

---

(١) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٣٨٨.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث ص٩٦.

(٣) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٢٠٣٩/٤.

عليه السلام فأثار ذلك سخط الناس[1]. وقد أفرزت هذه الأعمال عن شعور ذاتي لدى الناس، واعتبرت السلطة متحازة إلى مذهب معين دون أن تراعي عادات وتقاليد المذاهب الإسلامية الأخرى، ولا سيما في مدينة النجف الأشرف التي تعد عاصمة الفكر الإمامي وإليه يعود جميع الشيعة في الفتيا والتقليد، كما إن الظرف القلق الذي كانت تمر به الحكومة العثمانية قد أفرز أيضاً حالات شاذة لم يكن بمقدور الحكومة القضاء عليها، وقد أشارت الرسالة التي بعثها والي بغداد إلى الباب العالي في السابع من رجب عام ١٢٤٨هـ المصادف للثلاثين من تشرين الثاني عام ١٨٣٢م إلى وجود عناصر إيرانية تقوم بتزييف النقود الإيرانية في أوكار سرية في مدينتي النجف وكربلاء واستبدالها ببعض العملات الفضية والذهبية المتداولة في أسواق العراق وإرسالها إلى كرمنشاه[2]. وكانت مدينة النجف الأشرف تقوم بواجبها الديني إذا كانت هناك إجراءات منافية لأحكام الشرع الإسلامي، سواء تلك الصادرة من الحكومة العثمانية أو الحكومة الفارسية، ففي عام ١٩٠٣م أصدر مظفر الدين شاه مرسوماً على الخمور والمشروبات الروحية فأدى إلى استياء حاد في أوساط المجتهدين في مدينتي النجف وكربلاء، وقد وجهوا احتجاجاً إلى الشاه عبروا فيه عن رغبتهم في تعديل هذه السياسة، ولكن الشاه لم يلتفت إلى هذا الاعتراض، وفي هذه السنة اندلع الشغب والاضطراب في مدينة تبريز ضد بائعي الخمور من الأرمن وموظفي الكمارك البلجيكيين ووقعت حوادث شغب في مدينة أصفهان، وقد قتل في أثنائها عدد من البابيين، وقد اتهمت الحكومة الإيرانية

---

(١) ن.م. ٤/٢٠٣٥.

(٢) البستاني: أزمة النقود في ولاية بغداد ومحاولات معالجتها ١٨٢٠- ١٨٥٦م، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية / تونس، العدد (١- ٢) لسنة ١٩٩٠ نقلاً عن أرشيف الباب العالي / الخط الهمايوني، رقم الوثيقة (٢٧٨١٥ ج).

علماء الدين في النجف وكربلاء على إثارة هذه الحوادث[١]. وكان من واجب المرجعية الدينية في النجف بيان رأيها في بعض الإجراءات المنافية للشرع الإسلامي، ولما وصل (عين الدولة عبد الحميد خان) إلى منصب الصدارة في إيران بدلاً من (علي أصغر خان أمين السلطان) إلى السلطة في ٢١ جمادى الثانية ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م، اصطدم مع رجال الدين وأصبح غير مرغوب فيه وقد حرّض الإمام الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني على تكفيره[٢]، وكانت السلطات الإيرانية قد تقف موقفاً مضاداً لإجراءات العلماء، وتتعاون في بعض الأحيان مع السلطات العثمانية على إيقاف نشاط علماء النجف ففي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م وشت السلطات الإيرانية بمجتهدي النجف وكربلاء إلى السلطان العثماني (الباب العالي) بأن بعضهم أصدقاء لبريطانيا، كما أن الممثل الروسي في أسطنبول قد اشتكى من النشاط الخطير الذي يقوم به وكلاء المجتهدين في إيران وأواسط آسيا وتبعاً لذلك هددت السلطات التركية بعض المجتهدين في مدينتي كربلاء والنجف بالنفي إلى خارجهما[٣]. وأشار السير (آرثر هادرنغ) وزير بريطانيا في طهران إلى جهود المفوضية البريطانية في بغداد للحد من الأعمال التي يقوم بها المجتهدون الإيرانيون في كربلاء والنجف ممن كانوا يسعون بنفوذهم إلى تشجيع معارضة إجراءات حكومة الشاه في إيران، وقد كان السير هاردنغ يعتقد أن الدافع الرئيسي الذي كان يحفز المجتهدين هو زيادة خطورة روسيا في إيران[٤].

وكانت مدينة النجف الأشرف منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) قد تعرضت للغزو الوهابي من جزيرة العرب في الوقت الذي كانت الدولة

---

(١) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/٢٢٣٩.

(٢) فيصل عبد الجبار: التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ص٢٦٤، نقلاً عن أحمد كسروي: تاريخ مشروطة إيران ١/٣٢.

(٣) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/٢٢٤٠.

(٤) رويمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ٤/٢٢٨٣.

العثمانية تمر بحالة من الضعف والتدهور وقد استخدم العثمانيون القسوة والعنف في المدن التي تعرضت للغزو الوهابي، وقد أزهقت خلالها الأرواح وعمّ التدهور والركود في أوساطها[1]. وذكر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أن الوهابيين أرجفوا النجف خمس أو ست دفعات، واذا سمع النجفيون بقدومهم أغلقوا الأبواب، وكان الوهابيون يطوفون حول السور، فإذا وجدوا إنساناً رجلاً أو طفلاً، ذكراً أو أنثى، قتلوه ورموا رأسه داخل البلد[2]. وفي الحقيقة أن الوهابيين قد هاجموا مدينة النجف الأشرف أكثر من عشر مرات، ولكن حصانة سورها ومناعة أبراجها وشجاعة أهلها حال دون اقتحامها، وقد أشار الدكتور علي الوردي إلى ذلك بقوله: لسبب موقع النجف الجغرافي على حافة الصحراء، وتردد القبائل البدوية عليها، وكثيراً ما كانت المشاحنات والمنازعات تقع بين أهل النجف وتلك القبائل، وهذا مما يجعل أهل النجف يشعرون بضرورة وجود عصبية قوية بينهم لتساعدهم على مدافعة القبائل البدوية عند الحاجة، وقد اشتدت هذه الحاجة في أواخر القرن الثامن عشر عندما أخذت القبائل الوهابية تغير على بعض المدن العراقية المتاخمة للصحراء، فهبّ أهل النجف للدفاع عن مدينتهم، ونجحوا فيه نجاحاً غير قليل[3]. وأطلق لفظ (الغارة) على كل محاولة وهابية على مدينة النجف الأشرف، وهي وفق تسلسلها الزمني على النحو الآتي:

الغارة الأولى

أشارت المصادر التاريخية إلى أن الوهابيين هاجموا مدينة النجف للمرة الأولى عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م، والى ذلك أشار المؤرخ الكركوكلي: ((وردت الأنباء بهجوم الوهابيين على النجف الأشرف، فتصدت لهم عشيرة الخزاعل، وقتلت منهم حوالي

---

(١) عد الرزاق حسين: نشأة مدن العراق ص٤٨، نقلاً عن:
John B. Glubbe: War in the Desert, New York, w.w. Norton co. inc. ١٩٦١.

(٢) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية ورقة ٢٩٤- ٢٩٥.

(٣) الوردي: دراسات في المجتمع العراقي ص١٧٩.

ثلاثمائة))[1]، وذكر العمري: أن قافلة من نجد وردت مدينة بغداد فباعت ما عندها ولما أرادت الرجوع توجهت إلى مدينة النجف، فوجدت هناك جماعة من الخزاعل، وهم رافضة، فكان أميرهم يقبّل باب حجرة الإمام علي عليه السلام، فحملوا عليه وقتلوه، فدارت بين الطرفين معركة شديدة دامت حوالي ثلاث ساعات، بلغت خسائر الوهابيين مائتي رجل بين قتيل وجريح، ومثلهم من عرب الخزاعل، ونهبت على أثر ذلك أموال الحاج العراقي وجمال الوهابيين وخيولهم، فتوجه إلى نجد من سلم، وعاد إلى بغداد الحاج العراقي))[2]، وأطلق على هذه الغارة الوهابية لفظ (وقعة الحاج والحدرة)[3]، وعلى أثر هذه الحادثة أرسل والي بغداد سليمان الكبير، عبد العزيز الشاوي إلى نجد لمقابلة الزعيم الوهابي عبد العزيز بن سعود للتباحث معه حول ديّات القتلى في النجف[4]. وكان الزعيم الوهّابي عنيفاً في حديثه مع الشاوي إذ قال له: ((أما كفى الوزير أننا تاركوه يحكم بغداد، والله عن قريب ترى جميع غربي بغداد لنا وشرقيه له))[5]. وذكر ابن سند البصري: كان الشاوي قد طالب الوهابيين بديات من قتل من الخزاعل وسكان النجف ظلماً وعدواناً، فرفض ابن سعود، وهدد بالهجوم على مدينة النجف[6]. وكانت هذه الحادثة التي تأسف لوقوعها الوزير العثماني بداية للوقائع الأخرى التي حصلت بعدها.

الغارة الثانية

في عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م أرسل الوهابيون سرية إلى العراق لتنهب مرقد الإمام

---

(١) الكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢١٢، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٦/١٣٨.

(٢) العمري: غرائب الأثر ص٥٣- ٥٤، الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٨٧.

(٣) الساعدي: دراسات عن عشائر العراق الخزاعل ص٦١.

(٤) الكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢١٣، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٦/١٤١.

(٥) علاء نورس: حكم المماليك ص٥٥.

(٦) ابن سند البصري: خمس وخمسون عاماً من تاريخ العراق ص٧٢، مطالع السعود ص٢٣٨.

علي عليه السلام، وتهديم مرقده الشريف، واستباحة مدينة النجف الأشرف، وقد تصدى لهذه السرية عرب البصرة وقاتلوهم وهزموهم، وأخذوا منهم ثمانمائة جمل، وقيل ألف وستمائة جمل، وقتل منهم أكثر من مائة رجل وعادت السرّية بالخيبة[1].
ويبدو أن انتصار النجفيين على الوهابيين عام ١٢١٤هـ قد أثر في نفوسهم فزادهم حقداً، ولذا جاءت هذه الغارة بعدها بسنة واحدة وهي من باب الانتقام والأخذ بالثأر[2].

الغارة الثالثة

أقدم الوهابيون عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م على غارة عنيفة وشرسة على مدينة كربلاء، فوصلوها يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي الحجة، وقدر عدد المهاجمين بين (٥٠٠٠ إلى ١٦٠٠٠ ألفاً) فدخلوا المدينة صباحاً، وأقدموا على هدم ضريح الإمام الحسين عليه السلام، ونهب ما فيه من الأموال والأثاث والأسلحة، وقتلوا بدون رحمة الرجال والنساء والأطفال، واستمر القتل حتى العصر، ثم خرجوا من كربلاء وهم يحملون ما انتهبوه، وقدرت الخسائر البشرية بين (٥٠٠٠ ـ ٨٠٠٠) نسمة[3]. وكان الكثير من أهالي كربلاء قد توجهوا إلى مدينة النجف لأداء مراسيم الزيارة لمرقد الإمام علي عليه السلام بمناسبة ذكرى عيد الغدير[4]. ووصف الشيخ محمد السماوي هذه الجريمة النكراء بقوله[5]:

ثم عدا على الحسين وزحف　　　　وأهله زاروا الغدير في النجف

---

(١) العمري: غرائب الأثر ص٥٦.

(٢) الكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢١٣.

(٣) العمري: غرائب الأثر ص٦٠-٦١، العاملي: مفتاح الكرامة ٧/٧٠، البراقي: النخبة الجلية ورقة ٩٧، المظفر: تاريخ الشيعة ص٩٧.

(٤) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٢٦٠، لويد: الرافدان ص٢٤٩.

(٥) السماوي: مجالي اللطف ص٥٨.

فوضع السيف بأشياخ البلد	وبالنسا ووالد وما ولد
وهد بيتاً شاده المهيمن	جبريل في دخوله يستأذن
واستلب النضار والطرائفا	ومزق الكتاب والصحائفا
وذاك في سنة ست عشره	ومائتين بعد ألف الهجره

ولما وصلت أنباء مذبحة كربلاء إلى الوالي العثماني في بغداد سليمان باشا، تأثر كثيراً وتألم لفاجعة الحادثة وقال: ((إنني لا استحق الحياة بعد اليوم))[1].

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الوهابيين لم يكتفوا بجريمتهم هذه في مدينة كربلاء، بل توجهوا نحو مدينة النجف الأشرف، وبعد مقاومة عنيفة من النجفيين عادوا إلى بلادهم بعد أن ردوا على أعقابهم، وذكر السيد محسن الأمين: إن الوهابيين دخلوا العراق عام ١٢١٦هـ، وحاصروا مدينة النجف، ولم يقدروا عليها، وحاصروا مدينة الرماحية فصابرتهم حتى أخرجوا عنها[2]. وفي هذه السنة كتب الشيخ محمد بن يونس الشويهي من مدينة النجف الأشرف الى شيخ خزاعة سلمان بن محسن يطلب منه مساندة السيد حسين مكوطر، ويجعله أميراً في بلدة لملوم، وذلك لصد الغزو الوهابي[3]. ومن الجدير بالذكر أن مقاومة النجفيين للغزاة الوهابيين، ومناعة أسوار النجف لهما الدور الكبير في صمود المدينة وسلامتها من العبث الوهابي، ونقل مؤرخ النجف الشيخ جعفر محبوبة عن بعض شهود هذه الغارة من النجفيين إمارات إعجازية للإمام علي عليه السلام في كبح جماح هؤلاء الغزاة[4]. وقد أنشد الشيخ علي بن الشيخ زيني النجفي (وهو أحد المعاصرين لهذه الغارة) موّالاً خاطب به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جاء فيه ((سموك حامي الحمى، وترد إلك حماي))[5].

---

(١) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ١٩٠١/٤.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٣٦٦/٤٢.

(٣) محمد بن يونس الشويهي: مجموع رسائل، ورقة ١٠٢- ١٠٦.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣٢٦/١.

(٥) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة ٢/ق٢/٥٨٥.

وقد وقع الرحالة أبو طالب خان في وهم عند تاريخه هذه الغارة الوهابية عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م بقوله: ((بينما كان معظم السكان بكربلاء في زيارة مشهد النجف خرج خمسة وعشرون ألف وهابي على خيل وجمال عربية بغتة من الصحراء، ودخلوا المدينة وساعدهم على ذلك أشخاص من الغاوين، وكان الوهابيون يصرخون للتأليب والتخريب قائلين: اقتلوا الشيعة واقطعوا رقاب الكفرة، فذبحوا السكان ونهبوا ما في منازلهم، وحاولوا أن يقلعوا صفائح الذهب من المشهد، وكانت مثبتة فلم يستطيعوا ذلك، ومع ذلك فلم يتحرجوا من إخراب المشهد والعبث بالقبور الأخرى، ثم انصرفوا من تلقاء أنفسهم في أفول الشمس))[1]. ومن الملاحظ أن وقائع غارة عام ١٢١٧هـ، تختلف عن غارة عام ١٢١٦هـ من أوجه عديدة، سوف نشير إليها، ويبدو أن النجفيين قد تحسبوا الخطر الوهابي المتكرر على النجف سنة بعد أخرى، فأسرعوا بنقل خزانة المرقد الحيدري الشريف ومحتوياتها النادرة والثمينة إلى مدينة الكاظمية خشية من تعرضها للنهب والسلب كما حصل لخزانة المشهد الحسيني الشريف[2]. وقد تم فعلاً نقل الخزانة الحيدرية بأمر من الإمام الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب (كشف الغطاء)[3]. وقد استوعبت خزانة الكاظمين، خزانة المشهد الحيدري[4]. وقد أشرفت الحكومة بصورة رسمية على نقل الخزانة الحيدرية فهيأت عشرين بغلاً، وكلفت الحاج محمد سعيد الدفتري بالإشراف على عملية النقل ووزع الكتخدا فرق جيشه في الحلة وكربلاء والكفل لتأمين عملية النقل[5].

---

(١) أبو طالب خان: الرحلة ص٣٨٥.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٩١.

(٣) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية، ورقة ٢٩٩.

(٤) آل ياسين: تاريخ المشهد الكاظمي ص٢٧٠.

(٥) كركوش: تاريخ الحلة ق١/١٣١.

الغارة الرابعة

في عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، أرسل أحمد باش من مدينة الموصل سرية عددها (٢٥٠) رجلاً للمحافظة على مشهد الإمام علي عليه السلام من هجمات الوهابيين[1]. وفي هذه السنة أعلم شيخ المنتفك حمود الثامر، الوالي العثماني بقدوم جيش وهابي غايته الانتقام من مدينة النجف الأشرف[2]. وقد استعد النجفيون للدفاع عن مدينتهم فتشكلت فرقة مسلحة بقيادة عباس الحداد، قوامها جماعة من شبان النجف، وقد استعان به الإمام الشيخ جعفر الكبير، وقد جعله على رأس هذه الفرقة المسلحة ليكونوا على أهبة الدفاع عن مدينة النجف عند وقوع أية غارة وهابية عليها في المستقبل[3]. وذكر الشيخ جعفر محبوبة: إنه لما كثرت الغارات على مدينة النجف من قبل الوهابيين ونزولهم في مدينة الرحبة عند السيد محمود الرحباوي، فأكرمهم غاية الإكرام حتى قيل: إنه دلهم على النجف وأرشدهم على غزوها، فلما بلغ الشيخ جعفر الكبير ذلك أرسل إلى السيد محمود الرحباوي من يقول له: إنهم إذا جاؤوا اليك عازمين على السوء ينبغي لك أن ترسل إلينا من يعلمنا بذلك لنستعد لهم لئلا يدخلوا علينا على حين غفلة فلا نطيق دفاعهم هذا إذا لم تؤد ما يجب عليك من إمداد إخوانك النجفيين والدفاع عنهم. فأجاب السيد محمود الرحباوي، الشيخ جعفر الكبير قائلاً: أنا رجل ذو مزارع وأراضي، وأخشى على نفسي ومالي من هؤلاء لأني طعمة في أيديهم، ولما يئس الشيخ جعفر الكبير من تعاون السيد الرحباوي مع النجفيين، التجأ إلى جمع الشباب من حملة السلاح، وعيّن لهم الرواتب، واشترى لهم الأسلحة الجيدة، وجعلهم مرابطين على حدود النجف وكان على رأسهم عباس الحداد، وسوادي العكايشي، وقد بلغ عددهم مائة شخص[4]. وقد تطورت هذه الجماعة المسلحة وأصبحت شرطة للشيخ جعفر

---

(١) عماد عبد السلام رؤوف: الموصل في العهد العثماني / فترة الحكم المحلي ص١٣٩.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٨٨.

(٣) ن.م. ١/٢٣٧- ٢٣٨.

(٤) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية ورقة ٢٣٩، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٣٣٠- ٣٣١.

الكبير، تقوم بتنفيذ أوامره في حكم النجف، وتطبيق أحكام الشرع الإسلامي فيها، وإذا أريد استدعاء أحد الأشخاص، أو فرض عقوبة معينة، أرسل الشيخ جعفر الكبير على عباس الحداد لتنفيذ أوامره[١]. وقد تمكنت جماعة (عباس الحداد) من قتل عدد من الوهابيين وأسر آخرين خارج سور النجف، وكانوا يأتون بهم إلى الشيخ جعفر الكبير[٢]. وكانت الحكومة العثمانية في هذه الفترة عاجزة عسكرياً عن رد الوهابيين وليس لها القدرة على تأمين الحماية الدائمة لحدودها الشرقية، وامتد عجزها إلى حدودها الجنوبية والغربية، وقد أدرك أهالي النجف خطورة الأمر، وحسبوا الوهابيين لا ينوون تركهم وشأنهم، فاتخذوا التدابير والإجراءات الإدارية والعسكرية اللازمة للمواجهة[٣].

الغارة الخامسة

في عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م هاجم الوهابيون مدينة النجف الأشرف بقوة كانت أشد وأعنف من القوى الاعتيادية، لكن قبة الإمام علي عليه السلام بقيت ثابتة داخل سور النجف المنيع[٤]. وذكر الشيخ الأعسم: أنه في هذه السنة غزا الوهابيون الحرمين الشريفين في النجف وكربلاء، إلا أنه رجع عن النجف خاسئاً لم يوفق بالنجاح[٥]. وفي أثناء دفاع النجفيين عن مدينتهم، زحف والي بغداد علي باشا (كهية سليمان باشا الكبير) نحو مدينة النجف على رأس جيوش عائدة من مدينة سنجار، لمساعدة أهالي النجف وإيقاع الهزيمة بالوهابيين، ولكنه لم يلحق بالغزاة، فقد ولوا الأدبار[٦].

---

(١) الوردي: لمحات اجتماعية ٢٣٨/١.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣٣١/١.

(٣) البستاني: وثائق عثمانية غير منشورة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثامن ص١٦٠.

(٤) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٢٧٦.

(٥) الأعسم: الرحلة الأعسمية ص٥٢، نقلاً عن: منتظم الناصري ٧٨/٣.

(٦) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١٥٩/٦، الأسدي: ثورة النجف ص١٤٧.

الغارة السادسة

في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م تقدم زعيم الوهابيين (سعود) نحو مدينة النجف الأشرف وحاصرها من كل جانب، وفرق جيشه عليها من جميع الجهات، وأمر جنده بتسلق جدار السور في محاولة لاقتحام النجف، وقد تحصن النجفيون بأعالي السور والأبراج الضخمة، وأمطروا الوهابيين فقتلوا عدداً كبيراً، مما اضطرهم إلى التراجع والانسحاب[١]، وكان للخندق المحاذي للسور دور في حماية المدينة، فقد امتاز بعرض واسع، وأعطي للسور ارتفاعاً شاهقاً ويبدو أن الوهابيين قد خططوا في هذه الغارة اقتحام النجف وإنهاء مقاومة أهلها، ذكر المستشرق (لوتسكي): إنه في عام ١٨٠٤ـ١٨٠٥م جدد الوهابيون غاراتهم محاولين ثانية الاستيلاء على البصرة والزبير وكربلاء والنجف[٢]. وكان للشيخ جعفر الكبير الفضل الأكبر في سلامة النجف من هذه الغارة، فقد فرضت شخصيته على المدافعين عن المدينة، فأمر بإغلاق أبواب السور، ووضع الأحجار الكبيرة خلفها، وطلب من المقاتلين أن يكونوا على أهبة الاستعداد، ووضع في كل برج (قولة) من أبراج السور جماعة من المقاتلين الشجعان، وقد أحاط بقية الناس بالسور من الداخل[٣]. وذكر السيد الأمين: انبرى الشيخ جعفر الكبير للرد على الوهابيين بيده ولسانه لما عظم خطرهم على العراق، فردّ غاراتهم عن مدينة النجف، وجمع الأسلحة والذخائر في داره، ورتب المقاتلة على السور وباشر العلماء القتال بأنفسهم، وشجعوا المقاتلين بتحريضهم حتى ارتد رئيسهم سعود وأصحابه عنها خائبين[٤]. وأشار الشيخ محمد حرز الدين إلى إجراءات النجف بقوله: إنه من وسائل

---

(١) ن.م. ٦/ ١٦٩، السوداني: العلاقات العراقية السعودية ص٣٧.

(٢) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث ص٨٠.

(٣) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية ورقة ٣٠١.

(٤) الأمين: أعيان الشيعة ١٥/ ٤١٨.

الدفاع عن مدينة النجف هو إقامة المسالح بين النجف والكوفة لدفع غارات الأعراب وغيرهم عنها، والقلعة الضخمة التي بنيت بالقرب من كري سعد واسمها (قلعة النشامة)، ووجه التسمية هذه يعود إلى أن سبعين رجلاً من قبيلة بني مسلم دهمتهم جيوش الوهابي ابن سعود، وكانوا قاصدين الهجوم على مدينة النجف في عهد الشيخ جعفر الكبير، حيث كانت نوبتهم أن يرصدوا البر من هذه الجهة فضايقتهم الجيوش لكثرتها، فتحصنوا بالقلعة وحاربوهم ثلاثة أيام حتى نفد ما عندهم من سلاح وماء ومتاع، فقاتلوهم جميعاً، فسميت القلعة بقلعة النشامى[1]. وقد علل الأستاذ الريحاني اندحار الوهابيين في مدينة النجف بقوله: ((زحفوا الى المشهد (النجف) وخارج سورها مدينة أخرى هي مدينة القبور ذات القباب فردهم عنها في ذلك الحين بحرها))[2]، وهذا رأي غريب في بابه إذ أن بحر النجف لم يكن مانعاً من وصول الوهابيين إلى أسوار النجف مرات عديدة، ولكن الحقيقة إن بسالة النجفيين، وسور النجف المنيع، هما العاملان الأساسيان من تفويت الفرصة على الغزاة الوهابيين من تحقيق أغراضهم، وقد أشار إلى هذه الحقيقة المستر (فيلبي) بقوله: ((كان سعود في هذه الأثناء منهمكاً في حروبه على الحدود العراقية، فقد سار بنفسه على رأس حملة متوسطة الحجم، وهاجم مشهد النجف، وكانت أسوارها محاطة بخندق جعل الهجوم عليها متعذراً، فاكتفى الوهابيون بتبادل إطلاق النار مع المدافعين في حصونهم وقلاعهم وقتل عدد من المهاجمين، فانسحب سعود إلى الهندية والحلة حيث جرت هناك بعض المناوشات البسيطة))[3].

---

(١) الريحاني: الأعمال العربية الكاملة ٥/٩٦.

(٢) حرز الدين: معارف الرجال ٢/٣٨٠.

(٣) فيلبي: تاريخ نجد ص١١٥.

الغارة السابعة

في التاسع من صفر عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م كرر الزعيم الوهابي سعود هجومه على مدينة النجف الأشرف، وكان مصيره الفشل وقتل عدد كبير من جيشه وعاد خائباً إلى بلاده[١]. وقد أشار السيد محمد جواد العاملي إلى هذه الغارة بقوله: ((في الليلة التاسعة من صفر قبل الصبح بساعة هجم علينا في النجف الأشرف ونحن في غفلة حتى أن بعض أصحابه صعدوا السور، وكادوا يأخذون البلد، فظهرت لأمير المؤمنين المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة، قتل من جيشه كثير، ورجع خائباً، وله الحمد على كل حال))[٢].

ونقل السيد حسين البراقي عن الشيخ مهدي دعيل: ((إني كنت يومئذ مراهق، فجاء سعود بخلائق لا حصر لهم، وأحاطوا بسور النجف، فسد أهل النجف باب البلد، ووضعوا عليها الصخور الكبار وخرج الشيخ الأكبر الشيخ جعفر بن الشيخ خضر إلى السور وأمر أهل النجف بالقتال فجعلوا يرمونه بالبنادق فجعل الشيخ نفسه يدور على السور من الداخل ويقول: أولادي حاموا عن مرقد خليفتكم وابن عم نبيكم وامنعوا نفسكم عن القتل وحافظوا على أهاليكم ونسائكم من النهب والهتك، وقد خرجت النساء وهن يرددن: يا أولاد علي أتقبل شيمتكم وغيرتكم أن تهتك نساؤكم وهذه البنات المخدرات، ويفسق بهن هؤلاء الملحدين))[٣]. وقد هبّت النجف بأجمعها للدفاع عنها وحمل السلاح، وقد شارك علماء الدين وعلى رأسهم المرجع الديني الأعلى الشيخ جعفر الكبير في الدفاع عن المدينة[٤]. وذكر الدكتور علي الوردي:

---

(١) الكوفي: نزهة الغري ص٧٦، البراقي: قلائد الدرر والمرجان ورقة ٧٤، الأميني: شهداء الفضيلة ص٣٠٣، المظفر: تاريخ الشيعة ص١٠٢، الأمين: كشف الارتياب ص١٤، الرحلة العراقية الإيرانية ص٤٣، أبو حاكمة: تاريخ ١/ق١٩٢/٢.

(٢) العاملي: مفتاح الكرامة ٥١٢/٥.

(٣) البراقي: النخبة الجلية، ورقة ٩٧- ٩٨.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣٢٦/١، الأسدي: ثورة النجف ص١٤٨.

((وفي الليلة التي أحاط الوهابيون بالبلدة كان الشيخ جعفر يشرف بنفسه على شؤون الدفاع، فأمر بغلق أبواب السور، وجعل خلفها الصخور والأحجار، وعيّن لكل باب عدداً من المقاتلين، ولم يكتف بالمقاتلين من الأهالي بل جند معهم طلبة العلم))[1]. وعلماء الدين منهم العلامة الكبير الشيخ حسن نجف والفقيه الزاهد الشيخ خضر شلّال والعلامة الفقيه السيد محمد جواد العاملي، والشيخ مهدي ملاّ كتاب وغيرهم[2]. وقد استشهد من رجال العلم السيد علي بن السيد حسين زيني الذي كان يقاتل الوهابيين في قعلة (البو حميدي) في طرف البراق[3]. وذكر السيد حسين البراقي النجفي: إن المشايخ الكبار والطاعنين في السن والأولاد الصغار والنساء والذين لا يعرفون القتال توجهوا إلى مرقد أمير المؤمنين ولاذوا بسيد الوصيين، واستغاثوا به إلى الله رب العالمين، وعجوا بالبكاء وضجوا بالدعاء[4]. ووصف السيد أبو الحسن بن الشاه كوثر النجفي هذه الغارة بصفته من المعاصرين لها وصفاً دقيقاً في قصيدته التي جاء فيها[5]:

بشرى لمن سكنوا كوفان والنجفا	وجاوروا المرتضى أعلى الورى شرفا
مولى مناقبه عن عدها قصرت	كل البرايا ولم تعلم لها طرفاً
منها سعود كساه الذل خالقه	ولم يزل بنكال دائم وجفا
أراد تهديم ما الباري يشيده	من قبة لسقام العالمين شفا
وجمّع الجيش من أهل الحجاز ومن	سكان نجد ومن للمؤمنين قفا
وقد أتى الناس قبل الفجر في صفر	بتاسع الشهر نحو السور قد زحفا
مقسماً جيشه أقسام أربعة	كل له سائق يبقيه إن وقفا
حتى أتى السور قوم منهم فرقوا	ففاجأوا حتفهم في الحال قد صدفا

(١) الوردي: لمحات اجتماعية ١/٢٠٦، الساعدي: دراسات عن عشائر العراق ص٢٣١.

(٢) كاشف الغطاء: العبقات العنبرية، ورقة ٣٠٢.

(٣) البراقي: النخبة الجلية، ورقة ٩٩.

(٤) ن.م، ورقة ٩٨.

(٥) الوائلي: الشعر السياسي العراقي ص١٩٧، الطهراني: طبقات أعلام الشيعة / الكرام البررة ٢/٤٥٥، الخاقاني: شعراء الغري ١٠/٣٥٨، الأمين: أعيان الشيعة ٧/٤٩٢ - ٤٩٣.

وصف بالباب قوم مكثرين لها ... من المعاول في حرب قد ارتدفا

والناس في غفلة حتى إذا انتبهوا ... أعطوا الثبات وباريهم بهم رؤفا

فهزموا الجند نصراً من إلههم ... والسوء عنهم بعون الله قد صرفا

ورد سلطان نجد ملء أعينه ... حزناً وقد باء بالخسران وانصرفا

فلا السلالم والأدراج نافعة ... بل ربنا قد كفانا شرهاً وكفى

وقد طوى الله وقت الحرب في عجل ... لأنه لم يكن ما كان قد وصفا

ولم ينل غير قتل في جماعته ... والكل في عدد القتلى قد اختلفا

وكان ضربان نجم الصبح أوله ... ومنتهاه طلوع الفجر حين صفا

وثم معجزة أخرى لسيدنا ... في ذلك اليوم من بعض الذي سلفا

قد كان في حجرة للصحن ما ادخروا ... وجمعوه من البارود قد جرفا

أصابه بعض نار ثم بردها ... مبرد نار إبراهيم إذ قذفا

فلا تخف بعدما عاينت من عجب ... ولا تكونن ممن قلبه رجفا

وقر عيناً وطب نفساً فإنك في ... جوار حامي الحما قد صرت مكتنفا

وقال في خبر: كوفان في حرم ... ما أمها من بغى إلا وقد قصفا

وقد تقطع قلب الجور أرّخه ... (نحس بدا لسعود إذ دنا النجفا)

وقد صوّر السيد أبو الحسن النجفي بحكم معاصرته لأحداث الوهابيين في قصيدته تصويراً واقعياً دقيقاً، وأوضح فيه بسالة النجفيين وإتحادهم في صد العدوان الآثم، ووصف مناعة السور ومتانته ودوره في إجهاض الهجوم الوهابي، وقد أشار الباحثون إلى هذه الأحداث وعللوا مجرياتها، فالأستاذ إبراهيم الوائلي يقول: ((هوجمت مدينة النجف فدافع السكان عنها، وفي مقدمتهم رجال الدين، وهزموا المغيرين))[1]، والدكتور علي الوردي يقول: إن الوهابيين لم يحظوا من النجف بطائل فانسحبوا عنها خائبين[2]. والمستشرق الألماني (لونكريك) يقول: لقد أوشك الوهابيون على النجاح في

(١) الوائلي: الشعر السياسي العراقي ص٦١.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١/١٩٢.

غاراتهم المفاجئة على النجف، ولولا أن عاجلهم النجفيون من السور فكسروهم شر كسرة[1]. والدكتور محمد علي حشيشو في نقله عن أدب الرحلات الألمان يقول: إن الوهابيين بعد ١٨٠٦هـ تخطوا حدود الجزيرة العربية، فهاجموا النجف، ولكن دون نجاح كبير[2]. وبعد هذا الصمود العسكري لمدينة النجف، وفشل الوهابيين من دخول المدينة، نجد الأستاذ عبد الوهاب فتال قد تجنب الحقيقة والواقع بقوله: إن سعود الوهابي ضرب ضربته في كربلاء والنجف والبصرة والسماوة والمنتفك، ثم قال: ((إنه استطاع تحطيم القباب وهدمه للنصب وما إليها من الأوضاع شبه الوثنية))[3]، فإذا كان الوهابيون قد حققوا انتصارات في بعض المدن العراقية، فإنهم لم يحققوا أي انتصار في مدينة النجف الأشرف، بل فشلوا فشلاً ذريعاً في هجماتهم المتوالية على النجف، ومن الغريب أن الأستاذ عبد الوهاب فتال قد استخدم ألفاظاً غير دقيقة في كتاباته، فكيف تكون المشاهد المقدسة التي يثوى بها أهل بيت النبوة سلام الله عليهم، وتقام فيها الصلوات والفرائض الإسلامية، ويعبد الله بها، أنصاباً وثنية في الوقت الذي يردد العاكفون فيها الشهادتين ويتلون كلام الله المجيد، وكيف جاز للوهابيين على زعمه أنهم مسلمون موحدون قتل الأبرياء من الناس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ، ونهب الأموال وإحراق المنازل والمزارع، وإلى هذه الجرائم أشار الدكتور أحمد مصطفى: إنه في شهر أبريل ١٨٠٦م نزل سعود الميدان، ومعه خمسون ألفاً، فنهب أولاً عرب الظفير، ثم عنزة، وتقدم إلى مشهد علي بالنجف، فلم ينجح في هجومه عليها، وبعد ذلك هاجم السماوة فصد عنها، فتكبدوا خسارة فادحة[4].

(١) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٢٧٧.

(٢) محمد علي حشيشو: صور عن شرقي الجزيرة العربية والحركة الوهابية في أدب الرحلات الألمانية (من كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر) ٧١٢/٢، نقلاً عن:

Burck har Dt. J. L., Bemer kungen under die Beduinen and wahaby, Weimar, ١٨٣١, P. ٤٤٣.

(٣) عبد الوهاب فتال: درب الانتصار ص١٤٤- ١٤٧.

(٤) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت ١/ق١٩٢/١.

الغارة الثامنة

في عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، تقدم الوهابيون بجيش تعداده عشرون ألف مقاتل على مدينتي النجف وكربلاء، ولكن عادوا إلى بلادهم خائبين[1]. وفي عام ١٢٢٣هـ، أرسل الوالي داود باشا قوة عسكرية إلى مدينتي النجف وكربلاء لتتبع الوهابيين ولكن دون أن تصطدم معهم وعندئذ عادت القوة إلى الحلة ومنها إلى بغداد[2]. وقد أشار السيد حسين البراقي إلى أحداث عام ١٢٢٢هـ بقوله: أمر السلطان سليم، محمد علي باشا حاكم مصر بتجهيز العساكر لقتال الوهابيين وإخراجهم من الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)[3]. وقد وقع السيد البراقي في وهم عند قوله إن السلطان سليم قد جهز الحملة العسكرية إلى الحجاز، ولكن الحقيقة إن المعاصر لهذا الحدث هو السلطان محمود الثاني.

الغارة التاسعة

في عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م أحاط سعود الوهابي بمدينة النجف الأشرف فخرج أهلها ويتقدمهم علماء الدين فقاتلوهم من داخل السور، دون أن يرهبهم الحصار الشديد الذي فرضه الوهابيون على المدينة، وقد قتل النجفيون عدداً من المهاجمين الغزاة، وعند ذلك رجع الوهابيون خائبين، وكان العلامة السيد محمد جواد العاملي المتوفى عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م (صاحب كتاب مفتاح الكرامة) أحد العلماء المباشرين بالدفاع عن مدينة النجف[4]. وكان السيد العاملي قد فرغ من كتابه (مفتاح الكرامة) في ٢٥ رجب عام ١٢٢٣هـ، في أثناء حصار الوهابيين للنجف فقال: وكان ذلك مع تشويش واضطراب أهل نجد حيث جمعوا الجنود يتقدمهم رئيسهم سعود لقتل أهل

---

(١) الأميني: شهداء الفضيلة ص٣٠٤، الأمين: كشف الارتياب ص١٤.

(٢) كركوش: تاريخ الحلة ق١/١٣٣.

(٣) البراقي: النخبة الجلية ورقة ١٠١.

(٤) الأمين: أعيان الشيعة ١٧/٢٣٣، الرحلة العراقية الإيرانية ص٤٣.

المشهدين وتخريب القباب لكنهم في هذه السنة رجعوا خائبين[1]. ووصف السيد العاملي وقائع الحصار بقوله: أنه في سنة ١٢٢٣هـ جاء الخارجي الذي أسمه سعود في جمادي الآخرة من نجد بما يقرب من عشرين ألف مقاتل وأزيد فجاءتنا النذر بأنه يريد أن يدهمنا في النجف الأشرف غفلة فيحذرنا منه وخرجنا جميعاً إلى سور البلد، فاتنا ليلاً فرآنا على حذر قد أحطنا بالسور بالبنادق والأطواب، فمضى إلى الحلة فرآهم كذلك ثم مضى إلى مشهد الحسين عليه السلام على حين غفلة نهاراً فحاصرهم حصاراً شديداً، فثبتوا له خلف السور وقتل منهم، وقتلوا منه ورجع خائباً[2].

الغارة العاشرة

في التاسع من شهر رمضان عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م هاجم الوهابيون مدينة النجف الأشرف[3]. دون مراعاة لقدسية هذا الشهر العظيم، وقد وصف السيد محمد جواد العاملي هذه الغارة بقوله: ((وقد أحاطت الأعراب من عنيزة القائلين بمقالة الوهابي الخارجي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام، وقد قطعوا الطرق، ونهبوا زوار الحسين بعد منصرفهم من زيارة النصف من شعبان، وقتلوا منهم جمعاً غفيراً وأكثر القتلى من العجم، وربما قيل مائة وخمسون وقيل أقل))[4]. وذكر الأستاذ أبو حاكمة: اشتدت الهجمات الوهابية على العراق في الفترة ما بين (١٨٠١ ـ ١٨١٠م) وقام الوهابيون بأعمال التدمير والسلب في مدن كربلاء والنجف والسماوة وبغداد والبصرة[5] دون أن يكون للحكومة أي إجراء لصد الغزاة أو إيقافهم عند حدهم، وقد

---

(١) العاملي: مفتاح الكرامة ٧/٧٠.

(٢) العاملي: مفتاح الكرامة ٦/٤٣٤، البراقي: النخبة الجلية ورقة ١٠٢.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٣٢٧، بحر العلوم: تحفة العالم ١/٢٩٠.

(٤) العاملي: مفتاح الكرامة ٧/٦٥٣، البراقي: النخبة الجلية ورقة ١٠٢، الوردي: لمحات اجتماعية ١/٢١٦، الأمين: أعيان الشيعة ١٧/٢٣٣.

(٥) ابو حاكمة: تاريخ الكويت ١/ق١/٢٩٨ نقلاً عن:

Musil, Norther, Negd, ٢٦, F.F. Longrigg, ٢٢٩.

أشار إلى هذه الحالة السيد العاملي بقوله: ((نحن الآن كنا في حصار والأعراب إلى الآن ما انصرفوا وهم من الكوفة إلى مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر على ما قيل، والخزاعل متخاذلون مختلفون، كما إن آل بعيج وآل جشعم يتقاتلون، وقد عمت علينا أخبارهما لانقطاع الطرق وبذلك طمعت عنزة في الإقامة في هذه الأطراف))[1].

الغارة الحادية عشرة

بقيت مدينة النجف الأشرف تقارع الوهابيين بصمود وبسالة تحت لواء الإمام الشيخ جعفر الكبير، فقد قاد الجموع المسلحة وأوصلها إلى النصر المؤزر حتى وفاته عام ١٢٢٨هـ، وقد ذكر الشيخ محمد حرز الدين غارة وهابية على مدينة النجف دون أن يحدد تاريخها، وذلك عند ترجمته للشيخ محمد رضا النحوي (ت ١٢٢٦هـ)، وهذا يدل على وقوعها في حياة الشيخ جعفر الكبير، وقد نقل أحداثها عن الشيخ محمد لائذ النجفي ومفادها: إن الوهابيين في إحدى غاراتهم على مدينة النجف، تحصن الناس على سورها ولم يستطع الوهابيون دخول المدينة، فعرجوا إلى مسجد الكوفة فقتلوا الناس وهم معتكفون فيه للعبادة والمصلين في محاريبهم، وفي اليوم التالي هرج جماعة من النجفيين المسلحين إلى مسجد الكوفة، فوجدوا فيه المذبوحين، وقد تمكن أحد أولاد الشيخ محمد رضا النحوي من إنقاذ السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم[2]. وروى الشيخ محمد طاهر الدزفولي وهو أحد الناجين من المذبحة الوهابية في الكوفة بقوله: إنه فرّ مع السيد رضا بحر العلوم من المسجد، واختبئا في حفيرة كانت بخربة خلف المسجد، والدماء قد صبغت المحاريب[3]. وقد حدد بعض الباحثين وقوع هذه الغارة على النجف عام ١٢٢٦هـ المصادف لعام ١٨١١م[4]. وذكر السيد الأمين: إن

---

(١) العاملي: مفتاح الكرامة ٦٥٣/٧، البراقي: اليتيمة الغروية ورقة ٢٩٤- ٢٩٥.

(٢) حرز الدين: معارف الرجال ٢٨١/٢.

(٣) ن.م. ٣٠٥/٢.

(٤) أبو حاكمة: تاريخ الكويت ١/ق١/٢٨.

عسكر الوهابيين أحاط بمدينة النجف وقطع الطرق وأحرق الزرع، وأصبح أهل النجف كالمحاصرين عام ١٢٢٦هـ[١]. وفي هذه السنة دخل الوهابيون مدينة كربلاء عنوة، وقتلوا الرجال والأطفال، ونهبوا الأموال، وقد أشار السيد العاملي إلى هذه الغزوة بقوله: جاءنا عسكر الوهابيين عام ١٢٢٦هـ، وقد وقع في أطراف العراق كالحلة والمشهدين في البلاء المبين من القتل الذريع الكثير، وخصوصاً في الزوار والمترددين، والنهب وحرق الزروع، وكنا في مدينة النجف الأشرف كالمحاصرين[٢].

الغارة الثانية عشرة

في عام ١٢٣٩هـ قصد الوهابيون مدينة النجف الأشرف، وقد خاف الناس من غدرهم، فحملوا خزانة أمير المؤمنين عليه السلام إلى بغداد وبقيت هناك سنة، ولما أمنوا من الخطر الوهابي، أعادوها إلى النجف على سبعة عشر بغلاً[٣].

وكان السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) قد عاصر في بداية حكمه الغارة التاسعة على مدينة النجف الأشرف، وحتى الغارة الثانية عشرة، وقد أراد استئصال الخطر الوهابي من جذوره، فطلب من والي مصر محمد علي باشا تجريد حملة عسكرية كبيرة على الحجاز والجزيرة العربية، وقد تمكن ولده إبراهيم باشا بعد حروب طاحنة مع الوهابيين من احتلال الدرعية (العاصمة الوهابية) عام ١٨١٨م، وأسر الأمير الوهابي عبد الله بن سعود، وإرساله إلى الأستانة حيث أمر السلطان محمود الثاني بإعدامه، وقد ابتهج الإيرانيون بذلك، لأن الكثير من رعاياهم يعيشون في مدينتي

---

(١) الأمين: أعيان الشيعة ١٧/ ٢٣٢.

(٢) العاملي: مفتاح الكرامة (باب الصدقة والهبة / الجزء التاسع).

(٣) البراقي: النخبة الجلية ورقة ١١٦.

النجف وكربلاء[1]. وقد ذهب الكثير منهم ضحايا على أيدي الوهابيين في أثناء غاراتهم المتكررة[2].

الغارة الثالثة عشرة

وفي عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٣م، هاجم الوهابيون مدينة النجف الأشرف وذلك بعد وفاة السلطان محمود الثاني، وبعد هذا التاريخ أصبحت الغارات الوهابية تقتصر على المناطق الحدودية بين العراق والجزيرة العربية حتى عام ١٣٣٩هـ/١٩٢١م، وفي هذه السنة وجه النجفيون نداءاً تهجموا فيه على السياسة البريطانية والملك فيصل الأول، بسبب غارات الوهابيين المتكررة على العراق[3]، وقد أفرزت هذه الأحداث الخطيرة بعد ذلك عن حدثين مهمين هما:

١. مؤتمر النجف.

٢. قبور البقيع.

منذ عام ١٩٢١م أخذ زعماء الحركة الوطنية في العراق يفاوضون علماء الدين في النجف الأشرف بشأن عقد مؤتمر عام لبحث قضية الاعتداءات الوهابية على الحدود العراقية، وعقد علماء النجف على أثر ذلك عدة اجتماعات لهذا الغرض واتصلوا بالشيخ مهدي الخالصي وزعماء العشائر، وتم الاتفاق على عقد اجتماع موسع في مدينة كربلاء لمعالجة الموقف واتخاذ الإجراءات اللازمة لدرء الخطر الوهابي[4]. وكان مرجعا التقليد يومئذ السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني والميرزا حسين النائيني قد أيدا هذه الفكرة، ولبى الشيخ مهدي الخالصي هذه الدعوة فطيّر مائة وخمسين برقية إلى رؤساء القبائل يستحثهم على الحضور، وقد عقد الاجتماع في الثالث عشر من شعبان ١٣٤٠هـ

---

(١) ديلافوا: الرحلة ص٧٢، ينظر البراقي: اليتيمة الغروية ورقة ٢٩٦.

(٢) دونلدسن: عقيدة الشيعة ص٧٨.

(٣) الوردي: لمحات اجتماعية ١٥٣/٦.

(٤) الحسني: العراق في دوري الاحتلال ٢٣٨/١.

المصادف للأول من نيسان ١٩٢٢م[1]. وفي الخامس من نيسان غادر مدينة الكاظمية كل من: الشيخ محمد الخالصي، وعبد الحسين الجلبي، وأبو طالب الأصفهاني قاصدين مدينة النجف وقد اتصلوا بالإمامين الكبيرين السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا حسين النائيني، وقد أشارت المصادر إلى أن النجفيين الذين حضروا الاجتماع في مدينة كربلاء وهم[2]:

١. الشيخ عبد الكريم الجزائري.

٢. الشيخ عبد الرضا الشيخ راضي.

٣. الشيخ محمد باقر الشبيبي.

وقد وقفت الحكومة العراقية موقف المتحفظ من هذا الاجتماع، ومنعت في بداية الأمر إرسال البرقيات الداعية لحضور الاجتماع، ولكنها سمحت بعد بذلك[3].

وفي عام ١٣٤٤هـ /١٩٢٦م أقدم الوهابيون على تهديم قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام في البقيع، وتهديم قبور الصحابة والصحابيات، وقد احتج علماء النجف الأشرف على هذا العمل الإجرامي الشنيع، وأبرقوا إلى شاه رضا خان برقية احتجاج جاء فيها: ((حسب الأنباء الموثوقة إن الوهابية بعد نهبهم حرم أئمة البقيع، حكم قاضي القضاة بهدم وتخريب البقيع الشريف، بما فيه من القباب والضرائح المقدسة، وقد بوشر بالعمل في الثامن من شوال، ومن المتيقن أن حفظ نواميس الدين الإسلامي بوجه عام، والمذهب الجعفري على الأخص من ذمة الملك الجعفري، وأما العموم معقودة ومقصورة على غيرة وحمية جلالتكم، ونحن منتظرون بفارغ الصبر قيامكم بأكبر الواجبات في أسرع وقت إن شاء الله))[4].

---

(١) ن.م.، الزبيدي: مولود مخلص باشا ص١٩٨.

(٢) الوردي: لمحات اجتماعية ١٤٣/٦، جريدة الرافدان في ١٢ نيسان ١٩٢٢.

(٣) الحسني: العراق في دوري الاحتلال ٢٣٨/١، جهاد مجيد: العراق والسياسة العربية ص٣٥٤، جريدة دجلة في ١٣/٤/١٩٢٢، ١٦/٤/١٩٢٢.

(٤) الوردي: لمحات اجتماعية ٣٠٨/٦، مجلة المرشد، حزيران ١٩٢٦.

وقد أصبح الثامن من شوال من كل عام يوم حزن وحداد في مدينتي النجف وكربلاء، تغلق فيهما الأسواق، وتعطل الأعمال، وتخرج مواكب العزاء على نحو ما اعتادوا عليه من وفيات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام[١].

وقد تصدى علماء النجف الأشرف بتأليف الكتب للرد على الوهابيين وكتب العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي رسالة في نقض فتوى الوهابيين بهدم قبور البقيع، وأنشد الشيخ محمد رضا المظفر قصيدة عند مرور عام واحد على هدم القبور منها[٢]:

أهاشم قومي في حفيظة غالب ... فقد صفق الإسلام صفقة خائب

وهبي خفاقاً شال طائر عزكم ... وقد جعجعت فيه أكف الأجانب

لأن يستقر البيض منكم خطيبها ... فهذي الخطوب السود أبلغ خاطب

ألا روضي هذي الربى بسوارب ... الهوادي دماً لا بالدموع السواكب

وما كان يجدي نوح باك بمثلها ... خطوب تشيب الطفل أو ندب نادب

أتهدم أبيات على الحق شيدت ... فأوفت على غر النجوم الثواقب

فذا أصلها في ثابت المجد ثابت ... وذا فرعها فوق السما والكواكب

أيدرس بيت للبتولة فاطم ... بناه وليد البيت رب المناقب

أيدرس قبر ابن النبي وسبطه ... وأبيات أنجال الحسين الأطايب

إمام هدى زين العباد وباقر ... العلوم ومن أضحى محط الرغائب

هو الصادق الأقوال والفعل من له ... مكارم لا تحصى بقرطاس كاتب

ضرائح قدس كن للذكر مأهلاً ... وموضع حاجات المطي اللواغب

وما زال الشيعة يستذكرون جريمة الوهابيين في تهديم قبور الأئمة عليهم السلام في البقيع، ويطالبون السلطات السعودية بالعدول عن قرارها، والسماح بإعادة بناء القبور، ويبدو أن الفكر الوهابي كان يقف حائلاً من ذلك حتى الوقت الحاضر.

---

(١) ن.م. ٦/ ٣١٠.

(٢) المظفر: الديوان، ورقة ٥٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المخطوطات

الافندي: الميرزا عبد الله بن عيسى الاصفهاني

١- رياض العلماء وحياض الفضلاء، مخطوطة مصورة في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الاشرف.

الاعرجي: جعفر

٢- الدر المنثور في انساب المعارف والصدور، مخطوطة مصورة عند الأستاذ عمار نصار في النجف الأشرف.

الاعرجي: عبد المهدي

٣- الديوان، مخطوط عند الخطيب السيد حبيب الاعرجي في النجف.

الاعسم: عباس

٤- الديوان، مخطوط عند الاستاذ عبد الرزاق الاعسم في النجف.

البراقي: حسين النجفي (ت ١٣٢٢هـ)

٥- البقعة البهية فيما ورد في مبدأ الكوفة الزكية، مخطوطة عند الدكتور الشيخ علي المظفر في النجف.

٦- قلائد الدر والمرجان، مخطوطة عند الشيخ حمود الساعدي في النجف.

٧- النخبة الجلية في احوال الوهابية، مخطوط في مكتبة الامام كاشف الغطاء في النجف الاشرف.

٨- اليتيمة الغروية والتحفة النجفية في الارض المباركة الزكية، مخطوط عند الدكتور علي المظفر في النجف.

ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي في بغداد.

الخرسان: جعفر

١٠- المجموعة: (ثلاث مخطوطات) في مكتبة العلاّمة السيد محمد مهدي الخرسان في النجف.

ابن شدقم: ضامن بن شدقم بن علي

١١- تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب الائمة الاطهار، مخطوطة في مكتبة الامام امير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الاشرف.

الشويهي: محمد بن يونس الظويهري النجفي

١٢- مجموعة رسائل، مخطوطة عند الشيخ حمود الساعدي في النجف.

صالح شمسة

١٣- بحث مخطوط عن النجف، في مكتبة الاستاذ محمد علي شمسة في النجف.

الصنعاني: يوسف بن يحيى (ت ١١٢١هـ)

١٤- نسمة السحر بذكر من تشيع وسحر، مخطوط في مكتبة الامام امير المؤمنين العامة في النجف.

ابن طاووس: رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)

١٥- مصباح الزائر وجناح المسافر، مخطوط في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف.

محمد بن جعفر المشهدي

١٦- كتاب فضل الكوفة وفضل اهلها، تعريف الشيخ محمد حسن ال ياسين، مجلة البلاغ، العدد الثالث، السنة الثامنة ١٩٧٩.

كاشف الغطاء: محمد حسين

١٧- العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، مخطوط في مكتبة آل كاشف الغطاء، النجف الاشرف

المظفر: محمد رضا

١٨- الديوان، مخطوط في مكتبة الشيخ عبد الحسن الغراوي في النجف.

المؤلف مجهول

١٩- التاريخ المجهول، مخطوط في مكتبة الشيخ حمود الساعدي في النجف الأشرف.

ثانياً: المطبوعات

ابراهيم شريف (الدكتور)

١٩- الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، مطبعة شفيق، بغداد.

ابراهيم مصطفى واخرون.

٢٠- المعجم الوسيط، مطبعة مصر ١٩٦١.

الابشيهي: شهاب الدين محمد بن احمد المحلي (ت ٨٥٠هـ)

٢١- المستطرف من كل فن مستطرف، مطبعة المشهد الحسيني ١٣٦٨م.

ابن ابي الحديد: عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)

٢٢- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٩.

الاثري: محمد بهجت

٢٣- ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨١.

ابن الأثير: عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)

٢٤- الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣.

٢٥- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م

ابن الأثير: مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)

٢٦- النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الاسلامية.

احمد عادل كمال

٢٧- القادسية، دار النفائس، الطبعة الاولى ١٩٧٣.

أحمد كسروي

٢٨- تاريخ مشروطة إيران، مطبعة أكبر، طهران ١٣٣٣هـ

الاحوص الانصاري

٢٩- شعر الاحوص، تحقيق عادل جمال، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠.

الاخفش الصغير (ت ٣١٥هـ)

٣٠- كتاب الاختيارين: تحقيق الدكتور فخر الدين قبادة، مطبعة محمد هاشم الكتبي، دمشق ١٩٧٤.

ادي شير

٣١- الالفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.

الاربلي: عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ)

٣٢- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٤.

الارجاني: ناصح الدين ابو بكر بن محمد (ت ٥٤٤هـ)

٣٣- الديوان، تحقيق محمد قاسم مصطفى، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٩.

الازدي: أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ)

٣٤- تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٧.

الازدي: ابو بكر محمد بن الحسين البصري (ت ٣٢١هـ)

٣٥- جمهرة اللغة، مجلس المعارف العثمانية، حيدر آباد الركن، الطبعة الاولى ١٣٥١هـ.

الازدي: علي ظافر (ت ٦١٣ هـ)

٣٦- بدائع البدائة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٠.

أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)

٣٧- المنازل والديار، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة ١٩٦٨.

الاستخبارات البريطانية

٣٨- تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة، ترجمة الدكتور عبد الجليل الطاهر، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٥٨.

الاسدي: حسن

٣٩- ثورة النجف، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٥.

الاسدي: شمخي فيصل ياسر (الدكتور)

٤٠- تحليل جغرافي للأنماط الزراعية، في محافظة النجف، طبع رونيو ١٩٨٨.

اسفنديار: بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦١٣هـ)

٤١- تاريخ طبرستان، تصحيح عباس اقبال، طهران ١٣٢٠هـ.

الاسود بن يعفر

٤٢- الديوان، صنعة نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، مطبعة الجمهورية ١٩٧٠.

الاصطخري: ابراهيم بن محمد

٤٣- كتاب الاقاليم، طبع حجر.

٤٤- المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة ١٩٦١.

الاصفهاني: حمزة بن الحسن (ت ٣٥١هـ)

٤٥- تاريخ سني ملوك الارض والانبياء، مطابع دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤٦- الدرة الفاخرة في الامثال السائرة، تحقيق عبد المجيد قطاش، مطابع دار المعارف، مصر ١٩٧١.

الاصمعي: ابو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)

٤٧- الاصمعيات، تحقيق احمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٤.

الاعسم: عبد الحسين بن الشيخ عباس النجفي

٤٨- الرحلة الاعسمية في الديار الهندية، أي الزهور في رامبور، بومبي ١٣٤٦هـ.

الاعشى الكبير: ميمون بن قيس

٤٩- الديوان، تحقيق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر.

الالوسي : محمود شكري البغدادي

٥٠- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، مطابع الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، مصر.

الامدي: ابو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)

٥١- المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد السلام احمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦١.

الاملي: اولياء الله محمد بن حسن طبرستاني

٥٢- تاريخ رويان، تصحيح عباس الخليلي، مطبعة اقدام، طهران ١٣١٣هـ.

الامين: محسن العاملي (ت١٣٧١هـ)

٥٣- أعيان الشيعة، مطابع الانصاف، بيروت، ومطابع الاتقان وابن زيدون، دمشق.

٥٤- الرحلة العراقية الايرانية، مطبعة الانصاف، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٥٤.

٥٥- كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، مطبعة ابن زيدون، دمشق، الطبعة الاولى ١٣٤٦هـ

٥٦- لواعج الاشجان، مطبعة دار الأمير، بيروت ١٩٩٦.

الأميني: عبد الحسين احمد النجفي (ت ١٣٩٠ هـ)

٥٧- شهداء الفضيلة، مطبعة الغري، النجف الاشرف ١٩٣٦

الانباري: ابو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)

٥٨- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر ١٩٦٣.

البازركان: علي

٥٩- الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٥٤.

البحتري: ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت٢٠٦هـ)

٦٠- الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٧.

البحراني: يوسف بن احمد (ت١١٨٦هـ)

٦١- لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٩٦٩.

بحر العلوم: جعفر الطباطبائي

٦٢- تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، مطبعة الغري، النجف الاشرف ١٩٣٦.

بحشل: اسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢هـ)

٦٣- تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٧.

البراقي: حسين بن احمد النجفي (ت ١٣٢٢هـ).

٦٤- تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الثالثة ١٩٦٨.

بروكلمان: كارل

٦٥- تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٠.

البستاني: عبد الله

٦٦- البستان، المطبعة الاميركانية، بيروت ١٩٢٧.

البستاني: بطرس

٦٧- دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، طهران.

بشر بن أبى خازم الاسدي

٦٨- الديوان، تحقيق الدكتور عزة حسن، مطبعة محمد هاشم الكتبي، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٧٣.

ابن بطوطة: ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ)

٦٩- الرحلة (تحفة النظار من غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٦٧.

البغدادي: ابو البركات هبة الله بن علي (ت ٥٤٧هـ)

٧٠- المعتبر في الحكمة، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الركن، الطبعة الاولى ١٣٥٨هـ.

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ)

٧١- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.

البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ)

٧٢- خزانة الأدب ولب الالباب لسان العرب، طبع عام ١٢٩٩هـ.

البقيلي، فاروق

٧٣- الجواهري، ذكريات ايامي، دار الفارابي، بيروت ومكتبة الثورة العربية، بغداد.

البكري: ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت٤٨٧هـ)

٧٤- فضل المقال في شرح كتاب الامثال، تحقيق الدكتور احسان عباس، والدكتور عبد المجيد عابدين، مطابع دار القلم، بيروت ١٩٧١.

٧٥- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١.

البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)

٧٦- انساب البلدان، مكتبة المثنى، بغداد.

٧٧- فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨.

بلاشير: ريجيس (الدكتور)

٧٨- تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)، ترجمة الدكتور ابراهيم كيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

البنداري: الفتح بن علي الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)

٧٩- كتاب دولة تاريخ ال سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر ١٩٠٠.

بول: Fr. Buhl

٨٠- الحيرة، (دائرة المعارف الاسلامية)، الجزء الثامن.

البيهقي: ابراهيم بن محمد (ت ٣١٠هـ)

٨١- المساوئ والمحاسن، مطبعة غيوم، ١٣١٨هـ.

التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ)

٨٢- شرح القصائد العشر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، القاهرة.

التستري: نور الله بن شريف الدين عبد الله (ت ١٠١٩هـ)

٨٣- مجالس المؤمنين، طبع حجر.

ابن تغري بردي: جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)

٨٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)

٨٥- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة ١٩٠٨.

الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)

٨٦- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطابع دار التأليف، القاهرة ١٩٦٨.

٨٧- الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي واولاده، مصر ١٩٦٨.

٨٨- المحاسن والاضداد، مطبعة المعاهد، القاهرة ١٩٣٢.

جاسم محمد حسن

٨٩- العراق في العهد الحميدي (١٨٧٦- ١٩٠٩م)، طبع رونيو ١٩٧٥، بغداد.

جامعة الدول العربية

٩٠- المعالم الاثرية في البلاد العربية، مطابع مدكور واولاده، القاهرة ١٩٧١.

الجبوري: يحيى

٩١- شعر النعمان بن بشير، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨.

٩٢- لبيد بن ربيعة العامري، مطابع التعاونية اللبنانية، بيروت ١٩٧٠.

ابن جبير: ابو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت٦١٤هـ)

٩٣- الرحلة، دار التراث، بيروت ١٩٦٨.

الجرجاني: علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٢ هـ)

٩٤- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٦.

ابن الجراح: ابو عبد الله محمد بن داود (ت ٢٩٦ هـ)

٩٥- الورقة، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد فراج، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

جرجي زيدان (ت ١٩١٤م)

٩٦- العرب قبل الاسلام، المكتبة الاهلية، بيروت.

جرير بن عطية (ت١١١هـ)

٩٧- الديوان، شرح محمد حبيب، تحقيق الدكتور نعمان محمد امين، دار المعارف، مصر ١٩٦٩.

الجزائري: نعمة الله (ت ١١١٢هـ)

٩٨- نور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، موسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧٨.

جمس بنكنغهام

٩٩- رحلتي الى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٦٨.

الجنابي: كاظم (الدكتور)

١٠٠- تخطيط مدينة الكوفة، طبع عام ١٩٦٧.

ابن جني: ابو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)

١٠١- الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢.

١٠٢- سر صناعة الاعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوي دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٨٥.

جهاد مجيد محي الدين

١٠٣- العراق والسياسة العربية ١٩٤١- ١٩٥٨ مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٨٠.

الجواليقي: ابو منصور موهوب بن احمد (ت ٥٤٠ هـ)

١٠٤- شرح أدب الكاتب، مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٠هـ.

١٠٥- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق احمد محمود شاكر، مطبعة دار الكتب، الطبعة الثانية ١٩٦٩.

جواد علي (الدكتور)

١٠٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٦٨.

ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

١٠٧- الاذكياء، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٩.

١٠٨- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ.

الجواهري: عبد العزيز

١٠٩- آثار الشيعة الامامية، مطبعة مجلس الشورى، طهران الطبعة الاولى ١٣٤٢هـ

الجواهري: محمد مهدي

١١٠- الديوان، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي واخرون، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠.

الجوهري: ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ)

١١١- الصحاح، تحقيق عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٦.

الحائري: علي اليزدي (ت ١٣٣٣هـ)

١١٢- إلزام الناصب في اثبات الحجة الغائب، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٩٦٣.

حاتم الطائي

١١٣- الديوان: تحقيق كرم البستاني، مكتبة دار صادر، بيروت ١٩٥٣.

الحاكم النيسابوري: ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)

١١٤- المستدرك على الصحيحين، شركة علاء الدين للطباعة والتجليد، بيروت.

ابو حاكمة: احمد مصطفى (الدكتور)

١١٥- تاريخ الكويت، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الاولى ١٩٧٠.

الحبوبي: محمد سعيد (ت ١٣٣٣ هـ)

١١٦- الديوان، اعداد عبد الغفار الحبوبي، مطابع دار الرسالة، الكويت ١٩٨٠.

ابن حبيب: محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ)

١١٧- المحبر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن ١٩٤٢.

١١٨- المنمق في اخبار قريش، تحقيق خورشيد احمد فاروق، حيدر اباد الركن ١٩٦٤.

ابن حجر: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

١١٩- الاصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ

١٢٠- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٦

حرز الدين: محمد (ت ١٣٦٥ هـ)

١٢١- معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٦٤.

١٢٢- مراقد المعارف، تحقيق محمد حسين حرز الدين، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧١.

الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)

١٢٣- أمل الامل، تحقيق السيد احمد الحسيني، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٨٥.

١٢٤- وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٨١هـ.

حسان بن ثابت

١٢٥- الديوان، دار صادر، بيروت ١٩٦٦.

حسن ابراهيم حسن (الدكتور)

١٢٦- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٤.

الحسني: عبد الرزاق

١٢٧- تسخير كربلاء، مركز الابجدية، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠

١٢٨- العراق في دوري الاحتلال والانتداب، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٣٥.

١٢٩- موجز البلدان العراقية، مطبعة العرفان، صيدا، الطبعة الثانية ١٩٣٣.

الحسيني: محمد علي (الدكتور)

١٣٠- دراسات وتحقيقات، دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٤.

الحصري: ابو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ).

١٣١- زهر الاداب وثمار الالباب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الاولى ١٩٥٣.

الحكومة العراقية

١٣٢- دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥- ١٩٣٦

الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)

١٣٣- الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥- ٤٦٠هـ) مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧٥.

١٣٤- كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده واهميته، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥.

ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ)

١٣٥- الديوان تصحيح الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

حمزة علي لقمان

١٣٦- معارك حاسمة في تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء.

حميد عيسى حبيان الخزرجي

١٣٧- حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف ١٩٧٠.

الحميري: محمد بن عبد المنعم

١٣٨- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار القلم للطباعة، بيروت ١٩٧٥.

ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي

١٣٩- صورة الارض، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩

الخاقاني: علي

١٤٠- شعراء الغري او النجفيات، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٥٤-١٩٥٦.

الخالديان: ابو بكر محمد، وابو عثمان سعيد ابني هاشم

١٤١- الديوان، تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق ١٩٦٩.

ابن خر داذبة: عبيد الله بن عبد الله

١٤٢- المسالك والممالك، تحقيق م.ج. دي غويه، ليدن ١٩٨٩.

الخزرجي: الملك الاشرف الغساني

١٤٣- العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الاسلامي بيروت ١٩٧٥.

خصباك: جعفر حسين (الدكتور)

١٤٤- العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦- ٧٣٦هـ مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٨.

الخضري: عبد الغني

١٤٥- الديوان، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٥٢.

الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)

١٤٦- تاريخ بغداد او مدينة السلام، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١.

ابن خفاجة: أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح (ت ٥٣٣ هـ)

١٤٧- الديوان، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي، مطابع دار المعارف، مصر ١٩٦٠

الخفاجي: شهاب الدين احمد

١٤٨- شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق محمد بدر الدين النعماني، مطبعة الاتحاد الاخوي، مصر ١٣٢٥هـ.

الخفاجي: شهاب الدين احمد بن محمد (ت ١٠٦٩هـ)

١٤٩- ريحانه الالبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٧

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)

١٥٠- التاريخ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧١.

الخلف: جاسم محمد (الدكتور)

١٥١- محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، دار الهنا للطباعة ١٩٥٩.

ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)

١٥٢- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت.

الخوارزمي: ابو عبد الله محمد بن احمد الكاتب

١٥٣- مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق، القاهرة، الطبعة الاولى ١٣٤٢هـ

الخوانساري: محمد باقر الموسوي (ت ١٣١٣ هـ)

١٥٤- روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٤

الخياط: جعفر

١٥٥- صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، مطبعة دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٦م

ابن دريد: ابو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت ٣٢١هـ)

١٥٦- الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٩٧٩.

١٥٧- جمهرة اللغة، ادارة مجلس المعارف العثمانية، حيدر اباد الركن، الطبعة الاولى ١٣٥١هـ.

الدميري: كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ)

١٥٨- حياة الحيوان الكبرى، مطبعة المعاهد، القاهرة.

دونلدسن: دوايت. م

١٥٩- عقيدة الشيعة، تعريب ع.م مطبعة السعادة، مصر ١٩٤٦.

الديلمي: ابو محمد الحسن بن محمد

١٦٠- ارشاد القلوب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨.

ديولافوا

١٦١- الرحلة (رحلة مدام ديولافوا الى كلدة العراق ١٨٨١م، ١٢٩٩هـ)، ترجمة علي البصري، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٥٨.

الدينوري: ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ)

١٦٢- الاخبار الطوال، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، مصر

الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

١٦٣- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير الأعلام، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٨.

رابع المحمدين من آل بيرم (ت ١٢٧٨هـ)

١٦٤- الجواهر السنية في شعر الديار التونسية، الطبعة الاولى ١٩٧٣.

الرازي: محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦ هـ)

١٦٥- مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر ١٩٧٦.

الراوي: عبد الجبار

١٦٦- البادية، الطبعة الثالثة ١٩٧٢.

الربيعي: احمد (الدكتور)

١٦٧- ملكة وشاعران (المتجردة، المنخل، النابغة)، مطبعة الامة، بغداد ١٩٧٨.

رزوق عيسى

١٦٨- مختصر جغرافية العراق، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد- الطبعة الاولى ١٩٢٢.

ابن رسته : ابو علي احمد بن عمر

١٦٩- الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١.

رفائيل بابو اسحاق

١٧٠- مدارس العراق قبل الاسلام، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٥٥.

الرقيق النديم، ابو اسحاق ابراهيم

١٧١- قطب السرور في اوصاف الخمور، تحقيق احمد الجندي.

ابن الرومي: ابو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣ هـ)

١٧٢- الديوان، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب ١٩٧٦.

الريحاني : امين

١٧٣- الاعمال العربية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى ١٩٨٠.

ريشارد، كوك

١٧٤- بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٢.

الروذراوري: ابو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين (ت ٤٨٧ هـ)

١٧٥- ذيل تجارب الامم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر ١٩١٦.

ابو الريحة : عدنان رشيد

١٧٦- الاستيطان القبلي في منطقة بحر النجف، طبع رونيو، بغداد ١٩٧٥.

الزاوي : الطاهر احمد

١٧٧- ترتيب القاموس المحيط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

الزبيدي: محمد حسين (الدكتور)

١٧٨- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري، المطبعة العالمية القاهرة ١٩٧٠.

١٧٩- مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٩.

الزبيدي: محب الدين ابو الفيض محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)

١٨٠- تاج العروس، دار ليبيا، بنغازي.

زكي مبارك (الدكتور)

١٨١- عبقرية الشريف الرضي، مطبعة امين عبد الرحمن، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٤٠.

الزمخشري: ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)

١٨٢- الجبال والامكنة والمياه، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٨١.

١٨٣- المستقصي في امثال العرب، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الركن، الهند ١٩٦٢.

الساعدي: حمود

١٨٤- دراسات عن عشائر العراق، الخزاعل، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧٤.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤ هـ)

١٨٥- تذكرة الخواص، طبع حجر ١٢٨٥هـ.

السجستاني: ابو حاتم (ت ٢٥٠هـ)

١٨٦- المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١.

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)

١٨٧- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، مكتبة المقدسي، ١٣٥٣هـ.

السري الرفاء: أبو الحسن بن احيد (ت ٣٦٢ هـ)

١٨٨- الديوان، تحقيق الدكتور حبيب حسين الحسني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١.

سعاد ماهر (الدكتورة)

١٨٩- مشهد الامام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف، دار المعارف، مصر ١٩٦٩

ابن سعد: ابو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ)

١٩٠- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ١٩٥٧.

سعد زغلول عبد الحميد

١٩١- في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار النهضة العربية، بيروت.

سعد عبد الرزاق

١٩٢- محافظة النجف، دراسة في جغرافية السكان.

السعدي: هاشم

١٩٣- جغرافية العراق الحديثة، مطبعة دار السلام ١٩٢٤.

سعيد رشيد مجيد

١٩٤- لمحات تاريخية عن كربلاء، مطبعة الجاحظ، بغداد ١٩٩٠.

السقاف: احمد محمد زين

١٩٥- الأوراق، مطابع دار الكشاف، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٥٤.

سليمان فائق

١٩٦- تاريخ بغداد، نقله الى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٢.

السماوي: محمد الشيخ طاهر (ت ١٣٧٠ هـ)

١٩٧- عنوان الشرف في وشي النجف، مطبعة الغري، النجف الاشرف ١٩٤١.

١٩٨- مجالي اللطف بأرض الطف، مطبعة الغري، النجف الاشرف ١٩٤١.

السمعاني: ابو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ)

١٩٩- الانساب، اعتناء مرجليوث، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الركن ١٩٦٣.

٢٠٠- التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٥.

ابن سند: عثمان بن سند الوائلي البصري

٢٠١- خمس وخمسون عاما من تاريخ العراق ١١٨٨- ١٢٤٢هـ، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧١هـ.

٢٠٢- مطالع السعود، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام واخرون، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩١.

السوداني: صادق حسن

٢٠٣- العلاقات العراقية السعودية ١٩٠٠- ١٩٣١، مطبعة دار الجاحظ، بغداد ١٩٧٥.

سوسة، احمد (الدكتور)

٢٠٤- فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الاديب، بغداد ١٩٦٣.

السويدي: عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي (ت ١٢٠٠هـ)

٢٠٥- تاريخ بغداد او حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، مطبعة الزعيم، بغداد ١٩٦٢.

٢٠٦- الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.

السويدي: عبد الله بن الحسين العباسي

٢٠٧- مؤتمر النجف (١١٠٤- ١١٧٤هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٧٣.

السندوبي : حسن

٢٠٨- شرح ديوان امرئ القيس، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٣٩.

السيد الحميري : اسماعيل بن محمد (ت ١٧٩هـ)

٢٠٩- الديوان، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة سميا، بيروت.

ابن سيدة : ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت ٤٥٨هـ)

٢١٠- المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

الشابشتي : ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ)

٢١١- الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية ١٩٦٦.

ابن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر (ت٧٩٤هـ)

٢١٢- فوات الوفيات، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣.

ابو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)

٢١٣- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين، تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٦.

شبر : جاسم حسن

٢١٤- تاريخ المشعشعيين وتراجم اعلامهم، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٦٥.

الشبيبي : محمد رضا

٢١٥- رحلة في بادية السماوة سنة ١٣٣٩هـ، ١٩٢٠م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٤.

٢١٦- شذرات من مذكرات العلامة الفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي، مجلة البلاغ لسنة ١٩٧٣.

شترك M.Streck

٢١٧- دائرة المعارف الاسلامية، الجزء التاسع، مادة (دير الجماجم).

ابن الشجري: ضياء الدين ابو السعادات هبه الله بن علي العلوي

٢١٨- الامالي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

ابن شحنة: ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد (ت ٨١٥هـ)

٢١٩- روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر، المطبعة الأزهرية المصرية، الطبعة الأولى ١٣٠٢هـ.

الشرقي: علي

٢٢٠- الاحلام، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٣.

٢٢١- العرب والعراق، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٣.

الشريف الرضي: ابو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ)

٢٢٢- الديوان، دار صادر، بيروت ١٩٦١.

الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)

٢٢٣- الامالي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٥٤.

شريف يوسف

٢٢٤- تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، مطابع كويت تايمز ١٩٨٢.

ابو الشيص الخزاعي (ت ١٩٦هـ)

٢٢٥- اشعار ابو الشيص الخزاعي، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٦٧.

الشعيبي: علي سواح اسحاق (الدكتور)

٢٢٦- القشعم من كبريات القبائل العربية، دار المعارف للطباعة، الطبعة الاولى ١٩٨٧

شلاش: عبد المحسن

٢٢٧- آبار النجف ومجاريها، مطبعة الراعي، النجف الاشرف ١٩٤٧.

الشماخ بن ضرار الذبياني

٢٢٨- الديوان، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر ١٩٦٨.

شمس الدين: محمد رضا

٢٢٩- حديث الجامعة النجفية تاريخ وتحليل، المطبعة العلمية، النجف الاشرف ١٣٧٣هـ.

ابن شهر آشوب: رشيد الدين ابو عبد الله محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ)

٢٣٠- مناقب ال ابي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٥٦.

الشوابكة: احمد فهد بركات

٢٣١- حركة الجامعة الاسلامية، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الاولى ١٩٨٤.

الشيبي: كامل مصطفى (الدكتور)

٢٣٢- ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.

٢٣٣- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مطابع دار التضامن، بغداد ١٩٦٦.

شيخو: لويس اليسوعي

٢٣٤- شعراء النصرانية في الاسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧.

٢٣٥- شعراء النصرانية قبل الاسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧.

شيرواني: زين العابدين

٢٣٦- رياض السياحة، تقديم اصغر حامد رباني.

الشيرازي: فضل الله بن عبد الله

٢٣٧- وصاف الحضرة واحوال سلاطين المغول، طبع حجر ١٢٦٩هـ.

الصابي: غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال (ت٤٨٠هـ)

٢٣٨- الهفوات النادرة، تحقيق الدكتور صالح الاشتر، دمشق ١٩٦٧، الطبعة الاولى.

الصاحب بن عباد: اسماعيل (ت٣٨٥هـ)

٢٣٩- المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١.

الصافي: احمد النجفي

٢٤٠- المجموعة الكاملة لاشعار احمد الصافي النجفي، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٧.

صالح مهدي عماش

٢٤١- من ذي قار الى القادسية، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٢.

الصدر: حسن الكاظمي (ت ١٣٥٤ هـ)

٢٤٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة.

الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي القمي (ت ٣٨١هـ)

٢٤٣- إكمال الدين واتمام النعمة، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٧٠.

٢٤٤- علل الشرائع، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٦.

٢٤٥- معاني الاخبار، مطبعة الحيدري، ١٣٧٩هـ.

٢٤٦- من لا يحضره الفقيه، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ.

الصياد: فؤاد عبد المعطي (الدكتور)

٢٤٧- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧.

الضابط: شاكر صابر

٢٤٨- العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران، مطبعة دار البصري بغداد ١٩٦٦.

الضبي: المفضل بن محمد

٢٤٩- أمثال العرب، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣..

أبو طالب خان: ابو طالب بن محمد

٢٥٠- الرحلة (رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربه سنة ١٢١٣هـ، ١٧٩٩م)، ترجمة الدكتور مصطفى جواد، مطبعة الايمان، بغداد.

ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ)

٢٥١- فرحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٦٨هـ.

ابن طاووس: ابو القاسم علي بن موسى (ت٦٦٤هـ)

٢٥٢- الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الرابعة ١٩٧٢.

ابن طباطبا: محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ)

٢٥٣- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، القاهرة ١٩٦٢.

الطبسي: محمد رضا النجفي

٢٥٤- درر الاخبار فيما يتعلق فبما بعد الاحتضار، مطبعة القضاء، النجف الاشرف ١٣٨١هـ.

الطبرسي: امين الدين الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)

٢٥٥- مجمع البيان في نفسير القران، شركة المعارف الاسلامية، طهران ١٣٧٩هـ.

الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

٢٥٦- التاريخ (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطابع دار المعارف، مصر ١٩٦٨.

٢٥٧- جامع البيان عن تأويل آي القران، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر ١٩٥٤.

الطريحي: فخر الدين بن محمد علي الرماحي النجفي (ت١٠٨٥هـ)

٢٥٨- مجمع البحرين، تحقيق السيد احمد الحسيني، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٦١

الطريحي: محمد سعيد

٢٥٩- الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها، مطبعة المتنبي، بيروت ١٩٨٧.

الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)

٢٦٠- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، جابخانة دانشكاه مشهد ١٣٤٨هـ.

٢٦١- الامالي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٩٦٤.

٢٦٢- التبيان في تفسير القرآن، المطبعة العلمية والنعمان، النجف الاشرف ١٩٥٧- ١٩٦٣.

٢٦٣- تهذيب الاحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٩٦٠.

٢٦٤- الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦١.

٢٦٥- الغيبة، مطبعة النعمان، النجف الاشرف الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

الطهراني: آغا بزرك (محمد محسن) (ت ١٣٨٩ هـ)

٢٦٦- طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة، المطبعة العلمية والقضاء في النجف الاشرف.

ابن طيفور: ابو الفضل احمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ)

٢٦٧- تاريخ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المتنبي، بغداد ١٩٦٨.

العاملي: محمد جواد بن محمد الحسيني (ت ١٢٢٦ هـ)

٢٦٨- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة، طبع عام ١٣٢٦هـ.

العاني: نوري عبد الحميد (الدكتور)

٢٦٩- العراق في العهد الجلائري (٧٣٨- ٨١٤هـ)، دراسة في أوضاعه الإدارية والاقتصادية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٦م.

العبادي: عدي بن زيد

٢٧٠- الديوان، تحقيق محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية والنشر والطبع، بغداد ١٩٦٥.

ابو عبد الله الانصاري: شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ)

٢٧١- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبورغ ١٨٦٥م.

ابن عبد البر: ابو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ)

٢٧٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة نهضة مصر، بيروت.

عبد الجبار فارس

٢٧٣- عامان في الفرات الاوسط، مطبعة الراعي، النجف الاشرف، الطبعة الاولى ١٣٥٣هـ.

ابن عبد ربه: ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ)

٢٧٤- العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦.

عبد الرحيم محمد علي

٢٧٥- الرهيمة، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف ١٩٦٦.

عبد الرزاق حسين

٢٧٦- نشأة مدن العراق وتطورها، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٣.

عبد العزيز سليمان نوار

٢٧٧- تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨.

٢٧٨- داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧.

عبد المجيد فهمي

٢٧٩- تاريخ مشاهير الالوية العراقية، مطبعة الزمان والسلام، بغداد ١٩٤٦-١٩٤٧.

ابو عبيد: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)

٢٨٠- الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، الطبعة الاولى ١٩٦٨.

ابو عبيدة: معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ)

٢٨١- مجاز القران، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية ١٩٧٠.

أبو العتاهية: ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم (ت ٢١١هـ)

٢٨٢- الديوان، أشعاره وأخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.

عروة بن الورد

٢٨٣- الديوان شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي، سوريا.

عريب القرطبي: عريب بن سعد

٢٨٤- صلة تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٣٩.

العزاوي: عباس

٢٨٥- تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد وشركة التجارة والطباعة المحدودة ١٩٥٣- ١٩٦٣.

٢٨٦- التعريف بالمؤرخين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٥٧.

العطية: وداي

٢٨٧- تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٥٤.

علاء موسى كاظم نورس

٢٨٨- حكم المماليك في العراق (١٧٥٠- ١٨٣١م)، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٥.

٢٨٩- العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠- ١٨٠٠م)، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩.

ابو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت ٤٤٩ هـ)

٢٩٠- الرسائل مع شرحها، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت.

٢٩١- رسالة الغفران، تحقيق الدكتورة بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.

٢٩٢- ديوان سقط الزند، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.

٢٩٣- اللزوميات، دار صادر، بيروت ١٩٦١.

العلامة الحلي: جمال الدين ابو منصور الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)

٢٩٤- الدلائل البرهانية، (من كتاب الغارات للثقفي)، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني ١٩٩٠.

العلوي: حسن

٢٩٥- الشيعة والدولة القومية في العراق، فرنسا ١٩٨٩.

العلي: صالح احمد (الدكتور)

٢٩٦- محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعارف بغداد، الطبعة الثانية ١٩٥٩

٢٩٧- معالم العراق العمرانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩.

علي بن الجهم (ت١٨١هـ)

٢٩٨- الديوان، تحقيق مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت.

ابو علي: محمد بن اسماعيل (ت ١٢١٥ هـ)

٢٩٩- منتهى المقال في احوال الرجال، طبع حجر ١٣٠٠هـ.

علي شاكر علي

٣٠٠- تاريخ العراق في العهد العثماني (١٦٣٨- ١٧٥٠م)، مطبعة اوفسيت الشعب، الطبعة الاولى ١٩٨٤.

ابن العماد: ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ)

٣٠١- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مكتبة القدسي ١٣٥٠هـ.

عماد عبد السلام رؤوف (الدكتور)

٣٠٢- مقدمة ديوان العشاري حسين بن علي البغدادي، مطبعة الامة، بغداد ١٩٧٧.

عمرو بن كلثوم التغلبي

٣٠٣- الديوان، المنشور في مجلة المشرق ١٩٢٢.

العمري: ياسين بن خير الله الخطيب

٣٠٤- غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة دار البصري، بغداد ١٩٦٨.

٣٠٥- غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مطبعة ام الربيعين، الموصل ١٩٤٠.

العمري: ابو فضل احمد بن فضل الله (ت ٧٢٤ هـ)

٣٠٦- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق احمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤

ابن عنبة: جمال الدين احمد بن علي الداودي الحسني (ت ٨٢٨هـ)

٣٠٧- عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٨

ابن عنين: شرف الدين ابو المحاسن محمد بن نصر الانصاري

٣٠٨- الديوان، تحقيق خليل مردم، دار صادر، الطبعة الثانية.

العياشي: ابو النضر محمد بن مسعود السلمي السمرقندي

٣٠٩- التفسير، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية.

الغياثي: عبد الله بن فتح الله البغدادي

٣١٠- التاريخ: تحقيق طارق نافع الحمداني، والقسم المخطوط في مكتبة المتحف العراقي / بغداد.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ)

٣١١- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الاولى ١٣٦٩هـ.

الفتح بن خاقان

٣١٢- قلائد القيان في محاسن الاعيان، طبع باريس.

الفخر الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ)

٣١٣- التفسير الكبير: دار الكتب العلمية (طهران) الطبعة الثانية.

أبو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ)

٣١٤- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠.

٣١٥- فراتي

على هامش الثورة العراقية الكبرى، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد ١٩٥٢.

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)

٣١٦- العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، مطابع الرسالة الكويت، والخلود والنشر، بيروت ١٩٨٠- ١٩٨٢.

أبو الفرج : علي بن الحسين الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)

٣١٧- الاغاني ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦١.

٣١٨- مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٩.

الفردوسي : ابو القاسم الحسن بن محمد الطوسي (ت ٤١١ هـ).

٣١٩- الشاهنامة ، ترجمة الفتح بن علي البنداري ، طهران ١٩٧٠.

فردينان توتل

٣٢٠- المنجد في اللغة والاداب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٦ ، ١٩٦٦.

الفرزدق : أبو فراس همام بن غالب (ت ١١٠ هـ)

٣٢١- الديوان ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦.

الفرطوسي : عبد المنعم

٣٢٢- الديوان ، مطبعة الغري الحديثة ، النجف الاشرف ١٩٦٦.

الفرعون : فريق المزهر

٣٢٣- الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٥٢.

فريزر : جيمس بيلي

٣٢٤- رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤م ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤.

ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني

٣٢٥- مختصر البلدان : ليدن ، مطبعة بريل ١٣٠٢هـ.

فنسنك : أرندجان

٣٢٦- دائرة المعارف الاسلامية (مادة السنة).

فؤاد جميل

٣٢٧- هامش كتاب في بلاد وادي الرافدين، صور وخواطر، مطبعة شفيق، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦١.

ابن الفوطي: كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ)

٣٢٨- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية، دمشق.

٣٢٩- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، مطبعة الفرات، بغداد ١٣٥١هـ.

فيصل عبد الجبار عبد علي

٣٣٠- التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في ايران ١٥٠١- ١٩٠٩، طبع رونيو ١٩٨٨.

فيلبي: سنت جون

٣٣١- تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ترجمة عمر الديراوي، دار الشمالي للطباعة، بيروت.

فيليب حتي (الدكتور)

٣٣٢- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة الدكتور كمال اليازجي، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ١٩٥٩.

الفيومي: احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ)

٣٣٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر.

القالي: ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦ هـ)

٣٣٤- الامالي، مطابع دار الفكر.

ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)

٣٣٥- الشعر والشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٩٦٧.

٣٣٦- عيون الاخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٣٣٧- كتاب المعاني الكبير في ابيات المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٤.

قدامة بن جعفر: أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧ هـ)

٣٣٨- الخراج وصنعه الكتابة، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١.

القرطبي: ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ)

٣٣٩- بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الجيل للطباعة، مصر.

القزاز: محمد صالح داود (الدكتور)

٣٤٠- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف الاشرف ١٩٧٠.

القزويني: أبو زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ)

٣٤١- آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، ودار بيروت ١٩٦٠.

قصي سالم علوان

٣٤٢- الشبيبي شاعراً، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٥.

القفطي: جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ)

٣٤٣- أخبار الحكماء، لايبرج ١٩٠٣.

القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)

٣٤٤- صبح الاعشى في صناعة الانشا، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة.

٣٤٥- نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٥٨.

ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد (ت ٣٦٧هـ)

٣٤٦- كامل الزيارات، المطبعة المباركة المرتضوية، النجف الاشرف ١٣٥٦هـ.

القمي: عباس بن محمد رضا (ت ١٣٥٩ هـ)

٣٤٧- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، المطبعة العلمية، النجف الاشرف ١٣٥٢هـ.

القهواتي: حسين (الدكتور)

٣٤٨- العراق بين احتلالين، الاحتلال العثماني الأول والثاني للعراق، بغداد ١٩٧٦.

الكاظمي: مصطفى آل حيدر

٣٤٩- بشارة الاسلام في ظهور صاحب الزمان، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٧٢.

الكاظمي: عبد النبي (ت ١٢٥٦ هـ)

٣٥٠- تكملة الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، مطبعة الاداب، النجف الاشرف.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)

٣٥١- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٦٦.

كريستنسن: ارثر

٣٥٢- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

الكركوكلي: رسول

٣٥٣- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد والزوراء، نقله الى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بغداد.

كستر م.ج
٣٥٤- الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة الدكتور يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٦.
كشاجم: ابو الفتح محمود بن الحسين
٣٥٥- المصايد والمطارد: تحقيق الدكتور محمد اسعد اطلس، مطبعة دار المعرفة، بغداد.
الكلداني: بطرس نصري
٣٥٦- ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة، طبع في دير الاباء الدومنيكيين، الموصل ١٩٠٥.
كلوب: جون باجوت
٣٥٧- الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حماد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد.
الكليدار: عبد الجواد آل طعمة
٣٥٨- تاريخ مدينة الحسين، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٩٦٧.
الكليدار: محمد حسن مصطفى
٣٥٩- مدينة الحسين او مختصر تاريخ كربلاء، مطبعة النجاح، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٤٨.
الكليني: ابو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ)
٣٦٠- الكافي، مطبعة حيدري، طهران ١٣٧٧هـ.
كمونة: عبد الرزاق الحسيني
٣٦١- موارد الاتحاف في نقباء الاشراف، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٦٨.

كوركيس عواد

٣٦٢- هامش كتاب "الديارات" للشابشتي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦.

الكوفي: محمد بن الشيخ عبود (ت ١٣٥٢ هـ)

٣٦٣- نزهة الغري في تاريخ النجف، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف ١٩٥٢

لبيد بن ربيعة العامري

٣٦٤- الديوان، تحقيق الدكتور احسان عباس، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٢.

لسترانج كي

٣٦٥- بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٤.

لوتسكي

٣٦٦- تاريخ الاقطار العربية الحديثة، دار التقدم، موسكو.

لوريمر، جون غوردن

٣٦٧- دليل الخليج، القسم التاريخي، الدوحة ١٩٦٧.

لويد: سيتن

٣٦٨- الرافدان، نقله الى العربية طه باقر وبشير فرنسيس، مطبعة جامعة اوكسفورد.

لونكريك: ستيفن هيمسلي

٣٦٩- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخياط، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨.

ليلى الأخيلية

٣٧٠- الديوان، تحقيق خليل ابراهيم العطية وجليل العطية، دار الجمهورية بغداد ١٩٦٧.

ماسنيون: لويس

٣٧١- خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، وتحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف ١٩٧٩.

٣٧٢- الرحلة، طبع القاهرة ١٩١٠م.

المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد الازدي (ت٢٨٥هـ)

٣٧٣- الكامل، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته، مطبعة دار نهضة مصر.

٣٧٤- نقائض جرير والفرزدق، لايدن ١٩٠٥م

المجلس الزراعي الاعلى في الجمهورية العراقية

٣٧٥- أعمال السدود والوقاية من الفيضان، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٨.

٣٧٦- السدود الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٨.

المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (١١١١هـ)

٣٧٧- بحار الانوار، المطبعة الاسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.

٣٧٨- المزار: من مجلد البحار، طبع حجر ١٣٠١هـ.

محبوبة: جعفر الشيخ باقر (ت ١٣٧٧ هـ)

٣٧٩- ماضي النجف وحاضرها، المطبعة العلمية والنعمان، النجف الاشرف ١٩٥٥ -١٩٥٧.

محبوبة: عدنان حسن علي (الدكتور)

٣٨٠- مقاطعة العراقيين للنفوذ الاجنبي ١٧٥٠- ١٨٣١م، طبع رونيو، بغداد ١٩٩٠.

محمد احمد جاد المولى وخرون

٣٨١- أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

محمد ثابت

٣٨٢- جولة في ربوع الشرق الادنى بين مصر وافغانستان، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٣٦.

محمد شفيق غربال

٣٨٣- الموسوعة الميسرة، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٥

محمد علي حشيشو (الدكتور)

٣٨٤- صور عن شرقي الجزيرة العربية في ادب الرحلات الالماني من كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر، الدوحة ١٩٧٦.

محمد هليل الجابري

٣٨٥- إمارة المشعشعين طبع رونيو، بغداد.

محيي الدين: قاسم

٣٨٦- العلويات العشر شرح السيد محمد حسن الشخص النجفي، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٦٨هـ.

المخزومي: مهدي (الدكتور)

٣٨٧- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر ١٩٥٨.

مدرسي: محمد علي التبريزي (ت١٣٧٣هـ)

٣٨٨- ريحانة الادب في تراجم المعروفين بالكنية او اللقب، مطبعة علمي، ايران ١٣٦٧هـ.

المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ)

٣٨٩- معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.

المس بيل

٣٩٠- فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، بيروت١٩٧١.

المستوفي: حمد الله القزويني

٣٩١- نزهة القلوب طبع حجر، بومبي ١٣١١هـ.

المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)

٣٩٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة ١٩٦٧.

مسكويه: أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)

٣٩٣- تجارب الامم، مطبعة شركة التمدن الصناعية مصر ١٩١٥.

المشهدي: محمد بن جعفر الحائري

٣٩٤- فضل الكوفة ومساجدها، تحقيق محمد سعيد الطريحي، دار المرتضى، بيروت.

مصطفى جواد

٣٩٥- في التراث العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٥٨.

٣٩٦- موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف (النجف والحيرة).

المظفر: محمد حسين

٣٩٧- تاريخ الشيعة، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف.

المظفر: محسن عبد الصاحب (الدكتور)

٣٩٨- مدينة النجف الكبرى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الاقليمية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢.

ابن المعتز: عبد الله (ت ٢٩٦هـ)

٣٩٩- طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار المعارف، مصر.

المفيد: ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ)

٤٠٠- الامالي، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٦٧هـ.

المقدس البشاري: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٥ هـ)

٤٠١- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، طبع بريل، ليدن ١٩٠٦.

المقدسي: ابو محمد عبد الله بن احمد (ت٦٢٠هـ)

٤٠٢- كتاب التوابين، تحقيق جورج مقدسي، بيروت ١٩٦١.

المقدسي: مطهر بن طاهر (ت بعد ٣٥٥هـ).

٤٠٣- البدء والتاريخ، ترجمة كلمان هوار، باريس ١٩٢٦.

المقري: احمد بن محمد التلمساني

٤٠٤- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)

٤٠٥- الخطط القريزية، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة النيل، مصر ١٣٢٥هـ.

المكي: العباس بن علي الحسيني الموسوي

٤٠٦- نزهة الجليس ومنية الانيس، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٧.

المملكة العراقية

٤٠٧- دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥- ١٩٣٦ مطبعة الامين، بغداد ١٩٣٥.

المنذري: زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ)

٤٠٨- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مطبعة الاداب، النجف، ومطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

المنشئ البغدادي: محمد بن السيد احمد الحسيني

٤٠٩- الرحلة، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٤٨.

ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)

٤١٠- لسان العرب، دار صادر، بيروت.

منيرة ناجي سالم

٤١١- تاج الاسلام ابو سعد السمعاني وكتابه التحبير في المعجم الكبير، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٦.

مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري

٤١٢- أخبار الدولة العباسية وفيه اخبار العباس وولده، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي، مطابع دار صادر، بيروت ١٩٧١.

الموسوي: مجيد

٤١٣- الحاج عطية ابو كلل الطائي، مطبعة السعدي، بغداد.

الميداني: ابو الفضل احمد بن محمد

٤١٤- مجمع الامثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية ١٩٥٩.

مير خواند: محمد برهان الدين خواوبند شاه

٤١٥- تاريخ روضة الصفا، مطبعة بيروز، طهران ١٣٧٩هـ.

النابغة الجعدي: قيس بن عبد الله

٤١٦- الديوان او شعر النابغة، المكتب الاسلامي، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٦٤.

ناجي معروف

٤١٧- المدارس الشرابية ببغداد وواسط والكوفة، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٦٥

ابن نباتة المصري: جمال الدين محمد بن محمد (ت ٧٦٨ هـ)

٤١٨- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة المدني ١٩٦٤.

النجاشي: ابو العباس احمد بن علي الاسدي (ت ٤٥٠هـ)

٤١٩- الرجال، مكتبة الداودي، قم ١٣٩٨هـ.

ابن النديم: ابو الفرج محمد بن اسحاق الوراق (ت ٣٨٥ هـ)

٤٢٠- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، مطبعة دانشكاه، طهران.

نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ)

٤٢١- وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

٤٢٢- نظمي زاده مرتضى افندي

٤٢٣- كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧١

أبو نعيم: احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت٤٣٠هـ)

٤٢٤- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣٢.

النفيسي: عبد الله فهد

٤٢٥- دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٣.

النقدي : جعفر بن محمد

٤٢٦- الغزوات والفضائل والمناقب والمعجزات، المطبعة العلمية، النجف الاشرف ١٣٥٥هـ.

نكلسن رينولد

٤٢٧- تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام، ترجمة الدكتور صفاء خلوصي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٩.

ابن نما : نجم الدين محمد بن جعفر الحلي (ت٦٤٥هـ)

٤٢٨- مثير الاحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٥٠.

أبو نؤاس : الحسن بن هانئ (ت ١٩٨ هـ)

٤٢٩- الديوان، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٣.

النوري : ميرزا حسين بن محمد تقي الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)

٤٣٠- دار السلام : المطبعة العلمية، قم.

٤٣١- مستدرك الوسائل، المطبعة الاسلامية ١٣٨٤هـ.

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣هـ)

٤٣٢- نهاية الارب في فنون الادب، مطابع كوستا توماس وشركاه، القاهرة.

الوائلي : ابراهيم

٤٣٣- الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية ١٩٧٨.

الواحدي : ابو الحسن علي بن احمد (ت ٤٦٨هـ)

٤٣٤- الوسيط في الامثال، تحقيق الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن، مؤسسة الكتب الثقافية، الكويت ١٩٧٥.

الواقدي : ابو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)

٤٣٥- فتوح الشام، مطابع لبنان، بيروت ١٩٦٦.

الواموسيل

٤٣٦- الفرات الاوسط، رحلة وصفية ودراسات تاريخية، ترجمة الدكتور صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٩٠.

الوردي: علي (الدكتور)

٤٣٧- دراسات في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٥

٤٣٨- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطابع الارشاد والشعب والمعارف، بغداد ١٩٦٩- ١٩٧٦.

ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ)

٤٣٩- التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٩٦٩

ويلكوكس: السير ويليم

٤٤٠- بين عدن والاردن، ترجمة الدكتور احمد سوسة ومحمد الهاشمي، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٣.

الوهراني: ركن الدين محمد بن محمد (ت ٥٧٥هـ)

٤٤١- منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نعش، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر ١٩٦٨.

الهاشمي: محمد علي

٤٤٢- عدي بن زيد العبادي، الشاعر المبتكر دراسة تحليلية لشخصيته وشعره، مطبعة الاصيل، حلب ١٩٦٧.

الهاشمي: طه

٤٤٣- جغرافية العراق، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية ١٩٣٦.

هستد: كوردن

٤٤٤- الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، تعريب جاسم محمد الخلف، المطبعة العربية، بغداد ١٩٤٨.

ابن هشام: ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)

٤٤٥- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت.

الهمداني: ابو محمد الحسن بن احمد (ابن الحائك) (ت ٣٣٤ هـ)

٤٤٦- الاكليل، دار العودة، بيروت، ودار الكلمة، صنعاء.

الهمداني: محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ)

٤٤٧- تكملة تاريخ الطبري: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٧٧.

الهمداني: رشيد الدين فضل الله

٤٤٨- جامع التواريخ، نقله الى العربية محمد صادق نشأت واخرون، دار احياء الكتب العربية.

همفر

٤٤٩- مذكرات المستر همفر، نقله الى العربية الدكتور ج. خ ١٩٧٣

اليازجي: ناصيف

٤٥٠- العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٦٤

آل ياسين: محمد حسن

٤٥١- تاريخ المشهد الكاظمي، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٧

اليافعي: ابو محمد عبد الله بن اسعد اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ)

٤٥٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد ١٣٣٩

ياقوت: شهاب الدين ابو عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦هـ)

٤٥٣- المشترك وضعا والمفترق صقعا، طبع عام ١٨٤٦م

٤٥٤- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٥٥

يحيى عباس حسين

٤٥٥- الينابيع المائية بين كبيسة والسماوة واستثماراتها، بغداد ١٩٨٩

يحيى بن معين: ابو زكريا البغدادي (ت ٢٣٣هـ)

٤٥٦- التاريخ، تحقيق الدكتور احمد محمد نور سيف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩.

يعقوب سركيس

٤٥٧- مباحث عراقية، شركة التجارة والطباعة المحدودة ١٩٤٨- ١٩٥٥.

اليعقوبي: احمد بن واضح (ت ٢٩٢هـ)

٤٥٨- البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الثالثة ١٩٥٧.

٤٥٩- التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الرابعة ١٩٧٤.

ابو يوسف: يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ)

٤٦٠- الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

يوسف رزق الله غنيمة

٤٦١- الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة بغداد ١٩٣٦.

يوسف كركوش

٤٦٢- تاريخ الحلة، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٥.

ثالثاً: البحوث والدراسات

ابراهيم حلمي

٤٦٣- طعيرزات او اطلال طعيرزات، مجلة لغة العرب، الجزء الثامن، السنة الثانية ١٩١٣.

الاشعب، خالص (الدكتور)

٤٦٤- مفهوم أنطقة الحواف واهميته في دراسة المدن العربية، مجلة الجغرافية العراقية، المجلد التاسع ١٩٧٦.

البستاني، مهدي جواد (الدكتور)

٤٦٥- وثائق عثمانية غير منشورة عن نشاط البابيين والبهائيين في العراق، مجلة الرسالة الاسلامية، العدد (٢٣٣) لسنة ١٩٨٩

بطرس حداد

٤٦٦- رحلة تايلر الى العراق سنة ١٧٨٩- ١٧٩٠، مجلة المورد، العدد الاول، المجلد الحادي عشر ١٩٨٢.

الجبوري، حسين علي

٤٦٧- أثر الخوف والقلق على طراز البناء في منطقتي النجف وكربلاء، مجلة التراث الشعبي، العدد السابع، السنة السادسة ١٩٧٥.

جلال وردة

٤٦٨- نحو قراءة جديدة، مجلة افاق عربية، العدد الثامن، السنة السابعة ١٩٨٢.

الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)

٤٦٩- مصطلح الغري واطوره التاريخية، مجلة كلية الفقه، العدد الاول ١٩٧٩.

الحمداني: طارق نافع (الدكتور)

٤٧٠- التحديث في النجف، بحث مقدم للمؤتمر العلمي لكلية الاداب، جامعة الكوفة.

الخليلي: جعفر

٤٧١- الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، دار التعارف، بغداد.

الخياط: جعفر

٤٧٢- سفرة نهرية: بين بغداد والبصرة سنة ١٨٢٧م قام بها الكابتن البريطاني منن، بحث في مجلة الاقلام، الجزء الرابع، السنة الثالثة ١٩٦٦.

٤٧٣- كربلاء في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء، دار التعارف، بغداد.

٤٧٤- النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، دار التعارف، بغداد.

الدجيلي: عبد الحميد

٤٧٥- الغلاة ونحلهم في العصور المتأخرة، بحث في مجلة الغري، العدد الاول، السنة الثامنة ١٩٤٦.

الدجيلي: كاظم

٤٧٦- عريسات، بحث في مجلة لغة العرب، الجزء الثاني، السنة الثانية ١٩٣١

الساعدي: حمود

٤٧٧- أمكنة وحوادث فراتية اهملها التاريخ، فرات الهندية، بحث في مجلة الايمان، السنة الثانية ١٩٦٥.

٤٧٨- أمكنة وحوادث فراتية اهملها التاريخ، مجلة الايمان، السنة الثالثة ١٩٦٧.

٤٧٩- بحر النجف، مجلة الايمان، العددان (٤، ٣)، السنة الثانية ١٩٦٥.

٤٨٠- من المدن المندرسة، مجلة البلاغ، العدد الاول، السنة السادسة ١٩٧٦

سركيس، يعقوب

٤٨١- نظرة في كتاب ماضي النجف، مجلة الاعتدال، العدد الاول، السنة السادسة ١٩٤٦.

الشرقي: علي

٤٨٢- صفحة من تاريخ النجف، مجلة الحيرة، الجزء الثالث، المجلد الاول ١٩٢٧.

شلاش: عبد المحسن

٤٨٣- خلود الامام، بحث في كتاب "اسبوع الامام".

٤٨٤- فيصل والعتبات المقدسة، مجلة الاعتدال، العدد التاسع، السنة الاولى.

٤٨٥- الكوفة ويوم التاج، بحث في مجلة الاعتدال العدد السادس، السنة الثانية ١٩٣٤.

٤٨٦- ما احتفظت به الذاكرة عن جلالة الملك فيصل، جريدة الراعي، العدد التاسع ١٩٣٤

الشمس: ماجد

٤٨٧- حفريات مقبرة الحيرة، مجلة سومر، الجزءان الاول والثاني، المجلد ٤٥ لسنة ١٩٨٨.

الشهرستاني: هبة الدين محمد علي

٤٨٨- حول تاريخ الخطيب، مجلة الاعتدال، العدد التاسع.

الطهراني: آغا بزرك (محمد محسن)

٤٨٩- المحقق الكركي، بحث في مجلة النشاط الثقافي، العدد الثاني، السنة الاولى ١٩٥٧.

طه هاشم محمد

٤٩٠- ظاهرة الكتابة على الجدران في التراث العربي، مجلة التراث الشعبي، العدد الاول، السنة الثامنة ١٩٧٧.

عبد اللطيف ثنيان

٤٩١- مجلة لغة العرب، الجزء الثامن، السنة الثالثة ١٩١٤.

العلي: صالح احمد (الدكتور)

٤٩٢- منطقة الحيرة، بحث في كتاب "معالم العراق العمرانية".

٤٩٣- منطقة الكوفة، مجلة سومر، المجلد (٢١) لسنة ١٩٦٥.

فراتي

٤٩٤- الماء في النجف، مجلة لغة العرب، العدد العاشر، السنة الثانية ١٩١٣.

فؤاد قزانجي

٤٩٥- رحلة البرتغالي تاكسيرا الى العراق في القرن السابع عشر، مجلة المورد، العدد الرابع ١٩٨٩.

الكليدار: عادل عبد الصالح

٤٩٦- كربلاء في العهد المغولي الايلخاني، مجلة الاقلام، الجزء التاسع، السنة الرابعة ١٩٦٨.

مصطفى جواد

٤٩٧- النجف قديماً، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف.

٤٩٨- النجف والحيرة، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف.

المظفر: محسن عبد الصاحب

٤٩٩- أسماء مدن لواء كربلاء المهمة، مجلة العدل، العدد الثامن، السنة الاولى ١٩٦٥.

٥٠٠- بنية لواء كربلاء الجيولوجية، مجلة الايمان، العددان (٣،٤)، السنة الثانية ١٩٦٥.

٥٠١- الصفات الفيزيوغرافية لسطح لواء كربلاء، مجلة العدل، العددان (٦،٧)، السنة الاولى ١٩٦٥.

الهاشمي، طه

٥٠٢- خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الاول، المجلد الثالث ١٩٥٤.

المصادر والمراجع

الموضوع	الصفحة